
KÖPRÜLÜ KÜT.
30


KÖPRÜLÜ KÜT.
130



المسجد الحرام قبلة المساجد كلها

قال النبي عم هدايا الولاة غلول
اي خيانة وسرقة
في بيت المال

قوله واما في حرب الجمل قال علي رضي الله عنه ثلث فرق من المسلمين على ما قال النبي عم انك تقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين
فالناكثون هم الذين نكثوا العهد والبيعة وخرجا الى البصرة ومقدمهم طلحة والزبير وقاتلوا عليا بعسكر مقدمهم عائشة في هودج على جمل
اخذ خطامه كعب بن سور فسمي ذلك الحرب حرب الجمل والمارقون هم الذين نزعوا اليد عن طاعة علي بعد ما بايعوه وتابعوه في حرب
اهل الشام زعما منهم انه كفر حيث رضي بالحكم وذلك انه لما طالت محاربة علي ومعاوية بصفين واشتدت اتفق الفريقان على الحكم
الى موسى الاشعري وعمرو بن العاص في امر الخلافة وعلى الرضا بما يريانه فاجتمع الخوارج على عبد الله بن وهب الراسبي وساروا الى النهروان
وسار اليهم علي رضي الله عنه بعسكره وكسرهم وقتل اكثرهم وذلك حرب الخوارج وحرب النهروان والقاسطون معاوية واتباعه الذين اجتمعوا عليه
وعدلوا عن طريق الحق الذي هو بيعة علي والدخول تحت طاعته ذاهبا الى انه مال على قتل عثمان حيث ترك معاونته وجعل قتلته خواصه وبطانته
فاجتمع الفريقان بصفين وهي قرية من قرى الروم على غلوة من الفرات ودامت الحرب بينهم شهورا فسمي ذلك حرب صفين والذي
اتفق عليه اهل الحق ان المصيب في جميع ذلك علي رضي الله عنه من شرح المقاصد في آخره قبل ورقتين

اذا اشتد الرعد قال رسول صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك
ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك كشاف في اوائل الرعد

يا راكب الذنب هدهد
واسجد كانك هدهد

قوله واستثناء الجمع آمن ليس مراده بالاستثناء
ما هو المصطلح عليه لعدم اداته وانما المراد الاستثناء المعنوي
وهو المستفاد من تنكير فريقا ونحو كلمة من التبعيضية او نحوهما
منه ان فريقا آخرين منهم لا يكتمون الحق بل يعترفون به ويؤمنون
فالاستثناء يعني مستفاد من الكلام بطريق المفهوم لا المنطوق جزا
على مذهبه فان المص رح شفعوي المذهب والائمة الشافعية
يذهبون بالمفهوم

الظاهر انه منقول من البيضاوي
لان صاحب الكشاف حنفي

130

ویتلوه المجلد الثانی

القراء من الصحابة سبعة عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب وابي بن كعب
وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وزيد بن ثابت وابو هريرة كلهم
اخذوا عن النبي عم والقراء من الائمة في الامصار نافع امام اهل الحديث عن الاعرج
عن ابي هريرة عن النبي عم وعن ابي بن كعب وعبد الله بن كثير امام مكة عن مجاهد عن
عبد الله بن عباس عن النبي عم وعن ابي بن كعب وعبد الله بن عامر امام الشام عن المغيرة
بن ابي شهاب عن عثمان بن عفان عن النبي عم وابو عمرو بن العلا امام البصرة عن مجاهد و
سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي عم وعن ابي بن كعب وعاصم امام الكوفة عن ابي
عبد الرحمن السلمي عن عثمان وعلي وابن مسعود وابي عن النبي عم وحمزة امام الكوفة عن ابن
ابي ليلى عن المنهال بن عمرو وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي عم وعن ابي بن
كعب والكسائي علي بن حمزة امام الكوفة عن ابن ابي ليلى وحمزة بن حبيب الزيات عن ابي بن
كعب

خالد عيون التفاسير تم

توفي نافع بالمدينة	وابن كثير بمكة وهو من التابعين	وابن عامر بدمشق	وعاصم بكوفة وهو من التابعين
١٢٩	١٢٠	١١٨	٨٥

وحمزة بحلوان في خلافة ابي جعفر المنصور	والكسائي بقرية من قرى الري حين توجه الى خراسان مع الرشيد
١٥٦	١٨٩

قصة آدم في اوائل البقرة والاعراف وبني اسرائيل وطه قصة هاروت وماروت في البقرة قصة شيطان في البقرة والاعراف والحجر وبني اسرائيل
والكهف قصة موسى عم في البقرة والاحزاب والمائدة والغافر والاعراف والزخرف ويونس وابرهيم وبني اسرائيل والكهف ومريم
وطه والشعراء والنمل والقصص قصة طالوت في البقرة قصة ابراهيم في البقرة والانعام والحجر ومريم والانبياء والعنكبوت
والذاريات قصة مريم في آل عمران ومريم وطه والنحل قصة زكريا في آل عمران ومريم والانبياء قصة عيسى عم في آل عمران و
الزخرف والمائدة قصة هابيل وقابيل في المائدة قصة هود عم في الاعراف وهود والشعراء والاحقاف قصة صالح عم
في الاعراف وهود والشعراء والنمل قصة نوح عم في الاعراف ويونس وهود والمؤمنين والشعراء والعنكبوت وص ونوح
قصة لوط عم في الاعراف وهود والحجر والشعراء والنمل والعنكبوت والذاريات والقمر قصة يونس عم في يونس
والانبياء والصافات قصة شعيب عم في الاعراف وهود والشعراء والعنكبوت قصة يوسف عم في يوسف
قصة اصحاب الكهف في الكهف قصة اسكندر في الكهف قصة ياجوج وماجوج في الكهف قصة اسمعيل عم
في مريم قصة داود عم في الانبيا وص وسبا قصة ادريس في مريم قصة سليمان عم في الانبيا والنمل وص
قصة ايوب عم في الانبيا قصة عائشة رضي الله عنها في النور قصة قارون في القصص قصة عاد و
قارون في الحاقة تم بعون الله تعالى

جمعا
٢٨

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد ... وليس فيها لعمري مثل كشاف
ان كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ... والجهل كالداء والكشاف كالشافي

سعد تملكه وتشرف بروية
الفقير عفو الله وكرمه الفقير اسمعيل بن
احمد بن ابراهيم ...
...
٢٢٠

ثم سعد تملك هذا السفر الخطير العبد الفقير
محمد ... بمكة المكرمة
عفي عنهما
١٠٥٩٧
محرم

قوله في الصفحة الآتية وأوحاه الوحي الاشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي وكل ما القيته الى غيرك يقال وحيت اليه الكلام واوحيت وهو ان تكلمه بخفية ه

النصف الاول من الكشاف عن حقائق التنزيل للعلامة جار الله العلامة فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري صاحبه وكاتبه اضعف عباد الله الحكيم العدل محمد محمد ... عفا الله عنه

ثم انتقل الى العبد ... في ربيع الاول سنة ... بيع نصفه الثاني ...

ثم انتقل هذا المجلد من المجلد الثاني الى العبد الفقير الى المولى الاعظم الاورع الاتقى الاعلم كمال الملة والدين ... المولى المعظم ... يوسف ... ادام الله فضائله ومعاليه

قوله النبي الامي النبي فعيل اما من المعتل اللام من النباوة اي الارتفاع او من المهموز اللام من النبأ وهو الخبر فان كان من المعتل اللام فهو بمعنى الفاعل اي المرتفع وان كان من المهموز اللام فيجوز ان يكون بمعنى الفاعل اي المخبر عن الله تعالى ويجوز ان يكون بمعنى المفعول اي المخبر يعني من اخبره الله تعالى وهو انسان بعثه الله تعالى لتبليغ ما اوحى اليه الى العباد والامي في اللغة منسوب الى الامة العرب وهي لم تكن تكتب ولا تقرأ فاستعير لكل من لا يعرف الكتابة والقراءة من الكتاب ويجوز ان يكون الى ام القرى وهي مكة او الى الام اي هو على حاله كما ولد من الام لم يتعلم الكتابة ه

قوله المكتوب في التوراة والانجيل اي المكتوب فيهما اسمه وصفته بحيث يمتاز عن غيره ... الصفتان مختصتان به عليه السلم ... وآله مع اصحابه ... وعلى آله الاطهار ... عطف على قوله على خير من اوحى اليه ... وعلى اله آل الشخص يطلق على اهل بيته والمراد بهما ... انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ... بالاطهار والخلفاء جمع الخليفة وهو النائب عن شخص ... شرائعه وحفظ حوزة الملة ... قوله من الاختان والاصهار الاختان جمع ختن ... والاصهار جمع صهر ...

قوله يحزنوا اصبعهم ... كانت العرب اذا وقع في ايديهم اسير ... وارادوا اطلاقه يحزون ناصيته ... مثل ضربه المولف للعالم او الصانع المقلد الذي لا خلاص له من التقليد ... والتقليد ... في ربقة التقليد والتقليد ... ه

قوله ان املاها اي اقدرها واغناها من ملؤ ملاءة اذا غني واقتدر يقال غني بكذا اي حصل له ذلك ويجوز ان يكون معناه اكثر العلوم ... علم التفسير من قولهم ... فاستعملت في البيبر مجازا ثم استعملت في الطبيعة استعارة لانها مشابهة للبير ... ه

قوله كما ذكر الجاحظ اي ذكرت لك ... كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن وهو كتاب الفه الجاحظ في التفسير ... ويحتمل ان يكون ... ه

الحواشي المكتوبة في الفصول السبعة من شرح خطبة الكشاف للعلامة المرحوم السعيد شمس الملة والدين الخطيبي اعلى الله درجته

ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد

فقيرهم ويزوج ايمهم ويخدم من لا خادم له منهم فاما الغني منهم فهو بمنزلة ابن سبيل غني
لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضي الله عنه كذلك قال ليس لنا ان نبني منه
قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه انه قيل
له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول
الله انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس
في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا
من الهجرة **فان قلت** بم تعلق قوله ان كنتم آمنتم بالله **قلت** بمحذوف يدل عليه
واعلموا ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم
واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة
لامر الله لان العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر وما انزلنا معطوف على بالله اي
ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عُبُدنا كقوله وعُبُد الطاغوت بضمتين
يوم الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من
الآيات والملائكة والفتح يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر على ان ينصر القليل على الكثير
والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي
بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا
غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى تانيث الادنى والاقصى **فان قلت** كلتاهما فعلى
من بنات الواو فلم جاءت احداهما بالياء والثانية بالواو **قلت** القياس هو قلب الواو
ياء كالعليا واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا الا ان استعمال
القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب واغيلت مع اغالت والعدوة
الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب اسفل منكم يعني الركب الاربعين الذين
كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل
من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر المبتدا **فان قلت** ما فائدة هذا التوقيت وذكر
مراكز الفريقين وان العير كانت اسفل منهم **قلت** الفائدة فيه الاخبار عن الحال
الدالة على قوة شان العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة له وضعف
شان المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم في مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله ودليلا

قول ابي بكر رضي الله عنه فاما الغني الخ اشارة منه رضي الله عنه الى ان ذي القربى وان كان مذكورا في هذا الموضع من القرآن مطلقا لكن المراد به الفقراء منهم كما ان ابن السبيل ذكر مطلقا في آية الزكوة والمراد ابن السبيل الفقير وكما ذكر اليتامى في هذه الآية التي نحن فيها مطلقا والمراد الفقراء منهم

ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم

على ان ذلك امر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى التي
اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار
تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو
مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها
نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن
الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون
انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا
مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير
ما دبر سبحانه من امر وقعة بدر ليقضي امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء
كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا
العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله
لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هؤلاء بالعدوة
الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب
على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون
فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما
في قلوبهم من تهيب رسول الله والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب
له ليقضي متعلق بمحذوف اي ليقضي امرا كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليائه و
قهر اعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك والحياة للكفر
والاسلام اي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى
له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي
يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة
التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي باظهار
التضعيف لسميع عليم يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم او لسميع عليم بكفر من كفر
وعقابه وبايمان من آمن وثوابه اذ يريكهم الله نصبه باضمار اذكر او هو بدل ثان
من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في منامك

لعله ممنوع وظاهر كلامه هو الواجب في المصلحة والحكمة لايراد صيغة المجهول ليطابق العبارة القرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً ونزّله بحسب المصالح منجماً وجعله بالتحميد مفتتحاً وبالاستعاذة مختتماً وأوحاه على قسمين متشابهاً ومحكماً وفصّله سوراً وسوّره آيات وميّز بينهن بفصول وغايات وما هي إلا صفات مبتدئ مبتدع وسمات منشئ مخترع فسبحان من استأثر بالأولية والقدم ووسم كل شيء سواه بالحدوث عن العدم أنشأه كتاباً ساطعاً تبيانه قاطعاً برهانه وحياً ناطقاً ببينات وحجج قرآناً عربياً غير ذي عوج مفتاحاً للمنافع الدينية والدنيوية مصدقاً لما بين يديه من الكتب السماوية معجزاً باقياً دون كل معجز على وجه كل زمان دائراً من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وأبكم به من تحدّى به من مصاقع الخطباء فلم يتصدّ للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء وأوفر عدداً من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالإفراط في المضادّة والمضارّة وإلقائهم الشراشر على المعازّة والمعارّة ولقائهم دون المناضلة عن أحسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط إن أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر وإن رماهم بمأثرة رموه بمآثر وقد جرّد لهم الحجة أولاً والسيف آخراً فلم يعارضوا إلا السيف وحده على أن السيف القاضب مخراق لاعب إن لم تمض الحجة حدّه فما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلمهم أن البحر قد زخر فطمّ على الكواكب وأن الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب. والصلاة على خير من أوحي إليه حبيب الله أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذي اللواء المرفوع في بني لؤي وذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل النبي الأمي المكتوب في التوراة والإنجيل وعلى آله الأطهار وخلفائه من الأختان والأصهار وعلى جميع المهاجرين والأنصار. اعلم أن متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية وأقدام الصناع فيه متقاربة أو متساوية إن سبق العالم العالم لم يسبقه إلا بخطى يسيرة أو تقدّم الصانع الصانع لم يتقدمه إلا بمسافة قصيرة وإنما الذي تباينت فيه الرتب وتحاكّت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم فيه

التفاوت والتفاضل حتى انتهى الأمر إلى أمد من الوهم متباعد وترقّى إلى أن عُدّ ألف بواحد ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر ومن غوامض أسرار محتجبة وراء أستار لا يكشف عنها من الخاصة إلا أوحدهم وأخصّهم وإلا واسطتهم وفصّهم وعامتهم عماة عن إدراك حقائقها بأحداقهم عناة في يد التقليد لا يمنّ عليهم بجزّ نواصيهم وإطلاقهم ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات أسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام والمتكلم وإن بزّ أهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدّى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهّل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما أزمنة وبعثته على تتبع مظانّهما همّة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ جامعاً بين أمرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زماناً ورُجع إليه وردّ ورُدّ عليه فارساً في علم الإعراب مقدّماً في حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقّادها يقظان النفس درّاكاً للمحة وإن لطف شأنها منتبهاً على الرمزة وإن خفي مكانها لا كزّاً جاسياً ولا غليظاً جافياً متصرّفاً ذا دربة بأساليب النظم والنثر مرتاضاً غير ريّض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتّب الكلام ويؤلّف وكيف ينظم ويرصف طالما دُفع إلى مضايقه ووقع في مداحضه ومزالقه. ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية كلما رجعوا إليّ في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب أفاضوا في الاستحسان والتعجّب واستطيروا شوقاً إلى مصنّف يضمّ أطرافاً من ذلك حتى اجتمعوا إليّ مقترحين أن أملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل فاستعفيت فأبوا إلا المراجعة والاستشفاع

بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي حداني على الاستعفاء على علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان الخوض فيه كفرض العين ما ارى عليه الزمان من رثاثة احواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلا ان تترقى الى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان فامليت عليهم مسئلة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول والاذناب وانما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وان يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل بلدة من فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك المملى متطلعين الى ايناسه حراصا على اقتباسه فهز ما رايت من عطفي وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل بمكة اذا انا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الامير الشريف الامام شرف آل رسول الله ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام الله مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطش الناس كبدا والهبهم حشا واوفاهم رغبة حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاغل بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت علي المستعفى الحيل وعيت به العلل ورايتني قد اخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فاخذت في طريقة اخصر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في اكثر من ثلثين سنة وما هي الا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم اسأل الله ان يجعل ما تعبت فيه منه سببا ينجيني ونورا لي على الصراط يسعى بين يدي وبيميني ونعم المسؤول ٥

سورة فاتحة الكتاب مكية وقيل مكية ومدنية

لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله بما هو اهله ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلوة لانها تكون فاضلة او مجزية بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس ٥

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي رضي الله عنه واصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا انها من القرآن لما اثبتوها وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله **فان قلت** بم تعلقت الباء **قلت** بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عز وجل في تسع آيات الى فرعون وقومه اي اذهب في تسع آيات الى فرعون وقومه وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست او نكحت ومنه قوله ٥ فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما ٥ **فان قلت** لم قدرت المحذوف متاخرا **قلت** لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤن باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وعلا بالابتداء وذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما فعل في قوله اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة للاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجريها ومرساها **فان قلت** فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل **قلت** هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم **فان قلت** ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة **قلت** فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المؤمن لما اعتقد ان فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر والا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق بها تعلق الدهن بالانبات في قوله تعالى تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه اعرب واحسن **فان قلت** فكيف قال الله متبركا

بسم الله اقرأ **قلت** هذا مقول على ألسنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك
قوله الحمد لله رب العالمين الى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف
يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه **فان قلت** من حق حروف المعاني التي
جاءت على حرف واحد ان تبنى على الفتحة التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء
وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الاضافة وبائها بنيتا على الكسر **قلت** اما اللام
فللفصل بينها وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم احد الاسماء العشرة
التي بنوا اوائلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ
كان دأبهم ان يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها
على غاية من الاحكام والرصانة واذا وقعت في الدرج لم يفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها
واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه وهو من الاسماء
المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو
لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع
الصوت والنبر قشر النخلة الاعلى **فان قلت** فلم حذفت الالف في الخط واثبتت في قوله
باسم ربك **قلت** قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة
الاستعمال وقالوا وطولت الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز انه قال
لكاتبه طول الباء واظهر السينات ودور الميم والله اصله الاله قال معاذ الاله
ان تكون كظبية ونظيره الناس اصله الاناس قال ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا
فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا اله
والاله من اسماء الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود
بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على
الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق
على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله وأله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق
من الناقة والحجر **فان قلت** اسم هو ام صفة **قلت** بل اسم غير صفة الا تراك تصفه
ولا تصف به لا تقول شيء اله كما لا تقول شيء رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول رجل كريم
خير وايضا فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت

قوله فاتحة الكتاب فاتحة الشيء اوله ثم فعل مصدر بمعنى الفتح
كالكاذبة بمعنى الكذب ثم اطلقت على اول الشيء تسمية للمفعول
بالمصدر لان الفتح يتعلق به اولا وبتوسطه يتعلق
بالمجموع فهو المفتوح الاول

قال التفتازاني

فاتحة الشيء اوله وخاتمته آخره اذ بهما الفتح والدخول في الامر
والختم والخروج منه ولعدم اختصاصهما بالسورة ونحوها
كانت التاء للنقل من الوصفية الى الاسمية دون تانيث الموصوف
في الاصل لكون اول الشيء بعضه والمضاف اليه كلما سيما الكتاب
المفتتح بالحمد المختتم بالاستعاذة فانه هو المجموع الشخصي لا المفهوم
الكلي الصادق على الآية والسورة فالاضافة بمعنى اللام كما في جزء الشيء
دون من كما في خاتم حديد وقد يتوهم ان الكل ما هو جزء من الشيء فاضافته
اليه بمعنى من كانهار دجلة وفساده بين ثم وجه تسمية السورة بفاتحة
الكتاب الفاتحة وسورة الحمد وسورة [illegible] والشافية ظاهر فليتنبه

قوله منجماً اصل معناه من النجم الذي هو الكوكب
ثم اطلق على سبيل المجاز بمعنى الوقت اطلاقا للحال و
ارادة للمحل كما قال الشافعي رضي الله عنه لعل انا حيل
بنجمان اي شهران او سنتان وذلك ان العرب كان
اكثر حسابهم ومعرفة اوقاتهم منوطا بطلوع الانواء
وغروبها وهي المنازل الثمانية والعشرون ثم
انتقل من هذا المجاز الى آخر وهو اعطاء المال
دفعة بعد دفعة وذلك ان هذا الاعطاء لما كان
واقعا في هذه النجوم اعني الاوقات اطلق التنجيم
واريد به الاعطاء اطلاقا للمحل وارادة للحال
كما جاء في حديث عمر رضي الله عنه انه حط عن مكاتب
له اول نجم اي اول حصة من المال ثم اشتقوا
من هذا المجاز الثاني افعالا وقالوا نجم الدية
ونجم الكتابة ونجم الدين اذا اداه حصصا
متفرقة هذا المعنى مذكور في المغرب والمراد في هذا
الموضع هذا المعنى

غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال **فان قلت** هل لهذا الاسم اشتقاق **قلت** معنى
الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحير
ومن اخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود
وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح **فان قلت** هل تفخم لامه
قلت نعم قد ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه
كابرا عن كابر ه والرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم
فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا
رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في البنا لزيادة المعنى وقال الزجاج
في الغضبان هو الممتلى غضبا ومما طن على اذني من ملح العرب انهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف
وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل
اردت المحمل العراقي فقال اليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى قال فهذا اسمه الشقنداف فزاد
في بنا الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل
في غير الله عز وجل كما ان الله من الاسما الغالبة واما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمن اليمامة
وقول شاعرهم فيه ه وانت غيث الورى لا زلت رحمانا ه فباب من تعنتهم في كفرهم
فان قلت كيف تقول الله رحمن اتصرفه ام لا **قلت** اقيسه على اخواته من بابه اعني نحو
عطشان وغرثان وسكران فلا اصرفه **فان قلت** فقد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون
فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف **قلت** كما حظر
ذلك ان يكون له مونث على فعلى كعطشى فقد حظر ان يكون له مونث على فعلانة كندمانة فاذن
لا عبرة بامتناع التانيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص
وهو القياس على نظائره **فان قلت** ما معنى وصف الله بالرحمة ومعناها العطف والحنو
ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها **قلت** هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف
على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة
عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه **فان قلت** فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو
دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد
فياض **قلت** لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها اردفه الرحيم كالتتمة

والرديف لبيبا ولباد قينها ولطف ۝ الحمد والمدح اخوان وهو الثنا والندا على الجميل
من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى
النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال ۝ افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني
والضمير المحجبا ۝ والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلم الحمد
راس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثنا على
موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفا عمل القلب وما في عمل
الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد
نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتدا وخبره الظرف الذي هو لله
واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر التي ينصبها العرب بافعال
مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله
ينزلونها منزلة افعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها
كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب الى الرفع على الابتدا للدلالة على ثبات المعنى واستقراره
ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابرهيم صلوات الله عليه
حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه
والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف
تحمدون فقيل اياك نعبد فان قلت ما معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف في
ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو و
العراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم و
قرا الحسن البصري الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرا ابرهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام
لاتباعها الدال والذي جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر
الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالهما مقترنتين واشف القرائتين
قراءة ابرهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن
الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان
يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون
وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره

على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي
وقرا زيد بن علي رضي الله عنه رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد
الله رب العالمين العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام
والاعراض فان قلت لم جمع قلت ليشمل كل جنس مما سمي به فان قلت فهو اسم غير صفة وانما تجمع
بالواو والنون صفات العقلاء او ما في حكمها من الاعلام قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه
وهي الدلالة على معنى العلم ۝ قرئ ملك يوم الدين ومالك وملك بتخفيف اللام وقرا ابو حنيفة رحمه الله
ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرا ابو هريرة رضي الله عنه مالك بالنصب وقرا غيره
ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرا مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين
ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم
الجزا ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة ۝ ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا ۝
فان قلت ما هذه الاضافة قلت هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع
مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه
مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم فان قلت فاضافة اسم الفاعل اضافة غير
حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت انما تكون
غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك
مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس او زمان مستمر
كقولك زيد مالك العبد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبد وهذا هو المعنى في مالك
يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى
اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي اجريت
على الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شي من ملكوته وربوبيته ومن كونه
منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة
يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل
على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثنا عليه بما هو اهله اياك ضمير منفصل
للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والها واليا في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب
والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارايتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب

الاخفش وعليه المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب
فشيء شاذ لا يعمل عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله قل افغير الله تأمروني اعبد قل
اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك
بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل ۞ فهياك والامر الذي ان
تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره ۞ والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه
ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله لانه
مولى اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع **فان قلت** لم عدل عن لفظ الغيبة الى
لفظ الخطاب **قلت** هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب
الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي
ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة ابيات
۞ تطاول ليلك بالاثمد ۞ ونام الخلي ولم ترقد ۞ وبات وباتت له ليلة ۞ كليلة ذي العائر الارمد ۞
وذلك من نبأ جاءني ۞ وخبرته عن ابي الاسود ۞ وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه
ولان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا
للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع
انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان
حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات
فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون
الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به **فان قلت** لم قرنت
الاستعانة بالعبادة **قلت** ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون
اليه من جهته **فان قلت** فلم قدمت العبادة على الاستعانة **قلت** لان تقديم الوسيلة
قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها **فان قلت** لم اطلقت الاستعانة **قلت** ليتناول
كل مستعان فيه والاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله
اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان
احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض وقرأ ابن حبيش نستعين بكسر النون هدى اصله
ان يتعدى باللام او بالى كقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم

اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين

فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة
الهدى بمنح الالطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وعن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب
وانما يتفاوتان في الرتبة وقرأ عبد الله ارشدنا السراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه
يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء
كقولك مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص
الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق
والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم
وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال
للذين استضعفوا لمن آمن منهم **فان قلت** ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين
انعمت عليهم **قلت** فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بان الطريق المستقيم
بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه وآكده
كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك
هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا
تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل فكانك قلت من اراد رجلا جامعا
للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين
انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق
نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس هم اصحاب موسى قبل ان يغيروا وقيل هم الانبياء
وقرأ ابن مسعود صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على معنى
ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة
وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال **فان قلت** كيف صح ان يقع غير
صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف **قلت** الذين انعمت عليهم لا توقيت
فيه فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني ولان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم
عليهم فليس في غير اذن الابهام الذي يأبى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم

هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل **فان قلت**
ما معنى غضب الله **قلت** هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم
ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته **فان قلت**
اي فرق بين عليهم الاولى والثانية **قلت** الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها
الرفع على الفاعلية **فان قلت** لم دخلت لا في ولا الضالين **قلت** لما في غير من معنى النفي كانه قيل
لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب
لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلي رضي الله
عنهما انهما قرآ وغير الضالين وقرأ ايوب السختياني ولا الضألين بالهمزة كما قرأ عمرو بن عبيد ولا
جأن وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شأبة
ودأبة آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات سميت
بها الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس سألت رسول الله عن معنى آمين فقال افعل
وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله
ما بيننا بعدا وعن النبي صلى الله عليه لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب
وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل انه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها
الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة رحمه الله مثله والمشهور عنه وعن اصحابه انه يخفيها
وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس عن رسول الله صلى الله عليه وعند الشافعي رضي الله عنه يجهر بها
وعن وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته
عن رسول الله صلى الله عليه انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل
والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم
الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي عليه السلام قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب
حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع
عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها
الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمي به ضه من ضرب اذا تهجيته

بسم الله الرحمن الرحيم الم ذلك الكتاب لا ريب فيه

وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما
كانت الفاظا كاساميها وهي حروف وحدان والاسامي عدد حروفها مرتق الى الثلثة اتجه لهم
طريق الى ان يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف
فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ دلالة
على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز
موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلاثة فاذا وليتها العوامل
ادركها الاعراب كقولك هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا كل اسم عمدت الى تأدية
ذاته فحسب قبل ان تحدث فيه بدخول العوامل شيئا من تأثيراتها فحقك ان تلفظ به موقوفا الا
ترى انك اذا اردت ان تلقي على الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف
تلقيها اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا
فان قلت لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين
قلت قد استوضحت بالبرهان النير انها اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف
الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا تقدح اشكال في اسميتها
كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته
على اوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فضل فيما يرجع الى التسمية
بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل على معنى في غيره وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولانها
متصرف فيها بالامالة كقولك با تا وبالتفخيم كقولك يا ها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير
والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت من جانب الخليل
على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا
بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول با كا فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا
بالحرف وقال اقول كه به وذكر ابو علي في كتاب الحجة في يا سين وامالة يا انهم قالوا يا زيد
في النداء فاما لوا وان كان حرفا قال فاذا كانوا قد اما لوا ما لا يمال من الحروف من اجل الياء فلان
يميلوا الاسم الذي هو يا سين اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ به **فان قلت** من اي
قبيل هي من الاسماء امعربة ام مبنية **قلت** بل هي اسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو
وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف

وليس بنا إليها لو بنيت لحذي لها حذو كيف وأين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعاً فيها
بين الساكنين فإن قلت لم لفظ المتهجي بما آخره ألف منها مقصوراً فلما أعرب مد فقال هذه باء
وياؤها وذلك يخيل أن وزانها وزان قولك لا مقصورة فإذا جعلتها اسماً مددت فقلت كتبت لاء
قلت هذا التمثيل يضحل ما لخصته من الدليل والسبب في أن قصرت متهجاة ومدت حين مسها
الإعراب أن حال التهجي خليقة بالأخف الأوجز واستعمالها فيه أكثر فإن قلت قد تبين أنها
أسماء حروف المعجم وأنها من قبيل المعربة وأن سكون أعجازها عند الهجاء لأجل الوقف فما وجه وقوعها
على هذه الصورة فواتح للسور قلت فيه أوجه أحدها وعليه إطباق الأكثر أنها أسماء
السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف بباب أسماء السور
وهي في ذلك على ضربين أحدهما ما لا يتأتى فيه إعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الإعراب
وهو إما أن يكون اسماً فرداً كصاد وقاف ونون أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس
ويس فإنها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طاسين ميم يتأتى فيها أن تفتح نونها وتصير ميم
مضمومة إلى طاسين فيجعلا اسماً واحداً كدارابجرد فالنوع الأول محكي ليس إلا وأما النوع
الثاني فسائغ فيه الأمران الإعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن أوفى
العبسي: يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم فأعرب حاميم ومنعها
الصرف وهكذا كل ما أعرب من أخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتأنيث
والحكاية أن تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الأولى كقولك دعني من تمرتان وبدأت
بالحمد لله وقرأت سورة أنزلناها وقال: وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض
المعار وقال ذو الرمة: سمعت الناس ينتجعون غيثاً فقلت لصيدح انتجعي بلالا وقال آخر:
تنادوا بالرحيل غداً وفي ترحالهم نفسي روي منصوباً ومجروراً ويقول أهل الحجاز
في استعلام من يقول رأيت زيداً من زيداً وقال سيبويه سمعت من العرب لا من أين يا فتى
فإن قلت فما وجه قراءة من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات قلت الوجه أن يقال
ذاك نصب وليس بفتح وإنما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها
بفعل مضمر نحو اذكر وقد أجاز سيبويه مثل ذلك في حاميم وطاسين وياسين لو قرئ به
وحكى أبو سعيد السيرافي أن بعضهم قرأ ياسين ويجوز أن يقال حركت لالتقاء الساكنين
كما قرأ من قرأ ولا الضالين فإن قلت هلا زعمت أنها مقسم بها وأنها نصبت نصب قولهم

نعم الله لأفعلن وأي الله لأفعلن على حذف حرف الجر وإعمال فعل القسم وقال ذو الرمة: ألا
رب من قلبي له الله ناصح وقال آخر: فذاك أمانة الله الثريد قلت إن القرآن والقلم
بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا
ذلك قال الخليل في قوله عز وجل والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى الواوان
الأخريان ليستا بمنزلة الأولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الأسماء إلى الأسماء في قولك مررت بزيد
وعمرو والأولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا يكون الأخريان بمنزلة الأولى
فقال إنما أقسم بهذه الأشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه بالأول على شيء لجاز أن يستعمل كلاماً آخر
فيكون كقولك بالله لأفعلن بالله لأخرجن اليوم ولا يقوى أن تقول وحقك وحق زيد لأفعلن والواو
الآخرة واو قسم لا يجوز إلا مستكرهاً قال وتقول وحياتي ثم حياتك لأفعلن فثم ههنا
بمنزلة الواو وهذا ولا سبيل فيما نحن بصدده إلى أن تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الأول في الإعراب
فإن قلت فقدرها مجرورة بإضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لأفعلن مجروراً
ونظيره قولهم لاه أبوك غير أنها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف
حتى يستتب لك المصير إلى نحو ما أشرت إليه قلت هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده
ما رووا عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال أقسم الله بهذه الحروف فإن قلت فما وجه
قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذي
يبسط من عذر المحرك أن الوقف لما استمر بهذه الأسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان
من المبنيات فعوملت تارة معاملة الآن وأخرى معاملة هؤلاء فإن قلت هل تسوغ لي
في المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة من إرادة معنى القسم قلت لا عليك في ذلك وأن تقدر
حرف القسم مضمراً في نحو قوله عز وعلا حم والكتاب المبين كأنه قيل أقسم بهذه السورة وبالكتاب
المبين إنا جعلناه وأما قوله صلى الله عليه حاميم لا ينصرون فيصلح أن يقضى له بالجر والنصب
جميعاً على حذف الجار وإضماره فإن قلت فما معنى تسمية السور بهذه الألفاظ خاصة قلت
كأن المعنى في ذلك الإشعار بأن الفرقان ليس إلا كلماً عربية معروفة التركيب من مسميات
هذه الألفاظ كما قال عز من قائل قرآناً عربياً فإن قلت فما بالها مكتوبة في المصحف
على صور الحروف أنفسها لا على صور أساميها قلت لأن الكلم لما كانت مركبة من ذوات
الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت أن يلفظ بالأسماء

وتقع في الكتابة الحروف انفسها عملاً على تلك الشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح وايضاً فان
شهرة امرها واقامة السن الاسود والاحمر لها وان اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها وان بعضها
مفرداً لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده امنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف
اشياء خارجة عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان
لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه
في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط
العروض لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط عنه ما اسقطه والوجه الثاني ان يكون ورود
هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة
نظمه وكالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين
ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر
معجزتهم عن ان يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم امراء الكلام وزعماء الحوار وهم
الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم
يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بذت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم
يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح اعين البصراء الا لانه ليس بكلام البشر
وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل ولناصره على
الاول ان يقول ان القرآن انما نزل بلسان العرب مصبوباً في اساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم
تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم احد منهم بمجموع ثلاثة اسماء واربعة وخمسة والقول بانها
اسماء السور حقيقة يخرج الى ما ليس في لغة العرب ويؤدي ايضاً الى صيرورة الاسم والمسمى
واحداً فان اعترضت عليه بانه قول مقول على وجه الدهر وانه لا سبيل الى رده اجابك بان
له محملاً سوى ما ذهبت اليه وانه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول
الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم
والله نور السموات والارض وليست هذه الجمل باسامي هذه القصائد وهذه السور والآي
وانما يعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة او الآية التي تلك فاتحتها
فلما جرى الكلام على اسلوب من يقصد التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك
على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراض على الوجه الاول ان يقول التسمية

ثلاثة اسماء فصاعداً مستنكرة لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسماً واحداً على
طريقة حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها لانها من باب التسمية
بما حقه ان يحكى حكاية كما سموا بتأبط شراً وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق
او ببيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة
من اسماء حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك واما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير
الاسم والمسمى واحداً لانها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم
الحرف مؤلفاً منه ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحداً
حيث كان الاسم مؤلفاً والمسمى مفرداً والوجه الثالث ان ترد السور مصدرة بذلك
ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلاً بوجه من الاغراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك
ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب
بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصاً بمن خط وقرأ وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم
وكان مستغرباً مستبعداً من الامي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما
كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع
اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيئاً من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش
ومن دان بدينها في شيء من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة
نبوته وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة من غير ان يسمعها من احد واعلم انك اذا تأملت ما اورده
الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف اسامي حروف المعجم اربعة عشر سواء
وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء
والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر
وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها
الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين
والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف
ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم
والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها
القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء

والعين والسين والحا والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء اذا استقريت الكلم
وتراكيبها رايت الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة
منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو
المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكان الله عز اسمه عدد على العرب الالفاظ التي منها
تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر
من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في
معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان
والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابرهيم وهود ويوسف والحجر **فان قلت** فهلا عددت
باجمعها في اول القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور **قلت** لان اعادة التنبيه على ان المتحدى
به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له في الاسماع والقلوب
من ان يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس
وتقريره **فان قلت** فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها فوردت
ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة احرف
والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص وحم عسق على خمسة احرف **قلت** هذا على
عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب وكما ان ابنية كلماتهم
على حرف وحرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك **فان قلت**
فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها **قلت** اذا كان الغرض هو التنبيه
والمبادي كلها في تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما
اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك
بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل اية سلك وكذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك
بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود **فان قلت**
فما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض **قلت** هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة
السور اما الم فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد
آية والر ليست باية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست باية وحم
آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة وص وق ون ثلاثتها لم تعد هذا مذهب الكوفيين

ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية **فان قلت** فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية **قلت**
كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف **فان قلت** ما حكمها في باب
الوقف **قلت** يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده
وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف
كقوله عز قائلا الم الله اي هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هو **فان قلت** هل لهذه الفواتح
محل من الاعراب **قلت** نعم لها محل فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام **فان قلت**
ما محلها من الاعراب **قلت** يحتمل الاوجه الثلاثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما
مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور ان يكون
لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعددة **فان قلت** لم صحت الاشارة
بذلك الى ما ليس ببعيد **قلت** وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمنقضي
في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب
الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما
علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك
وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به **فان قلت**
لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة **قلت** لا اخلو من ان اجعل الكتاب
خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في
التذكير كما اجري عليه في التأنيث في قولهم من كانت امك وان جعلته صفته فانما اشير به الى
الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان
او ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني ٥ نبئت نعما على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري
فان قلت اخبرني عن تأليف ذلك الكتاب مع الم **قلت** ان جعلت الم اسما للسورة ففي التأليف
وجوه ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه
ان ذلك هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستاهل ان
يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات
الخصال وكما قال ٥ هم القوم كل القوم يا ام خالد ٥ وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك
الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا

على ان الكتاب صفته وان يكون هذه الجملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بعدها
الصوب كان ذلك مبتدا اخبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفته
والخبر ما بعده او قدر مبتدا محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب
وقرا عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتاليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني اذا
حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة
وان الصدق طمانينة اي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا
صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من
نوائبه ومنه انه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشيء **فان قلت** كيف نفى الريب على سبيل
الاستغراق وكم من مرتاب فيه **قلت** ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا
للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان
يقع فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فما ابعد
وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحزروا انفسهم ويروزوا
قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه
مجال للشبهة ولا مدخل للريبة **فان قلت** فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول
في قوله تعالى لا فيها غول **قلت** لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات
انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولى الظرف لقصد الى ما
يبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل
خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كانه قيل ليس فيها ما في غيرها
من هذا العيب والنقيصة وقرا ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة
ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم
انهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب
لا باس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه فيه هدى الهدى مصدر على فعل
كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع

هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون

المدح كمهتدي ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى الى نحو غمه
فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك **فان قلت** فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون **قلت**
هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته
كقوله اهدنا الصراط المستقيم **ووجه** آخر وهو انه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس
التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس اذا اراد
احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض
والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الفجور
والكفر **فان قلت** فهلا قيل هدى للضالين **قلت** لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على
الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين
على الضلالة فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين
الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضا
فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القرآن واول المثاني
بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية
فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ضلع من غلظ الارض
ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي
ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها
تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا
عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدا محذوف
او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدا اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينصب
على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن
هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله الم جملة براسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها
وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل
البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها
متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة
والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت

بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من أعضاده ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب
فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة
وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم أخبر
عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الأربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق ونظمت هذا
النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه وأرشقه
وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة
الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وإيراده منكرا والإيجاز
في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على أسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه
الذين يؤمنون إما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة أو مدح منصوب أو مرفوع بتقدير
أعني الذين يؤمنون أو هم الذين يؤمنون وإما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه بأولئك
على هدى فإذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام وإذا كان مقتطعا كان وقفا
تاما فإن قلت ما هذه الصفة أواردة بيانا وكشفا للمتقين أم مسرودة مع المتقين تفيد
غير فائدتها أم جاءت على سبيل المدح كصفات الله الجارية عليه تمجيدا قلت تحتمل أن
ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما أسس عليه حال المتقين من فعل الحسنات
وترك السيئات أما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الإيمان الذي هو أساس الحسنات ومنصبها
وذكر الصلوة والصدقة لأن هاتين أمّا العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما
ألم تر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه الصلاة عماد الدين وجعل الفاصل بين الإسلام
والكفر ترك الصلاة وسمى الزكاة قنطرة الإسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون
الزكاة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شأنهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثم
اختصر الكلام اختصارا بأن استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي
إذا وجد لم تتوقف أخواته أن تقترن به مع ما في ذلك من الإفصاح عن فضل هاتين العبادتين
وأما الترك فكذلك ألا ترى إلى قوله تعالى إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل أن
لا تكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين
يجتنبون المعاصي ويحتمل أن تكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للإيمان بالغيب وإقام

الصلوة وإيتاء الزكوة بالذكر إظهارا لفضلهما على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات
والإيمان إفعال من الأمن يقال أمنته وآمنته غيري ثم يقال آمنه إذا صدقه وحقيقته آمنه
التكذيب والمخالفة وأما تعديته بالباء فلتضمينه معنى أقر واعترف وأما ما حكى أبو زيد عن
العرب ما آمنت أن أجد صحابة أي ما وثقت فحقيقته صرت ذا أمن به أي ذا سكون وطمأنينة
وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب أي يعترفون به أو يثقون بأنه حق ويجوز أن لا
يكون بالغيب صلة للإيمان وأن يكون في موضع الحال أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته
ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم أني لم أخنه بالغيب ويعضده ما
روي أن أصحاب عبد الله ذكروا أصحاب رسول الله وإيمانهم فقال ابن مسعود إن أمر محمد
كان بينا لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ هذه الآية
فإن قلت فما المراد بالغيب إن جعلته صلة وإن جعلته حالا قلت إن جعلته صلة كان
بمعنى الغائب إما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى
عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الأرض غيبا وعن النضر بن شميل شربت
الإبل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية إذا بطنت
الدابة انخمصت وإما أن يكون فيعلا فخفف كقيل قيل وأصله قيّل والمراد به الخفي الذي
لا ينفذ فيه ابتداء إلا علم اللطيف الخبير وإنما نعلم منه نحن ما أعلمناه أو نصب لنا دليلا عليه
ولهذا لا يجوز أن يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما
يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وإن جعلته حالا كان
بمعنى الغيبة فإن قلت ما الإيمان الصحيح قلت أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه
ويصدقه بعمله فمن أخل بالاعتقاد وإن شهد وعمل فهو منافق ومن أخل بالشهادة فهو كافر ومن
أخل بالعمل فهو فاسق ومعنى إقامة الصلوة تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها
وسننها وآدابها من أقام العود إذا قوّمه أو الدوام عليها والمحافظة كما قال عز وعلا الذين
هم على صلاتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق إذا نفقت وأقامها قال
أقامت غزالة سوق الضراب لأهل العراقين حولا قميطا لأنها إذا حوفظ عليها كانت كالشيء
النافق الذي تتوجه إليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون وإذا عطلت وأضيعت كانت
كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه أو التجلد والتشمر لأدائها وأن لا يكون في مؤديها فتور عنها

ولا توان من قولهم قام بالأمر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الأمر وتقاعد عنه إذا تقاعس عنه وتثبط أو أداؤها فعبر عن الأداء بالإقامة لأن القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح إذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا أنه كان من المسبحين والصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لأن المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي إذا طأطأ رأسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لأنه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل تشبيها في تخشعه بالراكع والساجد وإسناد الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستأهل أن يضاف إلى الله ويسمى رزقا منه وأدخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الإسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه أهم كأنه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق وجائز أن يراد به الزكاة المفروضة لاقترانه بأخت الزكاة وشقيقتها وهي الصلاة وأن يراد هي وغيرها من النفقات في سبيل الخير لمجيئه مطلقا يصلح أن يتناول كل منفق وأنفق الشيء وأنفده أخوان وعن يعقوب نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك إذا تأملت **فإن قلت** والذين يؤمنون أهم غير الأولين أم هم الأولون وإنما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي **قوله**

إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم

وقوله

يا لهف زيابة للحارث ... الصابح فالغانم فالآيب

قلت يحتمل أن يراد هؤلاء مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه من الذين آمنوا فاشتمل إيمانهم على كل وحي أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة إيقانا زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودات واجتماعهم على الإقرار بالنشأة الأخرى وإعادة الأرواح في الأجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من أجرى حالها في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه آخرون فزعموا أن ذلك إنما احتيج إليه في هذه الدار من أجل نماء الأجسام ولمكان التوالد والتناسل وأهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون إلا بالنسيم والأرواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل أن يراد وصف الأولين ووسط العاطف على معنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه **فإن قلت** فإذا أريد بهؤلاء غير

والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون

أولئك فهل يدخلون في جملة المتقين أم لا **قلت** إن عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الفريقين من مؤمني أهل الكتاب وغيرهم وإن عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكأنه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل إليك **فإن قلت** قوله بما أنزل إليك إن عنى به القرآن بأسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت إيمانهم فكيف قيل أنزل بلفظ المضي وإن أريد المقدار الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم فهو إيمان ببعض المنزل واشتمال الإيمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب **قلت** المراد المنزل كله وإنما عبر عنه بلفظ المضي وإن كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال أنا وأنت فعلنا وأنت وزيد تفعلان ولأنه إذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم به إلا وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الآتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آنيه بقاصيه وقرأ يزيد بن قطيب بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان وأن اليقين ما عليه من آمن بانتفاء الشك والشبهة عنه والآخرة تأنيث الآخر الذي هو نقيض الأول وهي صفة الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام كقوله دابة الأرض وقرأ أبو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو وكأنها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه

لحب المؤقدان إلى مؤسى ... وجعدة إذ أضاءهما الوقود

أولئك على هدى الجملة في محل الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ وإلا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين أنك إذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف وذلك أنه لما قيل هدى للمتقين واختص المتقون بأن الكتاب لهم هدى اتجه لسائل أن يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب إلى ساقته كأنه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله أن يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم أي الذين هؤلاء عقائدهم وأعمالهم أحقاء بأن يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك

احب رسول الله الانصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك اهل للمحبة
وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد
اختصوا بالهدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا
وبالفلاح آجلا واعلم ان هذا النوع من الاستيناف يجيء تارة باعادة اسم من استونف عنه
الحديث كقولك قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته كقولك احسنت
الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف باعادة الصفة احسن وابلغ لانطوائها
على بيان الموجب وتلخيصه فان قلت هل يجوز ان يجري الموصول الاول على المتقين وان يرتفع
الثاني على الابتداء وخبره اولئك قلت نعم على ان يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا
باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون
الفلاح عند الله وفي اسم الاشارة الذي هو اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكورون
قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا
فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان عاش لم يقعد ضعيفا
مذمما ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به
شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في
قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم اي منحوه من
عنده واوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي الى
الافضل فالافضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كانه قيل على اي هدى
كما تقول لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا وقال الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد
لقد وقعت على لحم والنون ادغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد
وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو فقد روي
عنه فيها روايتان وفي تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح
فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على
حيالها فان قلت لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله اولئك كالانعام بل هم اضل
اولئك هم الغافلون قلت قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين
ثمه فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية

ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون

مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد
بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو
مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين
هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت
من هو فقيل زيد التائب اي هو الذي اخبرت بتوبته او على انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين
وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك
هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل
من فاله التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة
وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك
في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب
والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى و
احشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كانه الذي
انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي
بامرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته في الفاء والعين نحو فلق
وفلذ وفلى لما قدم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة الزلفى
عنده وبين ان الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة
المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب
وعدمه وانذار الرسول وسكوته فان قلت لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين
ولم تعطف كنحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة قلت
ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب
وانه هدى للمتقين وسيقت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين
في الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف فان قلت هذا اذا زعمت ان الذين
يؤمنون جار على المتقين فاما اذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر
في صفة اضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة قلت قد مر لي ان الكلام المبتدأ عقيب
المتقين سبيله الاستيناف وانه مبني على تقدير سؤال فذلك ادراج له في حكم المتقين وتابع

لهم في المعنى وان كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز
ان يكون للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم وان
يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله
للمصرين الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما
يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء
للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر لان وانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع المرتفع
به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا
مختصم اخوه وابن عمه او يكون انذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما
بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان **فان قلت** الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه
فكيف صح الاخبار عنه في هذا الكلام **قلت** هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ
الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك
قولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر
اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد
انسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف
النداء قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا
استفهام كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم
عنهما لانه قد علم ان احد الامرين كائن اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه فكلاهما معلوم
بعلم غير معين وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف اعرب واكثر وبتخفيف الثانية
بين بين وبتوسط الف بينهما محققتين وبتوسطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام
وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح **فان قلت** ما تقول فيمن يقلب الثانية
الفا **قلت** هو لاحن خارج من كلام العرب خروجين احدهما الاقدام على جمع الساكنين
على غير حده وحده ان يكون الاول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله ولا الضالين
وخويصة والثاني اخطاء طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما
قبلها ان تخرج بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها
كهمزة راس والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي **فان قلت** ما موقع لا يؤمنون

ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم

قلت اما ان يكون جملة موكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض الختم
والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشي بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية ليلا يتوصل اليه
ولا يطلع عليه والغشاوة الغطا فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البنا لما يشتمل على الشي
كالعصابة والعمامة فان قلت ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار قلت
لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة
والتمثيل اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمايرها من قبل
اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغا
اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي ايات الله المعروضة
ودلايله المنصوبة كما تجتليها اعين المعتبرين المستبصرين كانما غطي عليها وحجبت وحيل
بينها وبين الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينية التي
كلفوها وخلقوا من اجلها باشيا ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية
وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال ختم الاله على
لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر وإذا اراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر ناقر
فان قلت فلم اسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل
اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه
عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم
الظالمين ان الله لا يامر بالفحشا ونظاير ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة
القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله عز وجل فلينبه على ان هذه الصفة
في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشي الخلقي غير العرضي الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا
ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت
الاية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم
ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك
وطارت به العنقا اذا اطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقا عمل في هلاكه ولا في طول غيبته
وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت
به العنقا فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها

نحو قلوب الاغنام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم او بحال قلوب البهائم انفسها
او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه ولبس له عز وجل فعل في تجافيها
عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير
الله لله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسيره
هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب
له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة
وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جراءته فيستعار
له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر
شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر
جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب
وقال اذا رد عافي القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا
ان الله سبحانه لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب
ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر
ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه
لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء واذا لم يبق طريق
الا ان يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن
ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه
الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي
واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه
تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى
تأتيهم البينة **فان قلت** اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية
فعلى ايهما يعول **قلت** على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على
بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم **فان قلت** اي فائدة في تكرير الجار في قوله
وعلى سمعهم **قلت** لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة وحين استجد

للاسماع تعدية على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في قوله
كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وانت
تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع
الاذن في قوله وفي آذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس سمعهم وقرأ ابن ابي عبلة
وعلى اسماعهم **فان قلت** هلا منع ابا عمرو والكسائي من امالة ابصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء
وهو الصاد **قلت** لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كان فيها كسرتين
وذلك اعون شيء على الامالة وان يمال له ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي
ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكانهما جوهران
لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للابصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة
بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا
والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه
ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه
نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح
عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير
ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير
دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته
او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو
غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله اللهم
اجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة ه افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا
دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين
محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا والسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء
وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم اليه وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر
تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك انزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ

فيما جنبهم ونكّرهم وفضحهم وسفّههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجّل بطغيانهم و
عمههم ودعاهم صمّا بكما عميا وضرب لهم الأمثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على
قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة وأصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة
في الألوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الأناس ويشهد لأصله إنسان وأناس
وأناسي وإنس وسمّوا لظهورهم وأنهم يؤنسون أي يبصرون كما سمّي الجن لاجتنانهم ولذلك سمّوا
بشرا ووزن ناس فعال لأن الزنة على الأصول ألا تراك تقول في وزن قه إفعل وليس معك إلا العين
وحدها وهو من أسماء الجمع كرخال وأما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبّره كأنيسيان ورويجل
ولام التعريف فيه للجنس ويجوز أن تكون للعهد والإشارة إلى الذين كفروا المار ذكرهم كأنه قيل
ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن أبيّ وأصحابه ومن كان في حالهم من أهل التصميم على النفاق
ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في من يقول
موصوفة كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال إن جعلت اللام للجنس
وإن جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي فإن قلت كيف يجعلون
بعض أولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع الفريقين معا وصيّرهم
جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها
على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من أن يكونوا بعضا من الجنس فإن
الأجناس إنما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات إنما تأتي بالنوعية
ولا تأبى الدخول تحت الجنسية فإن قلت لم اختص بالذكر الإيمان بالله والإيمان باليوم
الآخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن إفراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لأن القوم
كانوا يهودا وإيمان اليهود بالله ليس بإيمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك إيمانهم باليوم الآخر
لأنهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا
موجّها لأن قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر
لا إيمان فإذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم وأروهم أنهم مثلهم في الإيمان
الحقيقي كان خبثا إلى خبث وكفرا إلى كفر وأيضا فقد أوهموا في هذا المقال أنهم اختاروا
الإيمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه وأحاطوا بأوله وآخره وفي تكرار الباء أنهم ادعوا كل
واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام فإن قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والأول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل قلت القصد إلى إنكار
ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق أدّى إلى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة
ما ليس في غيره وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم
المنافية لحال الداخلين في الإيمان وإذا شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على هذه الصفة فقد انطوى
تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون
أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو أبلغ من قولك وما يخرجون منها فإن قلت فلم جاء
الإيمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الأول قلت يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور
عليه وأن يراد بالإطلاق أنهم ليسوا من الإيمان في شيء قط لا من الإيمان بالله وباليوم الآخر ولا من
الإيمان بغيرهما فإن قلت ما المراد باليوم الآخر قلت يجوز أن يراد به الوقت الذي لا حدّ
له وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الأوقات المنقضية وأن يراد الوقت المحدود
من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنه آخر الأوقات المحدودة الذي لا
حدّ للوقت بعده والخدع أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضبّ خادع
وخدع إذا أمر الحارش يده على باب جحره أوهمه إقباله عليه ثم خرج من باب آخر فإن قلت
كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لأن العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي
لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وإن جاز أن يخدعوا لم يجز أن يخدعوا ألا ترى إلى قوله
واستمطروا من قريش كل منخدع وقول ذي الرمة إن الحليم وذا الإسلام يختلب
فقد جاء النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع قلت فيه وجوه أحدها أن يقال كانت صورة صنعهم
مع الله حيث يتظاهرون بالإيمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث
أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة وأهل الدرك الأسفل من النار صورة
صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله فيهم فأجروا أحكامهم عليهم
والثاني أن يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم أن الله ممن يصح خداعه لأن من كان ادعاؤه الإيمان
بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا أن لذاته تعلقا بكل معلوم ولا أنه غني عن فعل
القبائح فلم يبعد من مثله تجويز أن يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز
أن يدلّس على عباده ويخدعهم والثالث أن يذكر الله ويراد الرسول لأنه خليفته في أرضه
والناطق عنه بأوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وإنما القائل والراسم

وزيرٍ او بعض خاصته الذين هم قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع الله والرابع ان يكون من قولهم
اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص
ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه
وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر
احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر
زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله فان قلت هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح قلت
وجهه ان يقال عني به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة
والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار
لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين آمنوا وهو ابو حيوة
ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستأنفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما
رفقهم في ذلك فقيل يخادعون فان قلت عمّ كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعون
عن اغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم
من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم
الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا
حراصا على اذاعتها الى منابذيهم فان قلت فلو اظهر عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض
بخداعهم عنها قلت لم يظهر عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت مفاسد
واستبقاء ابليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق
اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة فان قلت ما المراد بقوله وما
يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة
المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما
يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة
المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به
وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون
للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدّعون بفتح الياء بمعنى يختدعون

في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا

ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا
نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم
نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة
نفس الرجل بمعنى عين اصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسيه اذا تردد في
الامر واتجه له رايان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعي النفس وهاجسي
النفس فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين
له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس هاهنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان
الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم
وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق
ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له واستعمال المرض في القلب يجوز ان
يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض
اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار
الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة
في نقائض ذلك والمراد به هاهنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد و
البغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي
وصفها الله في قوله قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويحرقون عليهم
حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول
الله اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه
البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او يراد ما
تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يحدثون
به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق اياما ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس
عند انزال الله على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما لجراءتهم وجسارتهم في
الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين
وامداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله عليه نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة
الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان

ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض

الله هو الذي زادهم ما ازدادوه إسناداً للفعل إلى المسبب له كما أسنده إلى السورة في قوله
فزادتهم رجساً لكونها سبباً أو كلما زاد رسوله نصرة وبسطاً في البلاد ونقصاً من أطراف
الأرض ازدادوا حسداً وغلاً وبغضاً وازدادت قلوبهم ضعفاً وقلة طمع فيما عقدوا به آمالهم
وجبناً وخوراً ويحتمل أن يراد بزيادة المرض الطبع وقرأ أبو عمرو في رواية الأصمعي مرْض ومرْضاً
بسكون الراء يقال ألِم فهو أليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع
وهذا على طريقة قولهم جد جده والألم في الحقيقة للمؤلم كما أن الجد للجاد والمراد بكذبهم
قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز إلى قبح الكذب وسماجته وتخييل أن العذاب الأليم
لاحق بهم من أجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا والقوم كفرة وإنما خصت
الخطيئات استعظاماً لها وتنفيراً عن ارتكابها والكذب الإخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو
قبيح كله وأما ما يروى عن إبراهيم صلوات الله عليه أنه كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض
ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن أبي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعاً إياكم
والكذب فإنه مجانب للإيمان وقرئ يكذّبون من كذّبه الذي هو نقيض صدّقه أو من كذّب الذي
هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدّق ونظيرهما بان الشيء وبيّن وقلص الثوب وقلّص
أو بمعنى الكثرة كقولك موّتت البهائم وبرّكت الإبل أو من قولهم كذب الوحشي إذا جرى شوطاً
ثم وقف لينظر ما وراءه لأن المنافق متوقف متردد في أمره ولذلك قيل له مذبذب وقال
عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة وإذا
قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز أن يعطف على يقول آمنا لأنك لو قلت ومن الناس من إذا قيل
لهم لا تفسدوا كان صحيحاً والأول أوجه والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه
منتفعاً به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الأرض
هيج الحروب والفتن لأن في ذلك فساداً ما في الأرض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع
والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث
والنسل أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين طيء حرب الفساد
وكان فساد المنافقين في الأرض أنهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بإفشاء أسرارهم
إليهم وإغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي إلى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤدياً إلى
الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار إذا

قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون

إذا أقدم على ما هذه عاقبته وإنما لقصر الحكم على شيء كقولك إنما ينطلق زيد أو لقصر الشيء على حكم
كقولك إنما زيد كاتب ومعنى إنما نحن مصلحون أن صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة
قادح فيها من وجه من وجوه الفساد وألا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لإعطاء
معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقاً كقوله أليس
ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى
به القسم وأختها التي هي أما من مقدمات اليمين وطلائعها أما والذي لا يعلم الغيب غيره
أما والذي أبكى وأضحك رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على
سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في كلمتي ألا وإن من التأكيد
وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون أتوهم في النصيحة من وجهين أحدهما
تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره إلى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم لطريق
الأسد من اتباع ذوي الأحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم أن سفهوهم لفرط
سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فإن قلت كيف صح
أن يسند قيل إلى لا تفسدوا وآمنوا وإسناد الفعل إلى الفعل مما لا يصح قلت الذي لا يصح
هو إسناد الفعل إلى معنى الفعل وهذا إسناد له إلى لفظه كأنه قيل وإذا قيل لهم هذا
القول وهذا الكلام فهو نحو قولك ألف ضرب من ثلثة أحرف ومنه زعموا مطية الكذب
وما في كما يجوز أن يكون كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس
للعهد أي كما آمن رسول الله ومن معه وهم ناس معهودون أو عبد الله بن سلام وأشياعه
لأنهم من جلدتهم ومن أبناء جنسهم أي كما آمن أصحابكم وإخوانكم أو للجنس أي كما آمن الكاملون
في الإنسانية أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز
بين الحق والباطل والاستفهام في أنؤمن في معنى الإنكار واللام في السفهاء مشار بها إلى
الناس كما تقول لصاحبك إن زيداً قد سعى بك فيقول أوقد فعل السفيه ويجوز أن تكون
للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لأنهم عندهم أعرق الناس
في السفه فإن قلت لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح قلت
لأنهم لجهلهم وإخلالهم بالنظر وإنصاف أنفسهم اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما
عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيهاً ولأنهم كانوا في رياسة وسطة في قومهم ويسار

وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون

وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشأنهم أو أرادوا عبد الله بن سلام وأشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من إسلامهم وفت في أعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم أنهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم **فإن قلت** لم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون **قلت** لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلى الفتنة والفساد في الأرض فأمر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب فهو كالمحسوس المشاهد ولأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له

وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون

هذه الآية بخلاف ما سيقت له أول قصة المنافقين فليس بتكرير لأن تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهامهم أنهم معهم فإذا فارقوهم إلى شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم وروي أن عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله فقال عبد الله انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لأصحابه كيف رأيتموني فعلت فأثنوا عليه خيرا فنزلت ويقال لقيته ولاقيته إذا استقبلته قريبا منه وهو جاري ملاقي ومراوقي وقرأ أبو حنيفة رحمه الله وإذا لاقوا وخلوت بفلان وإليه إذا انفردت معه ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم أي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به إذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه وإذا أنهوا السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول أحمد إليك فلانا وأذمه إليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه أصلية وفي آخر زائدة والدليل على أصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن إذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط إذا بطل إذا جعلت نونه زائدة ومن أسمائه الباطل إنا معكم إنا مصاحبوكم وموافقوكم

فإن قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بإن **قلت** ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا بأقوى الكلامين وأوكدهما لأنهم في ادعاء حدوث الإيمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والأنصار الذين مثلهم في التوراة والإنجيل ألا ترى إلى حكاية الله قول المؤمنين ربنا إننا آمنا وأما مخاطبة إخوانهم فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد **فإن قلت** أنى تعلق قوله إنما نحن مستهزئون بقوله إنا معكم **قلت** هو توكيد له لأن قوله إنا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله إنما نحن مستهزئون رد للإسلام ودفع له منهم لأن المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته أو بدل منه لأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم إنا معكم فقالوا فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أهل الإسلام فقالوا إنما نحن مستهزئون والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لأهزأن على مكاني وناقته تهزأ به أي تسرع وتخف **فإن قلت** لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لأنه متعال عن القبيح والسخرية من باب العبث والجهل ألا ترى إلى قوله قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم **قلت** معناه إنزال الهوان والحقارة بهم لأن المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وإدخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير شأنهم وازدراء أمرهم والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز أن يراد به ما مر في يخادعون من أنه يجري عليهم أحكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه **فإن قلت**

والله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون

كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله **قلت** هو استئناف في غاية الجزالة
والفخامة وفيه ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه
باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله هو
الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله **فان قلت**
هلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزئون **قلت** لان يستهزئ يفيد
حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم
اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار
وتكشف اسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من ان ينزل فيهم يحذر المنافقون ان تنزل
عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم في طغيانهم
من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها
ما يصلحها ومددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في
الغي وامده اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه **فان قلت**
لم زعمت انه من المدد دون المد في العمر والاملاء والامهال **قلت** كفاك دليلا على انه من المدد
دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم على ان الذي بمعنى
امهله انما هو مد له مع اللام كأملى له **فان قلت** فكيف جاز ان يوليهم الله مددا في الطغيان
وهو فعل الشياطين الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم في الغي **قلت** اما ان يحمل على انهم لما
منعهم الله الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم
يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين فسمي ذلك التزايد مددا
واسند الى الله سبحانه لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما
على ان يسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين اغواء عباده
فان قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع
عليه **قلت** استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على ان يسندوا الى الله ما اسند الى الشياطين
ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن
حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على
كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فاذا لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة

اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين

على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وان هؤلاء من اهل الطبع
والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه في طغيانهم بالكسر
وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان **فان قلت** اي نكتة في اضافته اليهم **قلت**
فيها ان الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم وان الله بريء
منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما اشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد
المد اليه انه لو لم يضف الطغيان اليهم ان الطغيان فعله فلما اسند المد اليه على الطريق الذي
ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق
ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين اطلق الغي ولم يقيده بالاضافة في قوله واخوانهم يمدونهم
في الغي والعمه مثل العمى الا ان العمى عام في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التحير
والتردد لا يدري اين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه اي الذين لا رأي لهم ولا دراية بالطرق
وسلك ارضا عمهاء لا منار بها ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به
على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر ومنه

اخذت بالجمة راسا ازعرا
وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا اجيدرا
كما اشترى المسلم اذ تنصرا

وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بني اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون
الدنيا بعمل الآخرة **فان قلت** كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى **قلت**
جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كأنه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها
به ولان الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة
والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير
للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي الشف من قولك اشف
بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا على هذا شف والتجارة صناعة التاجر وهو الذي
يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كانها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرأ ابن ابي عبلة
تجاراتهم **فان قلت** كيف اسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها **قلت** هو من
الاسناد المجازي وهو ان يسند الفعل الى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست
التجارة بالمشترين **فان قلت** هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد المجازي
قلت نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رأيت اسدا وانت تريد المقدام ان لم تقم

فإن قلت هب أن شرى الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة قلت هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى بأشكال لها وأخوات إذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد كأن أذني قلبه خطلاوان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه أذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه

ولما رأيت النسر عز ابن داية ... وعشش في وكريه جاش له صدري

لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاك العرب في أمه

فما أم الردين وإن أدلت ... بعالمة بأخلاق الكرام
إذا الشيطان قصع في قفاها ... تنفقناه بالحبل التؤام

أي إذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم يريد إذا حردت وأساءت الخلق اجتهدنا في إزالة غضبها وإماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع أولا ثم ضم إليه التنفق ثم الحبل التؤام فكذلك لما ذكر سبحانه الشرى أتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه إليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته فإن قلت ما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قلت معناه أن الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معا لأن رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في أيديهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح وإن ظفروا بما ظفروا به من الأغراض الدنيوية لأن الضال خاسر دامر ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة الجامح الأبي ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله وفشت في كلام رسول الله وكلام الأنبياء والحكماء قال الله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ومن سور الإنجيل سورة الأمثال والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول

إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير فإن قلت ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون أي وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم أخذ في بيان عجائبها ولله المثل الأعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة مثلهم في التوراة أي صفتهم وشأنهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن فإن قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات أمران أحدهما أن الذي لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في أسماء الفاعلين والمفعولين والثاني أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون إنما ذاك علامة لزيادة الدلالة ألا ترى أن سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذي استوقد نارا على أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا وقوله ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن أخواته وقل في الجبل إذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوؤها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور إذا نفر لأن فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها والإضاءة فرط الإنارة ومصداق ذلك قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة إلى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لأن ما حول المستوقد أماكن وأشياء ويعضده قراءة ابن أبي عبلة ضاءت وفيه وجه آخر وهو أن يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل إشراق ضوء النار حوله بمنزلة إشراق النار نفسها على أن ما مزيدة أو موصولة في معنى الأمكنة وحوله نصب على الظرف وتأليفه للدوران والإطافة وقيل للعام حول لأنه يدور فإن قلت أين جواب لما قلت فيه وجهان

وتركهم في ظلمات لا يبصرون

أحدهما أن جوابه ذهب الله بنورهم والثاني أنه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به
وإنما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس للدال عليه وكان الحذف أولى من الإثبات
لما فيه من الوجازة مع الإعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ في أداء
المعنى كأنه قيل فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء
خائبين بعد الكدح في إحياء النار **فإن قلت** فإذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم
قلت يكون كلاما مستأنفا كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض
سائل فقال ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم أو يكون بدلا
من جملة التمثيل على سبيل البيان **فإن قلت** قد رجع الضمير في هذا الوجه إلى المنافقين فما مرجعه
في الوجه الثاني **قلت** مرجعه الذي استوقد لأنه في معنى الجمع وأما جمع هذا الضمير وتوحيده
في حوله فلحمله على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى **فإن قلت** فما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى في قوله
ذهب الله بنورهم **قلت** إذا طفئت النار بسبب سماوي ريح أو مطر فقد أطفأها الله وذهب
بنور المستوقد ووجه آخر وهو أن يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله
ثم إما أن تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للإسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها
قليلة البقاء ألا ترى إلى قوله كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله وإما نارا حقيقية أوقدها
الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها إلى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث فأطفأها الله
وخيب أمانيهم **فإن قلت** كيف صح في النار المجازية أن توصف بإضاءة ما حول المستوقد **قلت**
هو خارج على طريقة المجاز المرشح فأحسن تدبره **فإن قلت** هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله
فلما أضاءت **قلت** ذكر النور أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم
لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا ألا ترى
كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف
نكرها وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون **فإن قلت**
فلم وصفت بالإضاءة **قلت** هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح
الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح والفرق بين أذهبه وذهب به
أن معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به إذا استصحبه ومضى به معه وذهب
السلطان بماله أخذه فلما ذهبوا به إذا لذهب كل إله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى

صم بكم عمي فهم لا يرجعون

أخذ الله نورهم وأمسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو أبلغ من الإذهاب وقرأ اليماني أذهب
الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى إذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فإذا علق بشيئين
كان مضمنا معنى صير فجرى مجرى أفعال القلوب كقول عنترة ❊ فتركته جزر السباع ينشنه ❊ ومنه
قوله وتركهم في ظلمات أصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين والظلمة عدم النور وقيل
عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أي ما منعك وشغلك لأنها تسد البصر
وتمنع الرؤية وقرأ الحسن ظلمات بسكون اللام وقرأ اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط
من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت إلى إخطاره بالبال لا من قبيل المقدر
المنوي كأن الفعل غير متعد أصلا نحو يعمهون في قوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون **فإن قلت**
فيم شبهت حالهم بحال المستوقد **قلت** في أنهم غب الإضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة
فإن قلت وأين الإضاءة في حال المنافق وهل هو أبدا إلا حائر خابط في ظلماء الكفر **قلت** المراد
ما استضاءوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة
ظلمة النفاق التي ترمي بهم إلى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز أن يشبه بذهاب الله
بنور المستوقد اطلاع الله على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والأوجه
أن يراد الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الآية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة
بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة
التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم
كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم و
أن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما أيفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للإحساس
والإدراك كقوله ❊ صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا ❊ أصم عما
ساءه سميع ❊ أصم عن الشيء الذي لا أريده وأسمع خلق الله حين أريد ❊ فأصممت عمرا وأعميته
عن الجود والفخر يوم الفخار ❊ **فإن قلت** كيف طريقته عند علماء البيان **قلت** طريقة قولهم
هم ليوث للشجعان وبحور للأسخياء إلا أن هذا في الصفات وذاك في الأسماء وقد جاءت الاستعارة
في الأسماء والصفات والأفعال جميعا تقول رأيت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الإسلام وأضاء
الحق **فإن قلت** هل يسمى ما في الآية استعارة **قلت** مختلف فيه والمحققون على تسميته

تشبيها بليغا لا استعارة لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة إنما تطلق حين
يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا
دلالة الحال أو فحوى الكلام كقول زهير: لدى أسد شاكي السلاح مقذف ... له لبد أظفاره لم تقلم
ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كأنهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال أبو تمام:
ويصعد حتى يظن الجهول ... بأن له حاجة في السماء
ولبعضهم: لا تحسبوا أن في سرباله رجلا ... ففيه غيث وليث مسبل مشبل
وليس لقائل أن يقول طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدأ فأتسلق
بذلك إلى تسميته استعارة لأنه في حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج:
أسد علي وفي الحروب نعامة ... فتخاء تنفر من صفير الصافر
ومعنى لا يرجعون أنهم لا يعودون إلى
الهدى بعد أن باعوه أو عن الضلالة بعد أن اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع أو أراد أنهم بمنزلة المتحيرين
الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون وكيف يرجعون
إلى حيث ابتدؤا منه ثم ثنى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف
وإيضاحا عقيب إيضاح وكما يجب على البليغ في مظان الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب
عليه في موارد التفصيل والإشباع أن يفصل ويشبع أنشد الجاحظ:
يرمون بالخطب الطوال وتارة ... وحي الملاحظ خيفة الرقباء
ومما ثني من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الأعمى
والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات ألا ترى
إلى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته: أذاك أم نمش بالوشي أكرعه ... أذاك أم خاضب بالسي مرتعه

فإن قلت: قد شبه المنافق في التمثيل الأول بالمستوقد نارا وإظهاره الإيمان بالإضاءة وانقطاع
انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد والبرق وبالصواعق
قلت: لقائل أن يقول شبه دين الإسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر
وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب
الكفرة من الأفزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق والمعنى أو كمثل ذوي صيب
والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا
فإن قلت: هذا تشبيه
أشياء بأشياء فأين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا
وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قول امرئ القيس: كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ... لدى وكرها
العناب والحشف البالي

قلت: كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي
البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون
ورجلا سلما لرجل والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه أن التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات
المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب
الجزل بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها
بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت
حتى عادت شيئا واحدا بأخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الآية الغرض تشبيه حال
اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة
وتساوي الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار لا يشعر من ذلك إلا بما يمر
بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء المراد قلة بقاء
زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض
ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه
من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها
في ظلمة الليل وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق

فإن قلت: الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك أو كمثل ذوي صيب
هل تقدر مثله في المركب منه قلت: لولا طلب الراجع في قوله يجعلون أصابعهم في آذانهم ما يرجع
إليه لكنت مستغنيا عن تقديره لأني أراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي أولي
حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به أم لم يله ألا ترى إلى قوله إنما مثل الحياة الدنيا الآية كيف
ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا
قول لبيد: وما الناس إلا كالديار وأهلها ... بها يوم حلوها وغدوا بلاقع
لم يشبه الناس بالديار وإنما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول أهل الديار فيها ووشك
نهوضهم عنها وتركها خالية خاوية

فإن قلت: أي التمثيلين أبلغ قلت: الثاني لأنه أدل على
فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته ولذلك أخر وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ

فإن قلت: لم عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك قلت: أو في أصلها لتساوي
شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس

الحسن او ابن سيرين يريد انهما سيّان في استصواب ان تجالسا ومنه قوله تعالى ولا تطع
منهم آثما او كفورا اي الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه ان
كيفية قصة المنافقين مشبهة بكيفيتي هاتين القصتين وان القصتين سواء في استقلال كل واحدة
منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي
يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب قال الشماخ ﴿وأسحم دان صادق الرعد صيب﴾ وتنكير
صيب لانه اريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول وقرئ كصايب والصيب
ابلغ والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف فان قلت قوله من السماء ما الفائدة في
ذكره والصيب لا يكون الا من السماء قلت الفائدة فيه انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يصوب من سماء
اي من افق واحد من بين سائر الآفاق لان كل افق من آفاقها سماء كما ان كل طبقة من الطباق سماء في قوله
واوحى في كل سماء امرها والدليل عليه قوله ﴿ومن بعد ارض بيننا وسماء﴾ والمعنى انه غمام مطبق
آخذ بآفاق السماء كما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير امدّ ذلك
بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها ياخذ ماءه لا كزعم من يزعم انه ياخذه
من البحر ويؤيده قوله تعالى ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد﴾ فان قلت بم ارتفع ظلمات
قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب
كان اجرام السحاب تضطرب وتنتقض اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد
والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع فان قلت قد جعل الصيب
مكانا للظلمات فلا يخلو ان يراد به السحاب او المطر فايهما اريد فما ظلماته قلت
اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل
واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة
الليل فان قلت كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب قلت اذا
كانا في اعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة به فهما فيه الا تراك تقول فلان في البلد وما منه
الا في حيز يشغله جرمه فان قلت هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري
﴿يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروقه ورعوده﴾ وكما قيل ظلمات قلت فيه
وجهان احدهما ان يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السماء
رعدا وبرقت برقا روعي حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد

الحدثان كانه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشياء منكرات لان المراد انواع منها كانه
قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب
الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال او هم قائلون لان المحذوف باق معناه وان
سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف عوّل على بقاء معناه في قوله ﴿يسقون من ورد البريص عليهم
بردى يصفق بالرحيق السلسل﴾ حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه
مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا قال فكيف حالهم مع
مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد
البرق يخطف ابصارهم فان قلت رؤوس الاصابع هي التي تجعل في الآذان فهلا قيل اناملهم
قلت هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم
فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ وايضا ففي ذكر الاصابع من
المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فان قلت فالاصبع التي تسد بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر
الاسم العام دون الخاص قلت لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى بآداب القرآن
الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة فان قلت
فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد
وانما احدثوها بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في
آذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح
من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها
سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة
اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا
وقرا الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البنائين سواء في التصرف واذا استويا
كان كل واحد بناء على حياله الا تراك تقول صقعه على راسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر
بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها اما ان يكون صفة
لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرا ابن
ابي ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله ﴿واغفر عوراء الكريم ادخاره﴾ والموت
فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحيوة واحاطة الله بالكافرين مجاز

كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا
ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم

والمعنى أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها والخطف الأخذ بسرعة وقرأ مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح أفصح وأعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء وأصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يخطف من خطف وعن أبي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما أضاء لهم استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون إذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فإذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فأصمهم أو في ضوء البرق فأعماهم وأضاء إما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا أخذوه والمفعول محذوف وإما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن أبي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فإذا اشتد فهو سعي فإذا ازداد فهو عدو فإن قلت كيف قيل مع الإضاءة كلما ومع الإظلام إذا قلت لأنهم حراص على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس وأظلم يحتمل أن يكون غير متعد وهو الظاهر وأن يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب أظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن أوس

هما أظلما حالي ثمت أجليا ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب

وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ألا ترى إلى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق إذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف لأن الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء وأراد لا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب كنحو قوله

فلو شئت أن أبكي دما لبكيته

وقوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا ولو أراد الله أن يتخذ ولدا وأراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق وقرأ ابن أبي عبلة لأذهب بأسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بأيديكم والشيء ما صح أن يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري أواخر الكلم من العربية وإنما يخرج التأنيث

إن الله على كل شيء قدير يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون

من التذكير ألا ترى أن الشيء يقع على كل ما أخبر عنه من قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى والشيء مذكر وهو أعم العام كما أن الله أخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالأشياء أي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال فإن قلت كيف قيل على كل شيء قدير وفي الأشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر قلت مشروط في حد القادر أن لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الأشياء كلها فكأنه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان أمير على الناس أي على من وراءه منهم ولم تدخل فيهم نفسه وإن كان من جملة الناس وأما الفعل بين قادرين فمختلف فيه فإن قلت مم اشتقاق القدير قلت من التقدير لأنه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله إياك نعبد وإياك نستعين وفيه من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما إن فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت يا فلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة في مجاري أمورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحو فضل تنبيه واستدعيت إصاخته إلى إرشادك زيادة استدعاء وأوجدته بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة هازا من طبعه ما لا يجده إذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الأنفس للقبول وبلغنا بإسناد صحيح عن إبراهيم عن علقمة أن كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فهو مكي ويا أيها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا أيها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في أصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه وأما نداء القريب فله أي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وإن قرب تنزيلا له منزلة من بعد فإذا نودي به القريب المفاطن فذاك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معني به جدا فإن قلت فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو أقرب إليه من حبل الوريد وأسمع به وأبصر قلت

هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل
المقربين هضماً لنفسه واقراراً عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته
والاذن لندائه وابتهاله وايّ وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذى
وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما
يوضحه ويزيل ابهامه فلابد ان يردفه اسم جنس او ما يجرى مجراه يتصف به حتى يتضح
المقصود بالندا فالذى يعمل فيه حرف الندا هو اىّ والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد
الظريف الا ان ايّاً لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفى هذا التدرج
من الابهام الى التوضيح ضرب من التاكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة
وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف الندا ومكانفته بتاكيد معناه ووقوعها عوضاً
مما يستحقه اى من الاضافة فان قلت لم كثر فى كتاب الله الندا على هذه الطريقة ما لم
يكثر فى غيره قلت لاستقلاله باوجه من التاكيد واسباب من المبالغة لان كل ما نادى
الله له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص
اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق به كتابه امور عظام وخطوب جسام
ومعان عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت
الحال ان ينادوا بالآكد الابلغ فان قلت لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجهاً
الى المؤمنين والكافرين جميعاً او الى كفار مكة خاصة على ما روى عن علقمة والحسن فالمؤمنون
عابدون ربهم فكيف امروا بما هم متلبسون به وهل هو الا كقول القائل
فلو انى فعلت كنت كمن تسأله وهو قائم ان يقوما
واما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون
به فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم
عليها واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على
المامور بالصلاة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج
تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم ينفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركى مكة كانوا
يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فان قلت فقد جعلت قوله
اعبدوا متناولاً شيئين معاً الامر بالعبادة والامر بازديادها قلت الازدياد من
العبادة عبادة وليس شيئاً آخر فان قلت ربكم ما المراد به قلت كان المشركون

معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد به اسم
يشترك فيه رب السموات والارض والآلهة التى كانوا يسمونها ارباباً وكان قوله الذى خلقكم
صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفريقين جميعاً فالمراد به ربكم على الحقيقة والذى
خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه فى خطاب الكفرة
خاصة الا ان الاول اوضح واصح والخلق ايجاد الشى على تقدير واستوا يقال خلق
النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرأ ابو عمرو خلقكم بالادغام وقرأ ابو السميفع و
خلق من قبلكم وفى قراءة زيد بن على والذين من قبلكم وهى قراءة مشكلة ووجهها على
اشكالها ان يقال اقحم الموصول الثانى بين الاول وصلته تاكيداً كما اقحم جرير فى قوله
يا تيم تيم عدى لا ابا لكم
تيماً الثانى بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة
بين المضاف والمضاف اليه فى لا اباك ولعل للترجى والاشفاق تقول لعل زيداً يكرمنى
ولعله يهيننى وقال الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله والذين
آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الاطماع فى مواضع من القرآن ولكن لانه
اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجرى اطماعه مجرى وعده المحتوم
وفاؤه به قال من قال ان لعل بمعنى كى ولعل لا يكون بمعنى كى ولكن الحقيقة ما القيت اليك
وايضاً فمن ديدن الملوك وما عليه اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا فى مواعيدهم
التى يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات او يخيلوا
اخالة او يظفر منهم بالرمزة او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عثر على شى من ذلك منهم
لم يبق للطالب ما عندهم شك فى النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملك
ذى العز والكبريا او يجى على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا ايها
الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم فان قلت فلعل
التى فى الآية ما معناها وما موقعها قلت ليست مما ذكرناه فى شى لان قوله خلقكم لعلكم
تتقون لا يجوز ان يحمل على رجاء الله تقواهم لان الرجا لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله
على ان يخلقهم راجياً للتقوى ليس بسديد ايضاً ولكن لعل واقعة فى الآية موقع المجاز
لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول
والشهوات وازاح العلة فى اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع فى ايديهم

الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم

زمام الاختيار وأراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم أن يتقوا ليترجح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين أن يفعل وأن لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم أيكم أحسن عملا وإنما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء أمرهم على الاختيار **فإن قلت** كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم **قلت** لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعا **فإن قلت** فهلا قيل تعبدون لأجل اعبدوا أو اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم **قلت** ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك إلى تنافر النظم وإنما التقوى قصارى أمر العابد ومنتهى جهده فإذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على أقصى غايات العبادة كان أبعث على العبادة وأشد إلزاما لها وأثبت لها في النفوس ونحوه أن تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يمينى إلا لجر الأثقال ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم أحياء قادرين أولا لأنه سابقة أصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الأرض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بإنزال الماء منها عليها والإخراج به من بطنها أشباه النسل المنتج من الحيوان من ألوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا إلى النظر الموصل إلى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق أنفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وأن شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على إيجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك أن لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له أندادا وهم يعلمون أنها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته إما أن يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم أو على المدح والتعظيم وإما أن يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرأ يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها بساطا وفراشا ومهادا للناس أنهم يقعدون عليها

وينامون ويتقلبون كما يتقلب أحدهم على فراشه وبساطه ومهاده **فإن قلت** هل فيه دليل على أن الأرض مسطحة وليست بكرية **قلت** ليس فيه إلا أن الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح أو شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد أطرافها وإذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من أوتاد الأرض فهو في الأرض ذات الطول والعرض أسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان أو قبة أو خباء أو طرافا وأبنية العرب أخبيتهم ومنه بنى على امرأته لأنهم كانوا إذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا **فإن قلت** ما معنى إخراج الثمرات بالماء وإنما خرجت بقدرته ومشيئته **قلت** المعنى أنه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على أن ينشئ الأجناس كلها بلا أسباب ولا مواد كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ولكن له في إنشاء الأشياء مدرجا لها من حال إلى حال وناقلا من مرتبة إلى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها للملائكة والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وأفكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون إلى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في إنشائها بغتة من غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فأخرجنا به من كل الثمرات وقوله فأخرجنا به ثمرات ولأن المنكرين أعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية كأنه قيل وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لأنه لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز أن يكون للبيان كقولك أنفقت من الدراهم ألفا **فإن قلت** فبم انتصب رزقا **قلت** إن كانت من للتبعيض كان انتصابه بأنه مفعول له وإن كانت مبينة كان مفعولا لأخرج **فإن قلت** فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار **قلت** فيه وجهان أحدهما أن يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان أدركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وإنما هي مدر متلاحق والثاني أن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه الأول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق إن أريد به العين وإن جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل رزقا إياكم **فإن قلت** بم تعلق فلا تجعلوا **قلت** فيه ثلاثة أوجه أن يتعلق

فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون

بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا تجعل لله ندا ولا شريكا او بلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله عز وجل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي حفظكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه فان قلت كانوا يسمون اصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه قلت لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شانهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه ﴿ اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور ﴾ وقرا محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا فان قلت ما معنى وانتم تعلمون قلت معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنو الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد اي انتم العرافون المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة واراهم كيف يتعرفون

وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله

اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته فان قلت لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسائله ضربة فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور او آيات شتى مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل وقرئ على عبادنا يريد رسول الله وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلث آيات وواوها ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة ﴿ ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار ﴾ لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي ايضا في انفسها مترتبة طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه فان قلت ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا قلت ليست الفائدة في ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التوراة والانجيل والزبور وسائر ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل وافخم من ان يكون بابا واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا علم انه قطع

ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزأ القراء القرآن
اسباعا واجزاءا وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة واعتقد انه اخذ من كتاب
الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط
به ومنه حديث انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة
في الصلوة بسورة تامة افضل ومنها ان التفصيل بسبب تلاحق الاشكال والنظائر وملائمة
بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع من مثله
متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق
بقوله فأتوا والضمير للعبد فإن قلت وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل قلت
معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فأتوا
ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى مثل
ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثري للحجاج وقد قال له لأحملنك على الادهم مثل الامير حمل
على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم
يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله فأتوا
بعشر سور مثله على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان القرآن جدير بسلامة الترتيب
والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث
في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا ينفك عنه برد الضمير
الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله ويجانسه
وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه
فهاتوا قرآنا من مثله ولانهم اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بأن يأتوا بطائفة يسيرة من
جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت واحد آخر بنحو ما اتى به هذا
الواحد ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر
او القائم بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني الحقير
ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون
ذاك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اصله خذه من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر
واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال للعدو

وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين

وقد رآه بالثنا عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد
وتخطى حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا
ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت
وقاية الله ولم تنالها لم يقك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان علقته بشهداءكم
فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق
او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه
اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي
لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي
من دون اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان
والاشعار بان شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة
تأبى عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين
عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته وتعليقه بالشهداء في هذا الوجه جائز
وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله
يشهد ان ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من
الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوي عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم و
انخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا صادقون وقولهم
هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه
فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او ادعوا من دون الله شهداءكم
يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين اعناقكم واحلكم والجن
والانس شاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والانس الا الله تعالى لانه القادر
وحده على ان يأتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية لما
ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون امر النبي صلى الله عليه وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره
وامتياز حقه من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه
فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان
على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله فان قلت

انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذي للوجوب دون ان الذي للشك قلت فيه وجهان احدهما ان يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما به فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل واي فائدة في تركه اليه قلت لانه فعل من الافعال تقول اتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وافعالا فتقول له بئس ما فعلت ولو ذكرت ما انبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله فان قلت ولن تفعلوا ما محلها قلت لا محل لها لانها جملة اعتراضية فان قلت ما حقيقة لن في باب النفي قلت لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تفعل في انا مقيم واني مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتاكيد نفي المستقبل فان قلت من اين لك انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة قلت لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه اكثر عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة فان قلت ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله قلت انهم اذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل شأن العناد بانابة اتقاء النار منابه وابرازه في صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها

والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حياة المصباح السليط اي ليست حياته الا به فكأن نفس السليط حياته فان قلت صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الآخرة توقد بالناس والحجارة قلت لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله او سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة فان قلت فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وههنا معرفة قلت تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا فان قلت فما معنى قوله وقودها الناس والحجارة قلت معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماؤه وتلك اعاذنا الله برحمته الواسعة توقد بنفس ما يحرق ويحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها فان قلت انار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب فان قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا قلت لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل

... في طغيانهم يعمهون

وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار

من حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني
التنزيل أعدت هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله أعتدت من العتاد بمعنى العدة
ومن عادته عز وعلا في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالإنذار إرادة
التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم
بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من فعل الطاعات و
ترك المعاصي وحموها من الإحباط بالكفر والكبائر بالثواب فإن قلت من المأمور بقوله
وبشر قلت يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وأن يكون كل أحد كما قال عليه السلام بشر المشائين
إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيمة لم يأمر بذلك واحدا بعينه وإنما كل أحد مأمور به
وهذا الوجه أحسن وأجزل لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من
قدر على البشارة به فإن قلت علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه
قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه إنما المعتمد
بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول
زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبشر عمرا بالعفو والإطلاق ولك أن تقول هو معطوف على قوله فاتقوا
كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم وفي قراءة زيد بن
علي رضي الله عنه وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على أعدت والبشارة الإخبار بما يظهر
سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء إذا قال الرجل لعبيده أيكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه
فرادى عتق أولهم لأنه هو الذي أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني أخبرني
عتقوا جميعا لأنهم جميعا أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه
وأما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به
وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله
فأعتبوا بالصيلم والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء
وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب تأتيني والصالحات كل ما استقام من الأعمال بدليل
العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فإن قلت أي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد
وبينها داخلة على المجموع قلت إذا دخلت على المفرد كان صالحا لأن يراد به الجنس إلى
أن يحاط به وأن يراد به بعضه إلى الواحد منه وإذا دخلت على المجموع صلح أن يراد به جميع الجنس

وأن يراد بعضه لا إلى الواحد لأن وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول
الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه فإن قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت
الجملة من الأعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف والجنة
البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير تسقي جنة سحقا
أي نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة
من مصدر جنه إذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما
فيها من الجنان فإن قلت الجنة مخلوقة أم لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول
إنها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة
بالأعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فإن قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت
الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين
لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فإن قلت أما يشترط في استحقاق الثواب بالإيمان والعمل
الصالح أن لا يحبطهما المكلف بالكفر والإقدام على الكبائر وأن لا يندم على ما أوجده من فعل الطاعة
وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا بالإيمان والعمل الصالح والبشارة
مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول أن الإحسان إنما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء إذا لم
يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وأنه لا يبقى مع وجود مفسده إحسانا وأعلم بقوله لنبيه
صلى الله عليه وهو أكرم الناس عليه وأعزهم لئن أشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا
له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم كان اشتراط حفظهما من الإحباط والندم كالداخل
تحت الذكر فإن قلت كيف جري الأنهار من تحتها قلت كما ترى الأشجار النابتة على
شواطئ الأنهار الجارية وعن مسروق أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود وأنزه البساتين
وأكرمها منظرا ما كانت أشجاره مظللة والأنهار في خلالها مطردة ولولا أن الماء الجاري
من النعمة العظمى واللذة الكبرى وأن الجنان والرياض وإن كانت آنق شيء وأحسنه لا تروق
النواظر ولا تبهج الأنفس ولا تجلب الأريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء وإلا كان الأنس الأعظم
فائتا والسرور الأوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا أرواح فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله تعالى
بذكر الجنات مشفوعا بذكر الأنهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد
لأحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر

كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها

يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على
السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطأهم الطريق وصيد
عليه يومان **فان قلت** لم نكرت الجنات وعرفت الانهار **قلت** اما تنكير الجنات فقد
ذكر واما تعريف الانهار فان يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب
والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام
من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الراس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله
فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه الآية وقوله كلما رزقوا لا يخلو من
ان يكون صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة لانه لما قيل ان لهم جنات
لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا
تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها اجناسها وان
تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله **فان قلت** ما موقع من ثمرة **قلت** هو كقولك كلما اكلت
من بستانك من الرمان شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كانه قيل كلما رزقوا
من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها او رمانها او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن
الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات
قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين فتقول من بستانه فيقال
من اي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير
الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة
الواحدة والرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار ووجه آخر
وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد
بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة **فان قلت** كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف
تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا **قلت** معناه هذا مثل
الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة
تريد انه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته **فان قلت** الام يرجع الضمير في قوله واتوا به **قلت**
الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما
رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير

لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد
فان قلت لاي غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم يكن اجناسا اخر **قلت**
لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود اميل واذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته
نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه الف ورأى فيه مزية ظاهرة
وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه و
استغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وان كان
فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين ابصروا
الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم
يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة
كقلال هجر كما راوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب
في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل واظهر للمزية واجلب للسرور وازيد في التعجب
من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم
به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة
وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل اوان وعن مسروق
نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى
وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في واتوا
به الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة ياتيهم متجانسا
في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي
اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذي نفس محمد
بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله
مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير الاول هو هو **فان قلت**
كيف موقع قوله واتوا به متشابها من نظم الكلام **قلت** هو كقولك فلان احسن بفلان
ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك
يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد بتطهير الازواج
ان طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس

ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون

ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذى عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن ومما ياخذنه من اعراق السوء والمناصب الردية والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فان قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة كالموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهى فاعلة ومنه بيت الحماسة • واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت • والمعنى وجماعة ازواج مطهرة وقرا زيد بن على مطهرات وقرا عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفى كلام بعض العرب ما احوجنى الى بيت الله فاطهر به اطهرة اى فاتطهر به تطهرة فان قلت هلا قيل طاهرة قلت فى مطهرة فخامة لصفتهن ليست فى طاهرة وهى الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذى لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس • الا انعم صباحا ايها الطلل البالى وهل ينعمن من كان فى العصر الخالى • وهل ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال • سيقت هذه الاية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من ان تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة فى المضروب به المثل اذن الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الالهة التى جعلها الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها فى الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذى دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحى من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب فى تمثيله محق فى قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتكه ويستدعيه وليبين ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر فى الامور بناظر العقل اذا سمعوا بهذا التمثيل علموا انه الحق الذى لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذى لا يرتع الخطا حوله وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم

ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا

وغضب على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف والعادة لا يخليهم ان ينصفوا فاذا سمعوه عاندوه وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين فى غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واحناش الارض والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة فى حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة واجرا من الذباب واسمع من قراد واصرد من جرادة واضعف من فراشة واكل من السوس وقالوا فى البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض وكلفتنى مخ البعوض ولقد ضربت الامثال فى الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشياء وباحقر منها مما لا تغنى استقامته وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذى لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان يرمى لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت فى كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله تعالى هذه الاية والحياء تغير وانكسار يعترى الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيى الرجل كما يقال نسى وحشى وشظى الفرس اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيى لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا هلك فلان حياء من كذا ومات حياء ورايت الهلاك فى وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد فى مكانه خجلا فان قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك فى حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه ان الله حيى كريم يستحيى اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحيى اى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيى ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة فى كلام الكفرة فقالوا اما يستحيى رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على

ما بعوضة فما فوقها

السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول أبي تمام: من مبلغ أفناء يعرب كلها أني
بنيت الجار قبل المنزل. وشهد رجل عند شريح فقال إنك لسبط الشهادة فقال الرجل إنها لم تجعد
عني فقال لله بلادك وقبل شهادته. فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة. و
لولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها. ولله در أمر التنزيل وإحاطته
بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا إلا عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه وأسد
مدارجه. وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه: إذا ما استحسن الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في إناء من الورد
وقرأ ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون
استحييت منه واستحييته وهما محتملتان هنا. وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن
وضرب الخاتم وفي الحديث اصطنع رسول الله خاتما من ذهب. وما هذه إبهامية وهي التي
إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاما وزادته شياعا وعموما كقولك أعطني كتابا ما تريد أي
كتاب كان أو صلة للتأكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كأنه قيل لا يستحيي أن يضرب مثلا حقا أو البتة
هذا إذا انتصبت بعوضة فإن رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لأن التقدير هو بعوضة فحذف
صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي أحسن ووجه آخر حسن جميل وهو أن تكون التي فيها معنى
الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لأصنامهم بالمحقرات قال إن الله لا يستحيي أن يضرب للأنداد
ما شاء من الأشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار ودناران
والمعنى أن الله لا يستحيي أن يمثل للأنداد وحقارة شأنها بما لا شيء أصغر منه وأقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزأ
وبما لا يدرك لتناهيه في صغره إلا هو وحده بلطفه أو بالمعدوم كما تقول العرب فلان أقل من لا شيء
في العدد ولقد ألم به قوله تعالى إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى إلى رؤبة
بن العجاج وهو أمضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن
وما أظنه ذهب في هذه القراءة إلا إلى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بأنها
عطف بيان لمثلا أو مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه أو انتصبا مفعولين مجرى
ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض
وأنشد: لنعم البيت بيت أبي دثار إذا ما خاف بعض القوم بعضا. ومنه بعض الشيء لأنه قطعة
منه والبعوض في أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش. فما فوقها فيه معنيان

أحدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول
فلان أسفل الناس وأنذلهم هو فوق ذلك تريد هو أبلغ وأعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة
والثاني فما زاد عليها في الحجم كأنه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت
لأنهما أكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح بأدنى شيء فيقال فلان بخيل بالدرهم
والدرهمين هو لا يبالي أن يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما بخل فيه وهو الدرهم و
الدرهمان كأنك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم
عن إبراهيم عن الأسود قال دخل شباب من قريش على عائشة وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما
يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن تذهب فقالت لا تضحكوا
إني سمعت رسول الله صلى الله عليه قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة
ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو نخبة النملة في قوله
عليه السلام ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل ما
هو أشد من الشوكة وأوجع كالخرور على طنب الفسطاط. فإن قلت كيف يضرب المثل بما دون
البعوضة وهي النهاية في الصغر. قلت ليس كذلك فإن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات
وقد ضربه رسول الله مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان أصغر منها ومن جناحها ربما رأيت في تضاعيف
الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد إلا تحركها فإذا سكنت فالسكون يواريها
ثم إذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك وأعضاءها
الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو
أصغر منها وأصغر سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون
وأنشدت لبعضهم: يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الأول
وأما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام أن يعطيه فضل توكيد تقول
زيد ذاهب فإذا قصدت توكيد ذلك وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة
قلت أما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير
مدل بفائدتين بيان كونه توكيدا وأنه في معنى الشرط ففي إيراد الجملتين مصدرتين به وإن لم يقل فالذين

فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا

آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احمادٌ عظيم لأمر المؤمنين واعتدادٌ بعلمهم أنه الحق ونعيٌ
على الكافرين إغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي لا يسوغ إنكاره
يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج وماذا فيه وجهان
أن يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين وأن يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون
كلمة واحدة فهو على الوجه الأول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب
المحل في حكم ما وحده لو قلت ما أراد الله والأصوب في جوابه أن تجيء على الأول مرفوعا وعلى الثاني
منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ما رأيت خير أي
المرئي خير وفي جواب ما الذي رأيت خيرا أي رأيت خيرا وقرئ قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون
قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين والإرادة نقيض الكراهة وهي مصدر أردت الشيء إذا
طلبته نفسك ومال إليه قلبك وفي حدود المتكلمين الإرادة معنى يوجب للحي حالا لأجلها يقع منه
الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في إرادة الله فبعضهم على أن للباري مثل صفة المريد منا
التي هي القصد وهو أمر زائد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على أن معنى إرادته لأفعاله هو أنه
فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى إرادته لأفعال غيره أنه آمر بها والضمير في أنه الحق للمثل
أو لأن يضرب وفي قولهم ماذا أراد الله بهذا استرذال واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله بن
عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن أجاب بجواب غث ماذا أردت
بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا أو على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وقوله
يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بأما وأن فريق
العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وأن العلم بكونه حقا
من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا إلى نورهم وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة
التي زادت الجهلة خبطا في ظلمائهم فإن قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم و
قليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس أخبر
تقله قلت أهل الهدى كثير في أنفسهم وحين يوصفون بالقلة إنما يوصفون بالقلة
يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال وأيضا فإن القليل من المهديين كثير في الحقيقة وإن قلوا
في الصورة فسموا ذهابا إلى الحقيقة كثيرا إن الكرام كثير في البلاد وإن قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا
وإسناد الإضلال إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى السبب لأنه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى

يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه

واهتدى قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه الله أنه دخل على محبوس قد أخذ
بمال عليه وقيد فقال يا أبا يحيى أما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك رأسه فرأى سلة فقال
لمن هذه السلة فقال لي فأمر بها تنزل فإذا دجاج وأخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود
على رجلك وقرأ زيد بن علي يضل به كثير وكذلك وما يضل به إلا الفاسقون والفسق الخروج
عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشريعة الخارج عن
أمر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا إن أول
من حد له هذا الحد أبو حذيفة واصل بن عطاء رضي الله عنه وعن أشياعه وكونه بين بين أن حكمه
حكم المؤمن في أنه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر
في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وأن لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن أنس
والزيدية أن الصلاة لا تجزي خلفه ويقال للخلعاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان
في كتاب الله بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان يريد اللمز والتنابز إن المنافقين هم الفاسقون
النقض الفسخ وفك التركيب فإن قلت من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهد قلت
من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين
ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله إن بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها
فنخشى إن الله أعزك وأظهرك أن ترجع إلى قومك وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا
عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه
ونحو قولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس وإذا تزوجت امرأة فاستوثرها
لم تقل هذا إلا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر وعلى المرأة بأنها فراش والعهد
الموثق وعهد إليه في كذا إذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه إذا اشترط عليه و
استوثق منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله أحبار اليهود المتعنتون أو منافقوهم أو
الكفار جميعا فإن قلت فما المراد بعهد الله قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد
كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى
أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا
ذكره فيما تقدمهم من الكتب المنزلة عليهم كقوله وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وقوله في الإنجيل
لعيسى صلوات الله عليه سأنزل عليك كتابا فيه نبأ بني إسرائيل وما أريته إياهم من الآيات وما

ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون

أحكمت عليهم وبما نقضوا من ميثاقهم الذي وثقوا به وبما ضيعوا من عهده إليهم وحسن صنعه
للذين قاموا بميثاق الله وأوفوا بعهده ونصره إياهم وكيف أزال بأسه ونقمته بالذين غدروا و
نقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لأن اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليهما من
التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل هو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ولا
يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم وقيل عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود العهد الأول الذي
أخذه على جميع ذرية آدم الإقرار بربوبيته وهو قوله وإذ أخذ ربك وعهد خص به النبيين
أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد
خص به العلماء وهو قوله وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا
تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم ويجوز
أن يكون بمعنى توثقته كما أن الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز أن يرجع الضمير إلى
الله أي من بعد توثقته عليهم أو من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وإنذار رسله ومعنى قطعهم
ما أمر الله به أن يوصل قطعهم الأرحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الأنبياء من الوصلة والاتحاد
والاجتماع على الحق في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض فإن قلت ما الأمر قلت طلب الفعل
ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور لأن الداعي الذي يدعو إليه
من يتولاه شبه بآمر يأمره به فقيل له أمر تسمية للمفعول به بالمصدر كأنه مأمور به كما قيل
له شأن والشأن الطلب والقصد يقال شأنت شأنه أي قصدت قصده هم الخاسرون لأنهم
استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها معنى الهمزة
التي في كيف مثله في قولك أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان وهو الإنكار
والتعجب ونظيره قولك أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح فإن قلت قولك
أتطير بغير جناح إنكار للطيران لأنه مستحيل بغير جناح وأما الكفر فغير مستحيل مع ما
ذكر من الإماتة والإحياء قلت قد أخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر
والداعي إلى الإيمان فإن قلت فقد تبين أمر الهمزة وأنها لإنكار الفعل والإيذان باستحالته
في نفسه أو لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان إنكارا للحال التي يقع عليها كفرهم قلت
حال الشيء تابعة لذاته فإذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان إنكار حال الكفر
لأنها تبع ذات الكفر ورديفها إنكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك أقوى لإنكار

كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون

الكفر وأبلغ وتحريره أنه إذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم أن كل موجود لا ينفك
من حال وصفة عند وجوده ومحال أن يوجد بغير صفة من الصفات كان إنكارا لوجوده على الطريق
البرهاني والواو في قوله وكنتم أمواتا للحال فإن قلت فكيف صح أن يكون حالا وهو ماض ولا
يقال جئت وقام الأمير ولكن وقد قام إلا أن يضمر قد قلت لم تدخل الواو على كنتم أمواتا
وحده ولكن على جملة قوله كنتم أمواتا إلى ترجعون كأنه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم
أنكم كنتم أمواتا نطفا في أصلاب آبائكم فجعلكم أحياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت
ثم يحاسبكم فإن قلت بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح
أن يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا
قلت هو العلم بالقصة كأنه قيل كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة وبأولها وآخرها
فإن قلت فقد آل المعنى إلى قولك على أي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته
قلت قد ذكرنا أن معنى الاستفهام في كيف الإنكار وأن إنكار الحال متضمن لإنكار الذات على
سبيل الكناية فكأنه قيل ما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم فإن قلت إن اتصل علمهم بأنهم كانوا
أمواتا فأحياهم ثم يميتهم لم يتصل بالإحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما
بالدلائل الموصلة إليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والأموات جمع
ميت كالأقوال في جمع قيل فإن قلت كيف قيل لهم أموات في حال كونهم جمادا وإنما يقال ميت
فيما تصح منه الحياة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحياة كقوله بلدة ميتا وآية لهم
الأرض الميتة أموات غير أحياء ويجوز أن يكون استعارة لاجتماعهما في أن لا روح ولا إحساس
فإن قلت ما المراد بالإحياء الثاني قلت يجوز أن يراد به الإحياء في القبر وبالرجوع النشور
وأن يراد به النشور وبالرجوع المصير إلى الجزاء فإن قلت لم كان العطف الأول بالفاء والأعقاب
بثم قلت لأن الإحياء الأول قد تعقب الموت بغير تراخ وأما الموت فقد تراخى عن الإحياء
والإحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت إن أريد به النشور تراخيا ظاهرا وإن أريد به إحياء القبر
فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع إلى الجزاء أيضا متراخ عن النشور فإن قلت من أين
أنكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها ألأنها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر
أم على نعم جسام حقها أن تشكر ولا تكفر قلت يحتمل الأمرين جميعا لأن ما عدده آيات
وهي مع كونها آيات من أعظم النعم لكم لأجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم أما الانتفاع

هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم

الدنيوي فظاهر واما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع
القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة
من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب
الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم
والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى
المحظورات في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها فان قلت
هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت ان اراد بالارض الجهات
السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء ويراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة في
الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستواء الاعتدال والاستقامة
يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده
قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها
بارادته ومشيئته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد
بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في فسويهن ضمير مبهم وسبع سموات
تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة
والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج و
الفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع
خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم فان قلت ما اقترنت به معنى
الاستواء الى السماء بناقضه ثم لاعطائه معنى التراخي والمهلة قلت ثم هاهنا لما بين الخلقين
من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا
على انه لو كان لمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى انه حين قصد الى السماء
لم تحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا آخر فان قلت اما يناقض هذا قوله
والارض بعد ذلك دحاها قلت لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها
فمتأخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق
بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك
قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق واذ نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا والملائكة جمع

واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الاسماء كلها

ملأك على الاصل كالشمائل في جمع شمأل والحاق التاء لتأنيث الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان
دخل على المبتدا والخبر وهما قولك في الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير في الارض خليفة
والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته
فان قلت فهلا قيل خلائف او خلفاء قلت اريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما
يستغنى بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ
خليقة بالقاف ويجوز ان يريد خليفة مني لان آدم كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي انا جعلناك
خليفة في الارض فان قلت لاي غرض اخبرهم بذلك قلت ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا
بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت
استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم
وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل
الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير فان قلت من اين
عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب قلت عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح او
ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا
احد الثقلين على الآخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وقرئ ويسفك بضم
الفاء ويسفك ويسفك من اسفك وسفك والواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان وانا احق
منه بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس
في الارض اذا ذهب فيها وابعد وبحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه
لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من المصالح
في ذلك ما هو خفي عليكم فان قلت هلا بين لهم تلك المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا ان
افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك
فيما اتبعه من قوله وعلم آدم الاسماء كلها واشتقاقهم آدم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم
يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم الا اسم اعجمي واقرب امره
ان يكون على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالخ وفالغ واشباه ذلك الاسماء كلها اي اسماء المسميات
فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض
منه اللام كقوله واشتعل الرأس فان قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه

ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين

مقامه وان الاصل وعلم آدم مسميات الاسماء قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها فان قلت فما معنى تعليمه اسماء المسميات قلت اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ثم عرضهم اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين يعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستأهلون لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ وعلم آدم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ ابي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء وقرئ انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وابو يوسف واخوته له ويجوز ان تختلف الاحوال والاوقات فيه وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابى امتنع مما امر به واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي الشجرة بكسر

قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين

الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه كرهها وقال يقرأ بها برابر مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهي الضمير في عنها للشجرة اي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقوله ينهون عن اكل وشرب وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عني ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا وقرئ فازالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقرأ عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها فان قلت كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم قلت يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة

...دى وروى انه

...ون قيل اهبطوا

...ما وذريتهما لانهما

...قال اهبطا منها جميعا

...يحزنون بحزن الذنب

...يم الناس كلهم ومعنى

...والهبوط النزول

الى الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع وتمتع بالعيش الى حين يريد الى يوم القيمة وقيل الى الموت معنى تلقي الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به فان قلت ما هن قلت قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك

قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض
واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة
وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض
مستقر ومتاع الى حين ٣٨

الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه كرههما وقال يقرأ بها برابر مكة وسودانهن
الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهي الضمير
في عنها للشجرة اي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وحقيقته فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن
هذه مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقوله ينهون عن اكل وشرب وقيل فازلهما عن الجنة
بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عني ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا
وقرئ فازالهما فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقرأ عبد
الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته
عنها فان قلت كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم قلت
يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة
ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروي انه
اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون قيل اهبطوا
خطاب لآدم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح انه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما
لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا
بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى
بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول
الى الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع وتمتع بالعيش الى حين يريد الى يوم
القيامة وقيل الى الموت معنى تلقي الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها
وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به فان قلت ما هن
قلت قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا
حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت
نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى
قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال
الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر
توبة آدم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوي ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك

وقد ذكرنا في قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه رجع عليه بالرحمة والقبول فان قلت
لم كرر قلنا اهبطوا قلت للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله فاما ياتينكم مني هدى فان قلت
ما جواب الشرط الاول قلت الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك
والمعنى فاما ياتينكم مني هدى رسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا
وكذبوا باياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي فان قلت فلم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن
لا محالة لوجوبه قلت للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال
الكتب وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من
العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال فان قلت الخطيئة التي اهبط بها
آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من
نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان
ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال
قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى
تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا
واتقاء المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة
وقرئ فمن تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف بالفتح اسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب له و
معناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابراهيم واسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود
العلمية والعجمة وقرئ اسرائل واسرال وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها
ويطيعوا مانحها واراد بها ما انعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن
الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن
محمد صلى الله عليه المبشر به في التوراة والانجيل والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا
يقال اوفيت بعهدي اي بما عاهدت عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اي بما
عاهدتك عليه ومعنى واوفوا بعهدي واوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي
كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياي فارهبون فلا تنقضوا
عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ اوف

بالتشديد اي ابالغ في الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا
بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله وآمنوا
بما انزلت مصدقا لما معكم اول كافر به اول من كفر به او اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل
واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا
اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحي اليه والمستفتحين على
الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس كقوله لم يكن
الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة الى قوله وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل
اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا
مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه
فقد كفروا به والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله
كما اشترى المسلم اذ تنصرا * واني شريت الحلم بعدك بالجهل * يعني ولا تستبدلوا باياتي ثمنا والا
فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو
اصبحوا اتباعا لرسول الله فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بايات الله وبالحق الذي
كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون احبارهم
من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم
ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا او يحرفوا الباء التي في
الباطل ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء وخلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في
التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم
وان كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم
الذي تكتبونه وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو
بمعنى الجمع اي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن فان قلت
لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل
فقد كتموا الحق قلت بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التوراة ما ليس
منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في التوراة صفة محمد او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه

وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلوة

على خلاف ما هو عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وأنتم تعلمون في حال علمكم أنكم
لابسون كاتمون وهو أقبح لهم لأن الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه وأقيموا الصلاة يعني صلاة
المسلمين وزكاتهم واركعوا مع الراكعين منهم لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم وقيل الركوع الخضوع
والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز أن يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وأن
يكون أمرا بأن يصلى مع المصلين يعني في الجماعة كأنه قيل وأقيموا الصلاة وصلوها مع المصلين
لا منفردين أتأمرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير والمعروف
ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الأحبار يأمرون من
نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا
يتصدقون وإذا أتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني أن ناسا من
أهل الجنة اطلعوا على ناس من أهل النار فقالوا لهم كنتم تأمروننا بأشياء عملناها فدخلنا الجنة
قالوا كنا نأمركم بها ونخالف إلى غيرها وتنسون أنفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وأنتم
تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وأنتم تعلمون يعني تتلون التوراة وفيها نعت محمد أو فيها الوعيد
على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل أفلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى أفلا تفطنون لقبح
ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكأنكم في ذلك مسلوبوا العقول لأن
العقول تأباه وتدفعه ونحوه أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون واستعينوا
على حوائجكم إلى الله بالصبر والصلاة أي بالجمع بينهما وأن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة
متحملين لمشاقها وما يجب فيها من إخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة
الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بأنه انتصاب بين
يدي جبار السموات والأرض ليسأل فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر أهلك
بالصلاة واصطبر عليها أو واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء إلى الصلاة
عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وعن ابن عباس
أنه نعي إليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس
ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وقيل الصبر الصوم لأنه حبس
عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز أن يراد بالصلاة الدعاء وأن يستعان
على البلايا بالصبر والالتجاء إلى الدعاء والابتهال إلى الله في دفعه وإنها الضمير للصلاة أو للاستعانة

وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ...

ويجوز أن يكون لجميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي إلى واستعينوا
لكبيرة لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الأمر كبر على المشركين ما تدعوهم إليه فإن قلت
ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل قلت لأنهم يتوقعون ما ادخر للصابرين
على متاعبها فتهون عليهم ألا ترى إلى قوله الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم أي يتوقعون لقاء ثوابه و
نيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون أنه لا بد من لقاء الجزاء
فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون وأما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب
كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين بأعمالهم ومثاله من وعد على بعض الأعمال
والصنائع أجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة
لحاضريه كأنه يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وجعلت قرة عيني في الصلاة وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع الإخبات
والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة وأما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت
بقولها إذا لينته وأني فضلتكم نصب عطف على نعمتي أي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين
على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة يوما
يريد يوم القيامة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة ابن نيار تجزي
عنك ولا تجزي عن أحد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز أن يكون في موضع مصدر أي قليلا من
الجزاء كقوله ولا يظلمون شيئا ومن قرأ لا تجزئ من أجزأ عنه إذا أغنى عنه فلا يكون في قراءته
إلا بمعنى شيئا من الإجزاء وقرأ أبو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة
المحل صفة ليوما فإن قلت فأين العائد منها إلى الموصوف قلت هو محذوف تقديره لا تجزي
فيه ونحوه ما أنشده أبو علي: تروحي أجدر أن تقيلي. أي أجدر بأن تقيلي فيه ومنهم
من ينزل فيقول اتسع فيه فأجري مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله
أم مال أصابوا. ومعنى التنكير أن نفسا من الأنفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الأشياء وهو الإقناط
الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل أي فدية لأنها
معادلة للمفدى ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل أي توبة ولا فدية وقرأ قتادة
ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود
تزعم أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فأويسوا فإن قلت هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة

واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون

قلت نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان تقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة فان قلت الضمير في ولا تقبل منها الى اي النفسين يرجع قلت الى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلاثة انفس اصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم قد جاء موسى الكليم فزاد في اقصى تفرعنه وفرط عرامه وقرئ انجيناكم ونجيتكم يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيئ يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيئ اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره ويذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاهون قول الذين كفروا وقرا الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرا عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط فان قلت ما معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوسها ونحن راكبوها روي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم فقال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان قل

واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم

بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا لان الله وعده الوحي ووعد هو المجيء للميقات الى الطور من بعده من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك من بعد ارتكابكم للامر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التوراة كقولك رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا او التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد به يوم بدر حمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم وياخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا فان قلت ما الفرق بين الفاءات قلت الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم فان قلت من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ هو الذي خلق الخلق بريا من التفاوت ما ترى

في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة فلا
فيه تفريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الاشكال
المختلفة ابريا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة
في امثال العرب ابلد من ثور حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يفك ما ركبه
من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة وغمطوها بعبادة من
لا يقدر على شيء منها قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة الاف منهم جهرة
عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي
يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب
القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر
كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على ان موسى عليه السلام رادهم القول وعرفهم ان
رؤية ما لا يجوز عليه ان يكون في جهة محال وان من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة
الاجسام او الاعراض فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة
العجل فسلط عليهم الصعقة كما سلط على اولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما
بعظم المحنة والصاعقة ما صعقهم اي اماتهم قيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة
جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى
عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون
اليه لقوله وانتم تنظرون وقرأ علي رضي الله عنه فاخذتكم الصعقة لعلكم تشكرون نعمة
البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها اذ رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة واذاقتكم
الموت وظللنا وجعلنا الغمام تظللكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظللهم
من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن
وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله الجنوب
فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا على ارادة القول وما ظلمونا
يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه القرية
بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل هو
باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى امروا بالسجود عند

عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون
دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا
متزحفين على اوراكهم حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدأ محذوف اي مسألتنا
حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات
كقوله صبر جميل فكلانا مبتلى والاصل صبرا على اصبر صبرا وقرأ ابن ابي عبلة بالنصب
على الاصل وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها فان قلت هل يجوز
ان تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة قلت لا يبعد والاجود
ان تنصب باضمار فعلها وتنصب محل ذلك المضمر بقولوا وقرئ يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء
والتاء وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا
كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعني انهم امروا
بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر
الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤا بلفظ آخر لانهم لو جاؤا بلفظ
آخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك
او اللهم اعف عنا وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا
سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون
من اغراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم
لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء
وروي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا عطشوا في
التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام اما للعهد والاشارة الى
حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع
من كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا
ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى
شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة
ففر به فقال له جبريل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته
واما للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في

في الحجة وابين في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا
في مخلاته فحيثما نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى
عصاه متنا عطشا فاوحي اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام
وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة اذرع على طول
موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب
فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا
في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون
منها كلوا على ارادة القول من رزق الله مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل
الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب والعثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا
في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا
فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقاء على طعام واحد ارادوا واما رزقوا في التيه من المن والسلوى
فان قلت هما طعامان فما بالهم قالوا على طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا
يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل
فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب
واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والتترف ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد
الا ما الفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك ومعنى يخرج لنا
يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي يأكلها
الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها وقرئ وقثائها بالضم والفوم الحنطة
ومنه فوموا لنا اي اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو للعدس
والبصل اوفق الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن
قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد
المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرأ زهير الفرقبي ادنأ بالهمز من الدناءة
اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا
نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا
في ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد به العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث

لسكون وسطه كقوله ونوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا
سبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقرأ به الاعمش اهبطوا مصر
بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرائيم فعرب وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة
محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم
ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة
اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وباؤا بغضب
من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اي صاروا
احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب اي
ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم فان قلت
قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم
لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم
فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرأ علي رضي
الله عنه ويقتلون بالتشديد ذلك تكرار للاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي
واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم
في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم
لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء او ذلك
الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون
والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد
والجمع هود والنصارى وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة قال نصرانة لم تحنف
والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا لانهم نصروا المسيح والصابئين وهو من صبأ
اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة من
آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا اصيلا وعمل صالحا فلهم
اجرهم الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من آمن قلت الرفع ان جعلته
مبتدأ خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه
الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما

في التوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق وذلك أن موسى عليه السلام جاءهم
بالألواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل
فقلع الطور من أصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى إن قبلتم وإلا ألقي عليكم حتى قبلوا
خذوا على إرادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا
ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم أن تكونوا متقين
أو قلنا خذوا واذكروا إرادة أن تتقوا ثم توليتم ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل
الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لكنتم من الخاسرين وقرئ خذوا ما آتيتكم وتذكروا واذكروا السبت مصدر
سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت وإن ناساً اعتدوا فيه أي جاوزوا ما حد لهم فيه
من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك أن الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت
في البحر إلا أخرج خرطومه يوم السبت فإذا مضى تفرقت كما قال تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم
شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضاً عند البحر وشرعوا إليها
الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الأحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم
قردة خاسئين خبران أي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها
يعني المسخة نكالاً عبرة تنكل من اعتبر بها أي تمنعه ومنه النكل القيد لما بين يديها لما قبلها
وما خلفها وما بعدها من الأمم والقرون لأن مسختهم ذكرت في كتب الأولين فاعتبروا بها
واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين أو أريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والأمم وقيل
نكالاً عقوبة منكلة لما بين يديها لأجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين
للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم أو لكل متق سمعها كان في بني إسرائيل شيخ موسر فقتله
ابنه بنو أخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته فأمرهم الله أن يذبحوا
بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله قالوا أتتخذنا هزواً أتجعلنا مكان هزؤ أو أهل هزؤ
أو مهزوءاً بنا أو الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء من الجاهلين لأن الهزؤ في مثل هذا من باب الجهل والسفه
وقرئ هزؤاً بضمتين وهزءاً بسكون الزاي نحو كفؤاً وكفءاً وقرأ حفص هزواً بالضمتين والواو
وكذلك كفواً والعياذ واللياذ من واد واحد وفي قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها
وصفتها وذلك أنهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا عن صفة تلك البقرة
العجيبة الشأن الخارجة عما عليه البقر والفارض المسنة وقد فرضت فروضاً فهي فارض قال خفاف بن ندبة

لعمري لقد أعطيت ضيفك فارضاً تساق إليه ما تقوم على رجل وكأنها سميت فارضاً لأنها
فرضت سنها أي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية والعوان النصف قال نواعم بين
أبكار وعون وقد عونت فإن قلت بين يقتضي شيئين فصاعداً فمن أين جاز دخوله على ذلك قلت
لأنه في معنى شيئين حيث وقع مشاراً به إلى ما ذكر من الفارض والبكر فإن قلت كيف جاز أن
يشار به إلى مؤنثين وإنما هو للإشارة إلى واحد مذكر قلت جاز ذلك على تأويل ما ذكر
وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائباً عن أفعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت
وقد ذكر لك أفعالاً كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما أحسن ذلك وقد يجري الضمير مجرى
اسم الإشارة في هذا قال أبو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط من سواد وبلق
كأنه في الجلد توليع البهق إن أردت الخطوط فقل كأنها وإن أردت السواد والبلق فقل كأنهما
فقال أردت كأن ذاك ويلك والذي حسن منه أن أسماء الإشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست
على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ما تؤمرون أي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون
به من قوله أمرتك الخير أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الأمير الفقوع
أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه يقال في التوكيد أصفر فاقع ووارس كما يقال أسود حالك
وحانك وأبيض يقق ولهق وأحمر قانئ وذريحي وأخضر ناضر ومدهامّ وأورق خطباني
وأرمك رداني فإن قلت فاقع هنا واقع خبراً عن اللون فلم يقع تأكيداً للصفراء قلت لم يقع خبراً
عن اللون إنما وقع توكيداً لصفراء إلا أنه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس
بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها فإن قلت فهلا قيل صفراء فاقعة وأي
فائدة في ذكر اللون قلت الفائدة فيه التوكيد لأن اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكأنه قيل
شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب إذا نظرت إليها
خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه
وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلاً صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري
صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الإبل لأن سوادها تعلوه صفرة
وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال الأعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر أولادها كالزبيب
ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بياناً لوصفها وعن النبي
صلى الله عليه لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء

شوم وعن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم
فكتب اليه بايهما ابدأ فقال ان قلت لك بقطع الشجر سألتني باي نوع منها ابدأ وعن عمر بن عبد العزيز
اذا امرتك ان تعطي فلانا شاة سألتني اضأن ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك
قلت اسوداء ام بيضاء فاذا امرتك بشيء فلا تراجعني وفي الحديث اعظم الناس جرما من سأل عن شيء
لم يحرم فحرم لاجل مسألته ان البقر تشابه علينا ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير
فاشتبه علينا ايها نذبح وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها في الشين وتشابهت و
متشابهة ومتشابه وقرأ محمد ذو الشامة ان الباقر يشابه بالياء والتشديد جاء في الحديث لو لم
يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد
ذبحها او الى ما خفي علينا من امر القاتل لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل
للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى للنفي والثانية
مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لا ذلول
مثيرة وساقية وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي لذلها
وان توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيث هم
وقرئ تسقي بضم التاء من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه كقوله
او معبر الظهر ينبي عن وليته ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا او مخلصة اللون من سلم له كذا
اذا خلص له لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى
الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط
بلونه لونا آخر ومنه ثور موشي القوائم الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي
اشكال في امرها فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله
وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم
ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل
وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وروي انه كان في بني
اسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان
برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء
مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة

فان قلت كانت البقرة التي تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون
وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول **قلت** رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة
والنسخ قبل الفعل جائز على ان الخطاب كان لا بهاما متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها
ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص
واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شأنها
لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على
بعض فيدفع المطروح عليه الطارح او لان الطرح في نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا عن البراءة
واتهمه والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوما **فان قلت**
كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي **قلت** قد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر
في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم
فقلنا والضمير في اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تأويل الشخص والانسان واما الى
القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون ببعضها ببعض البقرة واختلف في البعض الذي
ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو
اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة
قوله كذلك يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال
قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك
يحيي الله الموتى اما ان يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله
الموتى يوم القيامة ويريكم آياته ودلائله على انه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعملون على
قضية عقولكم وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص
حتى لا تنكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله **فان قلت** هلا احياه
ابتداء ولم شرط في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها **قلت** في الاسباب والشروط حكم وفوائد
وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار
بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم وللآخرين في ترك
التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال
ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالابوين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازئ

بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان أن من حق المتقرب إلى ربه أن يتنوق في اختيار ما يتقرب به وأن الخيار(؟) فتية السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريا من العيوب يونق من نظر إليه وأن تغالى ثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه أنه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وأن الزيادة في الخطاب نسخ له وأن النسخ قبل الفعل جائز وإن لم يجز قبل وقت الفعل وإمكانه لأدائه إلى البداء وليعلم بما أمر من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه أن المؤثر هو المسبب لا الأسباب لأن المؤثرين الحاصلين في الجسمين لا يعقل أن يتولد منهما حياة **فإن قلت** فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها أن يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها وأن يقال وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها **قلت** كل ما قص من قصص بني إسرائيل إنما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدتين فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما تبعه من الآية العظيمة وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعدما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها أن وصلت بالأولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وتثنيته بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة معنى ثم استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم أنتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وأن المواعظ لا تؤثر فيها وذلك إشارة إلى إحياء القتيل أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة فهي كالحجارة في قسوتها مثل الحجارة أو أشد قسوة منها وأشد معطوف على الكاف إما على معنى أو مثل أشد قسوة فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ويعضده قراءة الأعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة وإما على أو هي في أنفسها أشد قسوة والمعنى أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلا أو من عرفها شبهها بالحجارة أو قال هي أقسى من الحجارة **فإن قلت** لم قيل أشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه أفعل التفضيل وفعل التعجب **قلت** لكونه أبين وأدل على فرط القسوة ووجه آخر وهو أن لا يقصد معنى الأقسى ولكن قصد وصف القسوة

بالشدة كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الإلباس كقولك زيد كريم وعمرو أكرم وقوله وإن من الحجارة بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله أو أشد قسوة وقرئ وإن بالتخفيف وهي إن المخففة من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة ومنها قوله وإن كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن دينار ينفجر يشقق يتشقق وبه قرأ الأعمش والمعنى أن من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول أو بالعرض فينبع منه الماء أيضا يهبط يتردى من أعلى الجبل وقرئ بضم الباء والخشية مجاز عن انقيادها لأمر الله وأنها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت به وقرئ تعملون بالياء والتاء وهو وعيد أفتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين أن يؤمنوا لكم أن يحدثوا الإيمان لأجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة فيمن سلف منهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما أمر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا فلا بأس وقرئ كلم الله من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون أنهم كاذبون مفترون والمعنى إن كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك وإذا لقوا يعني اليهود قالوا قال منافقوهم آمنا بأنكم على الحق وأن محمدا هو الرسول المبشر به وإذا خلا بعضهم إلى بعض الذين لم ينافقوا إلى الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من صفة محمد أو قال المنافقون لأعقابهم يرونهم التصلب في دينهم أتحدثونهم إنكارا عليهم أن يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله ألا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان ومنهم أميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التوراة إلا أماني إلا ما هم عليه من أمانيهم وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم وما تمنيهم أحبارهم من أن النار لا تمسهم إلا أياما معدودة وقيل

أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد. قال أعرابي لابن دأب في شيء حدّث به
أهذا شيء رويته أم تمنيته أي اختلقته. وقيل إلا أماني إلا ما يقرؤون من قوله تمنّى كتاب الله أول ليله
والاشتقاق من منّى إذا قدّر لأن المتمني يقدّر في نفسه ويحزر ما يتمناه وكذلك المختلق
والقارئ يقدّر أن كلمة كذا بعد كذا. وإلا أماني من الاستثناء المنقطع. وقرئ أماني بالتخفيف. ذكر
العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلّدوهم ونبّه على أنهم في
الضلال سواء لأن العالم عليه أن يعمل بعلمه وعلى العامي أن لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن
من العلم. يكتبون الكتاب المحرّف. بأيديهم تأكيد وهو من مجاز التأكيد كما تقول لمن ينكر معرفة
ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه. مما يكتبون من الرشى. أيامًا معدودة أربعين يومًا عدد أيام
عبادة العجل. وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذّب مكان
كل ألف سنة يومًا. فلن يخلف متعلق بمحذوف تقديره إن اتخذتم عند الله عهدًا فلن يخلف الله
عهده. وأم إمّا أن تكون معادلة بمعنى أيّ الأمرين كائن على سبيل التقرير لأن العلم واقع
بكون أحدهما ويجوز أن تكون منقطعة. بلى إثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار
أي بلى تمسكم أبدًا بدليل قوله هم فيها خالدون. من كسب سيئة من السيئات يعني كبيرة من الكبائر
وأحاطت به خطيئته تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفصّ عنها بالتوبة. وقرئ
خطاياه وخطيئاته. وقيل في الإحاطة كان ذنبه أغلب من طاعته. وسأل رجل الحسن فقال
سبحان الله ألا أراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل آية نهى الله عنها
وأخبرك أنه من عمل بها أدخله النار فهي الخطيئة المحيطة. لا تعبدون إخبار في معنى النهي كما تقول
تذهب إلى فلان تقول له كذا تريد الأمر وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي لأنه كأنه سورع إلى الامتثال
والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وأبيّ لا تعبدوا ولا بد من إرادة القول ويدل
عليه أيضًا قوله وقولوا وقوله وبالوالدين إحسانًا إما أن يقدّر وتحسنون بالوالدين أو
وأحسنوا. وقيل هو جواب قوله أخذنا ميثاق بني إسرائيل إجراء له مجرى القسم كأنه قيل وإذ
أقسمنا عليهم لا تعبدون. وقيل معناه أن لا تعبدوا فلما حذفت أن رفع كقوله ألا أيهذا الزاجري
أحضر الوغى. ويدل عليه قراءة عبد الله أن لا تعبدوا ويحتمل أن لا تعبدوا أن تكون أن
مفسرة وأن تكون أن مع الفعل بدلا عن الميثاق كأنه قيل أخذنا ميثاق بني إسرائيل توحيدهم وقرئ
بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لأنهم غيب. حسنًا قولا هو حسن في نفسه لإفراط حسنه

وقرئ حُسْنًا وحُسْنى على المصدر كبُشرى. ثم توليتم على طريقة الالتفات أي توليتم عن الميثاق
ورفضتموه. إلا قليلا منكم قيل هم الذين أسلموا منهم. وأنتم معرضون وأنتم قوم عادتكم الإعراض عن
المواثيق والتولية. لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض. جعل
غير الرجل نفسه إذا اتصل به أصلا أو دينًا. وقيل إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقتص
منه. ثم أقررتم بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه. وأنتم تشهدون عليها كقولك فلان مقرّ على
نفسه بكذا شاهد عليها. وقيل وأنتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق
ثم أنتم هؤلاء استبعاد لما أسند إليهم من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم
وشهادتهم. والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني أنكم قوم آخرون غير أولئك المقرّين تنزيلا
لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به. وقوله تقتلون بيان
لقوله ثم أنتم هؤلاء. وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذي. وقرئ تظاهرون بحذف التاء وإدغامها وتظاهرون
بإثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون أي تتعاونون عليهم. وقرئ تفدوهم وتفادوهم وأسرى وأسارى
وهو ضمير الشأن ويجوز أن يكون مبهمًا تفسيره إخراجهم. أفتؤمنون ببعض الكتاب أي بالفداء وتكفرون
ببعض أي بالقتال والإجلاء. وذلك أن قريظة كانوا حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج فكان
كل فريق يقاتل مع حلفائه وإذا غلبوا خرّبوا ديارهم وأخرجوهم وإذا أسر رجل من الفريقين
جمعوا له حتى يفدوه فعيّرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون أمرنا أن
نفديهم وحرّم علينا قتالهم ولكنا نستحيي أن نذل حلفاءنا. والخزي قتل بني قريظة وأسرهم وإجلاء
بني النضير. وقيل الجزية. وإنما ردّ من فعل ذلك منهم إلى أشد العذاب لأن عصيانه أشد. وقرئ
يردّون ويعملون بالياء والتاء. فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم أحد
بالدفع عنهم وكذلك عذاب الآخرة. الكتاب التوراة آتاه إياها جملة واحدة. ويقال قفّاه
إذا أتبعه من القفا نحو ذنّبه من الذنب. وقفّاه به أتبعه إياه يعني وأرسلنا على أثره الكثير
من الرسل كقوله ثم أرسلنا رسلنا تترى. وهم يوشع وأشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا
وأرميا وعزير وحزقيل وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم. وقيل عيسى بالسريانية
أيشوع ومريم بمعنى الخادم. وقيل مريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة
قلت لزير لم تصله مريمه. ووزن مريم عند النحويين مفعل لأن فعيلا بفتح الفاء لم يثبت
في الأبنية كما ثبت نحو عثير وعليب. البينات المعجزات الواضحات والحجج كإحياء الموتى وإبراء

الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وقرئ وآيدناه ومنه آجده بالجيم اذا قواه يقال الحمد لله
الذي آجدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود
ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة
وقيل لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل جبريل وقيل الانجيل كما قال في القرآن
روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا يا بني اسرائيل
انبياءكم ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به فوسطت الفاء وما
تعلقت به همزة التوبيخ والتعجب من شانهم ويجوز ان يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما
فعلتم ثم وبختهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر فان قلت هلا قيل وفريقا قتلتم قلت
هو على وجهين ان تراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره
في القلوب وان يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم حولتم قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك
سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه السلام عند موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان
قطعت ابهري غلف جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما
جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان
الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة
وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فايمانا
قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف
تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن
ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين كتاب من عند الله هو القرآن مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه
وقرئ مصدقا على الحال فان قلت كيف جاز نصبها عن النكرة قلت اذا وصف النكرة تخصص
فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو
كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما اشبه ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على
المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته
وصفته في التوراة ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا
فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم

جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءو بغضب على
غضب وللكافرين عذاب مهين واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم
مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا
قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين

قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسألون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر
او يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا
على الرياسة على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم
لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل
بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا
وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل لان ينزل او على ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من
فضله الذي هو الوحي على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله فباءوا بغضب على غضب فصاروا احقاء
بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم
عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم بما انزل الله مطلق فيما انزل الله
من كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيد بالتوراة ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال
انهم يكفرون بما وراء التوراة وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم
فانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم
الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم
العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم
وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما
امرتم به في التوراة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فان قلت كيف طابق قوله جوابهم قلت
طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة
واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله
في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم بئسما يأمركم
به ايمانكم بالتوراة لانه ليس في التوراة عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال
قوم شعيب اصلواتك تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في
ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة اي
سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا
والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها
وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي

كان علي بن ابي طالب رضي الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن النبي صلى الله عليه لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد وما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر والعصيان وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا فان قلت ما ادراك انهم لم يتمنوا قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس منهم احد نقل ذلك فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لم يتمنوا قلت ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا اذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم من اشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه ولا محمل له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم هو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم احرص فان قلت لم قال على حياة بالتنكير قلت لانه اراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع من قراءة ابي على الحياة ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس فان قلت الم يدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ فان قلت

لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانحاء فان قلت يود احدهم ما موقعه قلت هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم قلت هو حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو اعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن روي ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل امره الله ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى آثاره في كتابكم ثم سألوه عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبرئيل بوزن قفشليل وجبرئل بحذف الياء وجبريل بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال بلام شديدة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة

وقيل معناه عبد الله. الضمير في نزله للقرآن ونحو هذا الإضمار أعني إضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة
لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته
على قلبك أي حفظه إياك وفهمكه بإذن الله بتيسيره وتسهيله فإن قلت كان حق الكلام أن يقال على
قلبي قلت جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به كأنه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا
لجبريل فإنه نزله على قلبك فإن قلت كيف استقام قوله فإنه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان
أحدهما إن عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب
بين يديه فلو أنصفوا لأحبوه وشكروا له صنيعه في إنزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثاني
إن عاداه أحد فالسبب في عداوته أنه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم له
كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك إن
عاداك فلان فقد آذيته وأسأت إليه أفرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر
وهو مما ذكر أن التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال كميعاد وقنطار
وميكائل كميكاعل وميكائيل كميكاعيل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل قال ابن جني العرب
إذا نطقت بالأعجمي خلطت فيه عدو للكافرين أراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على أن الله إنما
عاداهم لكفرهم وأن عداوة الملائكة كفر وإذا كانت عداوة الأنبياء كفرا فما بال الملائكة وهم
أشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب إلا الفاسقون إلا المتمردون
من الكفرة وعن الحسن إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم ذلك النوع من كفر وغيره
وعن ابن عباس قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك
من آية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والأحسن أن يكون إشارة إلى أهل الكتاب
أوكلما الواو للعطف على محذوف معناه أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرأ أبو السمال
بسكون الواو على أن الفاسقين بمعنى الذين فسقوا فكأنه قيل وما يكفر بها إلا الذين فسقوا أو نقضوا
عهد الله مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود
وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله فلم يفوا الذين عاهدت
منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرأ عبد الله نقضه
فريق منهم وقال فريق منهم لأن منهم من لم ينقض بل أكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من
الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به كتاب الله يعني التوراة لأنهم بكفرهم

برسول الله المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما
لزمهم تلقيه بالقبول كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني أن علمهم بذلك رصين
ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم وإعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء
الظهر استغناء عنه وقلة التفات إليه وعن الشعبي هو بين أيديهم يقرؤونه ولكنهم نبذوا
العمل به وعن سفيان أدرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا
حرامه واتبعوا أي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلو الشياطين يعني واتبعوا كتب السحر
والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمن أي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك أن الشياطين
كانوا يسترقون السمع ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة وقد
دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا إن الجن
تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمن وما تم لسليمن ملكه إلا بهذا العلم وبه تسخر الجن والإنس
والريح التي تجري بأمره وما كفر سليمن تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمن من
اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه
يعلمون الناس السحر يقصدون به إغواءهم وإضلالهم وما أنزل على الملكين عطف على السحر
أي ويعلمونهم ما أنزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا أي واتبعوا ما أنزل وهاروت
وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس
من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه أو تعلمه لئلا يعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر
به كان مؤمنا عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلي قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس
مني ومن لم يطعمه فإنه مني وقرأ الحسن على الملكين بكسر اللام على أن المنزل عليهما علم السحر كانا
ملكين ببابل وما يعلمان الملكان أحدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له إنما نحن فتنة أي ابتلاء
واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا أنه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من
أحد أي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه أي علم السحر الذي يكون
سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله
عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا أن السحر له أثر في نفسه بدليل قوله وما هم
بضارين به من أحد إلا بإذن الله لأنه ربما أحدث الله عنده فعلا من أفعاله وربما لم يحدث
ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لأنهم يقصدون به الشر وفيه أن الاجتناب عنه أصلح كتعلم الفلسفة

ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون يا أيها الذين
آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا

التي لا يؤمن أن تجر إلى الغواية ولقد علم هؤلاء اليهود لمن اشتراه أي استبدل ما تتلوا
الشياطين بكتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به أنفسهم أي باعوها
وقرأ الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد
وقرأ الزهري هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت وماروت ومنها أنهما اعجميان بدليل
منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرأ طلحة وما يعلمان
من أعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسره مع الهمزة والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم
فرج وإجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ الأعمش وما هم بضاري بطرح النون والإضافة إلى
أحد والفصل بينهما بالظرف فإن قلت كيف يضاف إلى أحد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار
جزءا من المجرور فإن قلت كيف أثبت لهم العلم أولا في قوله ولقد علموا لمن اشتراه على سبيل
التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم
حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنه ولو أنهم آمنوا برسول الله والقرآن واتقوا الله فتركوا
ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير وقرئ لمثوبة
كمشورة ومشورة لو كانوا يعلمون أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك
العمل بالعلم فإن قلت كيف أوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت لما في ذلك من
الدلالة على إثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب إلى الرفع في سلام عليكم لذلك فإن قلت
فهلا قيل لمثوبة الله خير قلت لأن المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز أن يكون قوله ولو أنهم آمنوا
تمنيا لإيمانهم على سبيل المجاز عن إرادة الله إيمانهم واختيارهم له كأنه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ
لمثوبة من عند الله خير كان المسلمون يقولون لرسول الله إذا ألقى عليهم شيئا من العلم راعنا يا
رسول الله أي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها
عبرانية أو سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول
وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وأمروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره
إذا انتظره وقرأ أبي انظرنا من النظرة أي أمهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا
على أنهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج
أي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا إلى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لأنه لما أشبه قولهم راعينا
وكان سببا في السب اتصف بالرعن واسمعوا وأحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم

وللكافرين عذاب أليم ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم
ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير أم تريدون
أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان

من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادة وطلب المراعاة
أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا أو واسمعوا
ما أمرتم به بجد حتى لا ترجعوا إلى ما نهيتم عنه تأكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وروي أن سعد بن معاذ
سمعها منهم فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها
لرسول الله لأضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها فنزلت وللكافرين ولليهود الذين
تهاونوا برسول الله وسبوه عذاب أليم من الأولى للبيان لأن الذين كفروا جنس تحته نوعان
أهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة
لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله أهم يقسمون
رحمة ربك والمعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم فيحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم
شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء إلا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم
إشعار بأن إيتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله إن فضله كان عليك كبيرا روي أنهم طعنوا في
النسخ فقالوا ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا
ويرجع عنه غدا فنزلت وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من أنسخ أو ننسأها وقرئ
ننسها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب الرسول وقرأ عبد الله ما ننسك من آية أو
ننسخها وقرأ حذيفة ما ننسخ من آية أو ننسكها ونسخ الآية إزالتها بإبدال أخرى مكانها وإنساخها
الأمر بنسخها وهو أن يأمر جبريل بأن يجعلها منسوخة بالإعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها وإذهابها
لا إلى بدل وإنساؤها أن يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى أن كل آية تذهب بها على ما توجبه
المصلحة من إزالة لفظها وحكمها معا أو من إزالة أحدهما إلى بدل أو غير بدل نأت بآية خير منها
للعباد أي بآية العمل بها أكثر للثواب أو مثلها في ذلك إن الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير
وما هو خير منه وعلى مثله في الخير له ملك السموات والأرض فهو يملك أموركم ويدبرها ويجريها
على حسب ما يصلحكم وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ ثم بين لهم أنه مالك أمورهم
ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله ألم تعلم أراد أن
يوصيهم بالثقة به فيما هو أصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وأن لا يقترحوا على رسولهم ما
اقترحه آباء اليهود على موسى من الأشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا إلها أرنا
الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالإيمان ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها

ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم

والتزم غيرها فقد ضل سواء السبيل روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود
قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد ألم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا
الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد عندكم قالوا شديد
قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة واما
انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين
اخوانا ثم اتيا رسول الله واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت فان قلت بم تعلق قوله من
عند انفسهم قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم
ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من
بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اي حسدا متبالغا
منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من
الجهل والعداوة حتى ياتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية
عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم من خير من حسنة صلاة او صدقة
او غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل
الضمير في وقالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا
من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع
يرد الى كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد
منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل
وبزل فان قلت كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم على لفظ
من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالوا الجحيم وقوله فان له نار جهنم خالدين
وقرأ ابي بن كعب الا من كان يهوديا او نصرانيا فان قلت لم قيل تلك امانيهم وقولهم لن يدخل
الجنة امنية واحدة قلت اشير بها الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين
خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني
الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
نصارى وتلك امانيهم اعتراض او اريد امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه والامنية

قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها

افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة
ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا اهدم شيء لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل
غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء بمعنى احضر بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من
اسلم وجهه لله من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله اجره الذي يستوجبه
فان قلت من اسلم وجهه كيف موقعه قلت يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما
مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف
اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم على شيء
يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفي اطلاق
اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم اقل من لا شيء
وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة
للكتب وحق من حمل التوراة والانجيل او غيرهما من كتب الله وآمن به ان لا يكفر بالباقي لان
كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة على تصديق
بعضها بعضا كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم
ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل اهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ
عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم وروي ان وفد نجران لما قدموا على
رسول الله صلى الله عليه اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود
ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى و
التوراة فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيمة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب
الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ان يذكر ثاني مفعولي منع
لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف
حرف الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس
مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا يطرحون
في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا
التوراة وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركين رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية
فان قلت فكيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام

قلت لا بأس أن يجيء الحكم عاماً وإن كان السبب خاصاً كما تقول لمن آذى صالحاً واحداً ومن
أظلم ممن آذى الصالحين وكما قال الله عز وعلا ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الأخنس بن
شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر أو بتخريب البنيان وينبغي أن يراد بمن منع العموم كما
أريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا بأعيانهم من أولئك النصارى أو المشركين أولئك المانعون
ما كان لهم أن يدخلوها أي ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين على حال التهيب
وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلاً أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا
المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان
لهم في حكم الله يعني أن الله قد حكم وكتب في اللوح أنه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها
إلا خائفين روي أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا متنكراً مسارقة وقال قتادة
لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلا أنهك ضرباً وأبلغ إليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرأ عبد الله إلا
خيفاً وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه أبو حنيفة ولم يجوزه
مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية
بينهم وبينه كقوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله لهم في الدنيا خزي قتل وسبي أو ذلة بضرب الجزية
وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية ولله المشرق والمغرب والأرض كلها لله
هو مالكها ومتوليها فأينما تولوا ففي أي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة
بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه
الله أي جهته التي أمر بها ورضيها والمعنى أنكم إذا منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو في بيت
المقدس فقد جعلت لكم الأرض مسجداً فصلوا في أي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها
فإن التولية ممكنة في كل مكان لا يختص إمكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان إن
الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت
في صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا إلى أنحاء
مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وقيل معناه فأينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد
الصلاة وقرأ الحسن فأينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فأينما توجهوا القبلة وقالوا وقرئ
بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له

عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والأرض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير
والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان
بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد أن يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من
المضاف إليه أي كل ما في السموات والأرض ويجوز أن يراد كل من جعلوه لله ولداً له قانتون
مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما أضافوا إليهم فإن قلت كيف جاء بما الذي
لغير أولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكأنه جاء بما دون من تحقيراً
لهم وتصغيراً لشأنهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك بزع
الرجل فهو بزيع وبديع السموات من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها أي بديع سمواته وأرضه وقيل
البديع بمعنى المبدع كما أن السميع في قول عمرو أمن ريحانة الداعي السميع بمعنى المسمع وفيه نظر
كن فيكون من كان التامة أي أحدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول في
قوله إذ قالتا أتينا طائعين وإنما المعنى أن ما قضاه من الأمور وأراد كونه فإنما يتكون
ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كالمأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا
يمتنع ولا يكون منه الإباء أكد بهذا استبعاد الولادة لأن من كان بهذه الصفة من القدرة
كانت حاله مباينة لأحوال الأجسام في توالدها وقرئ بديع السموات مجروراً على أنه بدل من الضمير
في له وقرأ المنصور بالنصب على المدح وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين
وقيل من أهل الكتاب ونفى عنهم العلم لأنهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم
الملائكة وكلم موسى استكباراً منهم وعتواً أو تأتينا آية جحوداً لأن يكون ما آتاهم من آيات
الله آيات واستهانة بها تشابهت قلوبهم أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله أتواصوا
به قد بينا الآيات لقوم يوقنون ينصفون فيوقنون أنها آيات يجب الاعتراف بها والإذعان
لها والاكتفاء بها عن غيرها إنا أرسلناك لأن تبشر وتنذر لا لتجبر على الإيمان وهذه تسلية
لرسول الله وتسرية عنه لأنه كان يغتم ويضيق صدره لإصرارهم وتصميمهم على الكفر ولا
تسأل عن أصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله فإنما عليك
البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسأل على النهي روي أنه قال ليت شعري ما فعل أبواي
فنهي عن السؤال عن أحوال الكفرة والاهتمام بأعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من
العذاب كما تقول كيف فلان سائلاً عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم أن المستخبر

يجزع ان تجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر
لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا تسأل ويعضد القراءة الاولى قراءة عبد
الله ولن تسأل وقراءة ابي وما تسأل كانهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى
تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله عن دخولهم في الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال
قل ان هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم عن قولهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى
بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو
بهدى انما هو هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم اي اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد
الذي جاءك من العلم اي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة الذين آتيناهم الكتاب هم
مؤمنو اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله اولئك
يؤمنون بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا
الضلالة بالهدى . ابتلى ابرهيم ربه بكلمات اختبره باوامر ونواه واختبار الله عبده
مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه
حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ ابو حنيفة رحمه الله وهي قراءة ابن عباس ابرهيم ربه رفع
ابرهيم ونصب ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا فان قلت
الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعليق الضمير به اضمار قبل الذكر قلت
الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلى ربه ابرهيم فاما ابتلى ابرهيم ربه او ابتلى ربه ابرهيم فليس واحد
منهما باضمار قبل الذكر اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما
الثاني فابرهيم فيه متقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابرهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا
ومعنى فلا سبيل الى صحته والمستكن في فاتمهن في احدى القراءتين لابرهيم بمعنى فقام بهن حق
القيام واداهن احسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وابرهيم الذي وفى وفي الاخرى
لله تعالى بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات
بما سأل ابرهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا
ربنا تقبل منا فان قلت ما العامل في اذ قلت اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى او واذ ابتلاه
كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك فان قلت فما موقع قال قلت هو على الاول استئناف
كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس اماما وعلى الثاني جملة معطوفة

على ما قبلها ويجوز ان يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة و
تطهير البيت ورفع قواعده والاسلام قبل ذلك في قوله اذ قال له ربه اسلم وقيل في الكلمات
هي خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس
في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه
بثلثين من شرائع الاسلام منها عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في الاحزاب
ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون
وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه
بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة والامام اسم من يؤتم
به على زنة الآلة كالازار لما يؤتزر به اي يأتمون بك في دينهم ومن ذريتي عطف على
الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا لا ينال عهدي الظالمين
وقرئ الظالمون اي من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما
ينال من كان عادلا بريئا من الظلم وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة وكيف
يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة وكان
ابو حنيفة رحمه الله يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليه وحمل المال اليه
والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالامام والخليفة كالدوانيقي واشباهه وقالت
له امرأة اشرت على ابني بالخروج مع ابرهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان
ابنك وكان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد آجره لما
فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام
انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب
ظلم والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون
عنه ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اعيان الذين يزورونه او امثالهم وامنا وموضع امن
كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني يأوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج
وقرئ مثابات لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد
واتخذوا على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وهو على وجه
الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام

ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى يريد افلا نوثره لفضله بالصلاة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ
قدم ابرهيم فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله
استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه
ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقيل مصلى مدعا ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر
قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام ابرهيم
وعن عمر رضي الله عنه انه سال المطلب بن ابي وداعة هل تدري اين كان موضعه الاول قال نعم
فاراه موضعه اليوم وعن عطا مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه قام في هذه المواضع
ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابرهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي
واتخذ الناس من مكان ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون
اليها عهدنا امرنا هما ان طهرا بيتي بان طهراه او اي طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس
وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها او اخلصاه لهؤلاء لا يغشه غيرهم والعاكفين المجاورين
الذين عكفوا عنده اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين
يعني القائمين في الصلاة كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين
لان القيام والركوع والسجود هيات المصلي اي اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا امنا
ذا امن كقوله عيشة راضية او امنا من فيه كقولك ليل نائم ومن امن منهم بدل من اهله يعني
وارزق المؤمنين من اهله خاصة ومن كفر عطف على من امن كما عطف ومن ذريتي على الكاف
في جاعلك فان قلت لم خص ابرهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه قلت قاس الرزق
على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للمرعى وابعد الناس
عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى
وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان يكون ومن كفر مبتدا متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه
جوابا للشرط اي ومن كفر فانا امتعه وقرئ فامتعه فاضطره فالزه الى عذاب النار
لز المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه وقرا ابي فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرا
يحيى بن وثاب فاضطره بكسر الهمزة وقرا ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر
والمراد الدعاء من ابرهيم دعا ربه بذلك فان قلت فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة قلت
في قال ضمير ابرهيم اي قال ابرهيم بعد مسالته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فامتعه قليلا

ثم اضطره وقرا ابن محيصن فاطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع وهي لغة مرذولة
لان الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف
ضم شفر يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه
وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله اي اسال الله ان يقعدك اي يثبتك و
رفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع و
تطاولت بعد التقاصر ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي
يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق ساف
فقد رفع السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت اي استوطا
يعني جعل هيئته القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروي انه كان مؤسسا قبل ابرهيم
فبنى على الاساس وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي
وغربي وقال لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه ادم من ارض الهند
اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام
وحج ادم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام
الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله امر ببنائه ابرهيم وعرفه جبريل مكانه
وقيل بعث الله سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة
اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حرا وجاءه جبريل بالحجر الاسود
من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبي فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من
الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقيل كان ابرهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة ربنا
اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها
قائلين ربنا انك انت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا فان قلت هلا قيل قواعد البيت
واي فرق بين العبارتين قلت في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس في ايضاحها
لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشان المبين مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا من قوله اسلم
وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له وسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا
او اذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كانهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا التثنية على حكم الجمع
لانها منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين كقوله وعد الله

وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين

الذين آمنوا منكم فان قلت لم خصا ذريتهما بالدعاء قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة
قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وتابعوهم على الخير
الا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من
وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم وارنا منقول من رأى بمعنى ابصر او عرف
ولذلك لم يتجاوز مفعولين اي وبصرنا متعبداتنا في الحج او عرفناها وقيل مذابحنا وقرئ
وارنا بسكون الراء قياسا على فخذ في فخذ وقد استرذل لان الكسرة منقولة من الهمزة
الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرأ ابو عمرو باشمام الكسرة وقرأ عبد الله
وارهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من الصغائر او استتبنا لذريتنا وابعث فيهم في
الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فبعث
الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي
يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك
ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة الشريعة وبيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك
وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ۞ ومن يرغب انكار واستبعاد
لان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابراهيم ومن سفه في محل الرفع على
البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد
سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب
النفس على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه ويجوز ان يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله
ولا بفزارة الشعر الرقابا اجب الظهر ليس له سنام وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار
كقولهم زيد ظني مقيم اي في ظني والوجه هو الاول وكفى شاهدا له بما جاء في الحديث الكبر
ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة
نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطأ رأي من رغب
عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين بان كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا
له بالاستقامة على الخير في الآخرة لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه اذ قال ظرف
لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من
حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قال له

اسلم اخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت اي فنظر وعرف
وقيل اسلم اي اذعن واطع وروي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى
الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه
احمد من آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان
يسلم فنزلت قرئ واوصى وهي في مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير في بها لقوله اسلمت لرب
العالمين على تأويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء
مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل على ان التأنيث على تأويل الكلمة ويعقوب
عطف على ابراهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ ويعقوب بالنصب عطفا
على بنيه ومعناه ووصى بها ابراهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بني على اضمار القول عند البصريين
وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه في معنى القول ونحوه قول القائل رجلان من ضبة اخبرانا
انا رأينا رجلا عريانا بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار
وفي قراءة ابي وابن مسعود ان يا بني ان الله اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان
وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على
الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت
خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع في حال صلاته فان قلت فاي نكتة في ادخال
حرف النهي على الصلاة وليس بمنهي عنها قلت النكتة فيه اظهار ان الصلاة التي لا خشوع فيها
كلا صلاة فكأنه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه السلام لا صلاة
لجار المسجد الا في المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في
الآية اظهار ان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء
وان من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم وتقول في الامر ايضا مت وانت شهيد وليس مرادك
الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا منك بميتته
واظهارا لفضلها على غيرها وانها حقيقة بان يحث عليها ام كنتم شهداء ام المنقطعة
ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام
اذ حضره الموت اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم
به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم

اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله اباءك ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا

لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا
عليه اليهودية فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء ولكن الوجه ان تكون
ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء
اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على
التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وقرئ حضر
بكسر الضاد وهي لغة ما تعبدون اي اي شيء تعبدون وما عام في كل شيء فاذا علم فرق بما ومن
وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولي العلم وحدهم ويجوز
ان يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير
ذلك من الصفات وابرهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لآبائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة
آبائه لان العم اب والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه
قوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في
العباس هذا بقية آبائي وقال ردوا علي ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف
بعروة بن مسعود وقرأ ابي واله ابرهيم بطرح آبائك وقرئ ابيك وفيه وجهان ان يكون
واحدا وابرهيم وحده عطف بيان له وان يكون جمعا بالواو والنون قال وفديننا بالابينا
الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة او على الاختصاص اي نريد
باله آبائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الهاء اليه في له
ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد وان يكون جملة اعتراضية مؤكدة اي ومن حالنا
انا له مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي
ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان
او متأخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك
انهم افتخروا بآبائهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه يا بني هاشم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني
بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا ينفعكم حسناتهم بل ملة
ابرهيم بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته كقول عدي بن حاتم اني من دين اي من اهل دين وقيل
بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ ملة ابرهيم بالرفع اي ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل
ملته وحنيفا حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل

وما كان من المشركين قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله

الى دين الحق والحنف الميل في القدمين وتحنف اذا مال وانشد ولكنا خلقنا اذ خلقنا
حنيفا ديننا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم
يدعي اتباع ابرهيم وهو على الشرك قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين
اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابرهيم ويجوز ان يكون
على بل اتبعوا انتم ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول
الله والاسباط حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض
ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه
بمثل ما آمنتم به من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ
غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذن دين آخر يماثل دين الاسلام في كونه حقا حتى
ان آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض
والتقدير اي فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه
ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل
وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فان كان عندك رأي اصوب
منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على
ان ما رأيت لا رأي وراءه ويجوز ان لا تكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت
بالقدوم اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود
بما آمنتم به وقرأ ابي بالذي آمنتم به وان تولوا عما تقولون لهم ولم ينصفوا فانما هم في
شقاق اي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء او وان تولوا عن الشهادة
والدخول في الايمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسول الله عليهم وقد انجز وعده
بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين
وهو السميع العليم وعيد لهم اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم
عليه او وعد لرسول الله يعني يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو
مستجيب لك وموصلك الى مرادك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما
انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها
الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون

ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون

اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك
قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا آمنا وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل
صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ
صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان
تريد رجلا يصطنع الكرام ومن احسن من الله صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من
اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته وقوله ونحن له عابدون عطف على آمنا بالله وهذا
العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة
الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر مؤكد
هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام قرا زيد بن ثابت اتحاجونا بادغام النون والمعنى
اتجادلوننا في شان الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد لانزل
علينا وترونكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في انا عباده وهو ربنا
وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده فهم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي
اذا كان اهلا للكرامة لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما ان
لكم اعمالا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك ثم قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو
سبب الكرامة اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته
بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان تكون النبوة فينا لانا اهل كتاب والعرب عبدة اوثان ام
تقولون يحتمل فيمن قرا بالتاء ان تكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة
في حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان
تكون منقطعة بمعنى بل اتقولون والهمزة للانكار ايضا وفيمن قرا بالياء لا تكون الا منقطعة قل
ءانتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم شهادة الله التي عنده انه شهد
بها وهي شهادته لابرهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم
كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا
نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة
من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله

سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها

سيقول السفهاء الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون
النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه
ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم فان قلت اي فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه
قلت فائدته ان مفاجاة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا
وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم واردّ لشغبه
وقبل الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم وهي بيت المقدس لله المشرق والمغرب
اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها يهدي من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما توجبه
الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة وكذلك جعلناكم
ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء
ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله عليه السلام انطوا الثبجة يريد
الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط الظهر الا انه الحق تاء التانيث مراعاة
لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط
محمية محوطة ومنه قول الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا
وقد اكتريت بمكة جمل اعرابي للحج فقال اعطني من سطاتهنه اراد من خيار الدنانير او عدولا
لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا شهداء على الناس روي
ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا
وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون
علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه فيسال
عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك
على هؤلاء شهيدا فان قلت هلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم قلت لما كان الشهيد
كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد
كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا
يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم فان قلت
لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا قلت لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم
على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة

الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم

انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول الله صلى الله عليه كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي تجب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضايعة عن ابن عباس لما وجه رسول الله الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرا ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقرا

قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض

اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان تكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام والاصل وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن مصفرا اناملة تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشية الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه قال واطعن بالقوم شطر الملوك وترا اي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قدم النبي صلى الله عليه المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون انه الحق اي التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله انه يصلي الى القبلتين وقرئ بالياء والتاء ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل آية بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر عز وجل عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق

منهم لا يرتد عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده
وقوله ولئن اتبعت أهواءهم بعد الإفصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما أنت
بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان
والإحاطة بحقيقة الأمر إنك إذا لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة
تحذير واستفظاع لحال من ترك الدليل بعد إنارته واتبع الهوى وتهييج وإلهاب للثبات
على الحق فإن قلت كيف قال وما أنت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت
كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة يعرفونه
يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين
المشخص كما يعرفون أبناءهم لا يشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل
عبد الله بن سلام عن رسول الله فقال أنا أعلم به مني بابني قال ولم قال لأني لست أشك في
محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه وجاز الإضمار وإن لم يسبق له
ذكر لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه
لشهرته وكونه علما معلوما بغير إعلام وقيل الضمير للعلم أو القرآن أو تحويل القبلة وقوله كما
يعرفون أبناءهم يشهد للأول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام فإن قلت لم اختص
الأبناء قلت لأن الذكور أشهر وأعرف وهم لصحبة الآباء ألزم وبقلوبهم ألصق وإن فريقا
منهم استثناء لمن آمن منهم أو لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الحق من
ربك يحتمل أن يكون الحق خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق ومبتدأ خبره من ربك وفيه وجهان
أن يكون اللام للعهد والإشارة إلى الحق الذي عليه رسول الله أو إلى الحق الذي في قوله ليكتمون
الحق أي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وأن يكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره
يعني أن الحق ما ثبت أنه من الله كالذي أنت عليه وما لم يثبت أنه من الله كالذي عليه أهل الكتاب
فهو الباطل فإن قلت إذا جعلت الحق خبر مبتدأ فما محل من ربك قلت يجوز أن يكون
خبرا بعد خبر وأن يكون حالا وقرأ علي رضي الله عنه الحق من ربك على الإبدال من الأول أي
يكتمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم أو في أنه من ربك
ولكل من أهل الأديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة أبي ولكل قبلة هو موليها هو موليها
وجهه فحذف أحد المفعولين وقيل هو لله تعالى أي الله موليها إياه وقرئ ولكل وجهة على

الإضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت
ولزيد أبوه ضاربه وقرأ ابن عامر هو مولاها أي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل أمة
قبلة تتوجه إليها منكم ومن غيركم فاستبقوا أنتم الخيرات واستبقوا إليها غيركم من أمر
القبلة وغيره ومعنى آخر وهو أن يراد ولكل منكم يا أمة محمد وجهة أي جهة يصلي إليها جنوبية
أو شمالية أو شرقية أو غربية فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا للجزاء من موافق
ومخالف لا تعجزونه ويجوز أن يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة
للكعبة وإن اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم
كأنها إلى جهة واحدة فكأنكم تصلون حاضري المسجد الحرام ومن حيث خرجت ومن أي بلد خرجت
للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام إذا صليت وإنه وإن هذا المأمور به وقرئ تعملون بالتاء
والياء وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده لأن النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل
الشيطان والحاجة إلى الفصل بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولأنه
نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها إلا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه
لئلا يكون حجة لأحد من اليهود إلا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلا
إلى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء فإن قلت أي حجة كانت تكون
للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين قلت كانوا
يقولون ما له لا يحول إلى قبلة أبيه إبراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة فإن قلت
كيف أطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت لأنهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز أن يكون المعنى
لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم و
إسمعيل أبي العرب إلا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون بدا له فرجع إلى قبلة آبائه و
يوشك أن يرجع إلى دينهم وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه ألا الذين ظلموا منهم على أن ألا للتنبيه
ووقف على حجة ثم استأنف منبها فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فإنهم لا يضرونكم
واخشوني فلا تخالفوا أمري وما رأيته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولأتم
النعمة عليكم وإرادتي اهتداءكم أمرتكم بذلك أو يعطف على علة مقدرة كأنه قيل واخشوني
لأوفقكم ولأتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول
الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الإسلام كما أرسلنا إما أن يتعلق بما قبله

أي ولأتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول أو بما بعده
أي كما ذكرتكم بإرسال الرسول فاذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب واشكروا لي ما أنعمت به
عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائي أموات بل أحياء هم أموات بل هم أحياء ولكن لا تشعرون
كيف حالهم في حياتهم وعن الحسن أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل
إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل إليهم
الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز أن يجمع الله
من أجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل إليها النعيم وإن كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في
شهداء بدر وكانوا أربعة عشر ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك إصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم
هل تصبرون وتثبتون على ما أنتم عليه من الطاعة وتسلمون لأمر الله وحكمه أم لا بشيء بقليل
من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء لأن الاسترجاع
تسليم وإذعان وعن النبي صلى الله عليه من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته
وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي أنه طفئ سراج رسول الله فقال إنا
لله وإنا إليه راجعون فقيل أمصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وإنما قلل
في قوله بشيء ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جل ففوقه ما يقل إليه وليخفف عليهم ويريهم
أن رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وإنما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص
عطف على شيء أو على الخوف بمعنى وشيء من نقص الأموال والخطاب في وبشر لرسول الله أو لكل من
تتأتى منه البشارة وعن الشافعي رضي الله عنه رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان
والنقص من الأموال الزكوات والصدقات ومن الأنفس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد
وعن النبي صلى الله عليه إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي
فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون
حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد والصلوة الحنو
والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رأفة ورحمة رؤوف
رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة أي رحمة وأولئك هم المهتدون لطريق الصواب
حيث استرجعوا وسلموا لأمر الله الصفا والمروة علمان لجبلين كالصمان والمقطم والشعائر
جمع شعيرة وهي العلامة أي من أعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار الزيارة

فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الأعيان وأصل
يطوف يتطوف فأدغم وقرئ أن يطوف من طاف فإن قلت كيف قيل إنهما من شعائر الله ثم قيل
لا جناح عليه أن يطوف بهما قلت كان على الصفا إساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى
أنهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا
من دون الله وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان كره المسلمون
الطواف بينهما لأجل فعل الجاهلية وأن لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف
في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح
عليهما أن يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن أنس وابن عباس
وابن الزبير وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما وعن أبي حنيفة أنه واجب
وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الأولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي رضي الله عنهما هو ركن لقوله عليه
السلام اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فأدغم وفي قراءة عبد الله
ومن يتطوع بخير إن الذين يكتمون من أحبار اليهود ما أنزلنا في التوراة من البينات من الآيات
الشاهدة على أمر محمد صلى الله عليه والهدى والهداية بوصفه إلى اتباعه والإيمان به من بعد ما
بيناه ولخصناه للناس في الكتاب في التوراة لم ندع فيه موضع إشكال ولا اشتباه على أحد منهم
فعمدوا إلى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
الذين يتأتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وأصلحوا ما أفسدوا من أحوالهم وتداركوا
ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه أو بينوا للناس ما أحدثوه من توبتهم ليمحوا
سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين إن الذين
كفروا يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتا وقرئ الحسن
والملائكة والناس أجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لأنه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب
زيد وعمرو تريد من أن ضرب زيد وعمرو كأنه قيل أولئك عليهم أن لعنهم الله والملائكة فإن قلت
ما معنى قوله والناس أجمعين وفي الناس المسلم والكافر قلت أراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون
وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار إلا أنها أضمرت تفخيما لشأنها
وتهويلا ولا هم ينظرون من الإنظار أي لا يمهلون ولا يؤجلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا
ينظر إليهم نظر رحمة إله واحد فرد في الإلهية لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غيره إلها ولا إله إلا هو

في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها
والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا
الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا

تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته الرحمن الرحيم المولي لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شيء
سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة
وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك
فنزلت ان في خلق السموات واختلاف الليل والنهار واعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الآخر
كقوله جعل الليل والنهار خلفة بما ينفع الناس بالذي ينفعهم مما تحمل فيها او بنفع الناس فان قلت
قوله وبث فيها عطف على انزل ام احيا قلت الظاهر انه عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة
لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد فكانه قيل
وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا على معنى فاحيا بالمطر
الارض وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح
في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقما
ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية
الله يمطر حيث شاء لآيات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلائل
على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي لم
يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد اندادا امثالا
من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على اوامرهم ونواهيهم
واستدل بقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم
تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول
وانما استغني عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم
لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن اندادهم الى
الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة
الاهها من حيس عام المجاعة الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد اي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم
العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون اندادهم ويعلمون شدة
عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم

ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم
بخارجين من النار يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون

والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رأيت
فلانا والسياط تاخذه وقرئ ولو ترى على خطاب الرسول او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا
عظيما وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة اذ تبرأ بدل
من اذ يرون العذاب اي تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرأ مجاهد الاول على البناء للفاعل
والثاني على البناء للمفعول اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب الواو للحال اي تبرءوا في حال
رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرأ والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين
واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم لو في معنى التمني ولذلك
اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء
الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات اي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل ارى ومعناه ان اعمالهم
تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين هم بمنزلته في قوله هم
يفترشون اللبد كل طمرة في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص حلالا
مفعول كلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا
في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بماكول وقرئ
خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطوات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كانها على
الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي
الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه
اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا خفاء به انما يأمركم بيان لوجوب الانتهاء
عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يأمركم بخير قط انما يأمركم بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يجاوز
الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز
عليه فان قلت كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه
وبعثه على الشر بامر الآمر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم
له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله
وقال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان يطيعها فيعطيها ما اشتهت لهم الضمير للناس
وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول

واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم

للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجيب معناه ايتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم اباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون أهم على حق ام باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضان قال الاخطل ٥ فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا ٥ واما نعق الغراب فبالغين المعجمة صم هم صم وهو رفع على الذم من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه يقول الله تعالى اني والجن والانس في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري قرئ حرّم على البناء للفاعل وحُرّم على البناء للمفعول وحرُم بوزن كرم اهل به لغير الله اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فان قلت في الميتة ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه احلت لي ميتتان ودمان قلت قصد ما يتفاهمه الناس ويتعادونه في العادة الا ترى ان القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة وقال الله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فان قلت

ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب

فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه شحيم في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال ٥ اكلت دما ان لم ارعك بضرة ٥ وقال ٥ يأكلن كل ليلة اكافا ٥ اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه به بكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فأي شيء صبرهم يقال اصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا اصل معنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي انه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمعناه ما اصبرك على عذاب الله ذلك بان الله نزل اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير لفي شقاق بعيد يعني ان اولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسروا على ان يكفروا البر اسم للخير ولكل فعل مرضي ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حول رسول الله الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه بر من امن وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرأ عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتأكيد كقولك ليس المنطلق بزيد

ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى

ولكن البر من آمن بالله على تأويل حذف المضاف اى بر من آمن او بتأويل البر بمعنى ذي البر
او كما قالت فإنما هي إقبال وإدبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح
الباء وقرئ ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله
او القرآن على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه أن تؤتيه وانت صحيح
شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا
وقيل على حب الله وقيل على حب الإيتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه وقدم ذوي
القربى لأنهم أحق قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لأنها
صدقة وصلة وقال أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وأطلق ذوي القربى واليتامى
والمراد الفقراء منهم لعدم الالتباس والمسكين الدائم السكون الى الناس لأنه لا شيء له كالمسكير
للدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص
القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لأن السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول
الله صلى الله عليه للسائل حق وإن جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين
حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب وإعتاقها وقيل في فك الأسارى فإن قلت
قد ذكر إيتاء المال في هذه الوجوه ثم قفاه بإيتاء الزكوة فهل دل ذلك على أن في المال حقا سوى الزكوة
قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي إن في المال حقا سوى الزكاة وتلا هذه الآية ويحتمل أن يكون
ذلك بيان مصارف الزكاة أو يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكاة
كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكاة والموفون عطف على من آمن
وأخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح إظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن
القتال على سائر الأعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والبأساء الفقر و
الشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين عن عمر بن عبد العزيز
والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي رضي الله عنهما أن الحر لا يقتل بالعبد
والذكر لا يقتل بالأنثى أخذا بهذه الآية ويقولون هي مفسرة لما أبهم في قوله النفس بالنفس ولأن
تلك واردة لحكاية ما كتب في التوراة على أهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها
وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه
أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر والذكر والأنثى ويستدلون

فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان

بقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم وبأن التفاضل غير معتبر في الأنفس بدليل أن جماعة
لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء في الجاهلية وكان لأحدهما
طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى
رسول الله حين جاء الله بالإسلام فنزلت وأمرهم أن يتباوؤا فمن عفي له من أخيه شيء معناه فمن عفي
له من جهة أخيه شيء من العفو على أنه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح أن
يكون شيء في معنى المفعول به لأن عفا لا يتعدى الى مفعول به إلا بواسطة وأخوه هو ولي المقتول
وقيل له أخوه لأنه لابسه من قبل أنه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا
لمن بينه وبينه أدنى ملابسة أو ذكره بلفظ الأخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو
ثابت بينهما من الجنسية والإسلام فإن قلت إن عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي
له قلت يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى
عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فإذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول
غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كأنه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغني
عن ذكر الجناية فإن قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به قلت لأن
عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن أعفاه ومنه قوله عليه السلام وأعفوا اللحى فإن قلت
فقد ثبت قولهم عفا أثره إذا محاه وأزاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من أخيه شيء قلت
عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة
واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى أخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا
العلم يجترئ إذا أعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا
تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها فإن قلت لم قيل شيء من العفو قلت للإشعار بأنه إذا عفي
له طرف من العفو وبعض منه بأن يعفى عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط
القصاص ولم تجب إلا الدية فاتباع بالمعروف فليكن اتباع أو فالأمر اتباع وهذه توصية للمعفو
عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بأن لا يعنف به ولا يطالبه إلا مطالبة جميلة
وليؤد اليه القاتل بدل الدم أداء بإحسان بأن لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو
والدية تخفيف من ربكم ورحمة لأن أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو وأخذ
الدية وعلى أهل الإنجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الأمة بين الثلث القصاص

ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون كتب عليكم اذا حضر احدكم
الموت ان ترك خيرا الوصية

والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له
من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله
الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة
العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذه
الدية ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت
للحياة وقد جعل مكانا وظرفا للحياة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة
لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون
بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير
قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة اي
حياة او نوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من
القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود
فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم
القتل والقصاص وقيل القصص القرآن اي لكم في القرآن حياة للقلوب كقوله روحا من امرنا
ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ
النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب
له فضل اختصاص بالائمة اذا حضر احدكم الموت اذا دنا منه وظهرت اماراته خيرا
مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت
ما ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلثة آلاف قالت كم عيالك قال
اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه
ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس
لك مال والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في
قوله فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت بآية المواريث
وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وتلقي الامة اياه
بالقبول حتى لحق بالمتواتر وان كان من الآحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي
صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين وقيل ما لا يخالفه

للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم
فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر

لآية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين من
قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير
ما اوصى به الله لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني
ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله فمن غيره
من الاوصياء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فانما اثمه
على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي
والموصى له لانهما بريا من الحيف ان الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف فمن توقع وعلم وهذا
في كلامهم شائع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى
العلم جنفا ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية او اثما او تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى
لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله
تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم
كما كتب على الذين من قبلكم على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم قال علي رضي الله عنه
اولهم آدم يعني ان الصوم عبادة قديمة اصلية ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم
يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها او لعلكم
تتقون المعاصي لان الصائم اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلام فعليه
بالصوم فان الصوم وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل
معناه انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان
فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد
والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين
يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات عاشوراء او ثلثة ايام من كل شهر كتب
على رسول الله صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا
المفطر بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام الآية
ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة واصله ان
المال القليل يقدر بالعدد ويحثى والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما
بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة او على سفر او راكب سفر فعدة فعليه عدة وقوى

فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون

بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مرض لان الله تعالى لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وقائل هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي رضي الله عنه لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات **فان قلت** كيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات **قلت** لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤثر عدد على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرأ ابن عباس يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تديّر المكان وما بها ديّار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع اخير له او الخير وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا وفي قراءة ابي والصيام خير لكم الرمضان مصدر رمض

شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر

اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت **فان قلت** لم سمي شهر رمضان **قلت** الصوم فيه عبادة قديمة فكأنهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر **فان قلت** فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله عليه السلام من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له **قلت** هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال بما اعيا النطاسي حذيما اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدا خبره الذي انزل فيه القرآن او على انه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما معدودات او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القرآن ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول انزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات نصب على الحال اي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل **فان قلت** ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس **قلت** ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى الله به وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة وقرئ اليسر والعسر بضمتين الفعل المعلل محذوف مدلول

ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي
وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم

شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي الى تبينه الا النقاب المحدث من علماء البيان وانما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة ان تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد **فان قلت** هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا **قلت** لا يبعد ذلك والاول اوجه **فان قلت** ما المراد بالتكبير **قلت** تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال فاني قريب تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من ساله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله عليه السلام هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث اي احل الله وقرا عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكني به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك **فان قلت** لم كني عنه هاهنا

هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط
الابيض من الخيط الاسود من الفجر

بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن **قلت** استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم **فان قلت** لم عدي الرفث بالى **قلت** لتضمينه معنى الافضاء لما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا **فان قلت** ما موقع قوله هن لباس لكم **قلت** هو استئناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن تختانون انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لانه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وقرا ابن عباس واتبعوا وقرا الاعمش واتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود **قال** ابو دواد فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفي به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله **فان قلت** اهذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه **قلت** قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها **فان قلت** فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة **قلت** لان من شرط المستعار ان يدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من ان يكون استعارة **فان قلت** فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود

الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون

فجعلتهما تحت وسادي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من الاسود
فلما اصبحت غدوت الى رسول الله فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا وروي انك
لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل قلت غفل عن البيان ولذلك عرض رسول
الله صلى الله عليه قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشدني بعض
البدو وتابه لبدوي عريض القفا ميزانه في شماله قد انحص من حسب القراريط شاربه
فان قلت فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال
اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال يأكل
ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز
تأخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد اذ ليس باستعارة لفقد الدلالة
ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذن الا الحقيقة وهي غير مراده قلت اما من
لا يجوز تأخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلم يصح عندهم
هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب
ويعزم على فعله اذا استوضح المراد به ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل على جواز
النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال عاكفون
في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة
الجماع لما تقدم من قوله احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالآن باشروهن وقيل
معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس او قبل فانزل
وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله عن
ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في مسجد وانه لا يختص به مسجد دون
مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلثة وقيل في مسجد جامع والعامة
على انه في مسجد جماعة وقرأ مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا
تقربوها فلا تغشوها فان قلت كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن
يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق
فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي
هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف

ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت
للناس والحج وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون

فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول
الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه
ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا تأكلوا بعضكم مال بعض بالباطل
بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام لتأكلوا
بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان
المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل
بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا يأخذن
منه شيئا فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا
ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه
الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون
انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبها احق بالتوبيخ روي ان معاذ بن
جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم
يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حالة واحدة فنزلت
مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد
نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من
الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب
نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف
الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر بر من اتقى ما حرم الله فان قلت
ما وجه اتصاله بما قبله قلت كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها
وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله عز وعلا لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده
فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها
برا او يجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم
في الحج ويجوز ان يكون هذا مثلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت
ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر
بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال وأتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور

وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون
الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين

من وجوهها التي يجب ان نباشر عليها ولا نحكموا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب
على ان جميع افعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسال
عنه لما في السوال من الاتهام فهو بمفاد قوله الشان لا يسال عما يفعل وهم يسالون المقاتلة في
سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال
دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس هي اول
آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم
القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان او النساء او الكفرة
كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا
وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل
فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضا خاف المسلمون ان لا يفي لهم قريش ويصدوهم
ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم
في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال من
نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجاة
من غير دعوة حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود على وجه الاخذ
والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف
فليس الى خلود ۞ من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله بمن لم يسلم منهم يوم الفتح و
الفتنة اشد من القتل اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل
وقيل لبعض الحكما ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن
من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل ۞ لقتل بحد السيف اهون موقعا
على النفس من قتل بحد فراق ۞ وقيل الفتنة عذاب الاخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك
اعظم من القتل في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين
فقيل والشرك الذي هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز ان يراد وفتنتهم اياكم بصدكم
عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم
وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال
قتلنا بنو فلان وقال ۞ فان تقتلونا نقتلكم ۞ فان انتهوا عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا

المناجزة في الحرب المبارزة والمقاتلة والمحاجزة المانعة في القتل المحاجزة قبل المناجزة

ناصبه الحرب ناصبة

سبب النزول

الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين وانفقوا
في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله

يغفر لهم ما قد سلف حتى لا يكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه
نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعتدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين
عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين
سمي جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان
تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدوا عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية
في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك
في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون
حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص وكل حرمة يجري فيها القصاص
من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا
بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم الباء في بايديكم
مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها آخذة
بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك
فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك
او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاستقتال والاخطار بالنفس
او عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو
فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري نحن اعلم بهذه الآية وانما
انزلت فينا صحبنا رسول الله فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا
واولادنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا واولادنا
واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد وحكى
ابو علي في الحلبيات عن ابي عبيدة ان التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم
التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان التنضبة والتتفلة ويجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة
والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من هلك فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار واتموا
الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان
يقع منكم فيهما قال تمام الحج ان تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام جعل الوقوف عليها

فان احصرتم فما استيسر من الهدي

كبعض مناسك الحج الذي لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل ان يكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والاغراض الدنيوية **فان قلت** هل فيه دليل على وجوب العمرة **قلت** ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين او تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان تقول الامر باتمامهما امر بادائهما بدليل قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب في اصله الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روي انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع **فان قلت** فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج **قلت** كونهما قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينته في الوجوب واما حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلاة والدليل الذي ذكرنا اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال في انك تامره بفرض وتطوع وقرأ علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فان احصرتم يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى الذين احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة

وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول

وحصر اذا حبسه عدو عن المضي او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صده واصده وكذلك قال الفراء وابو عمرو الشيباني وعليه قول ابي حنيفة رحمه الله كل منع عنده من عدو كان او مرض او غيرهما معتبر في اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعي رضي الله عنهما منع العدو وحده وعن النبي صلى الله عليه من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب

٧٠

ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم

والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج جدي وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي يعني فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير او بقرة او شاة **فان قلت** اين ومتى ينحر هدي المحصر **قلت** ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة رحمه الله يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امار وعندهما في ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعا ما استيسر رفع بالابتداء اي فعليه ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا الخطاب للمحصرين اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب ابي حنيفة رحمه الله **فان قلت** فان النبي صلى الله عليه نحر هديه حيث احصر **قلت** كان محصره طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة فمن كان منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه وهو القمل او الجراحة فعليه اذا احتلق فدية من صيام ثلثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه قال له لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق راسك وصم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول في نزلت هذه الاية وروي انه مر به وقد قرح راسه فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرأ الحسن او نسك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار يعني فاذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع اي استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي هو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة وياكل منه وعند الشافعي رضي الله عنه يجري مجرى الجنايات ولا ياكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بحجته فمن لم يجد الهدي فعليه صيام ثلثة ايام في الحج اي في وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزه الا الدم وعند الشافعي رضي الله عنه لا يصام الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم بمعنى اذا نفرتم وفرغتم من

تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب الحج أشهر معلومات

أفعال الحج عند أبي حنيفة وعند الشافعي رضي الله عنه هو الرجوع إلى أهاليهم وقرأ ابن أبي عبلة وسبعة
بالنصب عطفا على محل ثلاثة أيام كأنه قيل فصيام ثلاثة أيام كقوله أو إطعام في يوم ذي مسغبة
يتيما فإن قلت ما فائدة الفذلكة قلت الواو قد تجيء للإباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن
سيرين ألا ترى أنه لو جالسهما جميعا أو واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الإباحة
وأيضا ففائدة الفذلكة في كل حساب أن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين
فيتأكد العلم وفي أمثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تأكيد آخر وفيه زيادة توصية
بصيامها وأن لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل إذا كان لك اهتمام بأمر تأمره
به وكان منك بمنزل الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي وفي قراءة أبي فصيام
ثلاثة أيام متتابعات ذلك إشارة إلى التمتع عند أبي حنيفة وأصحابه لا متعة ولا قران لحاضري
المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم أو قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه وأما القارن
والمتمتع من أهل الآفاق فدمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعي رضي الله عنه إشارة إلى الحكم
الذي هو وجوب الهدي أو الصيام ولم يوجب عليهم شيئا وحاضرو المسجد الحرام أهل المواقيت
فمن دونها إلى مكة عند أبي حنيفة وعنده أهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة تقصر فيها الصلاة
واتقوا الله في المحافظة على حدوده وما أمركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا أن الله شديد
العقاب لمن خالفه ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى وقت الحج أشهر كقولك البرد شهران
والأشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند أبي حنيفة وعند الشافعي رضي الله عنه
تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله فإن قلت ما فائدة توقيت الحج بهذه
الأشهر قلت فائدته أن شيئا من أفعال الحج لا يصح إلا فيها والإحرام بالحج لا ينعقد أيضا عند
الشافعي رضي الله عنه في غيرها وعند أبي حنيفة ينعقد إلا أنه مكروه فإن قلت فكيف كان الشهران وبعض
الثالث أشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما
فلا سؤال فيه إذن وإنما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلاثة أشهر معلومات وقيل نزل بعض
الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا أو على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة أو أكثر وإنما
رآه في ساعة منها فإن قلت ما وجه مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير قلت
قالوا وجهه أن العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكأنها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة
وعن عمر أنه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن ابن عمر أنه قال لرجل إن

فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم

أطعتني انتظرت حتى إذا أهللت المحرم خرجت إلى ذات عرق فأهللت منها بعمرة وقالوا العلة
من مذهب عروة جواز تأخير طواف الزيارة إلى آخر الشهر معلومات معروفات
عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه أن الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه وإنما جاء
مقررا له فمن فرض فيهن الحج فمن ألزم نفسه بالتلبية أو بتقليد الهدي وسوقه عند أبي
حنيفة وعند الشافعي رضي الله عنه بالنية فلا رفث فلا جماع لأنه يفسده أو فلا فحش من الكلام
ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالألقاب ولا جدال
ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وإنما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل
حال لأنه مع الحج أسمج كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب
انتفائها وأنها حقيقة بأن لا تكون وقرئ المنفيات الثلاث بالنصب والرفع وقرأ أبو عمرو
وابن كثير الأولين بالرفع والآخر بالنصب لأنهما حملا الأولين على معنى النهي كأنه قيل فلا يكونن
رفث ولا فسوق والثالث على معنى الإخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج
وذلك أن قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة
وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد إلى وقت واحد ورد الوقوف
إلى عرفة فأخبر الله أنه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على أن المنهي عنه هو الرفث
والفسوق دون الجدال بقوله عليه السلام من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته
أمه وأنه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر
وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال
الوفاق والأخلاق الجميلة أو جعل فعل الخير عبارة عن ضبط أنفسهم حتى لا يوجد منهم ما
نهوا عنه وينصره قوله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى أي اجعلوا زادكم إلى الآخرة
اتقاء القبائح فإن خير الزاد اتقاؤها وقيل كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون
ونحن نحج بيت الله أفلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا
الاستطعام وإبرام الناس والتثقيل عليهم فإن خير الزاد التقوى واتقون وخافوا
عقابي يا أولي الألباب يعني أن قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الألباء فكأنه لا لب له
فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتأثمون
أن يتجروا أيام الحج وإذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج

فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام

بالتجارة الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكرى في هذا الوجه وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وقرا ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا اي في ان تبتغوا افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه صب في دقران وهو نحرش بعيره بالمحجن ويقال افاضوا في الحديث وهضبوا فيه وعرفات علم للموقف سمي بجمع كاذرعات فان قلت هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف والتانيث قلت لا يخلو التانيث اما ان يكون بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا تقدر تاء التانيث في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التانيث فابت تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابرهيم عليه السلم فلما ابصرها عرفها وقيل ان جبريل كان يدور به في المشاعر اراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحوا فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف في اسماء الاجناس الا ان تكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبي صلى الله عليه الحج عرفة لمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلاة المغرب والعشاء والمشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله عند المشعر الحرام معناه مما

واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا

يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم للعبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنه انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان آدم اجتمع فيها مع حوا وازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلوتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها كما هداكم ما مصدرية او كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تاتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احداهما صواب والثانية خطا وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث افاض الناس بكسر السين اي الناسي وهو آدم من قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في موضع نصب عطف على آباءكم بمعنى او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اعراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين

آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من طلب
خلاق وهو النصيب او لهذا الداعي في الآخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا والحسنتان
ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من
الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحور وعذاب
النار امرأة السوء اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا اي نصيب من جنس ما كسبوا
من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله مما خطاياهم
اغرقوا او لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم
في الآخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز
ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب
يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه
بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر
منه روي انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة
الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار
وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق
وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل في النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين
بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة
اوفق لقوله ومن تأخر كما هي كذلك في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل
لاجل المتأني في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو اليوم الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤوس
واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه ويروى
عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث
والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي رضي الله عنه لا يجوز
فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتأخر جميعا قلت دلالة على ان التعجل والتأخر
مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تأخروا فان قلت اليس التأخر بافضل قلت بلى ويجوز ان يقع
التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل
ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن

بنفي المأثم عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر لاجل الحاج المتقي
لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه آثام في الاقدام عليه لان ذا التقوى
حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبأ
بكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من
سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله ومن يعجبك قوله اي يروقك ويعظم في قلبك
ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي
رسول الله الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق وقيل هو
عام في المنافقين كانت تحلولي السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت بم يتعلق قوله في
الحيوة الدنيا قلت بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل
يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما يراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة
للرسول فكلامه اذن في الدنيا لا في الآخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح في
الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن
له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد
على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف ابي ويستشهد الله وهو الد
الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم
ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت
الغدر او جعل الخصام الدا على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو
اشد الخصوم خصومة واذا تولى واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق
سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة
السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه
القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل
والرفع للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو ابى يابى وروي عنه ويهلك على
البناء للمفعول اخذته العزة بالاثم من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه
اي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه وان
لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ يشري نفسه يبيعها اي يبذلها في الجهاد

وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب بن سنان أراده المشركون
على ترك الإسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم أنا شيخ كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت
عليكم لم أضركم فخلوني وما أنا عليه وخذوا مالي فقبلوا ماله وأتى المدينة والله رؤوف
بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء. السلم بكسر السين وفتحها وقرأ الأعمش بفتح
السين واللام وهو الاستسلام والطاعة أي استسلموا لله وأطيعوه كافة لا يخرج أحد منكم
يده عن طاعته وقيل هو الإسلام والخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم أو
للمنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم ويجوز أن يكون كافة حالا من السلم لأنها تؤنث كما تؤنث الحرب قال
السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع على أن المؤمنين أمروا
بأن يدخلوا في الطاعات كلها وأن لا يدخلوا في طاعة دون طاعة أو في شعب الإسلام وشرائعه
كلها وأن لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام أنه استأذن رسول الله أن يقيم على السبت
وأن يقرأ من التوراة في صلاته من الليل وكافة من الكف كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم
فإن زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات أي الحجج والشواهد على أن ما دعيتم
إلى الدخول فيه هو الحق فاعلموا أن الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم
إلا بحق وروي أن قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه أعرابي فأنكره ولم يقرأ القرآن وقال إن
كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه وقرأ
أبو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت إتيان الله إتيان أمره وبأسه
كقوله أو يأتي أمر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز أن يكون المأتي به محذوفا بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه
أو بنقمته للدلالة عليه بقوله فإن الله عزيز في ظلل من الغمام جمع ظلة وهي ما أظلك وقرئ
ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال أو جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون إلا
أن تأتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل أو على الغمام فإن قلت لم يأتيهم العذاب في الغمام
قلت لأن الغمام مظنة الرحمة فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول لأن الشر
إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر فكيف إذا
جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث
يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم
يكونوا يحتسبون وقضي الأمر وأتم أمر إهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرأ معاذ بن جبل
رضي الله عنه

وقضاء الأمر على المصدر والمرفوع عطفا على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول
بالتأنيث والتذكير فيهما سل أمر للرسول أو لكل أحد وهذا السؤال سؤال تقريع كما يسأل الكفرة
يوم القيامة كم آتيناهم من آية بينة على أيدي أنبيائهم وهي معجزاتهم أو من آية في الكتب شاهدة على
صحة دين الإسلام ونعمة الله آياته وهي أجل نعمة من الله لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة
وتبديلهم إياها أن الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم
رجسا إلى رجسهم أو حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه فإن قلت كم استفهامية
أم خبرية قلت تحتمل الأمرين ومعنى الاستفهام فيها للتقرير فإن قلت ما معنى من بعد ما جاءته
قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها أو عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لأنه
إذا لم يتمكن من معرفتها أو لم يعرفها فكأنها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف المزين هو
الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في أعينهم بوساوسه وحببها إليهم فلا يريدون غيرها
ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها وأحبوها أو جعل إمهال المزين
تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحياة الدنيا على البناء للفاعل ويسخرون
من الذين آمنوا كان الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب
وغيرهم أي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها والذين اتقوا
فوقهم يوم القيامة لأنهم في عليين من السماء وهم في سجين من الأرض أو حالهم عالية لحالهم لأنهم في
كرامة وهم في هوان أو هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما تطاول هؤلاء عليهم في الدنيا
ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب
بغير تقدير يعني أنه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه
التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان
أولياؤه المؤمنون أحق بها منكم فإن قلت لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا قلت
ليريك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا ذلك كان
الناس أمة واحدة متفقين على دين الإسلام فبعث الله النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله
وإنما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس
أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله عز وعلا وما كان الناس إلا أمة واحدة
فاختلفوا وقيل كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والأول الوجه

وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا
لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء
وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى
والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم

فان قلت متى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق قلت عن ابن عباس انه كان بين آدم
ونوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة
وانزل معهم الكتاب يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل
عليه فيما اختلفوا فيه في الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف
فيه في الحق الا الذين اوتوه الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اي ازدادوا
الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه
بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم من الحق بيان لما اختلفوا
فيه فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها
للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين
بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من
المشركين واهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي
ابلغ ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك
متوقع منتظر مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم بيان للمثل وهو استيناف
كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا
شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول الى الغاية التي قال
الرسول ومن معه فيها متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه
طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي الامر في الشدة
وتماديه في العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم
يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب
على ارادة القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب
على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل
حتى يجيء البعير يجر بطنه الا انها حال ماضية محكية فان قلت كيف طابق الجواب السؤال
في قوله قل ما انفقتم وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف قلت
قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان
المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها
طريق المصنع

كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه
قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا

وعن ابن عباس انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا
واين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكاة وعن الحسن هي في التطوع وهو كره
لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا ثم اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر
موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له
واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وقرأ السلمي بالفتح على ان
يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كأنهم اكرهوا
عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعلى قوله
وعسى ان تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم ما
يصلحكم وما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على سرية
في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي
وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم
من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف
ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما
نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله
الغنيمة والمعنى يسألك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر
وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرأ عكرمة
قتل فيه قل قتل فيه كبير اي اثم كبير وعن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل
للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل انها منسوخة
بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدأ واكبر خبره يعني وكبائر قريش
من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله
والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن
والفتنة الاخراج او الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز ان يعطف على الهاء في به
ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم
عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم
وان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه

ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم يسألونك عن الخمر والميسر

لا يظفر به ومن يرتدد منكم ومن يرجع عن دينه إلى دينهم ويطاوعهم على رده إليه فيمت على الردة فأولئك
حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة لما يفوتهم بإحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الإسلام
وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة وبها احتج الشافعي رضي الله عنه على أن الردة لا تحبط
الأعمال حتى يموت عليها وعند أبي حنيفة أنها تحبطها وإن رجع مسلماً إن الذين آمنوا والذين هاجروا
روي أن عبد الله بن جحش وأصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم
أجر فنزلت أولئك يرجون رحمة الله عن قتادة هؤلاء خيار هذه الأمة ثم جعلهم الله أهل رجاء
كما تسمعون وأنه من رجا طلب ومن خاف هرب نزلت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات
النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم إن عمر ومعاذاً
ونفراً من الصحابة قالوا يا رسول الله أفتنا في الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما
إثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناساً منهم فشربوا
وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم
سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوماً فيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا
وتناشدوا حتى أنشد سعد شعراً فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه موضحة
فشكا إلى رسول الله فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل
أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها
منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه وعن ابن عمر لو أدخلت
أصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو الإيمان حقاً هم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد
وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فإن طبخ
حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر إذا
لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند أبي حنيفة وعن بعض أصحابه لأن أقول مراراً هو حلال أحب
إلي من أن أقول مرة هو حرام ولأن أخر من السماء فأتقطع قطعاً أحب إلي من أن أتناول منه
قطرة وعند أكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما أسكر من كل شراب وسميت خمراً لتغطيتها
العقل والتمييز كما سميت سكراً لأنها تسكرهما أي تحجزهما وكأنها سميت بالمصدر من خمره خمراً
إذا ستره للمبالغة والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته
إذا قمرته واشتقاقه من اليسر لأنه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب أو من اليسار

قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة

لأنه سلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله قال
أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم أي يفعلون بي ما يفعل الياسرون بالمقسور فإن قلت كيف صفة
الميسر قلت كانت لهم عشرة أقداح وهي الأزلام والأقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس
والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من
جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين إلا الثلاثة وهي المنيح والسفيح
والوغد ولبعضهم لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح وأساميهن وغد وسفيح ومنيح
للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى
سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده
فيخرج باسم رجل رجل قدحاً منها فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب الموسوم
به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئاً وغرم ثمن الجزور كله وكانوا
يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل
فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله
عليه إياكم وهاتين الكعبتين المشؤومتين فإنهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه أن النرد والشطرنج
من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل قوله
قل فيهما إثم كبير وإثمهما وعقاب الإثم في تعاطيهما أكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر
والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما إلى مصادقات الفتيان ومعاشراتهم والنيل من مطاعمهم
ومشاربهم وأعطياتهم وسلب الأموال بالقمار والافتخار على الأبرام وقرئ إثم كثير بالثاء
وفي قراءة أبي وإثمهما أقرب ومعنى الكثرة أن أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام
من وجوه كثيرة العفو نقيض الجهد وهو أن ينفق ما لا يبلغ إنفاقه منه الجهد واستفراغ
الوسع قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ويقال للأرض السهلة العفو وقرئ بالرفع
والنصب وعن النبي صلى الله عليه أن رجلاً أتاه ببيضة من ذهب أصابها في بعض المغازي
فقال خذها مني صدقة فأعرض عنه رسول الله فأتاه من الجانب الأيمن فقال مثله فأعرض
عنه ثم أتاه من الجانب الأيسر فأعرض عنه فقال هاتها مغضباً فأخذها فحذفه بها حذفاً
لو أصابه لشجه أو عقره ثم قال يجيء أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس إنما
الصدقة عن ظهر غنى في الدنيا والآخرة إما أن يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون في

ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم اولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة

فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو اصلح لكم كما بينت لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقة او
تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما
اكبر من نفعهما ليتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا يختاروا النفع العاجل
على النجاة من العقاب العظيم واما ان يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما
يتعلق بهما لعلكم تتفكرون لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم
وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج
فقيل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان
تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حمل
المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح اي لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح
فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم
على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرأ طاوس قل اصلاح اليهم ومعناه
ايصال الصلاح اليهم وقرئ لعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك فلا اثم عليه ان
الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما تتسع فيه طاقتهم
ولا تنكحوا وقرئ بضم التاء اي لا تتزوجوهن او ولا تزوجوهن والمشركات الحربيات والآية ثابتة
وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون وهي منسوخة بقوله
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول
ابن عباس والاوزاعي وروي ان رسول الله صلى الله عليه بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة
ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال
ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله فاستامره
فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن
لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان
المؤمنة خير منها مع ذلك اولئك اشارة الى المشركات والمشركين يدعون الى الكفر فحقهم
ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناسبة والقتال والله يدعوا الى الجنة
يعني واولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم

باذنه ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن
من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم

ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي تستحق به الجنة والمغفرة
وقرأ الحسن والمغفرة باذنه بالرفع اي والمغفرة حاصلة بتيسيره المحيض مصدر يقال حاضت محيضا
كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة
له فاعتزلوا النساء فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن روي ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة
لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت
اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد
والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال
عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم
وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء
فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف يوجبان
اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث
عائشة ان عبد الله بن عمر سألها هل يباشر الرجل امرأته وهي حائض فقالت تشد ازارها على سفلتها
ثم ليباشرها ان شاء وما روى زيد بن اسلم ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه ما يحل لي من امرأتي وهي
حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شأنك باعلاها ثم قال وهذا قول ابي حنيفة وقد جاء ما هو ارخص
من هذا عن عائشة انها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك وقرئ يطهرن بالتشديد
اي يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقرأ عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر
الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة الى ان
له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل
او يمضي عليها وقت صلاة وذهب الشافعي رضي الله عنه الى انه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فتجمع بين
الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم الله من المأتى الذي امركم الله به
وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من
ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش او ان الله يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم
بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل
واتيان ما ليس بمباح وغير ذلك حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها
لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور وقوله فأتوا حرثكم انى شئتم تمثيل اي

فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون
جهة والمعنى جامعوهن من أي شق أردتم بعد أن يكون المأتى واحدًا وهو موضع الحرث وقوله هو
أذى فاعتزلوا النساء من حيث أمركم الله فأتوا حرثكم أنى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات
المستحسنة وهذه وأشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها
ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي أن اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهي مجبية
من دبرها في قبلها كان ولدها أحول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه فقال كذبت اليهود ونزلت
وقدموا لأنفسكم ما يجب تقديمه من الأعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه وقيل هو طلب
الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي واعلموا أنكم ملاقوه فتزودوا
ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات فإن قلت
ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من
حيث أمركم الله يعني أن المأتى الذي أمركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرًا وإزالة للشبهة
ودلالة على أن الغرض الأصلي في الإتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن إلا من المأتى
الذي يتعلق به هذا الغرض فإن قلت ما بال يسألونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثًا
قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الأول وقع في أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لأن كل
واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الأخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كأنه
قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الإنفاق والسؤال عن كذا وكذا العرضة فعلة بمعنى
مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الإناء فيعترض دونه
ويصير حاجزًا ومانعًا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة أيضًا المعرض للأمر قال
فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الآية على الأولى أن الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم
أو إصلاح ذات بين أو إحسان إلى أحد أو عبادة ثم يقول أخاف الله أن أحنث في يميني فيترك
البر إرادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أي حاجزًا لما حلفتم عليه وسمي
المحلوف عليه يمينًا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه لعبد الرحمن بن سمرة إذا حلفت على يمين
فرأيت غيرها خيرًا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك أي على شيء مما تحلف عليه وقوله أن
تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لأيمانكم أي للأمور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى
والإصلاح بين الناس فإن قلت بم تتعلق اللام في لأيمانكم قلت بالفعل أي ولا تجعلوا الله

أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم

لأيمانكم برزخًا وحجازًا ويجوز أن يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئًا يعترض
البر من اعترضني كذا ويجوز أن يكون اللام للتعليل ويتعلق أن تبروا بالفعل أو بالعرضة أي ولا
تجعلوا الله لأجل أيمانكم به عرضة لأن تبروا ومعناها على الأخرى ولا تجعلوا الله معرضًا لأيمانكم
فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من أنزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين بأشنع المذام وجعل
الحلاف مقدمتها وأن تبروا علة للنهي أي إرادة أن تبروا وتتقوا وتصلحوا لأن الحلاف مجترئ
على الله غير معظم له فلا يكون برًا متقيًا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطتهم وإصلاح
ذات بينهم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية
من أولاد الإبل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الأيمان وهو الذي لا عقد
معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند
أبي حنيفة وأصحابه هو أن يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي رضي الله عنه
هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد
منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لأنكر ذلك ولعله قال لا والله ألف مرة وفيه معنيان
أحدهما لا يؤاخذكم أي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه أحدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت
قلوبكم أي اقترفته من إثم القصد إلى الكذب في اليمين وهو أن يحلف على ما يعلم أنه خلاف ما
يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم أي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد
معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم أي بما نوت قلوبكم وقصدت من الأيمان ولم يكن
كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في أيمانكم قرأ عبد الله
آلوا من نسائهم وقرأ ابن عباس يقسمون من نسائهم فإن قلت كيف عدي بمن وهو معدى
بعلى قلت قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد كأنه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين
أو مقسمين ويجوز أن يراد لهم من نسائهم تربص أربعة أشهر كقولك لي منك كذا والإيلاء من
المرأة أن يقول والله لا أقربك أربعة أشهر فصاعدًا على التقييد بالأشهر أو لا أقربك على
الإطلاق ولا يكون فيما دون أربعة أشهر إلا ما يحكى عن إبراهيم النخعي وحكم ذلك أنه إذا فاء
إليها في المدة بالوطء إن أمكنه أو بالقول إن عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة
اليمين ولا كفارة على العاجز وإن مضت الأربعة بانت بتطليقة عند أبي حنيفة وعند
الشافعي رضي الله عنه لا يصح الإيلاء إلا في أكثر من أربعة أشهر ثم يوقف المولى فإما أن يفيء وإما أن يطلق

فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون
جهة والمعنى جامعوهن من أي شق أردتم بعد أن يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو
أذى فاعتزلوا النساء من حيث أمركم الله فأتوا حرثكم أنى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات
المستحسنة وهذه وأشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها
ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي أن اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهي مجبية
من دبرها في قبلها كان ولدها أحول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه فقال كذبت اليهود ونزلت
وقدموا لأنفسكم ما يجب تقديمه من الأعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه وقيل هو طلب
الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي واعلموا أنكم ملاقوه فتزودوا
ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات **فإن قلت**
ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله **قلت** موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من
حيث أمركم الله يعني أن المأتى الذي أمركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا أو إزالة للشبهة
ودلالة على أن الغرض الأصلي في الإتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن إلا من المأتى
الذي يتعلق به هذا الغرض **فإن قلت** ما بال يسألونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا
قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الأول وقع في أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لأن كل
واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الأخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كأنه
قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الإنفاق والسؤال عن كذا وكذا العرضة فعلة بمعنى
مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الإناء فيعترض دونه
ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة أيضا المعرض للأمر **قال**
فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الآية على الأولى أن الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم
أو إصلاح ذات بين أو إحسان إلى أحد أو عبادة ثم يقول أخاف الله أن أحنث في يميني فيترك
البر إرادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي
المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه لعبد الرحمن بن سمرة إذا حلفت على يمين
فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك أي على شيء مما يحلف عليه وقوله أن
تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لأيمانكم أي للأمور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى
والإصلاح بين الناس **فإن قلت** بم تتعلق اللام في لأيمانكم **قلت** بالفعل أي ولا تجعلوا الله

أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم

لأيمانكم برزخا وحجازا ويجوز أن يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض
البر من اعترضني كذا ويجوز أن يكون اللام للتعليل ويتعلق أن تبروا بالفعل أو بالعرضة أي ولا
تجعلوا الله لأجل أيمانكم به عرضة لأن تبروا ومعناها على الأخرى ولا تجعلوا الله معرضا لأيمانكم
فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من أنزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين بأشنع المذام وجعل
الحلاف مقدمتها وأن تبروا علة للنهي أي إرادة أن تبروا وتتقوا وتصلحوا لأن الحلاف مجترئ
على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطتهم وإصلاح
ذات بينهم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية
من أولاد الإبل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الأيمان وهو الذي لا عقد
معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند
أبي حنيفة وأصحابه هو أن يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي رضي الله عنه
هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد
منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لأنكر ذلك ولعله قال لا والله ألف مرة وفيه معنيان
أحد [illegible] بما كسبت
قلوبكم [illegible] خلاف ما
بقوله و [illegible] الذي لا
معه ولكن [illegible] ولم يكن
كسبت الله [illegible] بأيمانكم فقرأ عبد الله
آلوا من [illegible] **قلت** [illegible] كيف عدي بمن وهو معدى ب
على **قلت** قد [illegible] كأنه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين
أو مقسمين ويجوز أن يراد [illegible] من أربعة أشهر كقولك لي منك كذا والإيلاء من
المرأة أن يقول والله لا أقربك أربعة أشهر فصاعدا على التقييد بالأشهر أو لا أقربك على
الإطلاق ولا يكون فيما دون أربعة أشهر إلا ما يحكى عن إبراهيم النخعي وحكم ذلك أنه إذا فاء
إليها في المدة بالوطء إن أمكنه أو بالقول إن عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة
اليمين ولا كفارة على العاجز وإن مضت الأربعة بانت بتطليقة عند أبي حنيفة وعند
الشافعي رضي الله عنه لا يصح الإيلاء إلا في أكثر من أربعة أشهر ثم يوقف المولى فإما أن يفيء وإما أن يطلق

قوله معناه ومن طيبات ما رزقناكم لا خفاء في أن الجواب لا يطابق ظاهر السؤال وجوابه لم لم يترك
كلمة من لتكون ما أوجبنا عطفا على ما كسبتم بناء على أنه أقرب وأنسب فيشمل الطيب عليهما جميعا
فجوابه المطابق بيان النكتة وهي أن في إعادة حرف الجر الدلالة على استقلال كل من الإنفاق
فتكرار من يفيد تعدد الإنفاق كما ذكر في قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم مع حصول الدلالة
على شمول الطيب بتقدير المضاف بناء على قرينة سابقة ومعهود في الطيبات ولا حقه وهي النهي
عن تيمم الخبيث لكنه يطابق جميع الجواب كما لا يخفى وأما أن يحمل الطيب على الحلال لا الجيد
دلالة عليه لا تعلق الإنفاق من المخرج واجب جيدا كان أو رديا فلا يكون [illegible]
المضاف فجيء بكلمة من لذلك لا بالعكس إذا كان الأمر للوجوب [illegible]
التجارة والجيد والردي فيه أيضا سواء [illegible]

وإن ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاؤا فان فاؤا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاؤا
فيهن فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب
وان كان يجوز ان يكون على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة
التي هي مثل التوبة وان عزموا الطلاق فتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع عليم وعيد على
اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي رح معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضي المدة
فان قلت كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص قلت موقع صحيح لان قوله فان
فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا
نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول فان قلت ما تقول
في قوله فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت الغالب ان العازم للطلاق
وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها
بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات اراد المدخول بهن
من ذوات الاقراء فان قلت كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم قلت بل اللفظ
مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في احد ما يصلح له كالاسم المشترك فان قلت فما معنى
الاخبار عنهن بالتربص قلت هو خبر في معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج
الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن
امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة
الخبر ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدا مما زاده ايضا فضل
تاكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة فان قلت هلا قيل يتربصن ثلثة قروء
كما قيل تربص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس قلت في ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة
بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان يتربصن وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن
ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء او قرء وهو الحيض
بدليل قوله عليه الصلاة والسلام دعي الصلاة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان
ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر فاقام
الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصلي في العدة استبراء الرحم والحيض
هو الذي يستبرا به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ويقال اقرات

المراة اذا حاضت وامراة مقرئ وقال ابو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقرئها
اى تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء فان قلت فما تقول فى قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن
والطلاق الشرعى انما هو فى الطهر قلت معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لثلاث بقين
من الشهر تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث فان قلت فما تقول فى قول الاعشى
لما ضاع فيها من قروء نسائكا قلت اراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القرء عندهم
فى الاعتداد بهن اى من مدة طويلة كالمدة التى تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته
عن اهله كل عام لاقتحامه فى الحروب والغارات وانه يمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة
لا يضاجعن فيها او اراد من اوقات نسائك فان القرء والقارئ جاء فى معنى الوقت ولم يرد
لا حيضا ولا طهرا فان قلت فعلام انتصب ثلاثة قروء قلت على انه مفعول به كقولك
المحتكر يتربص الغلاء اى يتربصن مضى ثلثة قروء او على انه ظرف اى يتربصن مدة ثلثة قروء
فان قلت لم جاء المميز على جمع دون القلة التى هى الاقراء قلت يتسعون فى ذلك فيستعملون
كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما فى الجمعية الا ترى الى قوله بانفسهن وما هى الا نفوس
كثيرة ولعل القروء كانت اكثر استعمالا فى جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال
منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلثة شسوع وقرا الزهرى ثلاثة قرو بغير همز ما خلق الله
فى ارحامهن من الولد او من دم الحيض وذلك اذا ارادت المراة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا
ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهى
حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ويجوز ان يراد اللاتى يبغين اسقاط ما فى بطونهن من
الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما فى ارحامهن كناية عن اسقاطه ان كن
يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم
والبعول جمع بعل والتاء لاحقة لتانيث الجمع كما فى الحزونة والسهولة ويجوز ان يراد بالبعولة
المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعنى واهل بعولتهن احق بردهن برجعتهن وفى قراءة ابى
بردتهن فى ذلك فى مدة ذلك التربص فان قلت كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء
حقا فيها قلت المعنى ان الرجل ان اراد الرجعة وابتها المراة وجب ايثار قوله على
قولها وكان هو احق منها لا ان لها حقا فى الرجعة ان ارادوا بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن
واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذى عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال

وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا

مثل الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال درجة زيادة في الحق وفضيلة فيل المراة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون بين ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلاث فامساك بمعروف اي برجعة او تسريح باحسان اي بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي ان سائلا سال رسول الله صلى الله عليه اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وعند ابي حنيفة واصحابه الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر ان رسول الله قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعي رضي الله عنه لا باس بارسال الثلاث لحديث العجلاني الذي لاعن امراته فطلقها ثلثا بين يدي رسول الله فلم ينكر عليه روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في الاسلام فان قلت لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم ان لا يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام فهولاء ليسوا باخذين منهن ولا موتيهن قلت يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج وآخره للائمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره وان يكون الخطاب كله للائمة

الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره

والحكام لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والموتون مما آتيتموهن مما اعطيتموهن من الصدقات الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فيما افتدت به فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم وروي ان امراة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رضي الله عنه فاباتها في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت مذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان ياخذ منها شيئا وقرى الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال ان لا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا وتعضده قراءة عبد الله الا ان تخافوا وفي قراءة ابي الا ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون يريد واظن فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المراة كما يسند الى الرجل كالتزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روى عروة عن عائشة رضي الله عنها ان امراة رفاعة جاءت الى النبي صلى الله عليه فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله فاتت ابا بكر رضي الله عنه فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها فان قلت فما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل قلت ذهب سفيان والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم الى انه غير جائز وهو جائز عند ابي حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبي صلى الله عليه انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما

فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون ۝ واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا ايات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم ۝ واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن

وعن عثمان رضي الله عنه لا الا نكاح رغبة غير مدالسة فان طلقها الزوج الثاني ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان كان في ظنهما انهما يقيما حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله ومن فسر الظن هنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل وكذلك الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية وقال اذا انتهى امده ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وانما شارف ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن باحسان واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق المراة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن وقيل لتلجئوهن الى الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا والا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا عن النبي صلى الله عليه ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد عليه السلم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما انزل عليكم فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن اما ان يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما ان يخاطب به الاولياء في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وانشد لابن هرمة

اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون والوالدات يرضعن
اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف

وان قضائي ذلك فاصطنعني عقائل قد عضلن عن النكاح / وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن
الشافعي رضي الله عنه رحمه الله دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين اذا تراضوا اذا تراضى
الخطاب والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي
حنيفة انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فللاولياء ان يعترضوا فان قلت لمن الخطاب في
قوله ذلك يوعظ به قلت يجوز ان يكون لرسول الله ولكل احد ونحوه ذلك خير لكم واطهر ذلكم ازكى
لكم واطهر من ادناس الآثام وقيل ازكى واطهر افضل واطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء
والطهر وانتم لا تعلمونه او والله يعلم ما تستصلحون به من الاحكام والشرائع وانتم تجهلونه
يرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لانه
مما يتسامح فيه فتقول اقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما وقرأ ابن عباس ان يكمل الرضاعة
وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وان تتم الرضاعة وان يتم الرضاعة برفع الفعل
تشبيها لان بما لتآخيهما في التاويل فان قلت كيف اتصل قوله لمن اراد بما قبله قلت هو
بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالى هيت لك لك بيان للمهيت به اي هذا الحكم لمن اراد اتمام
الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم انزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة
اراد انه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد ان لا يكون في الفطام
ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اي يرضعن حولين
لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان
يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز
استئجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة من نكاح وعند الشافعي رضي الله عنه
يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق فان قلت فما بال الوالدات مأمورات بان يرضعن
اولادهن قلت اما ان يكون امرا على وجه الندب واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي
الا ثدي امه او لم توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستئجار وقيل اراد الوالدات المطلقات
وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله
في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب عليهم فان قلت لم قيل المولود له دون الوالد قلت
ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للآباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وانشد
للمأمون بن الرشيد ه فانما امهات الناس اوعية مستودعات وللآباء ابناء ه فكان عليهم اي

لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك

يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا تجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يجب به وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء او تضارر بفتحها وقرئ لا تضار بالفتح اكثر القراء وقرأ الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبنائين ايضا ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها وقرأ ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نواه ابو جعفر او اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شان الولد وان تقول بعد ما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعنى تضر وان يكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعد ما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد **فان قلت** كيف قيل بولدها وبولده **قلت** لما نهيت المرأة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن ابي ليلى كل من ورثه وعند ابي حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي نفسه وانه ان

فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير

مات ابوه وورثه وجب عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعها وقيل على الوارث على الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا فان ارادا فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها احق بالتربية وهي اعلم بحال الصبي وقرئ فان ارادا استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعها الصبي فتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده مأتيا اي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من اهنأ ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشان الصبي واحتياطا في امره فامر بايتائه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا ادّيتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن والذين يتوفون منكم على تقدير حذف المضاف اراد وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلي رضي الله عنه على ان امره بان يضع كتابا في النحو تناقضه هذه القراءة يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما فاذا بلغن اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو

ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا

منكرة كان على الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح فيما عرضتم به هو ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل علي ابو جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال اوقد فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة فان قلت اي فرق بين الكناية والتعريض قلت الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما يريده او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فان قلت اين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن قلت هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى ولا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تأبدا ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا فان قلت بم تعلق حرف الاستثناء قلت بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة او لا تواعدوهن الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث ولا افحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا اي في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب

ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا

منكرة كان على الائمة ان ينكروهن وان فرطوا كان عليهم الجناح فيما عرضتم به هو ان يقول لها انك
لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك
من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول
اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته
قالت دخل علي ابو جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله وحق جدي علي
وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال او قد فعلت انما
اخبرتك بقرابتي من رسول الله وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه على ام سلمة وكانت عند
ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير
في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة **فان قلت** اي فرق بين الكناية والتعريض
قلت الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء
لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا
وحسبك بالتسليم مني تقاضيا ه وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح
لانه يلوح منه ما يريده او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم
لا معرضين ولا مصرحين علم الله
ولا تصبرون عنه وفيه طرف
ابن المستدرك بقوله ولكن لا تو
علم الله انكم ستذكرونهن فاذكر
هو الوطء لانه مما يسر **قال** ا
ثم عبر به عن النكاح الذي هو ال
وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا **فان**
لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة او لا تواعدوهن الا بان تقولوا
اي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن
الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها ان نكاحك كان كيت وكيت يريد ما يجري
بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث وافحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن
سرا اي في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب

ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح

بما يستحيا من المجاهرة به وعن ابن عباس الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان يتواثقا ان لا تتزوج
غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي
عن عقد النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهى عنه كان عن الفعل انهى ومعناه
ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع
بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب
اجله يعني ما كتب وفرض من العدة يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه
غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ان طلقتم النساء
ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى
تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان سمي لها مهر فلها نصف
المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر
قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي
ثمة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب الحال عند ابي حنيفة الا ان يكون مهر مثلها اقل من
ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم
فلا ينقص من نصفها والموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره مقداره الذي يطيقه
لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدْر والقدَر لغتان وعن النبي صلى الله
عليه انه قال لرجل من الانصار تزوج امراة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال
لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعند اصحابنا رحمهم الله لا تجب المتعة الا لهذه وحدها
وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب متاعا تاكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي
يحسن في الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين
على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام من قتل قتيلا
فله سلبه الا ان يعفون يريد المطلقات **فان قلت** اي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء
يعفون **قلت** الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون
ضميرهن والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب ويعفو عطف على محله والذي
بيده عقدة النكاح الولي يعني الا ان تعفو المطلقات عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر
وتقول المراة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا او يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن

وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين

ومو مذهب الشافعي رضي الله عنه وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر كاملا وهو مذهب ابي حنيفة والاول اظهر لصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها قال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل ولا تنسوا الفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض وتتمروا اولا تستقصوا وقرا الحسن او يعفو الذي بسكون الواو واسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما اختاها وقرا ابو نهيك وان يعفوا بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو والصلاة الوسطى اي الوسطى بين الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر وعن النبي صلى الله عليه انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلاة التي شغل عنها سليمن بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى املها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه يقرأها فاملت عليه والصلاة الوسطى صلاة العصر وروي عن عائشة وابن عباس والصلاة الوسطى وصلاة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلاتين احدهما الصلاة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله يصليها بالهاجرة ولم تكن صلاة اشد على اصحابه منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل وعن قبيصة بن ذؤيب هي المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص في السفر من ثلاث وقرا عبد الله وعلى الصلاة الوسطى وقرات عائشة والصلاة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرا نافع الوصطى وقوموا لله في الصلاة قانتين ذاكرين الله في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلاة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي والبصر وروي انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلاة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا فان خفتم

فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون

فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام او رجل يقال رجل رجل اي راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند ابي حنيفة لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي رضي الله عنه يصلون في كل حال والراكب يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلاة الامن او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن تقديره فيمن قرا وصية بالرفع ووصية الذين يتوفون او وحكم الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم وفيمن قرا بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية كقولك انما انت سير البريد باضمار تسير او والزم الذين يتوفون وصية ويدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقرا ابي متاع لازواجهم متاعا وروي عنه فمتاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة ابي متاعا نصب بمتاع لانه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين واعجبني ضربك زيدا ضربا شديدا وغير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى لهن فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا فان قلت كيف نسخت الآية المتقدمة المتاخرة قلت قد تكون الآية متقدمة في التلاوة وهي متاخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء وللمطلقات متاع عمم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعدما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على المتقين كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناول التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين

ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون
وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبصط واليه ترجعون
الم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله

وتعجيب من شانهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى
التعجب روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم
الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد
زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما راى فاوحي
اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله
الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا من الموت فاماتهم الله
ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة
وقيل ثلثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير الوف متالفون جمع آلف كقاعد وقعود
فان قلت ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا قلت معناه فاماتهم وانما جيء به على هذه
العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن
العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله انما امره اذا اراد
شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا
لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم
ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر اولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم او لذو فضل على الناس
حيث احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على انه ساق
هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله واعلموا ان الله سميع يسمع
ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء اقراض الله مثل لتقديم
العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض الحسن اما المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله
اضعافا كثيرة قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله والله يقبض
ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة واليه
ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا انهض
للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رايه وننتهي الى امره طلبوا من نبيهم نحو ما كان
يفعل رسول الله صلى الله عليه من التامير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته
وامتثال اوامره وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم نقاتل
قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال

قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا
الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة
من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم

او استيناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على
الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا وخبر عسيتم ان لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى هل
قاربتم ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا
بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام
التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه كقوله تعالى هل اتى على الانسان معناه
التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة وما لنا ان لا نقاتل واي داع لنا الى ترك
القتال واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وذلك ان قوم جالوت كانوا
يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين
الا قليلا منهم قيل كان القليل منهم ثلثمائة وثلثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين
وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود
وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا انه من الطول لما وصف به من البسطة في
الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت منه اصله طولوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان
يكون منه الا ان يقال هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشمالاها رحمانا
رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة
لكونه عبرانيا انى كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له فان قلت ما الفرق
بين الواوين في ونحن احق ولم يؤت قلت الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة
الواقعة حالا قد انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا
يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما
قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن
طالوت من احد السبطين ولانه كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين
طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله
اصطفاه عليكم يريد ان الله هو الذي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض
على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة
والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات
وبغيرها وقيل قد اوحي اليه ونبئ وذلك ان الملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرى

وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين

غير مستفيع به وان يكون جسيما بين العين جهارة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب و
البسطة السعة والامتداد وروي ان الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه. يؤتي ملكه
من يشاء اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك والله واسع الفضل
والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه للملك. التابوت
صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا
يفرون والسكينة السكون والطمانينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت
لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون
معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه
الانسان وفيها ريح هفافة وبقية هي رضاض الالواح وعصى موسى وثيابه وشيء من التوراة
وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك آية لاصطفاء
الله طالوت وقيل كان مع موسى ومع انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل
غلبهم عليه الكفار فكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت اصابهم ببلاء حتى
هلكت خمس مدائن فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة
الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وقرأ
أبي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار فان قلت ما وزن التابوت قلت لا
يخلو من ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلته نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير
معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع
فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه
من مودعاته واما من قرأ بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في
الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التأنيث وقرأ ابو السمال سكينة بفتح السين
والتشديد وهو غريب وقرئ يحمله بالياء فان قلت من آل موسى وآل هرون قلت الانبياء
من بني يعقوب بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان اولاد يعقوب
آلهما ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شأنهما فصل عن موضع كذا اذا
انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي
كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما

فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم
فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين

والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا
تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع
اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله لهم نهرا
فقال ان الله مبتليكم بما اقترحتم من النهر فمن شرب منه فمن ابتدأ شربه من النهر بان كرع فيه
فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما
ويجوز ان يراد فليس من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه
طعم الشيء لمذاقه قال: وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا. الا ترى كيف عطف عليه البرد
وهو النوم ويقال ما ذقت غماضا ونحوه من الابتلاء ما ابتلي به اهل ايلة من ترك الصيد
مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي
وان كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون فان قلت مم استثني قوله
الا من اغترف قلت من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة الا
انها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون
ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا منه اي
فكرعوا فيه الا قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ ابي
والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل
يطيعوه الا
لم يبق من
الذين آمنوا
ه واتقوه
ق اليقين
يظنون
هم القليل الذين ثبتوا معه كانهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر اولئك عذرهم في الانخزال
ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين
شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق
بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل وثبت اقدامنا وهب لنا ما نثبت به في مداحض

فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم
فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله
والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين

والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي أنه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا
تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا أبتغي إلا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع
إليه ممن اختار ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا أن يجري الله لهم نهرا
فقال إن الله مبتليكم بما اقترحتم من النهر فمن شرب منه فمن ابتدأ شربه من النهر بأن كرع فيه
فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كأنه بعضه لاختلاطهما واتحادهما
ويجوز أن يراد فليس من جملتي وأشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء إذا ذاقه ومنه
طعم الشيء لمذاقه قال ❊ وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا ❊ ألا ترى كيف عطف عليه البرد
وهو النوم ويقال ما ذقت غماضا ونحو هذا الابتلاء ما ابتلي به أهل أيلة من ترك الصيد
مع إتيان الحيتان شرعا بل هو أشد منه وأصعب وإنما عرف ذلك طالوت بإخبار من النبي
وإن كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون فإن قلت مم استثني قوله
إلا من اغترف قلت من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة إلا
أنها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون
ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا منه أي
فكرعوا فيه إلا قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ أبي
والأعمش إلا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والإعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل
من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل فلم يطيعوه إلا
قليل منهم ونحوه قول الفرزدق ❊ لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلف ❊ كأنه قال لم يبق من
المال إلا مسحت أو مجلف وقيل لم يبق مع طالوت إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا والذين آمنوا
يعني القليل قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين أعينهم لقاء الله والقنوط
والذين تيقنوا أنهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين
ونصوع البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون
هم القليل الذين ثبتوا معه كأنهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر أولئك عذرهم في الانخزال
ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به وروي أن الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وإداوته والذين
شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة من أولاد عمليق
بن عاد وكانت بيضته فيها ثلاثمائة رطل وثبت أقدامنا وهب لنا ما نثبت به في مداحض

فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا

الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحى الى اشمويل ان داود بن ايشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب وآتاه الله الملك في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة والنبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين او لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل اهل الارض تلك آيات الله يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله فضلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلم وقرئ كلم الله بالنصب وقرا اليماني كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد محمدا صلى الله عليه لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى الف آية واكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الافعال فيكون افخم من التصريح به وانوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة

ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره ويجوز ان يريد ابرهيم ومحمدًا وغيرهما من اولي العزم من الرسل وعن ابن عباس كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبيا فذكرنا نوحًا بطول عبادته وابرهيم بخلته وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السما وقلنا رسول الله افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وهو خاتم الانبيا فدخل فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد يكون خيرًا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة ولم يهم بها

فان قلت فلم خص موسى وعيسى من بين الانبيا بالذكر قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد اوتيا ما اوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي اوتي منها ما لم يوت احد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين ولو شا الله مشيئة الجا وقسر ما اقتتل الذين من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضًا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبيا ومنهم من كفر لاعراضه عنه ولو شا الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة انفقوا مما رزقناكم اراد الانفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا فيه ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعًا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة ثم في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكاة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع ٥ الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفنا وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي

وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

اي لا ياخذه نعاس ولا نوم وهو تاكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيومًا ومنه حديث موسى انه سال الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية اينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ثلاثًا ولا يتركوه ينام

له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم

ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوءتين فأخذهما وألقى الله عليه النعاس فضرب أحداهما على الأخرى
فانكسرتا ثم أوحى إليه قل لهؤلاء إني أمسك السموات والأرض بقدرتي فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا
من ذا الذي يشفع عنده بيان لملكوته وكبريائه وأن أحدا لا يتمالك أن يتكلم يوم القيمة إلا إذا أذن
له في الكلام كقوله لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون
بعدهم والضمير لما في السموات والأرض لأن فيهم العقلاء أو لما دل عليه من ذا من الملائكة والأنبياء. من
علمه من معلوماته إلا بما شاء إلا بما علم. الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله
وسع كرسيه أربعة أوجه أحدها أن كرسيه لم يضق عن السموات والأرض لبسطته وسعته
وما هو إلا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثم ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله
حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة
وطي ويمين وإنما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسي ألا ترى إلى قوله وما قدروا الله حق قدره
والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث وسع ملكه
تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي أنه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دونه
السموات والأرض وهو إلى العرش كأصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش ولا يؤده ولا يثقله
ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والأرض وهو العلي الشأن العظيم الملك والقدرة فإن قلت
كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف قلت ما منها جملة إلا وهي واردة على سبيل
البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين
العصا ولحائها فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية
لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبر شأنه والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم
المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها أو لجلاله وعظم قدره
فإن قلت لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله عليه السلم ما قرئت هذه الآية
في دار إلا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة يا علي
علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على
أعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة
إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على
نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله وتذاكر الصحابة أفضل ما في القرآن فقال لهم علي أين أنتم

لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين
آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك

عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا
فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور
وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي
قلت لما فضلت له سورة الإخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته
العظمى ولا مذكور أعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان أفضل من سائر الأذكار وبهذا يعلم أن
أشرف العلوم وأعلاها منزلة عند الله علم أهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة أعدائه
فإن العرانين تلقاها محسدة. لا إكراه في الدين أي لم يجر الله أمر الإيمان على الإجبار والقسر
ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره
الناس حتى يكونوا مؤمنين أي لو شاء لقسرهم على الإيمان ولكنه لم يفعل وبنى الأمر على الاختيار
قد تبين الرشد من الغي قد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت فمن
اختار الكفر بالشيطان أو الأصنام والإيمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق
المحكم المأمون انفصامها أي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد
المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو إخبار
في معنى النهي أي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم وقيل هو في أهل الكتاب خاصة لأنهم حصنوا أنفسهم بأداء الجزية وروي أنه
كان لأنصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله ثم قدما المدينة
فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا إلى رسول الله فقال الأنصاري
يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما. الله ولي الذين آمنوا أي أرادوا
أن يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتأييده من الكفر إلى الإيمان والذين كفروا أي
صمموا على الكفر أمرهم على عكس ذلك أو الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين إن وقعت
لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين والذين كفروا أولياؤهم
الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم إلى ظلمات الشك والشبهة. ألم تر تعجيب من
محاجة نمرود في الله وكفره به أن آتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين أحدهما حاج لأن آتاه
الله الملك على معنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعتو فحاج لذلك أو على أنه وضع
المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على أن آتاه الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما تقول

اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي
والله لا يهدي القوم الظالمين او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم
لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس

عاداني فلان لأني أحسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لأجل الإحسان ونحوه
قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج وقت أن آتاه الله الملك فإن قلت
كيف جاز أن يؤتي الله الملك الكافر قلت فيه قولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم
والأتباع وأما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده وإذ قال نصب بحاج أو بدل
من أن آتاه إذا جعل بمعنى الوقت أنا أحيي وأميت يريد أعفو عن القتل وأقتل وكان الاعتراض
عتيدا ولكن ابرهيم صلى الله عليه لما سمع جوابه الأحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر
فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته أول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة
وقرئ فبهت الذي كفر أي فغلب ابرهيم الكافر وقرأ ابو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل
كانت هذه المحاجة حين كسر الأصنام وسجنه نمرود ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك
الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت أو كالذي معناه أو أرأيت مثل الذي فحذف
لدلالة ألم تر عليه لأن كلتيهما كلمة تعجيب ويجوز أن يحمل على المعنى دون اللفظ كأنه قيل أرأيت كالذي
حاج ابرهيم أو كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود
في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي أنى يحيي وقيل هو عزير أو الخضر أراد أن يعاين إحياء الموتى
ليزداد بصيرة كما طلبه ابرهيم وقوله أنى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء واستعظام
لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس حين خربه بختنصر وقيل هي التي خرج منها الألوف وهي
خاوية على عروشها تفسيره فيما بعد يوما أو بعض يوم بناء على الظن روي أنه مات ضحى وبعث بعد
مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال
أو بعض يوم وروي أن طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا أو لبنا فوجد التين والعنب
كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة
على الوجهين لأن لامها هاء أو واو وذلك أن الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل أصله يتسنن من
الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز أن يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه
السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كأنه لم يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر
الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرأ أبي لم يسنه بإدغام التاء في السين وانظر الى حمارك
كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز أن يراد وانظر اليه سالما في
مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ

وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم •

طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل
اتى قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فاخذ يهذها هذا عن ظهر
قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ التوراة ظاهرا احد قبل
عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى اولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث
قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام وهي عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب
من احيائهم كيف ننشرها كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم فنشروا
وقرئ بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان
الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم
ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعني امر احياء الموتى وقرأ ابن عباس فلما تبين
له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الامر وقرأ عبد الله قيل اعلم فان قلت فان
كان المار كافرا كيف يسوغ ان يكلمه الله قلت كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك
كافرا ارني بصرني فان قلت كيف قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا قلت
ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى
آمنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال
وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان علم الاستدلال يجوز معه
التشكيك بخلاف العلم الضروري فاراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك
فان قلت بم تعلقت اللام في ليطمئن قلت بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك ارادة طمأنينة
القلب فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن بضم الصاد و
كسرها بمعنى فاملهن واضممهن اليك قال
ولكن اطراف الرماح تصورها قال
وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرأ ابن عباس
فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه نحو ضره يضره ويضره
وعنه فصرهن من التصرية وهو الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا يريد ثم جزئهن وفرق
اجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي ارضك قيل كانت اربعة اجبل
وعن السدي سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات في
طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن فان قلت ما معنى امره بضمها الى نفسه بعد ان يأخذها قلت

ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك
ولذلك قال يأتينك سعيا وروي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها
ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وأن يمسك رؤوسها ثم أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال على كل
جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين بإذن الله فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثا
ثم أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن كل جثة إلى رأسها وقرئ جزءا بضمتين وجزّا بالتشديد ووجهه
أنه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف إجراء للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون
لا بد من حذف مضاف أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله ولكن
الحبة لما كانت سببا أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء ومعنى إنباتها سبع سنابل
أن تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها
ماثلة بين عيني الناظر فإن قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود قلت بل هو موجود
في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الأراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا
المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير فإن قلت هلا قيل سبع سنبلات على
حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر قلت هذا لما قدمت عند قوله تعالى ثلاثة
قروء من وقوع أمثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء أي يضاعف تلك المضاعفة
لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت أحوال المنفقين أو يضاعف سبع المائة ويزيد عليها أضعافها
لمن يستوجب ذلك المن أن يعتد على من أحسن إليه بإحسانه ويريه أنه اصطنعه وأوجب
عليه حقا له وكانوا يقولون إذا اصطنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم وإن امرأ أسدى إلي صنيعة
وذكرنيها مرة للبخيل وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومنّ ومن منع نائله وضن وفيها
طعم الآلاء أحلى من المن وهي أمر من الآلاء مع المن والأذى أن يتطاول عليه بسبب ما أزل إليه ومعنى
ثم إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى وأن تركهما خير من نفس الإنفاق كما جعل
الاستقامة على الإيمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فإن قلت أي فرق بين قوله
لهم أجرهم وقوله فيما بعد فلهم أجرهم قلت الموصول لم يضمن ههنا معنى الشرط وضمنه ثمة و
الفرق بينهما من جهة المعنى أن الفاء فيها دلالة على أن الإنفاق به استحق الأجر وطرحها عار عن
تلك الدلالة قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسؤول
أو ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل أو وعفو من جهة السائل لأنه إذا رده ردا جميلا عذره

خير من صدقة يتبعها أذى وصح الإخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني
لا حاجة به إلى منفق يمن ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له
ثم بالغ في ذلك بما أتبعه كالذي ينفق ماله أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كإبطال المنافق
الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بإنفاقه رضى الله ولا ثواب الآخرة فمثله كمثل صفوان مثله
ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر أملس عليه تراب وقرأ سعيد بن المسيب صفوان
بوزن كروان فأصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا أجرد نقيا من التراب الذي
كان عليه ومنه صلد جبين الأصلع إذا برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء
منثورا ويجوز أن تكون الكاف في محل النصب على الحال أي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي
ينفق فإن قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت أراد بالذي ينفق الجنس
أو الفريق الذي ينفق ولأن من والذي يتعاقبان فكأنه قيل كمن ينفق وتثبيتا من أنفسهم وليثبتوا
منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله أشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى
الإيمان لأن النفس إذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها
وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان إنفاق المال تثبيتا لها على الإيمان واليقين ويجوز
أن يراد وتصديقا للإسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم لأنه إذا أنفق المسلم ماله في سبيل
الله علم أن تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن إخلاص قلبه ومن على التفسير الأول
للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى
حسدا من عند أنفسهم ويحتمل أن يكون المعنى وتثبيتا من أنفسهم عند المؤمنين أنها صادقة الإيمان
مخلصة فيه وتعضده قراءة مجاهد وتبيينا من أنفسهم فإن قلت فما معنى التبعيض قلت
معناه أن من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي
ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكاتها عند
الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لأن الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرا
أصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت أكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل
فإن لم يصبها وابل فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها أو مثل حالهم عند الله بالجنة
على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل
الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية

ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد

عند الله زائدة في زكائهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلاث
واكلها بتسكين الهمزة في ايود للانكار وقرئ له جنات وذرية ضعاف والاعصار الريح
التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها
وجه الله فاذا كان يوم القيمة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من
ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة
وعن عمر رضي الله عنه انه سال عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا
نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب
مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي
حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه
وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه
الدنيا فان قلت كيف قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل
والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية
على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع
التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل
فان قلت علام عطف قوله واصابه الكبر قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه ان يكون
له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت ان يكون كذا ووددت لو كان كذا فحمل العطف
على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر من طيبات ما كسبتم من جياد
مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن وغيرها فان قلت فهلا قيل وما اخرجنا لكم
عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الارض قلت معناه ومن
طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال
الردي منه تنفقون تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال وقرا عبد الله ولا تاموا وقرا
ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء وتيممه وتاممه سواء في معنى قصده ولستم باخذيه وحالكم
انكم لا تاخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه الا بان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه من
قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع اغمض اي لا تستقص كانك لا
تبصر وقال الطرماح ❁ لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض ❁ وقرا

الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير

الزهري تُغمِضوا واغمض وغمض بمعنى وعنه تغمّضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض
وقرا قتادة تُغمَضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا ان
توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن
ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه اي يعدكم في الانفاق الفقر ويقول
لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وقرئ الفُقر بالضم والفَقَر بفتحتين والوعد يستعمل في
الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويامركم بالفحشاء ويغريكم على
البخل ومنع الصدقات اغراء الامر للمامور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق
مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او ثوابا عليه في الاخرة
يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل وقرئ ومن يؤت الحكمة
بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا قرا الاعمش وخيرا كثيرا تنكير تعظيم كانه قال فقد اوتي
اي خير كثير وما يذكر الا اولوا الالباب يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على
العمل بما تضمنت الاي في معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان
او نذرتم من نذر في طاعة الله او في معصيته فان الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما
للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او لا يفون بالنذور او
ينذرون في المعاصي من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ما في نعما نكرة غير
موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرئ بكسر النون وفتحها وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم والمراد
الصدقات المتطوع بها فان الافضل في الفرائض ان يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنه
صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل
من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرائض افضل لنفي التهمة حتى اذا كان
المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره
افضل ونكفر قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدا محذوف اي
ونحن نكفر او على انه جملة من فعل وفاعل مبتداة ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب
الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله او للاخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات
وقرا الحسن بالياء والنصب باضمار ان ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وان يكفر عنكم ليس عليك

ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم
لا تظلمون للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا
وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

هداهم لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والأذى والإنفاق من الخبيث
وغير ذلك وما عليك إلا أن تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء بلطفه من يعلم أن اللطف
ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه وما تنفقوا من خير من مال فلأنفسكم فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا
تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون وليست نفقتكم إلا لابتغاء وجه الله
ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله إلى الله وما تنفقوا
من خير يوف إليكم ثوابه أضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه وأن يكون
على أحسن الوجوه وأجملها وقيل حجت أسماء بنت أبي بكر فأتتها أمها تسألها وهي مشركة فأبت أن
تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي أن
ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الإسلام فلما
أسلموا كرهوا أن ينفعوهم وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف
في الواجب فجوز أبو حنيفة رحمه الله صرف صدقة الفطر إلى أهل الذمة وأباه غيره للفقراء
متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع آيات ويجوز
أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي صدقاتكم للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله هم الذين أحصرهم
الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الأرض للكسب وقيل هم أصحاب الصفة وهم نحو
من أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد
وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها
رسول الله فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا أمسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله
عليه يوما على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا يا أصحاب الصفة
فمن بقي من أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضيا بما فيه فإنه من رفقائي يحسبهم الجاهل بحالهم
أغنياء من التعفف مستغنين من أجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة
الحال والإلحاف الإلحاح وهو اللزوم وأن لا يفارق إلا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه
أي أعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه إن الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض
البذي السائل الملحف ومعناه أنهم إن سألوا سألوا بلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والإلحاف
جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به بالليل والنهار سرا و
علانية يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا

الذين يأكلون الربوا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربوا وأحل الله البيع
من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين
تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن
ابن عباس نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا
وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن أبي هريرة
كان إذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة
وزيدت الألف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون إذا بعثوا من قبورهم إلا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان أي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون أن الشيطان يخبط
الإنسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون
والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا أيضا من زعماتهم وأن الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن
الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب وإنكار ذلك عندهم
كإنكار المشاهدات فإن قلت بم يتعلق قوله من المس قلت بلا يقومون أي لا يقومون من المس
الذي بهم إلا كما يقوم المصروع ويجوز أن يتعلق بيقوم أي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى
أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل
الذين يخرجون من الأجداث يوفضون إلا أكلة الربوا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين
لأنهم أكلوا الربوا فأرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإيفاض ذلك العقاب
بسبب قولهم إنما البيع مثل الربوا فإن قلت هلا قيل إنما الربوا مثل البيع لأن الكلام في الربوا
لا في البيع فوجب أن يقال إنهم شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم أنهم قالوا لو اشترى
الرجل ما لا يساوي إلا درهما بدرهمين جاز فكذلك إذا باع درهما بدرهمين قلت جيء به على
طريقة المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا أنهم جعلوه أصلا وقانونا في الحل
حتى شبهوا به البيع وقوله وأحل الله البيع وحرم الربوا إنكار لتسويتهم بينهما ودلالة على أن
القياس يهدمه النص لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة
فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ
بما مضى منه لأنه أخذ قبل نزول التحريم وأمره إلى الله يحكم في شأنه يوم القيامة وليس من أمره إليكم
شيء فلا تطالبوه به ومن عاد إلى الربوا فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون هذا دليل
بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لأن تأنيثها غير حقيقي ولأنها في معنى الوعظ وقرأ

يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رءوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون

انى والحسن فمن جاءه يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود
الربوا وان كثر الى قل ويربي الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال
الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكاة من مال قط كل كفار
اثيم تغليظ في امر الربوا وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين اخذوا ما شرطوا على
الناس من الربوا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها روي انها نزلت في ثقيف وكان
لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا وقرا الحسن ما بقي بقلب الياء الفا
على لغة طيء وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم
ماضي العزيمة ما في حكمه جنف ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وثباته
امتثال ما امرتم به من ذلك فاذنوا بحرب من الله فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا
فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرا الحسن فايقنوا
وهو دليل لقراءة العامة فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت كان هذا ابلغ لان المعنى
فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي
لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء فلكم رءوس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب
الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها فان قلت هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا
قلت قالوا يكون ما لهم فيئا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان
ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار وقرا عثمان رضي الله عنه ذا عسرة
على وان كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة فنظرة فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار
وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرا عطا فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره اي منتظره او صاحب
نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره
على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وباشره بها الى ميسرة الى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة
ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي
وعدوا وقوله تعالى واقام الصلاة وان تصدقوا خير لكم ندب الى ان يتصدقوا برءوس اموالهم
على من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل اريد بالتصدق الانظار
لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون انه
خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء

قوله رضي بياء ساكنة كما قرئ قوله تعالى ما بقي من الربوا ماضي العزيمة اي مجد في الامور والجنف الميل يقول هو الخليفة الذي لا ميل في حكمه العادل الماضي العزيمة فارضوا ما رضي لكم

واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا ياب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا

ترجعون قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرا
عبد الله تردون وقرا ابي تصيرون وعن ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها
في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا
وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات اذا تداينتم اذا داين بعضكم بعضا يقال
داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال رؤبة
داينت اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل
فاكتبوه فان قلت هلا قيل اذا داينتم الى اجل مسمى واي حاجة الى ذكر الدين كما قال
داينت اروى ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر
لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل
وحال فان قلت ما فائدة قوله مسمى قلت ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت
بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد او الدياس او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية
وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن
عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وعنه اشهد ان الله اباح
السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول آية بالعدل متعلق بكاتب صفة له
اي كاتب مامون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص
وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين
بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا ولا ياب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو
معنى تنكير كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو
كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي
هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب فان قلت اي فرق بين
الوجهين قلت ان علقته بان يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب
يعني تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من
الكتابة على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي الا من وجب
عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته في ذمته واقراره به والاملال والاملاء لغتان قد نطق
بهما القرآن فهي تملى عليه لا يبخس منه من الحق شيئا والبخس النقص وقرئ شيئا بطرح الهمزة وشيا

بالتبذير سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به او خرس فليملل وليه الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله ان يمل هو فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا تجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي انها جائزة وتجوز عند ابي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامراتان فليشهد رجل وامراتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم ان تضل احداهما ان لا تهتدي احداهما للشهادة بان تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل فان قلت كيف يكون ضلالها مراد الله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وفتذكر وقرا حمزة ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ ان تضل احداهما على البناء للمفعول والتانيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت كني بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد من كثرت مدايناته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغيرا او كبيرا كتابا فربما مل كثرة الكتب والضمير في تكتبوه للدين او الحق صغيرا او كبيرا على اي حال كان الحق من صغر او كبر ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان تكتبوه مختصرا او مشبعا ولا تخلوا بكتابته الى اجله الى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر

اي ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وادنى ان لا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب فان قلت مم بني افعلا التفضيل اعني اقسط واقوم قلت يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط واقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء فيهما فان قلت ما معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله
بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا
اي اذا كان اليوم يوما واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كاليا لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد مؤونة مجيئه من بلد وقرا الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا وان تضاروا فانه فان الضرار فسوق بكم وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه على سفر مسافرين وقرا ابن عباس وابي كتابا وقال ابن عباس ارايت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرا ابو العالية كتبا وقرا الحسن كتابا جمع كاتب فرهن فالذي يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان فان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله درعه في غير سفر قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد

فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم لله ما فى السموات
وما فى الارض وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله

والضحاك انهما لم يجوزاه الا فى حال السفر اخذا بظاهر الآية واما القبض فلا بد من اعتباره وعند
مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين
بعض المديونين لحسن ظنه به وقرأ ابى فان اومن اى آمنه الناس ووصفوا المديون بالامانة
والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد الذى اؤتمن امانته حث للمديون على ان يكون عند
ظن الدائن به وامنه منه وائتمانه له وان يؤدى اليه الحق الذى ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى
الدين امانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد
الذال او بياء فتقول الذى ائتمن والذى يتمن وعن عاصم انه قرأ الذى تمن بادغام الياء فى التاء قياسا على
اتسر فى الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهى فى حكم الهمزة واتزر عامى وكذلك
ريّا فى رؤيا آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه
بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر
القلب والجملة هى الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما
كان آثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التى يعمل بها ابلغ الا تراك
تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عينى ومما سمعته اذنى ومما عرفه قلبى ولان القلب هو
رئيس الاعضاء والمضغة التى ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل
فقد تمكن الاثم فى اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة
باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال
القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهى لها كالاصول التى تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات
والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد
شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضى الله عنه اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله
فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالفتح كقوله سفه نفسه
وقرأ ابن ابى عبلة اثم قلبه اى جعله آثما وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يعنى من السوء يحاسبكم
به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمر ويعذب من يشاء ممن استوجب
العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس فى وسعه
الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه تلاها فقال لئن اخذنا الله
بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابى عبد الرحمن قد وجد المسلمون

فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق
بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت

منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين
على فهو يغفر ويعذب فان قلت كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء فى اللام
لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن ابى عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس
بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب فى نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب فى قلة
الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرأ الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على
البدل من يحاسبكم كقوله متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ومعنى هذا
البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او
بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا رأسه واحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع فى الافعال وقوعه
فى الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذى التنوين
نائب عنه فى كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اى كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين
ووقف عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل فى آمن على معنى كل واحد منهم آمن
وكان يجوز ان يجمع كقوله وكل اتوه داخرين وقرأ ابن عباس وكتابه يريد القرآن او الجنس
وعنه الكتاب اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد
بالواحد الجنس والجنسية قائمة فى وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شئ واما الجمع فلا يدخل
تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق يقولون لا نفرق وعن ابى عمرو لا يفرق بالياء
على ان الفعل لكل وقرأ عبد الله لا يفرقون واحد فى معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين
ولذلك دخل عليه بين سمعنا اجبنا غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك
اى نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق
عليه ولا يحرج فيه اى لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود
وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر لانه كان فى امكان الانسان وطاقته
ان يصلى اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرأ ابن ابى عبلة وسعها بالفتح لها
ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ
بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها فان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت
فى الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهى منجذبة اليه وامارة به كانت فى تحصيله
اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك فى باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان

وقال يقال قرات السورة التي يذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه السورة التي يذكر

وما روي عن عاصم من قطعه الالف فكانه قدر الوقف على الميم واستانف الله بقطع الهمزة للابتداء بها والوجه ما عليه الجماعة وما وافقهم سيبويه ايضا من ان الهمزة تسقط في الوصل فاذا سقطت لم يجز ان تلقى حركتها على ما قبلها والله اعلم بالصواب ۞ قال الشارح المحقق التفتازاني ...

[illegible]

ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

الاعمال اي لا تؤاخذنا بالنسيان او الخطا ان فرط منا فان قلت النسيان والخطا متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المواخذة بهما قلت ذكر النسيان والخطا والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطا فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطا مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطا والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه الاصر العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد فان قلت اي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء من التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام من قرا الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه عليه السلام اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه ان الله انزل آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قراهما بعد العشاء الآخرة اجزاتاه عن قيام الليل فان قلت هل يجوز ان يقال قرات سورة البقرة او قرات البقرة قلت لا باس بذلك وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود انه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا اله غيره رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة واذا قيل قرات البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله واسئل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك [illegible]

ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

الاغفال اى لا تؤاخذنا بالنسيان او الخطأ ان فرط منا فان قلت النسيان والخطأ متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما قلت ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذى منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطأ فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطأ والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه الاصر العبء الذى يأصر حامله اى يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفى قراءة ابى ولا تحمّل علينا بالتشديد فان قلت اى فرق بين هذه التشديدة والتى فى لا تحملنا قلت هذه للمبالغة فى حمّل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء من التكليفات الشاقة التى كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم فى المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذى لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولى امورنا فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك او فان ذلك من امورنا التى عليك توليها وعن ابن عباس ان رسول الله عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان

وقال يقال قرأت السورة التى تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه السورة التى تذكر ... البطلة قيل وما

واما ما روى عن عاصم من قطعه الالف فكانه قدر الوقف على الميم واستانف الله فقطع الهمزة للابتداء بها والوجه ما عليه الجماعة وما وافقهم ... ان الهمزة تسقط فى الوصل فاذا سقطت لم يجز ان تلقى حركتها على ما قبلها

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحى القيوم نزّل عليك الكتاب مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس
وانزل الفرقان

وقال يُقال فُراتُ السورة التي يُذكرُ فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه السورة التي يذكر
فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلّموها فانّ تعلّمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما
البطلة قال السحرة ٥ **سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية**

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ ميم حقّها ان يوقف عليها كما وقف على الف
ولام وان يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة القيت
عليها حين اسقطت للتخفيف فان قلت كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج
الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف و
السكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها لتدل عليها
ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال فان قلت هلا زعمت انها حركة لالتقاء
الساكنين قلت لان التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولك هذا ابرهيم وداود
واسحاق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في الف لام ميم
لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم
ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا قلت
الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال
مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها هي
حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فان قلت فما وجه قراءة عمرو بن عبيد رحمه الله
بالكسر قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة والتوراة والانجيل
اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما
عربيين وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم في
اوزان العرب فان قلت لم قيل نزّل الكتاب وانزل التوراة والانجيل قلت لان القرآن نزل
منجما ونزل الكتابان جملة وقرأ الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب هدى
للناس لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم فان قلت
ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل و
الكتب التي ذكرها كانه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه
او من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر او كرر

ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا
وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

الاعمال اى لا تؤاخذنا بالنسيان او الخطأ ان فرط منا فان قلت النسيان والخطأ متجا
فما معنى الدعاء
من التفريط
النسيان وا
الله حق تقا
ايذانا ببراءة
مؤاخذة ا
الله لا يستد
يستقل به
وغير ذلك
بين هذه النـ
واحد الى مـ
من التكليفا
عليها وقيل الـ
اصرا مولانا
عبيده او
الله عليه الـ

ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا

ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه واظهارا لفضله بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وقرأ طاوس تصوركم اي صوركم لنفسه وللتعبد كقولك اثلت مالا اذا جعلته اثلة اي اصلا وتاثلته اذا اتثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فانه نبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه متشابهات مشتبهات محتملات هن ام الكتاب اي اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا يامر بالفحشاء امرنا مترفيها **فان قلت** فهلا كان القرآن كله محكما **قلت** لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة ماخذه ولاعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتامل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد ان لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا راى فيه ما يتناقض في ظاهره واهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمانينة الى معتقده وقوة في ايقانه الذين في قلوبهم زيغ هم اهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه التاويل الذي يشتهونه وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم اي لا يهتدي لتاويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم اي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والاول هو الوجه ويقولون كلام مستانف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتاويل يقولون آمنا به اي بالمتشابه كل من عند ربنا اي كل واحد منه

وما يذكر الا اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب

ومن المحكم من عنده او بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل ويجوز ان يكون يقولون حالا من الراسخين وقرا عبد الله ان تاويله الا عند الله وقرا ابي ويقول الراسخون ربنا لا تزغ قلوبنا لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا وارشدتنا لدينك او لا تمنعنا الطافك بعد اذ لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرى لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء ورفع القلوب جامع الناس ليوم اي تجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرى جامع الناس على الاصل ان الله لا يخلف الميعاد معناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله والميعاد الموعد وقرأ علي رضي الله عنه لن تغني بسكون الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين من الله مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله او من طاعة الله شيئا اي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك اي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرى وقود بالضم بمعنى اهل وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وعن ابن عباس هم قريظة والنضير الداب مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شانه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره داب هؤلاء الكفرة كداب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل الكاف بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم تقول انك لتظلم الناس كداب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل ما كان يظلمهم وان فلانا لمحارف كداب ابيه تريد كما حورف ابوه كذبوا بآياتنا تفسير لدابهم مما فعلوا وفعل بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم قل للذين كفروا هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقيل جمعهم رسول الله بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت

قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم
رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين

وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لك
سيغلبون فإن قلت أي فرق بين القراءتين من حيث المعنى قلت معنى القراءة بالتاء الأمر بأن يخبرهم
بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر إلى جهنم فهو إخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون وهو الكائن من
نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الأمر بأن يحكي لهم ما أخبره به
من وعيدهم بلفظه كأنه قال أد إليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون قد
كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر يرونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين
مثلي عدد المشركين قريبا من ألفين أو مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين أراهم الله إياهم
مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما أمدهم بالملائكة
والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء أي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة
أو مثلي أنفسهم فإن قلت فهذا مناقض لقوله في سورة الأنفال ويقللكم في أعينهم قلت قللوا
أولا في أعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل
والتكثير في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الأحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسأل
عن ذنبه إنس ولا جان وقوله وقفوهم إنهم مسئولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى في
أعينهم أبلغ في القدرة وإظهار الآية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه
أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى إن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعد ما
كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة في قوله إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف
ضعفهم بالقلة لأنه قليل بالإضافة إلى عشرة الأضعاف وكان الكافرون ثلاثة أمثالهم وقراءة
نافع لا تساعد عليه وقرأ ابن مصرف يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء أي يريهم الله ذلك بقدرته
وقرئ فئة تقاتل وأخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص أو على الحال
من الضمير في التقتا رأي العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات
والله يؤيد بنصره كما أيد أهل بدر بتكثيرهم في عين العدو زين للناس المزين هو الله سبحانه للابتلاء
كقوله إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية
الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لأنا لا نعلم أحدا أذم لها من خالقها حب الشهوات
جعل الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها
والوجه أن يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لأن الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم

والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم
للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا إننا آمنا
فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم
قائما بالقسط

من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر
أولا في النفوس أن المزين لهم حبه ما هو إلا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الأجناس فيكون
أقوى لتخسيسها وأدل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند
الله والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة ألف دينار ولقد
جاء الإسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار
للتوكيد كقولهم ألف مؤلفة وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة
أو المطهمة أو المرعية من أسام الدابة وسومها والأنعام الأزواج الثمانية ذلك المذكور
متاع الحياة للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير
من ذلكم كما تقول هل أدلك على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز أن يتعلق اللام
بخير واختص المتقين لأنهم هم المنتفعون به وترتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ
جنات بالجر على البدل من خير والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق أو بصير بالذين
اتقوا وبأحوالهم فلذلك أعد لهم الجنات الذين يقولون نصب على المدح أو رفع ويجوز الجر
صفة للمتقين أو للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة
منها وقد مر الكلام في ذلك وخص الأسحار لأنهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب
الحاجة بعده إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في أول
الليل حتى إذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم شهد الله شبهت دلالته
على وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد
كسورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك
إقرار الملائكة وأولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم
من الأرزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض والعمل
على السوية فيما بينهم وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا فإن قلت
لم جاز إفراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز قلت
إنما جاز هذا لعدم الإلباس كما جاز في قوله ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة إن انتصب نافلة
حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة أو على المدح فإن قلت
أليس من حق المنتصب على المدح أن يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد إنا معشر الأنبياء لا نورث إنا بني نهشل

... لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام

قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي
ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي فان قلت هل يجوز ان يكون صفة للمنفي
كأنه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو قلت لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة
والموصوف فان قلت قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله
الا هو قلت نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي هي
زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله
شجاعا وهو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح فان قلت هل دخل
قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية قلت نعم
اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفي كأنه قيل شهد الله والملائكة
واولو العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرأ عبد الله القائم بالقسط على انه بدل من
هو او خبر مبتدأ محذوف وقرأ ابو حنيفة قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان
لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله آخر الحكيم
الذي لا يعدل عن العدل في افعاله فان قلت ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم
حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون
وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح
وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند
الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى فان قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت
فائدتها ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين
عند الله الاسلام فقد آذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه
فليس عنده في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او
ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما
ترى وقرئا مفتوحين على ان الثاني بدل من الاول كأنه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام
والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ
الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد
على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله

وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله
ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم

انه لا اله الا هو وقرأ ابي ان الدين عند الله للاسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الاولى
وكسر الثانية وقرئ شهداء الله بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء الله فان
قلت فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة واولو العلم قلت على الضمير في شهداء وجاز لوقوع
الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله لا اله الا هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية
وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل
للدلالة على اختصاصه بالامرين كأنه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به
قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل الذين اوتوا الكتاب اهل الكتاب من
اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم
انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان
تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب وهذا تجوير لله بغيا بينهم اي ما كان
ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة
وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطؤون اعقابهم لا شبهة في الاسلام وقيل هو
اختلافهم في نبوة محمد حيث آمن به بعض وكفر به بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم
من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام حين احتضر استودع
التوراة سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن
اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة
وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله فان حاجوك
فان جادلوك في الدين فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها
لغيره شركا بان اعبده وادعوه الها معه يعني ان ديني دين التوحيد وهو الدين القويم الذي
ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه
ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعن عطف على التاء
في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب
من اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ءاسلمتم يعني انه قد اتاكم
من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا

شهد الله انه لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام

قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي
ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي فان قلت هل يجوز ان يكون صفة للمنفي
كأنه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو قلت لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة
والموصوف فان قلت قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله
الا هو قلت نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي هي
زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله
شجاعا وهو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح فان قلت هل دخل
قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية قلت نعم
اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفي كأنه قيل شهد الله والملائكة
واولوا العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرأ عبد الله القائم بالقسط على انه بدل من
هو او خبر مبتدأ محذوف وقرأ ابو حنيفة قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان
لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله آخر الحكيم
الذي لا يعدل عن العدل في افعاله فان قلت ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم
حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون
وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح
وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند
الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى فان قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت
فائدتها ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين
عند الله الاسلام فقد آذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه
فليس عنده في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او
ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما
ترى وقرئا مفتوحين على ان الثاني بدل من الاول كأنه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام
والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ
الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد
على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراآت كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله

وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله
ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم

انه لا اله الا هو وقرأ ابي ان الدين عند الله للاسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الاولى
وكسر الثانية وقرئ شهداء الله بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء الله فان
قلت فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة واولو العلم قلت على الضمير في شهداء وجاز لوقوع
الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله لا اله الا هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية
وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل
للدلالة على اختصاصه بالامرين كأنه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به
قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل الذين اوتوا الكتاب اهل الكتاب من
اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم
انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان
تكون النبوة فينا من قريش [illegible] بينهم اي ما كان
ذلك الاختلاف وتظاهره [illegible] منهم للرياسة
وحظوظ الدنيا واستتبا[illegible] سلام وقيل هو
اختلافهم في نبوة محمد [illegible] بالانبياء فمنهم
من آمن بموسى ومنهم من آ[illegible] احتفظ استودع
التوراة سبعين حبرا من [illegible] قرن بعد قرن
اختلف ابناء السبعين بعد [illegible] الدنيا والرياسة
وقيل هم النصارى واخ[illegible] قوله فان حاجوك
فان جادلوك في الدين [illegible] لم اجعل فيها
لغيره شريكا بان اعبده [illegible] القديم الذي
ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني [illegible] ونحوه قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه
ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعني عطف على التاء
في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب
من اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أأسلمتم يعني انه قد اتاكم
من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا

قوله تلهم اي تنزل وهو بدل من تأتنا والحطب الجزل
الشوي الغليظ تأججا اي اشتعل قيل في تأججا ثلثة اوجه
احدها ان يجعل الالف للتثنية وهي الحطب والنار وذكر
لتذكير الحطب والثاني ان يكون للحطب والثالث ان
يكون للنار والنار في تأويل الشهاب فكأنه قال وشهابا
تأججا ولا ينبغي ان تقول تأججت لان فيه ضميرا يعود الى النار
خلاصة المعنى انهم يوقدون غلاظ الحطب لتقوى نارهم
فينظر اليها الضيفان من بعد فيقصدونها واعلم ان ظاهر
كلام المصنف يدل على ان تجد بدل من تلمم لانه اورده مثالا
للبدل من الجزاء لكن الصواب ان تلمم بدل من تأتنا وتجد
هو الجزاء

شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام

قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي
ويأوي الى نسوة عطّل وشعثا مراضيع مثل السعالي فان قلت هل يجوز ان يكون صفة للمنفي
كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو قلت لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة
والموصوف فان قلت قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله
الا هو قلت نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي هي
زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله
شجاعا وهو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح فان قلت هل دخل
قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية قلت نعم
اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفي كانه قيل شهد الله والملائكة
واولوا العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرأ عبد الله القائم بالقسط على انه بدل من
هو او خبر مبتدأ محذوف وقرأ ابو حنيفة قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان
لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله آخر الحكيم
الذي لا يعدل عن العدل في افعاله فان قلت ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم
حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون
وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح
وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند
الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى فان قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت
فائدتها ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين
عند الله الاسلام فقد اذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه
فليس عنده في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او
ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بيّن جلي كما
ترى وقرئا مفتوحين على ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام
والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ
الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد
على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراآت كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله

وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم

ان لا اله الا هو وقرأ ابي ان الدين عند الله للاسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الاولى
وكسر الثانية وقرئ شهداء الله بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء الله فان
قلت فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة واولوا العلم قلت على الضمير في شهداء وجاز لوقوع
الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله لا اله الا هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية
وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل
للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به
قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل الذين اوتوا الكتاب اهل الكتاب من
اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم
انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان
تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب وهذا تجويز لله بغيا بينهم اي ما كان
ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة
وحظوظ الدنيا واستتباع … سلام وقيل هو
اختلافهم في نبوة محمد حيث … بالانبياء فمنهم
من آمن بموسى ومنهم من آمن … اختصر استودع
التوراة سبعين حبرا من بني … ن بعد قرن
اختلف ابناء السبعين بعد … الدنيا والرياسة
وقيل هم النصارى واختلا… وله فان حاجوك
فان جادلوك في الدين فقل … لم اجعل فيها
لغيره شركا بان اعبده واد… قديم الذي
بيّنت عندكم صحته كما تثبت… قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبي… بان ما هو عليه
ومن معه من المؤمنين هو حق… عطف على التاء
في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب
من اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ءاسلمتم يعني انه قد اتاكم
من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا

وما ذكر في قوله هود الملك عطل ارجاء لها من انه الملك اعم …
يعني ان قوله امن يملك الا وجلو شاهد اعم من قوله ما من ولا …
في الكثرة المفيدة للقطع بان لا دخل في الكل فرد لحلاف
لا رجال … رجال … في الموقف … القطع
… التفسير والاصول والنحو على ان
الحكم … على كل فرد لا على كل جماعة و
… في كل موضع … الكتاب …

فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم

كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته هل فهمتها لا
ام لك ومنه قوله عز وعلا فهل انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا
الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجة
لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب اسدادا بينه وبين الاذعان وكذلك في
هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل انتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد
على تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال
الى الهدى ومن الظلمة الى النور وان تولوا لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ
الرسالة وتنبه على طريق الهدى قرأ الحسن يقتلون النبيين وقرأ حمزة ويقاتلون الذين
يأمرون وقرأ عبد الله وقاتلوا وقرأ ابي يقتلون النبيين والذين يأمرون وهم اهل الكتاب
قتل اولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله والمؤمنين
لولا عصمة الله وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الناس اشد
عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة
قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا
من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار
في الدنيا والآخرة لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة فان قلت لم دخلت
الفاء في خبر ان قلت لتضمن اسمها معنى الجزاء كأنه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم
وان لا تغير معنى الابتداء فكأن دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت او لعل لامتنع ادخال
الفاء لتغير معنى الابتداء اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا
وافرا من التوراة ومن اما للتبعيض واما للبيان او حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من
اللوح التوراة وهي نصيب عظيم يدعون الى كتاب الله وهو التوراة ليحكم بينهم وذلك ان رسول
الله دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت قال على ملة
ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التوراة فهلموا اليها فأبيا وقيل نزلت
في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لانهم قد علموا انه كتاب الله
ولم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب
وهم معرضون وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه ان يراد

ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء

ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله
الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم
الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين
رسول الله ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج
من النار بعد ايام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون
من ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت اولئك شفاعة رسول الله في كبائرهم فكيف
اذا جمعناهم فكيف يصنعون فكيف يكون حالهم وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم
وانهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها
تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروي ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار
راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار وهم لا يظلمون يرجع الى
كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلاثة انفس تريد ثلاثة اناسي الميم في اللهم
عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول
حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك مالك الملك اي
تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء
النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع ممن تشاء النصيب الذي اعطيته
منه فالملك الاول عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روي ان رسول الله
صلى الله عليه حين افتتح مكة ووعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود
هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك وروي ان رسول الله صلى
الله عليه لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون
خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله
يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها
لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها
انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب
الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا
فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة

الفاء في قوله فاخذ فاء فصيحة اي فبعث سلمان فاخبر عليه السلم فاتى فاخذ المعول

... كل شئ قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب
... اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير
... كم او تبدوه يعلمه الله

ومداين كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا
فنزلت **فان قلت** كيف قال بيدك الخير وذكر الخير دون الشر **قلت** لان الكلام انما وقع
في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك
على رغم من اعدائك ولان كل افعال الله من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله
كايتاء الملك ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال
الحي والميت في اخراج احدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على ان من قدر
على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو
قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب انا الله ملك
الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان
العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم
عليكم وهو معنى قوله عليه السلم كما تكونون يولى عليكم نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة
بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك
في القرآن ومن يتولهم منكم فانه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون
بالله والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان من دون المؤمنين
يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن
يفعل ذلك فليس من الله في شئ ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شئ يقع عليه اسم الولاية
يعني انه منسلخ عن ولاية الله راسا وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه
متنافيان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب
الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقي
تقاة وتقية كقولك ضرب الامير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك
الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع
من قشر العصا كقول عيسى صلوات الله عليه كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه فلا
تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز ان يضمن تتقوا معنى تحذروا
وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة او تقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته ان
تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من ولاية الكفار او غيرها مما لا يرضى الله يعلمه ولم يخف عليه

وعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شئ قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه
والله رؤف بالعباد قل ان كنتم تحبون الله

وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الارض لا يخفى عليه منه شئ قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم
والله على كل شئ قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لان نفسه
وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة
بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات
كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا يجسر احد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه
لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان انه اراد الاطلاع على احواله فتوكل
همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن اموره لاخذ حذره
وتيقظ في امره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم ان العالم الذات الذي
يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بسترك. يوم تجد
منصوب بتود والضمير في بينه لليوم اي يوم القيمة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين
تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا ويجوز ان ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر
ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره اي والذي عملته من سوء
تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح ان تكون ما شرطية لارتفاع تود **فان قلت** فهل يصح
ان تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت **قلت** لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر
اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم واثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز ان يعطف
وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا اي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين
اليوم او عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرؤنه ونحوه
فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والامد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رؤف بالعباد
يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا
عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من
رأفته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته
كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه
بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم
مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته يرض عنكم

فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم اذ قالت امراة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم

ويغفر لكم وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا
من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رايت من يذكر
محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في انه لا يعرف ما الله
ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا لانه تصور في نفسه الخبيثة
صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها
وربما رايت المني قد ملا ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملاوا
اردانهم بالدموع لما رققهم من حاله وقرئ تحبون ويحببكم من حبه يحبه قال
احبه ابا ثروان من حب تمره واعلم ان الرفق بالجار ارفق ووالله لولا تمره ما حببته ولا كان ادنى من
فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول
لهم آل ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى
ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة وذرية بدل من آل ابراهيم وآل
عمران بعضها من بعض يعني ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون
من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب
من اسحاق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمن بن داود بن ايشى بن يهوذا بن يعقوب
بن اسحاق وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله تعالى المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء او يعلم ان بعضهم من بعض في
الدين او سميع عليم لقول امراة عمران ونيتها واذ منصوب به وقيل باضمار اذكر وامراة عمران هي امراة
عمران بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى صلوات الله عليه وهي حنة بنت فاقوذ وقوله اذ
قالت امراة عمران على اثر قوله وآل عمران مما يرجح ان عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى والقول
الآخر يرجحه ان موسى يقرن بابراهيم كثيرا في الذكر فان قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم
اكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما ادراك ان عمران هذا هو ابو مريم البتول
دون عمران ابي مريم التي هي اخت موسى وهرون قلت كفى بكفالة زكريا دليلا على انه عمران
ابو البتول لان زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا ابنته
ايشاع اخت مريم وكان يحيى وعيسى ابني خالة روي انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينا
هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا

فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم

شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم
وهلك عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه ولا اشغله
بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروي انهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا
بلغ الغلام خير بين ان يفعل وان لا يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير
الا للغلمان وانما بنت الامر على التقدير او طلبت ان ترزق ذكرا فلما وضعتها الضمير لما في
بطني وانما انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم الله او على تاويل الجبلة او النفس
او النسمة فان قلت كيف جاز انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت
الانثى انثى قلت الاصل وضعته انثى وانما انث لتانيث الحال لان الحال وذا الحال لشيء
واحد كما انث الاسم في ما كانت امك لتانيث الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين واما
على تاويل الجبلة او النسمة فهو ظاهر كانه قيل اني وضعت الجبلة انثى فان قلت فلم قالت
اني وضعتها انثى وما ارادت الى هذا القول قلت قالته تحسرا على ما رات من خيبة رجائها
وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا
للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما
لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما
علق به من عظائم الامور وان يجعله وولده آية وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك
تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله اعلم بما وضعت على خطاب الله لها اي انك لا تعلمين قدر هذا
الموهوب وما علم الله من عظم شانه وعلو قدره وقرئ وضعت بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل
هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها فان قلت فما معنى قوله وليس الذكر كالانثى قلت
هو بيان لما في قوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر
الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد فان قلت علام عطف قوله واني سميتها
مريم قلت هو عطف على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله وانه لقسم
لو تعلمون عظيم فان قلت فلم ذكرت تسميتها مريم لربها قلت لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة
فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق
فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعه طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوائه وما
يروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس

فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب

الشيطان إياه إلا مريم وابنها فالله أعلم بصحته فإن صح فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها فإنهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن أغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومي

لما تؤذن الدنيا به من صروفها ... يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهمه أهل الحشو فكلا ولو سلط إبليس على الناس بنخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه

فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان أحدهما أن يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها بإقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها أنثى في ذلك أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة روي أن حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فطفا قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها والثاني أن يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن أي بأمر ذي قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز أن يكون معنى تقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقصاه بمعنى استقصاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الأمر إذا أخذه بأوله وعنفوانه قال القطامي

وخير الأمر ما استقبلت منه ... وليس بأن تتبعه اتباعا

ومنه المثل خذ الأمر بقوابله أي فأخذها في أول أمرها حين ولدت بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها وقرئ وكفلها زكريا بوزن وعملها وكفلها زكريا بتشديد الفاء ونصب زكريا والفعل لله تعالى بمعنى وضمها إليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها قراءة أبي وأكفلها من قوله فقال أكفلنيها وقرئ فتقبلها ربها وأنبتها وكفلها على لفظ الأمر في الأفعال الثلاثة ونصب ربها نداء أي فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكريا كافلا لها قيل بنى لها زكريا عليه السلام محرابا في المسجد أي غرفة يصعد إليها بسلم وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في أشرف موضع

وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله

من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي أنه كان لا يدخل عليها إلا هو وحده وكان إذا خرج غلق عليها سبعة أبواب وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء أنى لك هذا من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والأبواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به إليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد وعن النبي صلى الله عليه أنه جاع في زمن قحط فأهدت له فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها إليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فإذا هو مملو خبزا ولحما فبهتت وعلمت أنها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه أنى لك هذا فقالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل ثم جمع رسول الله علي بن أبي طالب والحسن والحسين وجميع أهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فأوسعت فاطمة على جيرانها إن الله يرزق من جملة كلام مريم عليها السلام أو من كلام رب العزة عز من قائل بغير حساب بغير تقدير لكثرته أو تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب أو في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في أن يكون له من إيشاع ولد مثل ولد أختها حنة في النجابة والكرامة على الله وإن كانت عاقرا عجوزا فقد كانت أختها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع سميع الدعاء مجيبه فناداه الملائكة وقيل ناداه جبريل وإنما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل أن الله يبشرك بالفتح على بأن الله وبالكسر على إرادة القول أو لأن النداء نوع من القول وقرئ يبشرك بالفتح على بأن الله وبالكسر على إرادة القول أو لأن النداء نوع من القول وقرئ يبشرك ويبشرك من بشره وأبشره ويبشرك بفتح الباء من بشره بيحيى إن كان أعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وإن كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله مصدقا بعيسى مؤمنا به قيل هو أول من آمن به وسمي عيسى كلمة لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا الذي يسود قومه أي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا الناس كلهم

ومصدقا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لى آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك

انه لم يركب سيئة قط وبالغا من سيادة والحصور الذى لا يقرب النساء حصرا لنفسه اى منعا لها من الشهوات وقيل هو الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر قال الاخطل
وشارب مربح بالكاس نادمنى لا بالحصور ولا فيها بسوار
فاستعير لمن لا يدخل فى اللعب واللهو وقد روى انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت من الصالحين ناشئا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه فى الآخرة لمن الصالحين انى يكون لى غلام استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغنى الكبر كقولهم ادركته السن العالية والمعنى اثر فى الكبر واضعفنى وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون كذلك اى يفعل الله ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفانى والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدأ وخبر اى على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له اى يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات آية علامة اعرف بها الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر فقال آيتك ان لا تقدر على تكليم الناس ثلثة ايام وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار يعنى فى ايام عجزك عن تكليم الناس وهى من الآيات الباهرة فان قلت لم حبس لسانه عن كلام الناس قلت ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذى طلب الآية من اجله كانه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب واوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه الا رمزا الا اشارة بيد او رأس او غيرهما واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقيل رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله
متى ما تلقنى فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا
بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم والعشى من حين تزول الشمس الى ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثنى منه قلت لما ادى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمى كلاما ويجوز ان يكون استثناء منقطعا يا مريم روى انهم كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه السلام او ارهاصا لنبوة عيسى اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة

وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين

السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال ومما قرفوك به من اليهود واصطفاك آخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء امرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة واركانها ثم قيل لها واركعى مع الراكعين بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين اى فى الجماعة او وانظمى نفسك فى جملة المصلين وكونى معهم فى عدادهم ولا تكونى فى عداد غيرهم ويحتمل ان يكون فى زمانها من كان يقوم ويسجد فى صلاته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى يعنى ان ذلك من الغيوب التى لم تعرفها الا بالوحى فان قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفى استماع الانباء من حفاظها وهو موهوم قلت كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحى فلم يبق الا المشاهدة وهى فى غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحى مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربى وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم اقلامهم ازلامهم وهى قداحهم التى طرحوها فى النهر مقترعين وقيل هى الاقلام التى كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها اذ يختصمون فى شأنها تنافسا فى التكفل بها فان قلت ايهم يكفل بم يتعلق قلت بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون المسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلنى مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم فى الماء فان قلت اذ قالت بم يتعلق قلت هو بدل من واذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا فى زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا فان قلت لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم قلت لان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين فان قلت لم ذكر ضمير الكلمة قلت لان المسمى بها مذكر فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلثة اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذى يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلثة وجيها حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين اى يبشرك به موصوفا بهذه الصفات

قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية

والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم باية من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص

واحيى الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم

وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة فى الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفى
الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة فى الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد
ما يمهد للصبى من مضجعه سمى بالمصدر وفى المهد فى محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى
ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس فى هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة
وحال الكهولة التى يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء ومن بدع التفاسير ان قولها رب نداء لجبريل
بمعنى يا سيدى ويعلمه عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدأ وقرأ عاصم ونافع
ويعلمه بالياء فان قلت علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله انى قد جئتكم
ولما بين يدى يأبى حمله عليها قلت هو من المضائق وفيه وجهان احدهما ان يضمر له وارسلت
على ارادة القول تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم ومصدقا
لما بين يدى والثانى ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا بانى قد جئتكم
وناطقا بانى اصدق ما بين يدى وقرأ اليزيدى ورسول عطفا على كلمة انى قد جئتكم اصله
ارسلت بانى قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل وانى اخلق نصب بدل من انى جئتكم او جر
بدل من اية او رفع على هى انى اخلق لكم وقرئ انى بالكسر على الاستيناف اى اقدر لكم شيئا مثل
صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اى فى ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير
طيرا كسائر الطيور حيا طيارا وقرأ عبد الله فانفخها قال ه كالهبرقى تنحى ينفخ الفحما
وقيل لم يخلق غير الخفاش والاكمه الذى ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن فى هذه
الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسى صاحب التفسير وروى انه ربما اجتمع عليه خمسون
الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده
وكرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه الالوهية وروى انه احيا سام بن نوح وهم ينظرون
فقالوا هذا سحر فارنا اية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وقرئ تذخرون بالذال
والتخفيف ولاحل رد على قوله باية من ربكم اى جئتكم باية من ربكم ولاحل لكم ويجوز ان يكون
مصدقا مردودا عليه ايضا اى جئتكم باية وجئتكم مصدقا وما حرم الله عليهم فى شريعة موسى
الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذى ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك قيل احل لهم من
السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا فى احلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية
الفاعل وهو ما بين يدى من التورية او الله عز وجل او موسى صلى الله عليه لان ذكر التورية

وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصارى الى الله قال
الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين
اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا

دل عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على
صحة رسالتى وهى قولى ان الله ربى وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه
وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت كيف جعل
هذا القول آية من ربه قلت لان الله تعالى جعله له علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل
حيث هداه للنظر فى ادلة العقل والاستدلال ويجوز ان يكون تكريرا لقوله جئتكم بآية من
ربكم اى جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء والاحياء والانباء بالخفيات
وبغيره من ولادتى بغير اب ومن كلامى فى المهد ومن سائر ذلك وقرا عبد الله وجئتكم بآيات
من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات واطيعونى فيما ادعوكم اليه ثم ابتدا فقال ان الله
ربى وربكم ومعنى من فتح ولان الله ربى وربكم فاعبدوه كقوله لايلاف قريش فليعبدوا
ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم بآية على ان الله ربى وربكم وما بينهما اعتراض فلما احس فلما علم
منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس والى الله من صلة انصارى مضمنا معنى
الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصروننى كما ينصرنى او يتعلق بمحذوف
حالا من الياء اى من انصارى ذاهبا الى الله ملتجئا اليه نحن انصار الله اى انصار دينه ورسوله
وحوارى الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونظافتهن
قال فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا يبكنا الا الكلاب النوابح وفى وزنه الحوالى وهو
الكثير الحيلة وانما طلبوا شهادته باسلامهم تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم
القيمة لقومهم وعليهم مع الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم او مع الذين يشهدون
بالوحدانية وقيل مع امة محمد لانهم شهداء على الناس ومكروا الواو لكفار بنى اسرائيل الذين
احس منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله ان رفع عيسى الى السماء
والقى شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا
واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر
الله انى متوفيك اى مستوفى اجلك ومعناه انى عاصمك من ان يقتلك الكفار ومؤخرك
الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم ورافعك الى سمائى ومقر ملائكتى
ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض
من توفيت مالى على فلان اذا استوفيته وقيل مميتك فى وقتك بعد النزول من السماء ورافعك

وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا
في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم
ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل
تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل

الآن وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك
خوف وتستيقظ وانت في السماء آمن مقرّب فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة
وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت
الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى فاحكم بينكم تفسير الحكم قوله
فاعذبهم فنوفيهم اجورهم وقرئ فيوفيهم بالياء ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره
وهو مبتدأ خبره نتلوه ومن الايات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون ذلك
بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الايات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر
الحكيم القرآن وصف بصفة من هو من سببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ان مثل عيسى
ان شان عيسى وحاله الغريبة كشان ادم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لما له شبه عيسى
بادم اي خلق ادم من تراب ولم يكن ثمة اب ولا ام فكذلك حال عيسى فان قلت كيف شبه
به وقد وجد هو بغير اب ووجد ادم بغير اب وام قلت هو مثيله في احد الطرفين
فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في
بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في
ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب
فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب
مما استغربه وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له
قال فادم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة
نفر واحيا حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى
لانه طبخ واحرق ثم قام سالما خلقه من تراب قدره جسدا من طين ثم قال له كن اي انشاه
بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا آخر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف
اي هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس ونهيه عن الامتراء وجل رسول الله ان يكون ممتريا
من باب التهييج لزيادة الثبات والطمانينة وان يكون لطفا لغيره فمن حاجك من النصارى فيه
في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأي
والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسالة ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع كل منا ومنكم ابناءه و
نساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة

فنجعل لعنة الله على الكاذبين

بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من رحمته من قولك ابهله اذا اهمله وناقة
باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا ثم يستعمل في كل دعاء مجتهد فيه وان لم يكن التعانا
روي انهم لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان
ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل
ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت
صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا
الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن
وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران
يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا
فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القسم رأينا ان لا
نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما
للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن
نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام
الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك
وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة
وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على
رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول
الله صلى الله عليه خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين
فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فان قلت
ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به وبمن
يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء قلت ذاك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه
بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر
على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك الاستيصال
ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل
بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثمة كانوا يسوقون مع انفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من

ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا تعقلون

الهرب ويسمون الذادة عنها بارواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على
لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه دليل لا
شئ اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه
لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك ان هذا الذي قص عليك من نبا
عيسى لهو القصص الحق قرئ بتحريك الهاء على الاصل وبالسكون لان اللام تنزل من هو
منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدا والقصص
الحق خبره والجملة خبر ان فان قلت لم جاز دخول اللام على الفصل قلت اذا جاز دخولها
على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدا منه واصلها ان تدخل على المبتدا
ومن في قوله وما من اله الا الله بمنزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق
والمراد الرد على النصارى في تثليثهم فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في
قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون يا اهل الكتاب قيل هم اهل الكتابين
وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة سواء بيننا وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها
القران والتورية والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا
ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا
المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم
والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم
يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل
لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام وقرا
الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب
في جدال وصراع او غيرهما اعترف باني انا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز ان يكون من باب
التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره زعم
كل فريق من اليهود والنصارى ان ابرهيم كان منهم وجادلوا رسول الله والمؤمنين فيه فقيل
لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التورية والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابرهيم

ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار

وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابرهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده
بازمنة متطاولة افلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء ها للتنبيه
وانتم مبتدا وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستانفة مبينة للجملة الاولى يعني انتم هؤلاء الاشخاص
الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التورية والانجيل
فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابيكم من دين ابرهيم وعن الاخفش ها انتم هو
أانتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى
الذين وحاججتم صلته والله يعلم علم ما حاججتم فيه وانتم جاهلون به ثم اعلمهم بانه برئ
من دينكم وما كان الا حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن منكم او اراد بالمشركين اليهود
والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح ان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به واقربهم منه
من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين
امنوا من امته وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه اي اتبعوه واتبعوا
هذا النبي وبالجر عطفا على ابرهيم ودت طائفة من اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا
الى اليهودية وما يضلون الا انفسهم وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب
يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم او وما يقدرون على اضلال المسلمين وانما يضلون
امثالهم من اشياعهم بايات الله بالتورية والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما نطقت
به من صحة نبوة رسول الله وغيرها وانتم تشهدون تعترفون بانها ايات الله او تكفرون بالقران
ودلائل نبوة الرسول وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تكفرون بايات الله جميعا وانتم
تعلمون انها حق وقرئ تلبسون بالتشديد وقرا يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء اي تكتسون
الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور وقوله اذا هو بالمجد ارتدى وتازرا وجه النهار
اوله قال من كان مسرورا بمقتل مالك فليات نسوتنا بوجه نهار والمعنى اظهروا الايمان
بما انزل على المسلمين في اول النهار واكفروا به اخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا
وهم اهل كتاب وعلماء الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطا اثنا عشر من احبار
يهود خيبر فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار من غير اعتقاد واكفروا به
اخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذاك المنعوت
وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم وقيل هذا في شان القبلة

ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله

لما صرفت الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بما انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا
اليها اول النهار ثم اكفروا به آخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا
فيرجعون ولا تؤمنوا متعلق بقوله ان يؤتى احد وما بينهما اعتراض اى ولا تظهروا ايمانكم
بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ارادوا اسروا تصديقكم بان المسلمين
قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم
ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى والضمير
فى يحاجوكم لاحد لانه فى معنى الجميع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيمة
بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة فان قلت فما معنى الاعتراض قلت معناه ان الهدى
هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم
وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من
يشاء يريد الهداية والتوفيق او يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا
هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم
ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان
اغيظ لهم وقوله ان يؤتى احد معناه لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشىء
آخر يعنى ان ما بكم من الحسد والبغى ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب
دعاكم الى ان قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير أان يؤتى احد بزيادة همزة
الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى ألان يؤتى احد فان قلت فما معنى قوله او يحاجوكم
على هذا قلت معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم
به من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى وان يؤتى احد خبر ان على
معنى قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا
باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم وقرئ ان يؤتى احد على ان النافية وهو متصل بكلام اهل
الكتاب اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم
عند ربكم يعنى ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه
قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم لان قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يؤتى احد مثل ما اوتوا عن ابن

ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين

عباس من ان تأمنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتى اوقية
ذهبا فاداه اليه ومن ان تأمنه بدينار فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده
وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون فى القليل اليهود
لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه
متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر
الهاء والوصل وبكسرها بغير وصل وبسكونها وقرأ يحيى بن وثاب تيمنه بكسر التاء ودمت بكسر
الدال من دام يدام ذلك اشارة الى ترك الاداء الذى دل عليه لم يؤده اى تركهم اداء الحقوق
بسبب قولهم ليس علينا فى الاميين سبيل اى لا يتطرق علينا عتاب وذم فى شان الاميين
يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا
على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم فى كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود
رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا
انهم وجدوا ذلك فى كتابهم وعن النبى صلى الله عليه انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما
من شىء فى الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن
ابن عباس انه ساله رجل فقال انا نصيب فى الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة
فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا فى ذلك باس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا فى
الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم تحل لكم اموالهم الا بطيبة انفسهم ويقولون على
الله الكذب بادعائهم ان ذلك فى كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون بلى اثبات لما نفوه من
السبيل عليهم فى الاميين اى بلى عليهم سبيل فيهم وقوله من اوفى بعهده جملة مستانفة مقررة للجملة
التى سدت بلى مسدها والضمير فى بعهده راجع الى من اوفى على ان كل من وفى بما عاهد عليه واتقى
الله فى ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه فان قلت فهذا عام يخيل انه لو وفى اهل الكتاب
بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت اجل لانهم اذا وفوا بالعهود وفوا اول
شىء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم فى كتابهم من الايمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله
فى ترك الخيانة لاتقوه فى ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى
على ان كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل فى ذلك الايمان وغيره من الصالحات
وما وجب اتقاؤه من الكفر واعمال السوء فان قلت فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من قلت

ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم
وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون

عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام والحبر الراسب
ونظرائهما من مسلمة اهل الكتاب يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوه عليه من
الايمان بالرسول المصدق لما معهم وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه
ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي
الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله واخذوا الرشوة على ذلك
وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون
ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال قد هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا
فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا
اليه وقالوا غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس
نزلت في كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه فقال
شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها
فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعته في السوق فحلف لقد اعطى
بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير
في بعهده الى الله ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى
فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم فان قلت اي فرق
بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر
الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة
عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى
الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك
بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح
الى المحرف وقرا اهل المدينة يلوون ووجهه انهم قلبوا الواو المضمومة همزة ثم خففوها
بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها فان قلت الام يرجع الضمير في لتحسبوه قلت
الى ما دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه
الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه
المسلمون من الكتاب ويقولون هو من عند الله تاكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع

ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون
ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون

عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورون وانما يصرحون بانه في التوراة هكذا وقد
انزله الله على موسى كذلك لفرط جراءتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس هم
اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله
ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر تكذيب لمن اعتقد عبادة
عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله اتريد ان نعبدك ونتخذك
ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني
فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان
يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم والحكمة وهي السنة ولكن
كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقال
رقباني ولحياني وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية انه قال حين
مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين
وكانوا يقولون للشارع الرباني العالم العامل المعلم بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم
دارسين للعلم اوجب ان تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم و
الدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى
العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلمون من
التعليم تدرسون تقرأون وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون على ان ادرس بمعنى درس
كاكرم وكرم وانزل ونزل وتدرسون من التدريس ويجوز ان يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف
تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناهما معنى تدرسون من التدريس وفيه ان
من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم
يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته وقرئ ولا يامركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه
وجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه
الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يامر الناس بان يكونوا عبادا
له ويامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ويستخف
بي والثاني ان تجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه كان ينهى قريشا عن عبادة
الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا انتخذك ربا قيل لهم ما كان

واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين

لبشر ان ينبئه الله ثم يامر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع
على ابتداء الكلام اظهر وينصرها قراءة عبد الله ولن يامركم والضمير في ولا يامركم وايامركم للبشر و
قيل لله والهمزة في ايامركم للانكار وبعد اذ انتم مسلمون دليل ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين
استاذنوه ان يسجدوا له ميثاق النبيين فيه غير وجه احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق
على النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الى النبيين اضافته الى الموثق لا الى الموثق عليه كما تقول
ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم والثالث ان يراد
ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب وان يرد
على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون
ويدل عليه قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واللام في لما آتيتكم لام
التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما تحتمل ان تكون المتضمنة
لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه
لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرا حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض
الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على ان ما مصدرية والفعلان معها
اعني آتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن
بالرسول ولتنصرنه لاجل اني آتيتكم الحكمة وان الرسول الذي آمركم بالايمان به ونصرته موافق
لكم غير مخالف ويجوز ان تكون ما موصولة **فان قلت** كيف يجوز ذلك والعطف على آتيناكم وهو قوله
ثم جاءكم لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم
قلت بلى لان ما معكم في معنى ما آتيتكم فكانه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرا
سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
له وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلث ميمات وهي الميمان
والنون المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا احداها فصارت لما ومعناه لمن اجل ما آتيتكم لتؤمنن
به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى اصري عهدي وقرئ اصري بالضم وسمي اصرا لانه مما
يؤصر اي يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به ويجوز ان يكون المضموم لغة في اصر كعبر وعبر
وان يكون جمع اصار فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا على ذلك من اقراركم وتشاهدكم
من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض

واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى والمراد برسول محمد عليه السلام عن علي رضي لم يبعث الله نبيا من لدن آدم ومن بعده الا اخذ عليه الميثاق في امر محمد لتؤمنن به ولئن بعث وهم احياء لينصرنه وامرهم تبع في ذلك هذا على الوجه الاول لاخذ الميثاق واما على باقي الوجوه فظاهر ق

فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون افغير دين الله تبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم

وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فاولئك هم الفاسقون اي المتمردون من الكفار دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروي ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه فيما اختلفوا فيه من دين ابرهيم عليه السلم وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال صلى الله عليه كلا الفريقين بريء من دين ابرهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وقرئ تبغون بالتاء وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو ولان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه وكرها بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين امر رسول الله صلى الله عليه بان يخبر عن نفسه ومن معه بالايمان فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز ان يؤمر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه وما انزل علينا عدي انزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء الينا لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالآخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل والينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول ياتيه الوحي على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف الا ترى الى قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب والى قوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا ونحن له مسلمون موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتها ثم قال ومن يبتغ غير الاسلام يعني التوحيد واسلام الوجه لله دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام كيف يهدي الله قوما كيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل نزلت في

وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين
فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل
توبتهم واولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا

رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت
والحارث بن سويد بن الصامت فان قلت علام عطف قوله وشهدوا قلت فيه وجهان ان يعطف
على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق واكن وقول الشاعر
ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب * ويجوز ان تكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا
ان الرسول حق والله لا يهدي لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم
الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا او ودخلوا في
الصلاح قيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته وارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة
فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله توبته ثم ازدادوا
كفرا هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد
والقرآن او كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على
ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن
الايمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر ان
قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة فان قلت
قد علم ان المرتد كيفما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لن تقبل توبتهم قلت
جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر
كانه قيل ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل
توبتهم فان قلت فلم قيل في احدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الاخرى فلن يقبل قلت قد اوذن
بالفاء ان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك
الفاء ان الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء
سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم فان قلت فحين كان معنى لن تقبل توبتهم بمعنى الموت
على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة
القلوب وركوب الرين وجره الى الموت على الكفر قلت لانه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع الى
الاسلام ولا يموت على الكفر فان قلت فاي فائدة في هذه الكناية اعني ان كنى عن الموت على الكفر
بامتناع قبول التوبة قلت الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شان اولئك الفريق من الكفار
وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها الا ترى ان الموت على الكفر

ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم كل الطعام كان حلا

انما يخاف من اجل الياس من الرحمة ذهبا نصب على التمييز وعن الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء
كما يقال عندي عشرون نفسا رجال فان قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به قلت هو كلام محمول
على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى
بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك
ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله * ولا هيثم الليلة للمطي
وقضية ولا ابا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل ابي حسن كما انه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل
كذا تريد انت وذلك ان المثلين يسد احدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وان يراد فلن
يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه وقرئ فلن
يقبل من احدهم ملء الارض على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونصب ملء ومل الارض بتخفيف الهمزة
لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه
حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله انفقوا من
طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله وروي انها لما نزلت
جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحى فضعها يا رسول الله حيث اراك
الله فقال صلى الله عليه بخ بخ ذاك مال رابح او مال رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال
ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه
في سبيل الله فحمل عليها رسول الله اسامة بن زيد وكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت
ان اتصدق به فقال رسول الله اما ان الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى
الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال
ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ونزل بابي ذر ضيف فقال
للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني قال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم
حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقرا عبد الله حتى تنفقوا بعض
ما تحبون وهذا دليل على ان من في مما تحبون للتبعيض ونحوه اخذت من المال ومن في من شيء
للتبيين ما تنفقوا اي من اي شيء كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله عليم بكل شيء تنفقونه
فمجازيكم بحسبه كل الطعام كل المطعومات او كل انواع الطعام والحل مصدر يقال حل الشيء
حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفي حديث عائشة رضي الله عنها كنت اطيبه لحله وحرمه

بني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب فاولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين ان اول بيت وضع للناس

ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم والذى حرم اسرائيل وهو يعقوب عليه السلم على نفسه لحوم الابل والبانها وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفى ان يحرم على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل اشارت عليه الاطبا باجتنابه ففعل وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتدا والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلا لبني اسرائيل من قبل انزال التوراة وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذى حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الى قوله عذابا اليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم واشمازوا منه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى ابرهيم ومن بعده من بني اسرائيل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروى انهم لم يجسروا على اخراج التوراة وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه وعلى جواز النسخ الذى ينكرونه فمن افترى على الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل انزال التوراة من بعد ما لزمتهم من الحجة القاطعة فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون اى ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وهي ملة الاسلام التي عليها محمد ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله لابرهيم ولمن تبعه وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل ويدل عليه قراءة من قرا وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله

للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان آمنا

متعبدا لهم فكانه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن على رضى الله عنه ان رجلا قال له هو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واول من بناه ابرهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الما عند خلق السما والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضا على الما فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم في الارض وقيل لما اهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى السما الرابعة تطوف به ملائكة السموات للذى ببكة للبيت الذى ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهنا ونحو من الاعتقاب امر راتب وراتم وحمى مخيطة ومخيطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنسا يصلى بعضهم بين يدى بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهي الزحمة قال اذا الشريب اخذته الاكة فخله حتى يبك بكة وقيل تبك اعناق الجبابرة اى تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لان التقدير للذى ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم مقام ابرهيم عطف بيان لقوله آيات بينات فان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابرهيم عليه السلم من تاثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة والثاني اشتماله على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصما آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبيا عليهم السلم آية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة آية ويجوز ان يراد فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والاربعة ويجوز ان تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير

سواء ما وهو في طي الذكر قوله جرير: كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها
ومنه قوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة وقرا ابن
عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان
مقام ابرهيم واحده عطف بيان فان قلت كيف اجزت ان يكون مقام ابرهيم والامن عطف
بيان للآيات وقوله ومن دخله كان آمنا جملة مستانفة اما ابتدائية واما شرطية قلت
اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان آمنا دل على امن داخله فكانه قيل فيه آيات بينات
مقام ابرهيم وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لانه في معنى قولك
فيه آية بينة امن من دخله فان قلت كيف كان سبب هذا الاثر قلت فيه قولان احدهما انه لما
ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه
جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل انزل حتى تغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر
فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر
حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله اولم يروا
انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد
آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه
بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند ابي حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص او
ردة او زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر
الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي صلى الله عليه من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة
آمنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة
وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه على ثنية الحجون وليس بها يومئذ
مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة
البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر
وعن النبي صلى الله عليه من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام
من استطاع بدل من الناس وروي ان رسول الله صلى الله عليه فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة
وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك ان
الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر

على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع
وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك
يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام
انواع من التوكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني انه حق واجب لله في رقاب
الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج من عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه
سبيلا وفيه ضربان من التاكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان الايضاح
بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان
ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه من مات ولم يحج فليمت ان شاء
يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء
عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما
فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة
ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن
سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل
قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم
الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي
اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت
مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود
حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه
لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر والله شهيد الواو للحال
والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم
عليها وهذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر بآياته وقرا الحسن تصدون من اصده وعن
سبيل الله عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين
ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج
فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا والمثلة تبغونها عوجا
تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة فان قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال قلت

وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم
آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون

فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى
لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق
وابتغاء ما لا يتاتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم وانتم شهداء انها سبيل الله التي
لا يصد عنها الا ضال مضل او وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في
عظائم امورهم وهم الاحبار وما الله بغافل وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال نزل في شاس
بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار
من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان
بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس
اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس
والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا
السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال
اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية و
الف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق
بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله فما كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم وكيف
تكفرون معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات
الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين اظهركم رسول الله ينبهكم
ويعظكم ويزيح شبهكم ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجاء
اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم فقد هدي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت
فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم
بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده حق تقاته واجب تقواه وما
يحق منها وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا
في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر
ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان لا تاخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه
او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتاد
ولا تموتن معناه ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن تستعين به

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار
فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون

على لقاء العدو ولا تاتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال
التي شرطت عليه في وقت الاتيان قولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه
بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يامن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده
والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم
بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او واجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة
او بكتابه لقول النبي صلى الله عليه القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد
من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم هدي الى صراط مستقيم ولا تفرقوا ولا تتفرقوا
عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين
يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع و
الالفة التي انتم عليها مما ياباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام كانوا
في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فالف الله بين قلوبهم بالاسلام
وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد
قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين
لاب وام فوقعت بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفا الله ذلك
بالاسلام والف بينهم برسول الله وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار
جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما انث
لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وشفا الحفرة
وشفتها حرفها بالتذكير والتانيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة
ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة فان قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من النار قلت
لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار
بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين لكم آياته لعلكم
تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى ولتكن منكم امة من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب
الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في
مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم

الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار
على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله تعالى كنتم
خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف واولئك هم المفلحون هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم
وعن النبي صلى الله عليه انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن
المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في
ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة يأتي على الناس زمان
تكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان
الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف
تابع للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله
لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح فان قلت ما طريق الوجوب قلت قد اختلف
فيه الشيخان رحمهما الله فعند ابي علي السمع والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده فان قلت
ما شرائط النهي قلت ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يأمن ان ينكر الحسن
وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي
عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان المنهي يزيد في منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر
لانه عبث فان قلت فما شروط الوجوب قلت ان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى
الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة عظيمة
فان قلت كيف يباشر الانكار قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض
كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا فان قلت فمن يباشر قلت كل مسلم
تمكن منه واختص بشرائطه وقد اجمعوا ان من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الانكار لانه
معلوم قبحه لكل احد واما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة
ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر
غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون
بالصلاة ليمرنوا عليها فان قلت هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكبه قلت نعم
يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب

يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله
هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين

الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول
ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى
عن منكر فان قلت كيف قيل يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف قلت الدعاء الى الخير عام
في التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم
عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلاة الوسطى كالذين تفرقوا واختلفوا وهم
اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق
وقيل هم مبتدعو هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم يوم تبيض وجوه
نصب بالظرف وهو لهم او باضمار اذكر وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض
وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون
واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان
من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته واظلمت واحاطت
به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل واهله اكفرتم فيقال
لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم اهل الكتاب وكفرهم بعد
الايمان تكذيبهم برسول الله بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين و
الانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء
وعن ابي امامة رضي الله عنه هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال
كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له
ابو غالب اشيء تقوله برأيك ام شيء سمعته من رسول الله قال بل سمعته من رسول الله غير مرة قال
فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم اخذ
بيده فقال ان بأرضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه
الاقرار حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ففي رحمة الله ففي نعمته وهي الثواب المخلد
فان قلت كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله قلت موقع الاستئناف
كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون تلك آيات الله
الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما
يستوجبانه وما الله يريد ظلما فيأخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب

ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون

محض وتكثر ظلما وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضى بها كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه قوله كنتم خير امة كانه قيل وجدتم خير امة وقيل كنتم في علم الله خير امة موصوفين به اخرجت اظهرت وقوله تامرون كلام مستانف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من آمن ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله ولو آمن اهل الكتاب مع ايمانهم بالله لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم الا اذى الا ضررا مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالي به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل **فان قلت** هلا جزم المعطوف في قوله لا ينصرون **قلت** عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كانه قيل ثم اخبركم انهم لا ينصرون **فان قلت** فاي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى **قلت** لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كانه قال ثم شانهم وقصتهم التي اخبركم عنها وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر **فان قلت** فما الذي عطف عليه هذا الخبر **قلت** جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون

ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

فان قلت فما معنى التراخي في ثم **قلت** التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار **فان قلت** ما موقع الجملتين اعني منهم المؤمنون ولن يضروكم **قلت** هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فان من شانه كيت وكيت ولذلك جاءا من غير عاطف بحبل من الله في محل النصب على الحال بتقدير الا معتصمين او متمسكين او ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من اعم عامة الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية وباءوا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء بغضب الله اي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذلك بما عصوا اي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه ما خطيئاتهم اغرقوا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل الضمير في ليسوا لاهل الكتاب اي ليس اهل الكتاب مستوين وقوله من اهل الكتاب امة قائمة كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تامرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة امة قائمة مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون وادل على حسن صورة امرهم وقيل عنى صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه اخر رسول الله صلاة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرا هذه الآية وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لامة اي امة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها

ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين وما تفعلوا من خير فلن تكفروه والله عليم بالمتقين إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون

والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي وأولئك الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز أن يريد بالصالحين المسلمين فلن تكفروه لما جاء وصف الله عز وعلا بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك فإن قلت لم عدي إلى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها قلت ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرئ تفعلوا وتكفروه بالياء والتاء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على أنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال

لا تعدلن أتاويين تضربهم ٥ نكباء صر بأصحاب المحلات ٥

كما قالت ليلى الأخيلية ٥ ولم يغلب الخصم الألد وتملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر ٥

فإن قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت فيه أوجه أحدها أن الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني أن يكون الصر مصدرا في الأصل بمعنى البرد فجيء به على أصله والثالث أن يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ومن قولك إن ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل قال

وفي الرحمن للضعفاء كاف ٥

شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به إلى الله مع كفرهم وقيل ما أنفقوا في عداوة رسول الله فضاع عنهم لأنهم لم يبلغوا بإنفاقه ما أنفقوه لأجله وشبه بحرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلك عقوبة لهم على معاصيهم لأن الإهلاك عن سخط أشد وأبلغ فإن قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح قلت هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول أو لأصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسهم أي وما ظلمهم الله بإهلاك حرثهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن أنفسهم يظلمونها هم ولا يجوز أن

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ١١٧

يراد ولكنه أنفسهم يظلمون على إسقاط ضمير الشأن لأنه إنما يجوز في الشعر بطانة الرجل ووليجته وخصيصه وصفيه الذي يفضي إليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار شعار والناس دثار من دونكم من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وبطانة على الوصف أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا يقال ألا في الأمر يألو إذا قصر فيه ثم استعمل معدى إلى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا أمنعك نصحا ولا أنقصكه والخبال الفساد ودوا ما عنتم ودوا عنتكم على أن ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة وأصله انهياض العظم بعد جبره أي تمنوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه قد بدت البغضاء من أفواههم لأنهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء لأوليائهم من المنافقين والكفار لإطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه إن كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به فإن قلت كيف موقع هذه الجمل قلت يجوز أن يكون لا يألونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كأنه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم وأما قد بينا فكلام مبتدأ وأحسن منه وأبلغ أن تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وأولاء خبره أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء وقيل أولاء موصول تحبونهم صلته والواو في وتؤمنون للحال وانتصابها من لا يحبونكم أي لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ونحوه فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ويوصف المغتاظ والنادم بعض الأنامل والبنان والإبهام قال الحارث بن ظالم

فأقتل أقواما لئاما أذلة ٥ يعضون من غيظ رؤوس الأباهم ٥

قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الإسلام وعز أهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار إن الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة

الشقور الحاجات يقال أخبرته بشقوري كما يقال أفضيت له بعجري وبجري وكان الأصمعي يقول [illegible] وقال أبو عبيدة الفتح أصح لأن الشقور بالضم بمعنى الأمور اللاصقة بالقلب المهمة الواحد شقر والشقور بالفتح بمعنى النعت

ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم

المقول او خارجا منها فان قلت كيف معناه على الوجهين قلت اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه
اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه
بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه قل
لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم ما هو اخفى من ذلك وهو ما اضمروه
في صدورهم ولم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثم قول وان يكون قوله قل موتوا بغيظكم امرا
لرسول الله بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام
واذلالهم به كانه قيل حدث نفسك بذلك الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها
من المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما
نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة فان قلت كيف وصفت الحسنة بالمس و
السيئة بالاصابة قلت المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله
ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من
سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وان تصبروا على عداوتهم
وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله
في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره و
يضركم على ان ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم
بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال
الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى
وغيرهما محيط ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه
واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوه الى احد من حجرة عائشة رضي الله عنها روي ان
المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه اصحابه ودعا عبد الله بن ابي
ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة
ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه
فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم
النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء
الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام اني قد رايت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا

اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون

ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها
المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله
بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته فلما راوه قد لبس
لامته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي ياتيه وقالوا اصنع يا رسول الله
ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة و
اصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما
يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره
وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا
من ورائنا تبوئ المؤمنين تنزلهم وقرا عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ مقاعد للقتال
مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى
المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك والله
سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم والطائفتان
حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول
الله صلى الله عليه في الف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلثة آلاف ووعدهم الفتح
ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم
عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم
فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله وعن ابن عباس رضي الله عنه اضمروا
ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس
وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها
على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الاطنابة اقول لها اذا جشات وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي
حتى قال معاوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول
عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول والله وليهما ويجوز ان
يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما يفشلان ولا يتوكلان على الله فان قلت ما معنى
ما روي من بعضهم عند نزول الآية والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد اخبرنا الله
بانه وليهما قلت معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وانزاله فيهم آية

ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة آلاف من الملائكة منزلين

ناطقة بصحة الولاية وان تلك الهمة غير المأخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها والفشل الجبن والخور وقرئ والله وليهم كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة والاذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم انهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له اذ تقول ظرف لنصركم على ان يقول لهم ذلك يوم بدر او بدل ثان من اذ غدوت على ان يقوله لهم يوم احد فان قلت كيف يصح ان يقول لهم يوم احد ولم تنزل فيه الملائكة قلت قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلثة آلاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر وبلى ايجاب لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا يمددكم باكثر من ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره الى غزوة اخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول ابي حنيفة رحمه الله الامر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول خرج من ساعته لم يلبث والمعنى انهم ان يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتأخر نزولهم عن اتيانهم يريد ان الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين انفسهم او خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على

بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم

اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه انه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وما جعله الله الا بشرى لكم اي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده اذا ضربه بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي الطيب لاكبت حاسدا وارى عدوا هو من الكبد والرية واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله ببدر او بقوله وما النصر الا من عند الله او يتوب عطف على ما قبله وليس لك من الامر شيء اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف باو على الامر او على شيء اي ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي على معنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن عن الحسن رحمه الله يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط

يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون
وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين

عشوا أو يطيبون أنفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب
من يشاء على الذنب الصغير لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة نهي عن الربوا مع توبيخ بما كانوا
عليه من تضعيفه كان الرجل منهم إذا بلغ الدين محله زاد في الأجل فاستغرق بالشيء الطفيف
مال المديون واتقوا النار التي أعدت للكافرين كان أبو حنيفة رحمه الله يقول هي أخوف آية
في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد
أمد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تأمل
هذه الآيات وأمثالها لم يحدث نفسه بالأطماع الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل و
عسى في نحو هذه المواضع وإن قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك
التقوى وصعوبة إصابته رضي الله وعزة التوصل إلى رحمته وثوابه في مصاحف أهل المدينة
والشام سارعوا بغير واو وقرأ الباقون بالواو وتنصره قراءة أبي وعبد الله وسابقوا
ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنة الإقبال على ما تستحقان به عرضها السموات والأرض
أي عرضها عرض السموات والأرض كقوله عرضها كعرض السماء والأرض والمراد وصفها
بالسعة والبسطة فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه وخص العرض لأنه في
العادة أدنى من الطول للمبالغة كقوله بطائنها من إستبرق وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات
وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض في السراء والضراء في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة
والعسر لا يخلون بأن ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من كثير أو قليل كما يحكى عن بعض
السلف أنه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها أنها تصدقت بحبة عنب أو في
جميع الأحوال لأنها لا تخلوا من حال مسرة ومضرة لا تمنعهم حال فرح وسرور ولا حال محنة
وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس أو في حبس فإنه لا يدع الإحسان وافتتح
بذكر الإنفاق لأنه أشق شيء على النفس وأدله على الإخلاص ولأنه كان في ذلك الوقت أعظم
الأعمال للحاجة إليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين كظم القربة إذا ملأها وشد
فاها وكظم البعير إذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر
ولا يظهر له أثرا وعن النبي صلى الله عليه من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه
أمنا وإيمانا وعن عائشة رضي الله عنها أن خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت
لذي غيظ شفاء والعافين عن الناس إذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم القيامة

والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم
مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها

أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم إلا من عفا وعن ابن عيينة أنه رواه للرشيد وقد غضب على
رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه إن هؤلاء في أمتي قليل إلا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الأمم التي
مضت والله يحب المحسنين يجوز أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون
وأن يكون للعهد فتكون إشارة إلى هؤلاء والذين عطف على المتقين أي أعدت للمتقين والتائبين وقوله
أولئك إشارة إلى الفريقين ويجوز أن يكون والذين مبتدأ خبره أولئك فاحشة فعلة متزايدة
القبح أو ظلموا أنفسهم أو أذنبوا أي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة الزنى وظلم النفس
ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله تذكروا
عقابه أو وعيده أو نهيه أو حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا
لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب إلا الله وصف لذاته بسعة الرحمة
وقرب المغفرة وأن التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وأنه لا مفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه
وأن عدله يوجب المغفرة للتائب لأن العبد إذا جاء في الاعتذار والتنصل بأقصى ما يقدر عليه وجب
العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس
والقنوط وأن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم والمعنى أنه وحده معه مصححات
المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم
غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة وروي
لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار وهم يعلمون حال من فعل الإصرار وحرف النفي منصبت
عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها
لأنه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع أن الذين آمنوا على ثلاث طبقات
متقون وتائبون ومصرون وأن الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد
كابر عقله وعاند ربه فال أجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لأنهما في معنى واحد وإنما خالف بين اللفظين
لزيادة التنبيه على أن ذلك جزاء واجب على عمل وأجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي أن
الله عز وجل أوحى إلى موسى ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف أجود برحمتي على من يبخل بطاعتي
وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور
وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن يقول الله يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوي
وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم وعن رابعة البصرية أنها كانت تنشد

ونعم اجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله

ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس ○ والمخصوص بالمدح محذوف
تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها
الله في الامم المكذبين من تابعه كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا
تجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم
عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار
هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة
للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر
من اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبين من امر المتقين والتائبين والمصرين
ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية من قلوبهم
يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا
على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر
اكثر مما اصابوا منكم يوم احد وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان
ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او هي بشارة لهم بالعلو والغلبة اي
وانتم الاعلون في العاقبة وان جندنا لهم الغالبون ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي يعني ولا
تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة
باعدائه او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة وقرئ قرح
بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها وقرأ
ابو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم
احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال
فانتم اولى ان لا تضعفوا ونحوه فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان
ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله فان قلت كيف قيل قرح مثله
وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين قلت بلى كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار
الا ترى الى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر
وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون وتلك الايام تلك مبتدأ والايام صفته ونداولها خبره ويجوز
ان يكون تلك الايام مبتدأ وخبرا كما تقول هي الايام تبلي كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة

وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين

نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله ○ فيوما علينا
ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر ○ وفي امثالهم الحرب سجال وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد
فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله صلى الله عليه
وهذا ابو بكر وها انا عمر قال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه
لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلكم فقد خبنا اذن وخسرنا والمداولة مثل
المعاودة قال ○ يرد المياه فلا يزال مداولا في الناس بين تمثل وسماع ○ يقال داولت بينهم
الشيء فتداولوه وليعلم الله الذين آمنوا فيه وجهان احدهما ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون
على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم
من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت والا فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقيل
معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني ان يكون العلة محذوفة
وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بان
المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم ان العبد يسوءه ما يجري عليه
من المصائب ولا يشعر ان لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا
منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم
القيمة بما يبتلى به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين
اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين
في سبيل الله وليمحص الله الذين آمنوا وليطهرهم ويصفيهم من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني
ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على
الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يعلم الله بمعنى ولما تجاهدوا
لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم
الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد
فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل وانا اتوقع فعله وقرئ
ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب باضمار ان
والواو بمعنى الجمع كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث
عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم

ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم

تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهدا مع رسول
الله ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين ألحوا على رسول الله في الخروج إلى
المشركين وكان رأيه في الإقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته
وصعوبة مقاساته فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل
بين أيديكم من قتل من إخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى
ما تسببوا له من خروج رسول الله بإلحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده فإن قلت
كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد متمني الشهادة إلى نيل
كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه إلى ذلك المتضمن كما أن من يشرب دواء الطبيب النصراني
قاصد إلى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة وإحسان إلى عدو الله وتنفيقا
لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض إلى مؤتة وقيل له ردكم الله

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي ... أرشدك الله من غاز وقد رشدا

لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه أقبل يريد قتله
فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد حتى قتله ابن قمئة وهو
يرى أنه رسول الله فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ
الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤوا وجعل رسول الله يدعو إلى عباد الله حتى
انحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا
أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروي أنه لما صرخ الصارخ قال بعض
المسلمين ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل
ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم إن كان قتل محمد فإن رب
محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات
عليه ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل
وعن بعض المهاجرين أنه مر بأنصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال
إن كان قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو

على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب
الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا

كما خلوا وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لأن الغرض
من بعثة الرسول تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه أفإن مات الفاء معلقة
للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم
على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل
سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه لا للانقلاب عنه فإن قلت لم ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل
قلت لكونه مجوزا عند المخاطبين فإن قلت أما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس قلت
هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة ألا ترى أنهم سمعوا خبر قتله فهربوا على أنه يحتمل العصمة
من فتنة الناس وإضلالهم والانقلاب على الأعقاب الإدبار عما كان رسول الله يقوم به من أمر
الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد أحد من المسلمين ذلك اليوم إلا ما كان من قول المنافقين
ويجوز أن يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله وإسلامه
فلن يضر الله شيئا يعني فما ضر إلا نفسه لأن الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي
الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كأنس بن النضر وأضرابه وسماهم شاكرين لأنهم شكروا نعمة الإسلام
فيما فعلوا المعنى أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله فأخرجه مخرج فعل لا ينبغي لأحد
أن يقدم عليه إلا أن يأذن الله فيه تمثيلا ولأن ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له أن يقبض
نفسا إلا بإذن من الله وهو على معنيين أحدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو بإعلامهم
أن الحذر لا ينفع وأن أحدا لا يموت قبل بلوغ أجله وإن خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر
ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه وإسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ
والكلاءة وتأخير الأجل كتابا مصدر مؤكد لأن المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له أجل معلوم
لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد نؤته منها
أي من ثوابها وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته
وسيجزي بالياء فيهما قرئ قاتل وقتل وقتّل بالتشديد والفاعل ربيون أو ضمير النبي ومعه
ربيون حال عنه بمعنى قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الأول وعن
سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلاث
فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا
عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن

والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ولقد صدقكم الله وعده

والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الامان من ابي سفيان وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاة وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ان تطيعوا الذين كفروا قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وان على المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم بل الله مولاكم اي ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة احد وولايته وقرئ بالنصب على بل اطيعوا الله مولاكم سنلقي قرئ بالنون والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا بما اشركوا بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة فان قلت كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك قلت لم يعن ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان تقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله

ولا ترى الضب بها ينجحر

ولقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز ان يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا الى المدينة

إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم

قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان رسول الله صلى الله عليه جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يحسونهم اي يقتلونهم قتلا ذريعا حتى اذا فشلوا والفشل الجبن وضعف الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا وقال بعضهم لا نخالف امر رسول الله فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر اعقابهم ينتهبون وهم الذين ارادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان امر رسول الله والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة فان قلت اين متعلق حتى اذا قلت محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكر والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال صعد في الجبل واصعد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة وقرأ الحسن تصعدون يعني في الجبل وتعضد الاولى قراءة ابي اذ تصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعد في السلم وقرأ الحسن تلون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ تصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فأثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له او غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار

قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ٭ ان الذين تولوا منكم يوم
التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم

لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم يعني من علم الله منه انه يقتل و
يصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم الذين
علم الله انهم يقتلون الى مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح
قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام
يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم على
الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك شيئا
من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى احد وكان الرأي علينا ان نقيم ولا نبرح كما كان رأي عبد الله بن ابي
وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئا لما قتلنا في هذه المعركة قل ان التدبير كله لله يريد ان الله عز
وعلا قد دبر الامر كما جرى ولو اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم
وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرز بالتشديد وضم الباء وليبتلي الله
وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الاخلاص وليمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك
لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص فان قلت كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة قلت قد
اهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين او استئناف
على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون فان قلت كيف صح ان يقع ما هو مسألة عن
الامر بدلا من الاخبار بالظن قلت كانت مسألتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه
ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل
من يخفون والاجود ان يكون استئنافا استزلهم طلب منهم الزلل ودعاهم اليه ببعض ما
كسبوا من ذنوبهم ومعناه ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا
الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال
الشيطان اياهم هو التولي وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب
كما ان الطاعة تجر الى الطاعة وتكون لطفا فيها وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة
وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي امرهم رسول الله بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة
وقيل ذكرتهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا
على حال مرضية فان قلت لم قيل ببعض ما كسبوا قلت هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير ولقد
عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنب حليم لا يعاجل بالعقوبة وقالوا

يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون فبما رحمة من الله لنت لهم

لإخوانهم لأجل إخوانهم كقوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه ومعنى
الأخوة اتفاق الجنس والنسب إذا ضربوا في الأرض إذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو
غيرها أو كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى في قوله عفى الحياض أجون وقرئ بتخفيف الزاي
على حذف التاء من غزاة فإن قلت كيف قيل إذا ضربوا مع قالوا قلت هو على حكاية الحال الماضية
كقولك حين يضربون في الأرض فإن قلت ما متعلق ليجعل قلت قالوا أي قالوا ذلك واعتقدوه
ليكون حسرة في قلوبهم على أن اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا أو لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم
في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فإن قلت
ما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى قلت معناه أن الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد
الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده
من الغم والحسرة وضيق الصدور فعل الله عز وعلا كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد
في السماء ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم
مثلهم حسرة في قلوبهم لأن مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم والله
يحيي ويميت رد لقولهم أي الأمر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد
كما شاء وعن خالد بن الوليد أنه قال عند موته ما في موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة وها أنا
ذا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء
يعني الذين كفروا لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لإلى الله تحشرون
كذب الكافرين أولا في زعمهم أن من سافر من إخوانهم أو غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى
المسلمين عن ذلك لأنه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك
بالموت أو القتل في سبيل الله فإن ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما
تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الأرض ذهبة حمراء وقرئ
بالياء أي يجمع الكفار لإلى الله تحشرون لإلى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب
تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وإدخال اللام على الحرف المتصل به شأن
ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات ما مزيدة للتوكيد والدلالة
على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ومعنى الرحمة ربطه على
جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى أثابهم غما بغم وآساهم بالمباثة بعد ما خالفوه وعصوا

ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

أمره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك
حتى لا يبقى حولك أحد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله إتماما للشفقة
عليهم وشاورهم في الأمر يعني في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم ولما فيه
من تطييب نفوسهم والرفع من أقدارهم وعن الحسن قد علم الله أنه ما به إليهم حاجة ولكنه أراد
أن يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم وعن أبي
هريرة ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من أصحاب رسول الله وقيل كان سادات العرب إذا لم يشاوروا
في الأمر شق عليهم فأمر الله رسوله بمشاورة أصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي دونهم
وقرئ وشاورهم في بعض الأمر فإذا عزمت فإذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله
في إمضاء أمرك على الأرشد الأصلح فإن ما هو أصلح لك لا يعلمه إلا الله لا أنت ولا من تشاور وقرئ
فإذا عزمت بضم التاء بمعنى فإذا عزمت لك على شيء وأرشدتك إليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك
أحدا إن ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم وإن يخذلكم كما خذلكم يوم أحد فمن ذا
الذي ينصركم وهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده من بعده من بعد خذلانه أو هو من قولك
ليس لك من يحسن إليك من بعد فلان تريد إذا جاوزته وقرأ عبيد بن عمير وإن يخذلكم من أخذله
إذا جعله مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله والتأييد وتحذير من
المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان وعلى الله وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض
إليه لعلمهم أنه لا ناصر سواه ولأن إيمانهم يوجب ذلك ويقتضيه يقال غل شيئا من المغنم غلولا
وأغل إغلالا إذا أخذه في خفية ويقال أغل الجازر إذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد والغل
الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله عليه السلام من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيامة يحمله
على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول وعنه ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا إغلال
ولا إسلال ويقال أغله إذا وجده غالا كقولك أبخلته وأجبنته ومعنى وما كان لنبي أن يغل وما
صح له ذلك يعني أن النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع إلى معنى الأول
لأن معناه وما صح له أن يوجد غالا ولا يوجد غالا إلا إذا كان غالا وفيه وجهان أحدهما أن يبرأ
رسول الله من ذلك وينزه وينبه على عصمته بأن النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا
منه وأن لا يستريب به أحد كما روي أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل

رسول الله اخذها وروى انها نزلت فى غنائم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا
نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم
النبى صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امرى فقالوا تركنا بقية
اخواننا وقوفا فقال عليه السلم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثانى ان يكون مبالغة فى النهى لرسول
الله على ما روى انه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعنى ما كان لنبى
ان يعطى قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا
وتقبيحا لصورة الامر ولو قرى ان يغل من اغل بمعنى غل لجاز يات بما غل يوم القيمة يات بالشى
الذى غله بعينه يحمله كما جاء فى الحديث جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وروى الا لا اعرفن احدكم
ياتى ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادى يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من
الله شيئا فقد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية فقال
اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز ان يراد يات بما احتمل من وباله وتبعته واثمه فان قلت
هلا قيل ثم يوفى ما كسب ليتصل به قلت جى بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به
من حيث المعنى وهو اثبت وابلغ لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا او شرا مجزى فموفى
جزاءه علم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون اى يعدل بينهم فى الجزاء كل
جزاؤه على قدر كسبه هم درجات اى هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله

انصب للمنية تعتريهم رجالى ام هم درج السيول

وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل
المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون
عالم باعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله
من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم
وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فان قلت فما وجه المنة عليهم فى ان كان من انفسهم قلت
اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله
فى الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفى كونه من انفسهم شرف
لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة رضى الله عنها
من انفسهم اى من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان
وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم

١٢٦

وفيما خطب به ابو طالب فى تزويج خديجة رضى الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد
لله الذى جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته
وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخى
هذا محمد بن عبد الله من لا يوازن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر
جليل وقرى لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة او يكون
اذ فى محل الرفع كاذا فى قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين
وقت بعثه يتلو عليهم آياته بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شى من الوحى ويزكيهم
ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات والخبائث وقيل
ويأخذ منهم الزكاة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم
من دراسة العلوم وان كانوا من قبل من قبل بعثة الرسول لفى ضلال ان هى المخففة من الثقيلة و
اللام هى الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشان والحديث كانوا من قبل فى ضلال مبين
ظاهر لا شبهة فيه اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم
مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين ولما نصب بقلتم واصابتكم فى محل الجر باضافة لما
اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع فان قلت
علام عطفت الواو هذه الجملة قلت على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده
ويجوز ان تكون معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى هذا من اين هذا
كقوله انى لك هذا لقوله من عند الله وقوله من عند انفسكم والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم
الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن على رضى الله عنه لاخذكم الفداء من اسارى بدر
قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شى قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة
ويصيب منكم اخرى وما اصابكم يوم احد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين فهو كائن باذن الله
اى بتخليته استعار الاذن لتخليته الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الاذن مخل بين
الماذون له ومراده وليعلم وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء
ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب لسؤال
اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز ان تقتصر
الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للآخرة كا

أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين

يقاتل المؤمنون وبين أن يقاتلوا إن لم يكن بهم غم الآخرة دفعا عن أنفسهم وأهليهم وأموالهم فأبوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأسا لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي أن عبد الله بن أبي انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك وقيل أو ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وإن لم تقاتلوا لأن كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو أمكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم فقيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله أو ادفعوا أراد أكثر سوادهم ووجه آخر وهو أن يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون أن ما أنتم فيه لخطإ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال إنما هو إلقاء بالأنفس إلى التهلكة لأن رأي عبد الله كان في الإقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يعني أنهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالإيمان وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين يقولون بأفواههم لا يتجاوز إيمانهم أفواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الأفواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وأن إيمانهم موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لأفواههم والله أعلم بما يكتمون من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك لأنكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بأمارات وأنا أعلم كله علم إحاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا في إعرابه أوجه أن يكون نصبا على الذم أو على الرد على الذين نافقوا أو رفعا على هم الذين نافقوا أو على الإبدال من واو يكتمون ويجوز أن يكون مجرورا بدلا من الضمير في بأفواههم أو قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لإخوانهم لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد أو إخوانهم في النسب وفي سكنى الدار وقعدوا أي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو أطاعونا إخواننا فيما أمرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين معناه قل إن كنتم صادقين في أنكم وجدتم إلى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا إلى دفع الموت سبيلا يعني أن ذلك الدفع غير مغن عنكم لأنكم إن دفعتم القتل الذي

١٦٧ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون

القتل الذي هو أحد أسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر أسبابه المبثوثة ولا بد لكم من أن يتعلق بكم بعضها وروي أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا فإن قلت فقد كانوا صادقين في أنهم دفعوا القتل عن أنفسهم بالقعود فما معنى قوله إن كنتم صادقين قلت معناه أن النجاة من القتل يجوز أن يكون سببها القعود عن القتال وأن يكون غيره لأن أسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم أن سبب نجاتكم القعود وأنكم صادقون في مقالتكم وما أنكرتم أن يكون السبب غيره ووجه آخر إن كنتم صادقين في قولكم لو أطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني أنهم لو أطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا عن أنفسكم الموت استهزاء بهم أي إن كنتم رجالا دفاعين لأسباب الموت فادرءوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الخطاب لرسول الله أو لكل أحد وقرئ بالياء ولا يحسبن رسول الله أو ولا يحسبن حاسب ويجوز أن يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا أمواتا أي ولا يحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا فإن قلت كيف جاز حذف المفعول الأول قلت هو في الأصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ في قوله أحياء والمعنى هم أحياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد وأحياء بالنصب على معنى بل أحسبهم أحياء عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق إليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ويستبشرون بإخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم أي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم أن لا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء

يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل

واصابة فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمؤمنين
بالفوز في المآب وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل لهم
ولا يضيع وقرئ وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى ان الجملة
اعتراض وهي قراءة الكسائي وتعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع الذين استجابوا مبتدا
خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب على المدح روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا
من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه فاراد
ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال
لا يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه مع جماعة حتى بلغوا حمراء
الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم
الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن في للذين احسنوا منهم للتبيين
مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول
قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة ان ابويك لمن الذين
استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم روي
ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى
الله عليه ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى
الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال
يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام
نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراءة
فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال
لهم ما هذا بالراي اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افتريدون
ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد وقيل مر بابي سفيان ركب
من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون
الخروج فقال عليه السلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا
وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم صلوات الله عليه حين القي في النار

فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه

حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا
الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم
لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبطون والآخرون ابو سفيان واصحابه فان قلت كيف قيل
الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده قلت قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب
الخيل ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال ذلك لم يخل من ناس من اهل
المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فان قلت الام رجع المستكن
في فزادهم قلت الى المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا
الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له او الى الناس اذا اريد به
نعيم وحده فان قلت كيف زادهم نعيم او مقوله ايمانا قلت لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده
النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم
كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم على اثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة و
الطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله ان
الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار
وعن عمر انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان
هذه الامة لرجح به حسبنا الله محسبنا الله اي كافينا يقال احسبه الشيء اذا كفاه والدليل
على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه في معنى
اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من
الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم جناح ان
تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو واتبعوا رضوان الله
بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير
لمن تخلف عنهم واظهار لخطا رايهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل يكون
هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم الشيطان خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط
هو الشيطان ويخوف اولياءه جملة مستانفة بيان لشيطنته او الشيطان صفة لاسم الاشارة
ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفيان ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف
بمعنى انما ذلكم قول الشيطان اي قول ابليس لعنه الله يخوف اولياءه يخوفكم اولياءه الذين هم

فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم

ابو سفين واصحابه وتدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم اولياءه وقوله فلا تخافوهم
وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله فان قلت فالام رجع الضمير في فلا تخافوهم
على هذا التفسير قلت الى الناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن
القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يامركم به ان كنتم مؤمنين
يعني ان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا يخشون احدا الا الله يسارعون
في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين
وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام فان قلت فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول
ان يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت معناه لا يحزنوك لخوف ان يضروك
ويعينوا عليك الا ترى الى قوله انهم لن يضروا الله شيئا يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم
في الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد
الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة اي نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك
ابلغ ما ضر به الانسان نفسه فان قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة واي فائدة
في ذكر الارادة قلت فائدته الاشعار بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص
خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان
وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين يريد ان لا يرحمهم ان الذين اشتروا الكفر
بالايمان اما ان يكون تكريرا لذكرهم للتاكيد والتسجيل عليهم بما اضاف اليهم واما ان يكون
عاما للكفار والاول خاصا فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام او على العكس وشيئا
نصب على المصدر لان المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر الذين كفروا فيمن قرا بالتاء نصب وانما
نملي لهم خير لانفسهم بدل منه اي ولا تحسبن ان ما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه
ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن ان
املاءنا خير وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام
متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الامام في خط المصاحف فان قلت كيف صح مجيء البدل
ولم يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك
من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه
فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا

انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب

اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وهو
فيمن قرا بالياء رفع والفعل متعلق بان وما في حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشانهم
مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم
والمعنى ولا تحسبن ان الاملاء خير لهم من منعهم او قطع آجالهم انما نملي لهم ما هذه حقها
ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستانفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم
لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد
الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم قلت هو علة للاملاء وما كل علة بغرض الا تراك تقول
قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شيء منها بغرض لك وانما هي
علل واسباب فكذلك ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب قلت
لما كان في علم الله المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله وبسببه على طريق
المجاز وقرا يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا
ان املاءنا لازدياد الاثم كما يفعلون وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي لهم
خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه ان املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا
انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة فان قلت فما معنى قوله ولهم عذاب
مهين على هذه القراءة قلت معناه ولا تحسبوا ان املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو للحال
كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين اللام لتاكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط
المؤمنين الخلص والمنافقين حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز
من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من اماز بمعنى ميز فان قلت لمن الخطاب في انتم قلت
للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال
التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق
جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب
اي وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص
الآخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن الله يرسل الرسول
فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص فيعلم
ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز ان يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز

ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا

الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استأثر الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فآمنوا بالله ورسله بان تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا بمن يؤمن منا ومن يكفر فنزلت ولا يحسبن من قرا بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا يحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرا بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرا الاعمش بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك وعن النبي صلى الله عليه في مانع الزكاة يطوق شجاعا اقرع وروي بشجاع اسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث السموات والارض اي وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقرئ بما يعملون بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلوا اما ان يقولوه عن اعتقاد لذلك او عن استهزا بالقران وايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب **فان قلت** كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل ولقد كتبنا **قلت** ذكر وجود السماع اولا موكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد

وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين

معنى لن يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس باول ما ركبوه من العظائم وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجترا على مثل هذا القول وروي ان رسول الله صلى الله عليه كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سالنا القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة ونقول لهم ذوقوا وننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه احس وذق وقال ابو سفين لحمزة رضي الله عنه ذق عقق وقرا حمزة سيكتب بالياء على البنا للمفعول ويقول بالياء وقرا الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرا ابن مسعود ويقال ذوقوا ذلك اشارة الى ما تقدم من عقابهم وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب **فان قلت** فلم عطف قوله وان الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات في استحقاق التعذيب **قلت** معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن عهد الينا امرنا في التوراة واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه الاية الخاصة وهو ان يرينا قربانا تنزل نار من السما فتاكله كما كان انبيا بني اسرائيل تلك اياتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السما فتاكله وهذه دعوى باطلة وافترا على الله لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الاتي به الا لكونه اية ومعجزة فهو اذن وسائر الايات سوا فلا يجوز ان يعينه الله تعالى من بين الايات وقد الزمهم الله ان انبياءهم جاءوهم بالبينات الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق وجاءوهم ايضا بهذه التي اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين في ان الايمان يلزمهم باتيانها وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان **فان قلت** ما معنى قوله وبالذي قلتم **قلت** معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تاكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا اي لمعنى ما قالوا في مصاحف اهل الشام وبالزبر وهي الصحف والكتاب المنير التوراة والانجيل والزبور وهذه تسلية لرسول الله من تكذيب قومه وتكذيب اليهود قرا اليزيدي ذائقة الموت على الاصل وقرا الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا **فان قلت**

فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم

كيف اتصل به قوله وانما توفون اجوركم قلت اتصاله به على ان كلكم تموتون لا بد لكم من الموت ولا توفون
اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم عن القبور فان قلت فهذا يوهم
نفي ما روي ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران قلت كلمة التوفية
تزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور
الزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق
المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان
الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب وعن النبي صلى الله عليه
من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر
ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد شبه
الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان
هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها
فانها متاع بلاغ خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى
والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه
الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح وما
يرد عليها من انواع المخاوف والمصائب وفي الاموال الانفاق في سبل الخير وما يقع فيها من
الآفات وما يسمعون من اهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة
من آمن وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه لرسول الله وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني
قريظة والنضير فان ذلك فان الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور
اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون يعني ان ذلك عزمة من عزمات
الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا واذ اخذ الله واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب
ليبيننه الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل
اذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم
يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه
جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه وكفى به دليلا على انه مأخوذ على العلماء ان يبينوا الحق
للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم

واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم

واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة وحطام دنيا او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او
لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلى الله عليه من كتم علما عن اهله الجم بلجام
من نار وعن طاوس انه قال لوهب اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو
كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء
ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما اخذ
الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقرئ ليبيننه للناس ولا يكتمونه
بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن
لا تحسبن خطاب لرسول الله واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا
تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء
على خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على ان الفعل للرسول وقرأ ابو عمرو
بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف
على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم
تأكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده مأتيا
لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى اعطوا وعن علي
رضي الله عنه بما اوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه روي ان رسول الله صلى الله عليه سأل
اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا
اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود
الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق
عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما اوتوا بما اوتوه من علم التوراة وقيل يفرحون
بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابرهيم حيث ادعوا
ان ابرهيم كان على اليهودية وانهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله فلما
قفل اعتذروا اليه بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم
المنافقون يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون
اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا لكل من يأتي
بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه

[قياما] وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار

وعلى جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون في خلق السموات والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع وكبريا سلطانه وعن سفين الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى السما فلما راى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي صلى الله عليه بينا رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السما فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي صلى الله عليه لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما تحدث الما للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروي عن النبي صلى الله عليه لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزا من عصى ومن لم يطع **فان قلت** هذا اشارة الى ماذا **قلت** الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والارض اي فيما خلق منها ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله **فان قلت** فاي فائدة في الجمع بين المنادي وينادي **قلت** ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك ان

قياما وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار

وعلى جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون في خلق السموات والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبّر فيها مما تكلّ الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع وكبرياء سلطانه وعن سفين الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى السما فلما راى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي صلى الله عليه بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السما فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي صلى الله عليه لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما تحدث الما للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروي عن النبي صلى الله عليه لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزا من عصى ومن لم يطع فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والارض اي فيما خلق منها ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله فان قلت فاي فائدة في الجمع بين المنادي وينادي قلت ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك ان

ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وجاهدوا واخرجوا من
ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار

المنادي اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية
بعض النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي لسداد
الراي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي
والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه له واليه ونحوه هداه
للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول
ادعو الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرآن ان آمنوا اي آمنوا او بان آمنوا
ذنوبنا كبائرنا سيئاتنا صغائرنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار
جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب على رسلك على هذه صلة للوعد في قولك وعد الله
الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادي للايمان
وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا
على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل محملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك
والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء **فان قلت** كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله
لا يخلف الميعاد **قلت** معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو باب
من اللجا الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلم يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون
بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجا الذي هو سيما العبودية يقال استجاب له واستجابه
فلم يستجبه عند ذاك مجيب اني لا اضيع قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا
اضيع بالتشديد من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد
فكل واحد منكم من الآخر اي من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة
الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين
وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت
فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه
الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا
الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشاوا بما سامهم المشركون من الخسف واوذوا في سبيلي
من اجله وبسببه يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ وقتلوا
بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل

ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله

والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا
من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم وعنده مثل اي يختص به وبقدرته
وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وبملكه وان
لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال
واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الاثابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة
تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا اليه بالعمل
بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا
انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الآية وعن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا
خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من
تقديمه بين يدي الدعاء لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه او لكل احد اي لا تنظر الى ما هم
عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ما
ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس هم
اهل مكة وقيل هم اليهود وروي ان ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء
ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد **فان قلت** كيف
جاز ان يغتر رسول الله بذلك حتى ينهى عن الاغترار به **قلت** فيه وجهان احدهما ان مدرة القوم
ومتقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم والثاني ان رسول
الله كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله ولا تكونن ظهيرا للكافرين
ولا تكونن من المشركين ولا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم
يا ايها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل
السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك
بالنون الخفيفة متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد اراد
قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل
في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما
يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وبئس المهاد وساء ما مهدوا لانفسهم النزل والنزل
ما يقام للنازل قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وما عند الله خير للابرار وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون

وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون وقرأ يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد وان من اهل الكتاب عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة اهل الكتاب عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى اصحمة عطية بالعربية وذلك انه لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه فقال عليه السلم اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع ونظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم اي ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ويؤتكم كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر ويجوز ان يراد انما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا اعداء الله في الجهاد اي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته ورابطوا واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة ٥ عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس ٥

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس يا بني آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس آدم ابيكم فان قلت علام عطف قوله وخلق منها زوجها قلت فيه وجهان احدهما ان يعطف على محذوف كانه قيل من نفس واحدة انشاها وابتداها وخلق منها زوجها وانما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه انشاها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من اضلاعه وبث منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني ان يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا ايها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه والمعنى خلقكم من نفس آدم لانهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر فان قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يوجبها او يدعو اليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدور عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي الى ان يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها او اراد بالتقوى تقوى خاصة وهي ان يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق تساءلون به تتساءلون به فادغمت التاء في السين وقرئ تساءلون بطرح التاء الثانية اي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وانا شدتك الله والرحم او تسألون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رأيت الهلال وتراءيناه وتنصره قراءة من قرأ تسألون به مهموزا او غير مهموز وقرئ والارحام بالحركات الثلاث فالنصب على وجهين اما على واتقوا الله والارحام او ان يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وتنصره قراءة ابن مسعود تسألون به وبالارحام

وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب

والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لأن الضمير المتصل متصل كاسمه والجار
والمجرور كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال
فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل
كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد ألا ترى إلى صحة قولك رأيتك وزيدا و
مررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لأنه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير
تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر: فما بك والأيام من عجب. والرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف
كأنه قيل والأرحام كذلك على معنى والأرحام مما يتقى أو والأرحام مما يتساءل به والمعنى أنهم كانوا
يقرون بأن لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الذي خلقكم واتقوا
الذي تتناشدون به واتقوا الأرحام فلا تقطعوها أو واتقوا الله الذي تتعاطفون بإذكاره
وبإذكار الرحم وقد آذن عز وعلا إذ قرن الأرحام باسمه أن صلتها منه بمكان كما قال ألا
تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا وعن الحسن إذا سألك بالله فأعطه وإذا سألك
بالرحم فأعطه وللرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه الرحم
معلقة بالعرش فإذا أتاها الواصل بشت به وكلمته وإذا أتاها القاطع احتجبت منه وسئل
ابن عيينة عن قوله عليه السلام تخيروا لنطفكم فقال يقول لأولادكم وذلك أن يضع ولده في
الحلال ألم تسمع قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام وأول صلته أن يختار له الموضع
الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فإنما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا
يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله. اليتامى الذين مات آباؤهم
فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في
الأناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الأمهات. فإن قلت كيف جمع اليتيم وهو فعيل
كمريض على يتامى قلت فيه وجهان أن يجمع على يتمى كأسرى لأن اليتم من وادي الآفات والأوجاع
ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى وأن يجوز أن يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الأسماء نحو صاحب وفارس
فيقال يتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى
الانفراد عن الآباء إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فإذا استغنوا
بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم
هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله يتيم أبي طالب إما على القياس وإما حكاية للحال

ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا

التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له وأما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو إلا
تعليم شريعة لا لغة يعني أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار. فإن قلت فما معنى قوله وآتوا
اليتامى أموالهم قلت إما أن يراد باليتامى الصغار وبإيتائهم الأموال أن لا يطمع فيها الأولياء
والأوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا
سالمة غير محذوفة وإما أن يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس أو لقرب عهدهم إذا
بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على أن فيه إشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم
إليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا إن أونس منهم الرشد وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى
والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه
عمه فترافعا إلى النبي صلى الله عليه فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ
بالله من الحوب الكبير فدفع ماله إليه فقال النبي عليه السلام ومن يوق شح نفسه ويطع ربه
هكذا فإنه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله
عليه ثبت الأجر وبقي الوزر قالوا يا رسول الله قد عرفنا أنه ثبت الأجر فكيف
بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت أجر الغلام وبقي الوزر على والده ولا
تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما
أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الأرض فتأكلوه مكانه أو لا تستبدلوا الأمر
الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى
الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة
فيا كرم السكن الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل أراد وبالوم ما استخلفته
الدار واستبدلته وقيل هو أن يعطي رديئا ويأخذ جيدا وعن السدي أن يجعل شاة مهزولة
مكان سمينة وهذا ليس بتبدل إنما هو تبديل إلا أن يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان
سمينة من مال الصبي ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها
إليها في الإنفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين
الحلال فإن قلت قد حرم عليهم أكل مال اليتامى وحده ومع أموالهم فلم ورد النهي عن أكله
معها قلت لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على
ذلك يطمعون فيها كان القبح أبلغ والذم أحق ولأنهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم

وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلث ورباع

ليكون ازجر لهم والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه السلام ان طلاق ام ايوب لحوب وكانه
قيل انه كان ذنبا عظيما كبيرا وقرأ الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا و
نظيره الحاب والحوب القول والقال والطرد والطرد ولما نزلت الآية في اليتامى وما في
اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب بترك الاقساط في حقوق اليتامى
واخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الازواج والثمان
والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى
فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من
ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لانه انما وجب ان يتحرج من
الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنى وهم
يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنى فانكحوا ما
حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون
وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن
وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم ان لا
تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور
وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل ايامى والاصل ايائم ويتائم وقرأ النخعي تقسطوا بفتح
التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وان خفتم ان تجوروا ما طاب لكم ما حل لكم
من النساء لان منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم وقيل ما ذهابا الى الصفة ولان الاناث من
العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم مثنى وثلاث ورباع معدولة
عن اعداد مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها
وهي نكرات يعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب
على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا
ثلاثا واربعا اربعا **فان قلت** الذي اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع
فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع **قلت** الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل
ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف
درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افردت لم يكن له معنى **فان قلت**

فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا

ثم جاء العطف بالواو دون او **قلت** كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت
تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة او اربعة اربعة اعلمت انه لا يسوغ لهم
ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة وليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية
وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة الذي دلت عليه
الواو وتحريره ان الواو دلت على اطلاق ان يأخذ الناكحون من ارادوا نكاحها من النساء على
طريق الجمع ان شاؤوا مختلفين في تلك الاعداد وان شاؤوا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك
وقرأ ابراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد
كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأسا
فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع
واحدة او فكفت واحدة او فحسبكم واحدة او ما ملكت ايمانكم سوّى في السهولة واليسر
بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واقصر
شغبا واخف مؤنة من المهائر لا عليك اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم ام لم
تعدل عزلت عنهن ام لم تعزل وقرأ ابن ابي عبلة من ملكت ذلك اشارة الى اختيار الواحدة
والتسري ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان
فلان عائل وعال الحاكم في حكمه اذا جار وروي ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال له اتعول
علي وقد روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه ان لا تعولوا ان لا تجوروا
والذي يحكى عن الشافعي رضي الله عنه انه فسر ان لا تعولوا ان لا تكثر عيالكم فوجهه ان
يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر
عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال
والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وائمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق
بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روي عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من في اخيك سوءا وانت تجد لها في الخير محملا
وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بانه كان اعلى كعبا واطول
باعا في علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب فسلك في تفسير
هذه الكلمة طريقة الكنايات **فان قلت** كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهائر

وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا

قلت ليس كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وقرأ طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي رضي الله عنه رحمه الله من حيث المعنى الذي قصده صدقاتهن مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك في ظلمة ظلمة نحلة من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه اني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الاسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا اي يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها ويجوز ان يكون حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه الضمير في منه جار مجرى الاشارة كانه قيل عن شيء من ذلك كما قال تعالى قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من افواه العرب ما روي عن رؤبة انه قيل له في قوله كانه في الجلد توليع البهق فقال اردت كان ذاك او يرجع الى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين كانه قيل اصدق ونفسا تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فانفقوه قالوا فان وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امراته

ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا

شريحا في عطية اعطتها اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل اليس قد قال الله تعالى فان طبن لكم فقال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه اقيلها فيما وهبت ولا اقيله لانهن يخدعن وحكي ان رجلا من آل ابي معيط اعطته امراته الف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فاين الآية التي بعدها فلا تاخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك لها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة وروي ان ناسا كانوا يتاثمون ان يرجع احدهم في شيء مما ساق الى امراته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيئا وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فان طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا باليسير وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد او تقم في بيت زوجها سنة ويجوز ان يكون تذكير الضمير لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا الهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما تحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة المريء لمروء الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنئا مرءا وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة السفهاء المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على انه خطاب

وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح

للاولياء في اموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم جعل الله لكم قياما اي تقومون بها
وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكأنها في انفسها قيامكم وانتعاشكم وقرئ قيما بمعنى قياما
كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر قواما بالواو وقوام الشيء ما يقام به كقولك
هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك مالا يحاسبني
الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل
بي بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا لئن ادنتني من الدنيا لقد صانتني
عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما
يأكل دينه وربما رأوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك وارزقوهم فيها و
اجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب
المال فلا يأكلها الانفاق وقيل هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريب
او اجنبي رجل او امرأة يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده قولا معروفا قال ابن جريج
عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وعن عطاء اذا ربحت اعطيتك وان
غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله
واياك بارك الله فيك وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول
او عمل فهو معروف وما انكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى واختبروا
عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا تبينتم منهم رشدا
اي هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح ان يحتلم
لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والايناس الاستيضاح
فاستعير للتبين واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند ابي حنيفة واصحابه ان
يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يتبين حاله فيما يجيء منه والرشد التهدي الى وجوه
التصرف وعن ابن عباس الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي رضي الله عنهما
الابتلاء ان تتبع احواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء وتبصر مخايله وميله الى الدين
والرشد الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة للمال فان قلت فان لم يؤنس منه رشد
الى حد البلوغ قلت عند ابي حنيفة رحمه الله ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ
الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير

فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان
فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا

احوال الانسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم
يؤنس وعند اصحابه لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد فان قلت ما معنى تنكير الرشد قلت
معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله
حتى لا ينتظر به تمام الرشد فان قلت كيف نظم هذا الكلام قلت ما بعد حتى الى فادفعوا
اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى
تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا
متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا
اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكأنه
قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم
وقرأ ابن مسعود فان احستم بمعنى احسستم قال احسن به فهن اليه شوس وقرئ رشدا
بفتحتين ورشدا بضمتين اسرافا وبدارا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم
كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا
ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعفف من اكلها ولا يطمع ويقتنع
بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا
في تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف
والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي صلى الله عليه ان رجلا قال
له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله فقال
افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس ان ولي اليتيم قال له افاشرب من
لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها
فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فليأكل بالمعروف
ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى
العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه
وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن
مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر و
لبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل

للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا
واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم ان استغنيت
استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعف ابلغ من عف كانه طالب
زيادة العفة فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من
التخاصم والتجاحد وادخل في الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعي عليه صدق
مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي رضي الله عنهما لا يصدق الا بالبينة فكان
في الاشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم
البينة وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق
واياكم والتكاذب الاقربون المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه او
كثر بدل من مما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا
مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستأثر به ويجوز ان ينتصب انتصاب المصدر
المؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة روي ان اوس بن صامت الانصاري
ترك امرأته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه
عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح و
ذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كجة الى رسول الله في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال
ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل
لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين و
الباقي ابني العم واذا حضر القسمة اي قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث فارزقوهم منه
الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك
اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله تعالى على
ذلك تاديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره
من الحقوق وروي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنه قسم ميراث ابيه وعائشة
رضي الله عنها حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الآية وقيل هو على الوجوب
وقيل هو منسوخ باية المواريث كالوصية وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله ما
نسخت ولكنها مما تهاون به الناس والقول المعروف ان يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا بارك
الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن

وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون
في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا

والنخعي ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق
والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك
قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم لو ترك مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم
الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على
ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا
يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل
هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه
بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على
اولاد انفسهم لو كانوا ويجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون
القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا
خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة فان قلت ما معنى وقوع
لو تركوا وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان
يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب
كافلهم وكاسبهم كما قال القائل ∴ لقد زاد الحياة الي حبا بناتي انهن من الضعاف
احاذر ان يرين البؤس بعدي وان يشربن رنقا بعد صاف ∴ وقرئ ضعفاء وضعافى
وضعافى نحو سكارى وسكارى والقول السديد من الاوصياء ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم
كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي ومن الجالسين الى
المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادك مثل قول رسول
الله لسعد انك ان تترك ولدك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة
رضي الله عنهم يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من
الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ظلما ظالمين او على وجه
الظلم من اولياء السوء وقضاته في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه
قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا ومعنى ياكلون نارا ياكلون ما يجر الى النار فكانه
نار في الحقيقة وروي انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره
ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وروي

يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف

سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف
يوصيكم الله يعهد إليكم ويأمركم في أولادكم في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا
إجمال تفصيله للذكر مثل حظ الأنثيين فإن قلت هلا قيل للأنثيين مثل حظ الذكر أو
للأنثى نصف حظ الذكر قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك
ولأن قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قصد إلى بيان نقص الأنثى وما كان قصدا إلى بيان فضله كان
أدل على فضله من القصد إلى بيان نقص غيره عنه ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث
وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الإناث فلا يتمادى
في حظهن حتى يحرمن مع إدلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به فإن قلت فإن حظ
الأنثيين الثلثان فكأنه قيل للذكر الثلثان قلت أريد حال الاجتماع لا حال الانفراد أي إذا
اجتمع الذكر والأنثيان كان له سهمان كما أن لهما سهمين وأما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال
كله والبنتان تأخذان الثلثين والدليل على أن الغرض حكم الاجتماع أنه أتبعه حكم الانفراد
وهو قوله فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم أي من أولادكم فحذف
الراجع إليه لأنه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم فإن كن نساء فإن كانت البنات أو المولودات
نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز أن يكون خبرا ثانيا لكان
وأن يكون صفة لنساء أي نساء زائدات على اثنتين وإن كانت واحدة وإن كانت البنت أو
المولودة منفردة فذة ليس معها أخرى فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة
والقراءة بالنصب أوفق لقوله فإن كن نساء وقرأ زيد بن ثابت النصف بالضم والضمير في ترك
للميت لأن الآية لما كانت في الميراث علم أن التارك هو الميت فإن قلت قوله للذكر
مثل حظ الأنثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الأولاد لا لبيان حظ الأنثيين فكيف
صح أن يردف قوله فإن كن نساء وهو لبيان حظ الإناث قلت وإن كان مسوقا لبيان
حظ الذكر إلا أنه لما فقه منه وتبين حظ الأنثيين مع أخيهما كان كأنه مسوق للأمرين جميعا
فلذلك صح أن يقال فإن كن نساء فإن قلت هل يصح أن يكون الضميران في كن وكانت مبهمين
ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على أن كان تامة قلت لا أبعد ذلك فإن قلت لم قيل
فإن كن نساء ولم يقل وإن كانت امرأة قلت لأن الغرض ثمة خلوصهن إناثا لا ذكر فيهن
ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الأنثيين وبين انفرادهن وأريد

ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث

ها هنا أن يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها فإن قلت قد ذكر حكم
البنين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين
في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر قلت أما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس أبى تنزيلهما
منزلة الجماعة لقوله تعالى فإن كن نساء فوق اثنتين فأعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف
وأما سائر الصحابة فقد أعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم أن قوله للذكر مثل حظ الأنثيين
قد دل على أن حكم الأنثيين حكم الذكر وذلك أن الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالأنثيان كذلك
يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الأنثيين قيل فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى
فإن كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للأنثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن
ليعلم أن حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل إن البنتين أمس رحما بالميت من الأختين فأوجبوا
لهما ما أوجب الله للأختين ولم يروا أن يقصروا بهما عن حظ من هو أبعد رحما منهما وقيل إن البنت
لما وجب لها مع أخيها الثلث كانت أحرى أن يجب لها الثلث إذا كانت مع أخت مثلها ويكون
لأختها معها مثل ما كان يجب لها أيضا مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولأبويه
الضمير للميت ولكل واحد منهما بدل من لأبويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل أنه لو قيل
ولأبويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولأبويه السدسان لأوهم قسمة السدسين
عليهما على التسوية وعلى خلافها فإن قلت فهلا قيل ولكل واحد من أبويه السدس
وأي فائدة في ذكر الأبوين أولا ثم في الإبدال منهما قلت لأن في الإبدال والتفصيل
بعد الإجمال تأكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدأ
وخبره لأبويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة السدس
بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن والولد يقع على الذكر والأنثى ويختلف حكم
الأب في ذلك فإن كان ذكرا اقتصر بالأب على السدس وإن كان أنثى عصب مع إعطاء السدس
فإن قلت قد بين حكم الأبوين في الإرث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فإن لم
يكن له ولد فلأمه الثلث وأي فائدة في قوله وورثه أبواه قلت معناه فإن لم
يكن له ولد وورثه أبواه فحسب فلأمه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس
مما ترك لأنه إذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للأم ثلث ما يبقى بعد إخراج نصيب
الزوج لا ثلث ما ترك إلا عند ابن عباس والمعنى أن الأبوين إذا خلصا تقاسما الميراث للذكر

فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصى بها او دين اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا

مثل حظ الانثيين فان قلت ما العلة في ان كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال قلت
فيه وجهان احدهما ان الزوج انما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية
في قسمة ما وراءه والثاني ان الاب اقوى في الارث من الام بدليل انه يضعف عليها
اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كاملا لادى
الى حط نصيبه الا ترى ان امراة لو تركت زوجا وابوين فصار للزوج النصف وللام الثلث
والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ
الذكرين فان كان له اخوة فلامه السدس الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون
مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا الا عند
ابن عباس وعنه انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام فان قلت فكيف صح ان
يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية قلت الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة
بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على
الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجرة الا ترى انها لا
تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وامه آية من بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة
المواريث كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية يوصى بها
وقرئ يوصى بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا فان قلت
ما معنى او قلت معناها الاباحة وانه ان كان احدهما او كلاهما قدم على قسمة الميراث
كقولك جالس الحسن او ابن سيرين فان قلت لم قدمت الوصية على الدين والدين
مقدم عليها في الشريعة قلت لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها ماخوذة
من غير عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان
اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائها فلذلك قدمت
على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة او للتسوية
بينهما في الوجوب ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله آباؤكم وابناؤكم اي لا تدرون من انفع
لكم من آبائكم وابنائكم الذين يموتون امن اوصى منهم ام من لم يوص يعني ان من اوصى ببعض
ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك
الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا

فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية
يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث
كلالة او امراة وله اخ واخت فلكل واحد منهما السدس

ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان
فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الآخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة
الاقرب الادنى وقيل ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سال ان يرفع ابوه
اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سال ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون
في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل
ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب تجب عليه النفقة
على الابن اذا احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى ايهما اقرب
نفعا وليس شيء من هذه الاقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية ومن
حق الاعتراض ان يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم فريضة نصبت نصب
المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا ان الله كان عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض
وقسم من المواريث وغيرها فان كان لهن ولد منكم او من غيركم جعلت المراة على النصف
من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن
وان كان رجل يعني الميت ويورث من ورث اي يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر
كان اي وان كان رجل موروث منه كلالة او يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير
في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال او
مفعول به فان قلت ما الكلالة قلت تطلق على ثلثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا
وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم
ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الاصل مصدر
بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعيا قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة
فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة
واذا جعل صفة للموروث او الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من
ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فان قلت فان جعلتها
اسما للقرابة في الآية فعلام تنصبها قلت على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او
يورث غيره لاجلها فان قلت فان جعلت يورث على البناء للمفعول من اورث فما وجهه قلت
الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث فان قلت فالضمير في قوله فلكل واحد منهما الى من

فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم

يرجع حينئذ قلت الى الرجل والى اخيه او اخته وعلى الاول اليهما فان قلت اذا رجع الضمير اليهما افاد استوائهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الانثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه قلت نعم لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام وتدل عليه قراءة ابي وله اخ او اخت من الام وقراءة سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام وقيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر في آخر السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا على الثلث شيئا انه يعني بهم الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الاخوة الاخياف والاعيان واولاد العلات وغيرهم غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله وعن قتادة كره الله الضرار في الحيوة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وصية من الله مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز ان يكون منصوبة بغير مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث او وصية من الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة باسرافه في الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة والله عليم بمن جار او عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد فان قلت يوصى ضمير الرجل اذا جعلته الموروث فكيف يعمل اذا جعلته الوارث قلت كما عملت في قوله تعالى فلهن ثلثا ما ترك لانه علم ان التارك والموصي هو الميت فان قلت فاين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثم موصيا كما قال يسبح له على ما لم يسم فاعله فعلم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا لا عما يدل عليه يوصى بها تلك اشارة الى الاحكام التي ذكرت

تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت

في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة المؤقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق يدخله قرئ بالياء والنون وكذلك يدخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال فان قلت هل يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لانهما جريا على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها يأتين الفاحشة يرهقنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود يأتين بالفاحشة والفاحشة الزنى لزيادتها في القبح على كثير من القبائح فامسكوهن في البيوت قيل معناه فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في اول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى الزانية والزاني الآية ويجوز ان تكون غير منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال او يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن مشروعا ذلك الوقت فان قلت ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كانه قيل او يميتهن الموت قلت يجوز ان يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ان الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت او حتى يأخذهن الموت ويستوفي ارواحهن واللذان يأتيانها منكم يريد الزاني والزانية فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله فان تابا واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل ان يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وقرئ واللذان بتشديد النون واللذان بالهمزة وتشديد النون التوبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له يعني انما القبول والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء بجهالة في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما تدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته من قريب من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت

قال الذي تبت الآن ... ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها

فبيّن أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا يقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم
القريب وعن ابن عباس قبل أن ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب
وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وروى أبو أيوب عن النبي صلى الله عليه أن الله يقبل توبة العبد
ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن أن إبليس قال حين أهبط إلى
الأرض وعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي لا أغلق عليه
باب التوبة ما لم يغرغر فإن قلت ما معنى من في قوله من قريب قلت معناه التبعيض
أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا
قريبا ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب وإلا فهو تائب من بعيد
فإن قلت ما فائدة قوله فأولئك يتوب الله عليهم بعد قوله إنما التوبة على الله لهم قلت
قوله إنما التوبة على الله إعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فأولئك
يتوب الله عليهم عدة بأنه يفي بما وجب عليه وإعلام بأن الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد
الوفاء بالواجب ولا الذين يموتون عطف على للذين يعملون السيئات سوى بين الذين
سوفوا توبتهم إلى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لا توبة لهم لأن حضرة
الموت أول أحوال الآخرة فكما أن المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك
المسوف إلى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما أوان التكليف والاختيار أولئك أعتدنا
لهم في الوعيد نظير قوله فأولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين أن الأمرين كائنان
لا محالة فإن قلت من المراد بالذين يعملون السيئات أهم الفساق من أهل القبلة أم الكفار
قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وأن يراد الفساق
لأن الكلام إنما وقع في الزانيين والإعراض عنهما إن تابا وأصلحا ويكون قوله وهم كفار
واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فإن الله غني عن العالمين وقوله فليمت إن شاء
يهوديا أو نصرانيا من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر لأن من كان مصدقا ومات وهو لم يحدث
نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لأنه لا يجترئ على ذلك إلا قلب مصمت كانوا
يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بأنواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل
إذا مات له قريب من أب أو أخ أو حميم عن امرأة ألقى ثوبه عليها وقال أنا أحق بها من كل
أحد فقيل لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها أي أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما تحاز المواريث

وهن كارهات لذلك أو مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم أن تمسكوهن حتى
ترثوا منهن وهن غير راضيات بإمساككم وكان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته
حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض
ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها إذا اختنقت رحمها
به فخرج بعضه وبقي بعضه إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق
وإيذاء الزوج وأهله بالبذاء والسلاطة أي إلا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد
عذرتم في طلب الخلع وتدل عليه قراءة أبي إلا أن يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنى
فإن فعلت حل لزوجها أن يسألها الخلع وقيل كانوا إذا أصابت امرأة فاحشة أخذوا منها
ما ساق إليها وأخرجوها وعن أبي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها
وعن قتادة لا يحل له أن يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وإن زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود
وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت
والنفقة والإجمال في القول فإن كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الأنفس وحدها
فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأحمد وأدنى إلى الخير وأحبت ما هو بضد ذلك
ولكن للنظر في أسباب الصلاح وكان الرجل إذا طمحت عينه إلى استطراف امرأة بهت
التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج
غيرها فقيل وإن أردتم استبدال زوج الآية والقنطار المال العظيم من قنطرت الشيء
إذا رفعته ومنه القنطرة لأنها بناء مشيد قال كقنطرة الرومي أقسم ربها لتكتنفن حتى
تشاد بقرمد وعن عمر رضي الله عنه أنه قام خطيبا فقال أيها الناس لا تغالوا
بصدق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى
الله عليه ما أصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنتي عشرة أوقية فقامت إليه امرأة فقالت
له يا أمير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم إحداهن قنطارا فقال
عمر كل أحد أعلم من عمر ثم قال لأصحابه تسمعونني أقول مثل هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد
علي امرأة ليست من أعلم النساء والبهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو بريء
منه لأنه يبهت عند ذلك أي يتحير وانتصب بهتانا على الحال أي باهتين وآثمين أو على أنه
مفعول له وإن لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة

ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت

كأنه قيل وأخذن به منكم ميثاقا غليظا أي بإفضاء بعضكم إلى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه
فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج
وقيل هو قول الولي عند العقد أنكحتك على ما في كتاب الله من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان
وعن النبي صلى الله عليه استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان في أيديكم أخذتموهن بأمانة
الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وكانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوي
مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل ومقتا
كأنه قيل هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد على ما يجمع
القبحين وقرئ لا تحل لكم بالتاء على أن ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة
والإكراه وقرئ بفاحشة مبينة من أبانت بمعنى تبينت أو بينت كما قرئ مبينة بكسر الياء
وفتحها ويجعل الله بالرفع على أنه في موضع الحال وآتيتم إحداهن بوصل همزة إحداهن
كما قرئ فلا إثم عليه فإن قلت تعضلوهن ما وجه إعرابه قلت النصب عطفا على أن
ترثوا ولا لتأكيد النفي أي لا يحل لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن فإن قلت أي فرق
بين تعديه ذهب بالباء وبينها بالهمزة قلت إذا عدي بالباء فمعناه الأخذ والاستصحاب
كقوله تعالى فلما ذهبوا به وأما الإذهاب فكالإزالة فإن قلت إلا أن يأتين ما هذه
الاستثناء قلت هو استثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له كأنه قيل ولا تعضلوهن
في جميع الأوقات إلا وقت أن يأتين بفاحشة أو ولا تعضلوهن لعلة من العلل إلا لأن يأتين
بفاحشة فإن قلت من أي وجه صح قوله فعسى أن تكرهوا جزاء للشرط قلت من حيث
إن المعنى فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا
ليس فيما تحبونه فإن قلت كيف استثنى ما قد سلف من ما نكح آباؤكم قلت كما استثنى غير
أن سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل
لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق إلى إباحته كما يعلق
بالمحال في التأبيد في نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل في سم الخياط معنى حرمت
عليكم أمهاتكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ولأن تحريم نكاحهن
هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم أكله
وقرئ وبنات الأخت بتخفيف الهمزة وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة

وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم

أما للرضيع والمراضعة أختا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته
عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم إخوته وأخواته لأبيه
وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم إخوته وأخواته
لأبيه وأمه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع
كتحريم النسب إلا في مسألتين إحداهما أنه لا يجوز للرجل أن يتزوج أخت ابنه من النسب ويجوز
أن يتزوج أخت ابنه من الرضاع والثانية لا يجوز أن يتزوج أم أخيه من النسب ويجوز
في الرضاع لأن المانع في النسب وطء الأب إياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع من
نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه أن الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له إذا
لم يدخل بها فإن قلت هل يصح أن يتعلق بقوله وأمهات نسائكم قلت لا يخلو إما أن يتعلق
بهن وبالربائب فتكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا وإما أن يتعلق بهن
دون الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الأول لأن معنى
من مع أحد المتعلقين خلاف معناه مع الآخر ألا تراك إذا قلت وأمهات نسائكم من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن وإذا
قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإنك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات
رسول الله من خديجة وليس بصحيح أن يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان
مختلفان ولا يجوز الثاني لأن الذي يليه هو الذي يستوجب التعليق به ما لم يعرض أمر لا يرد
إلا أن يقول أعلقه بالنساء والربائب وأجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض فإني لست منك ولست مني ما أنا من دد ولا الدد مني وأمهات النساء
متصلات بالنساء لأنهن أمهاتهن كما أن الربائب متصلات بأمهاتهن لأنهن بناتهن هذا وقد
اتفقوا على أن تحريم أمهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله
وقد روي عن النبي صلى الله عليه في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل أن يدخل بها أنه قال
لا بأس أن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها وعن عمر وعمران بن الحصين أن الأم
تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فأرسلوا ما أرسل الله وعن ابن عباس أبهموا
ما أبهم الله إلا ما روي عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير أنهم قرأوا وأمهات
نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل إلا هكذا وعن جابر روايتان

وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما

وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا
طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في
باب المهر وسمى ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده في
غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما فان قلت ما فائدة قوله في حجوركم
قلت فائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن او لكونهن بصدد احتضانكم وفي
حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة
والالفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بان تجروا اولادهن
مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي رضي الله عنه انه
شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود فان قلت ما معنى دخلتم بهن قلت هي كناية
عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية
واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة وعن عمر رضي الله عنه انه خلا بجارية
فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته
بعد موته وقال اما اني لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن
في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطاء
وحماد بن ابي سليمان اذا نظر الى فرج امرأة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا
دخل بالامة فعراها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن
ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده الذين من اصلابكم
دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه زينب بنت جحش الاسدية بنت
عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل لكيلا يكون على
المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وان تجمعوا في موضع الرفع عطف على المحرمات اي
وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم في الاية تحريم النكاح
واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمن وعلي رضي الله عنهما انهما قالا احلتهما آية وحرمتهما
آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمن التحليل الا ما
قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا والمحصنات القراءة بفتح
الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرأ بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن احصن

والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن
فآتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما

فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من
اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفي معناه
قول الفرزدق وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق كتاب الله عليكم
مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم فان قلت
علام عطف قوله واحل لكم قلت على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اي كتب الله عليكم
تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليماني كتب الله عليكم واحل لكم
وروي عن اليماني كتب الله عليكم على الجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم ومن قرأ واحل
لكم على البناء للمفعول فقد عطفه على حرمت ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم
ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين
لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة
اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والاموال
المهور وما يخرج في المناكح فان قلت اين مفعول تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدرا
وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا
بدلا من ما وراء ذلكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة
سافحيني وماذيني من المذي فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات
من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فآتوهن اجورهن عليه فاسقط الراجع الى ما
لانه لا يلبس كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما في معنى النساء
ومن للتبعيض او البيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن
اجورهن مهورهن لان المهر ثواب على البضع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة
او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة فيما
تراضيتم به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او تزيد لها على مقداره
وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح
الله مكة على رسوله ثم نسخت كان الرجل ينكح المرأة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا
بثوب او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او
لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر لا اوتى برجل تزوج امرأة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة

ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف

وعن النبي صلى الله عليه انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف الطول الفضل يقال لفلان على طول اي زيادة وفضل وقد طال له طولا فهو طائل قال

لقد زادني حبا لنفسي انني بغيض الى كل امرئ غير طائل

ومنه قولهم ما خلا منه بطائل اي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس من ملك ثلثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي رضي الله عنه واما ابو حنيفة رحمة الله عليه فيقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الاية بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة وفي رواية عن ابن عباس انه قال مما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك قوله من فتياتكم المؤمنات الظاهر ان لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز وعند اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المؤمنة افضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا بان الايمان ليس بشرط في وصف الحرائر مع علمنا انه ليس بشرط فيهن بالاتفاق ولكنه افضل فان قلت لم كان نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة قلت لما فيه من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وقوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين فان قلت فما معنى قوله والله اعلم بايمانكم قلت معناه ان الله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمراة افضل في الايمان من الرجل وحق المؤمنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا تانيس بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه بعضكم من بعض اي انتم وارقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الايمان لا يفضل

محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا

حر عبدا الا برجحان فيه باذن اهلهن اشتراط لاذن الموالي في نكاحهن ويحتج به لقول ابي حنيفة ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم وآتوهن اجورهن بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء واللز فان قلت الموالي هم ملاك مهورهن لا هن والواجب اداؤها اليهم لا اليهن فلم قيل وآتوهن قلت لانهن وما في ايديهن مال الموالي فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي او على ان اصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات عفائف والاخدان الاخلاء في السر كانه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له فاذا احصن بالتزويج وقرئ احصن فعليهن نصف ما على المحصنات اي الحرائر من العذاب من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرا عنها العذاب ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف ذلك اشارة الى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الاثم الذي تؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها خشي ان يواقعها فيحد فيتزوجها وان تصبروا في محل الرفع على الابتداء اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم وعن النبي صلى الله عليه الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت يريد الله ليبين لكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا اباك لتاكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم وان يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويرشدكم الى طاعات ان قمتم بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم والله يريد ان يتوب عليكم ان تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني ادم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت

يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما

احدى عشية وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف على فتنة النساء وقرئ ان يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرا ابن عباس وخلق الانسان على البناء للفاعل ونصب الانسان وعنه رضي الله عنه ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم بالباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا الا ان تكون تجارة الا ان تقع تجارة وقرئ تجارة على الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض منكم والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض او ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها والتراضي رضى المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رضي الله عنه تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص انه تاوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وقرا علي رضي الله عنه ولا تقتلوا بالتشديد ان الله كان بكم رحيما امركم بما امر ونهاكم عما نهاكم لرحمته عليكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل اي ومن يقدم على قتل الانفس عدوانا وظلما لا خطاء ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ونصليه بالياء والضمير لله عز وجل او لذلك لكونه سببا للصلي نارا مخصوصة شديدة العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه من ظلم او نحوه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون عنه اي ما كبر من المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول نكفر عنكم سيئاتكم نغط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعلها كان لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما اما الى طاعة او معصية او ثواب

ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم

فاعلها والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب ازيد او بندم على الطاعة وعن علي رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والزنا واكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي الى سبعين وقرئ يكفر بالياء ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء نصيب على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط او القبض كسباله واسئلوا الله من فضله اي لا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجو ان يكون لنا اجران في الاخرة على الاعمال ولهن اجر واحد فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان ولكل اي ولكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون من المال جعلنا موالي وراثا يلونه ويحرزونه او ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام مبتدا وخبر كما تقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله او ولكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون كانه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم مبتدا ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك

فآتوهم نصيبهم ان الله على كل شيء شهيدا الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب

وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس
من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي صلى الله عليه انه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف
في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام
وعند ابي حنيفة رحمه الله لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده
وورث خلافا للشافعي رحمه الله وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم
وماسحتموهم وقرئ عقدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم قوامون
على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير
في بعضهم للرجال والنساء جميعا يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم
وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب
والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة
في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى
والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة والشهادة
في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية
في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى و
العمائم وبما انفقوا وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات وروي
ان سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد بن ابي
زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وقال افرشته كريمتي فلطمها
فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع
القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامراته فيما دون النفس ولو شجها
ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا قانتات
مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب الغيب خلاف الشهادة اي حافظات
لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في
حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه خير النساء امراة
ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها
وتلا الاية وقيل للغيب لاسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في

بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا
وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها

في كتابه وامر رسوله بقوله تعالى استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اى حافظات للغيب بالامر الذى يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم وقرأ ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن واهجروهن
في المضاجع في المراقد اى لا تدخلوهن تحت اللحف او هي كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها اى لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن في النشوز امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا الاحب ان يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على احدانا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات ولولا بنوها حولها لخبطتها
فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز
ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم ويروى ان ابا مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام او ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع
وان خفتم شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر في الليل والنهار او على ان جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء فابعثوا حكما من اهله

ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب

اهلا مقنعا وهو يصلح لحكومة العدل والاصلاح بينهما وانما كان بعث الحكمين من اهلهما
لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وانما تسكن اليهم نفوس الزوجين
ويبرز اليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك
ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا عليه فان قلت فهل
يليان الجمع بينهما والتفريق ان رأيا ذلك قلت قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما
ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما جعلا حكمين الا واليهما بناء الامر على ما يقتضيه
اجتهادهما وعن عبيدة السلماني شهدت عليا رضي الله عنه وقد جاءته امرأة وزوجها
ومع كل واحد منهما فئام من الناس فاخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي للحكمين اتدريان ما
عليكما ان عليكما ان رأيتما ان تفرقا فرقتما وان رأيتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما
الفرقة فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت
المرأة رضيت بكتاب الله لي وعلي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى
الحكمان جاز والالف في ان يريدا اصلاحا ضمير الحكمين وفي يوفق الله بينهما للزوجين
اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك
في وساطتهما واوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة
والقى في نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضميران للحكمين اي ان قصدا اصلاح ذات
البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان
في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين اي ان يريدا
اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وان يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وابدلهما
بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة ان الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين
ويجمع بين المفترقين لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف
بينهم وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبكل من بينكم وبينه
قربى من اخ او عم او غيرهما والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب
الذي جواره بعيد وقيل الجار القريب النسيب والجار الجنب الاجنبي وانشد لبلعاء بن قيس
لا يجتوينا مجانب ابدا ذو رحم او مجاور جنب وقرئ والجار ذا القربى نصبا
على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى تنبيها على عظم حقه

والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما

لادلائه بحقي الجوار والقربى والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بان حصل بجنبك اما
رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم علم او حرفة واما قاعدا الى جنبك
في مجلس او مسجد او غير ذلك من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك
الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة وابن السبيل
المسافر المنقطع به وقيل الضيف والمختال التياه الجهول الذي يتكبر عن اكرام اقاربه
واصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم وسكون
النون الذين يبخلون بدل من قوله من كان مختالا فخورا او نصب على الذم ويجوز ان يكون
رفعا عليه وان يكون مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون
احقاء بكل ملامة وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين وضمتين اي يبخلون بذات ايديهم
وبما في ايدي غيرهم فيأمرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد وفي امثال العرب ابخل
من الضنين بنائل غيره وان امرأ ضنت يداه على امرئ بنيل يد من غيره لبخيل ولقد رأينا
ممن بلي بداء البخل من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد شخص به وحل حبوته واضطرب
ودارت عيناه في رأسه كأنما نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده
وقيل هم اليهود كانوا يأتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا اموالكم
فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما آتاهم من
فضله من الغنى والتفاقر الى الناس وعن النبي صلى الله عليه اذا انعم الله على عبد نعمة احب
ان ترى نعمته عليه وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير
المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى آثار نعمتك
فاعجبه كلامه وقيل نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله رئاء الناس للفخار
وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين
اموالهم في عداوة رسول الله فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون
وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم واي تبعة ووبال عليهم في الايمان
والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومفلحة في ذلك وهذا
كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة
ولا مرزئة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد

ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا

الذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحد من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وفيه دليل على انه لو نقص من الاجر ادنى شيء واصغره او زاد في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة وان تك حسنة وان يك مثقال حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث وقرئ حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الاوقات المستقبلة غير المتناهية وعن ابي عثمان النهدي انه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة فقال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله تعالى يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه اجرا عظيما ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من اضعف وضعف وقرا ابن هرمز نضاعفها بالنون فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا وعن ابن مسعود انه قرا سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله وقال حسبنا لو تسوى بهم الارض لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سوا وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى وتسوى بادغام التاء في السين كقوله لا يسمعون عن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه

يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا

روي عن الترمذي وابي داود عن علي كرم الله وجهه قال صنع لنا ابن عوف طعاما فاكلنا وسقانا خمرا قبل ان يحرم فاخذت منا وحضرت الصلوة فقدموني فقرات قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى

حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب قدموا احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في اوقات الصلوات فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلوة لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنى ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد لقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله ورأوا بسكرتها وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على ان يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل او مفردا بمعنى وانتم جماعة سكرى كقولك امراة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على ان يكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا عابري سبيل استثناء من عامة احوال المخاطبين وانتصابه على الحال فان قلت كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها قلت كانه قيل لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز ان لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا اي ولا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير معذورين فان قلت كيف تصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر قلت اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلوة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه او احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه لم ياذن لاحد ان يجلس في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلي رضي الله عنه لان بيته كان في المسجد فان قلت ادخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم قلت الظاهر انه متعلق بهم جميعا وان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك السفر

فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا

اذا عدم الماء لبعده والمحدثون واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه لبعض الاسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله **فان قلت** فما يصنع بقوله في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه **قلت** قالوا ان من لابتداء الغاية **فان قلت** قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم احد من العرب من قول القائل مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض **قلت** هو كما تقول والاذعان للحق احق من المراء ان الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر ان يكون ميسرا غير معسر **فان قلت** كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان من اسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل **قلت** اراد سبحانه ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء في التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف عدو او سبع او عدم آلة استقاء او ارهاق في مكان لا ماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من غيط فقيل هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط بمعنى الغائط الم تر من رؤية القلب وعدي بالى على معنى الم ينته علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم اوتوا نصيبا من الكتاب حظا من علم التوراة وهم احبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والانجيل ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا في سلكهم لا يكفيهم ضلالهم بل يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرئ ان يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في اموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم او لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله اعلم وكفى بالله وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض

من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا

او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ على ان يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله

وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح

اي فمنهما تارة اموت فيها يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اما لوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وازالوه عنها وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله **فان قلت** كيف قيل هاهنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه **قلت** اما عن مواضعه فعلى ما فسرناه من ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه فالمعنى انه كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة قولهم غير مسمع حال من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح اي اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا نكلمك اي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام ليا بالسنتهم فتلا بها وتحريفا اي يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا **فان قلت** كيف جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعدما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا **قلت** جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه

يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله
مفعولا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء

بالسب ودعاء السوء ونحو ذلك ان يقولوه فيما بينهم وجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم
يؤمنوا به جعلوا كأنهم نطقوا به وقرئ انظرنا من الانظار وهو الامهال فان قلت
الام يرجع الضمير في قوله لكان خيرا لهم قلت الى انهم قالوا لان المعنى ولو ثبت قولهم
سمعنا واطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم واقوم واعدل واسد ولكن لعنهم الله بكفرهم اي
خذلهم بسبب كفرهم وابعدهم عن الطافه فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا اي ضعيفا ركيكا
لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره او اراد بالقلة العدم كقوله قليل
التشكي للمهم يصيبه اي عديم التشكي او الا قليلا منهم قد آمنوا ان نطمس وجوها ان نمحو
تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة
ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا
بعقابين احدهما عقيب الآخر ردها على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكسها
الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه آخر وهو ان يراد بالطمس القلب والتغيير
كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤوسهم ووجهاؤهم اي من قبل ان
نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم
او نردهم الى حيث جاؤوا منه وهي اذرعات الشام يريد اجلاء بني النضير فان قلت
لمن الراجع في قوله او نلعنهم قلت للوجوه ان اريد الوجهاء او لاصحاب الوجوه لان
المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات
او نلعنهم او نخزيهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب السبت فان قلت فاين وقوع الوعيد قلت
هو مشروط بالايمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل
يوم القيامة ولان الله اوعدهم باحد الامرين بطمس وجوه منهم او بلعنهم فان كان الطمس
تبديل احوال رؤسائهم او اجلاءهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل
اللعن فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ الا ترى الى قوله قل
هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة
والخنازير وكان امر الله مفعولا فلا بد ان يقع احد الامرين ان لم يؤمنوا فان قلت
قد ثبت ان الله عز وعلا يغفر الشرك لمن تاب منه وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة
فما وجه قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت الوجه ان

ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به
اثما مبينا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين
لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ام لهم نصيب من الملك

١٥٦

يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين الى قوله لمن يشاء كأنه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك
ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك
ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله و
يبذل القنطار لمن يستاهله فقد افترى اثما اي ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه الذين
يزكون انفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا
من كان هودا او نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله باطفالهم فقالوا هل على
هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه
بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة
والتقوى والزلفى عند الله فان قلت اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء
امين في الارض قلت انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل في القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه
بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه او شهد له من
لا يعلم بل الله يزكي من يشاء اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم
بمن هو اهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم
به ولا يظلمون اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او من
يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى كيف
يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم عند الله ازكياء وكفى بزعمهم هذا اثما مبينا من بين
سائر آثامهم الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان وذلك ان حيي بن
اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا
على محاربة رسول الله فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا
لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام
واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب ماذا
يقول محمد قالوا يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة
البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا
وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون ان يكون
لهم نعمة غيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك على ان ام منقطعة ومعنى الهمزة لانكار ان يكون لهم

فإذن لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا

نصيب من الملك ثم قال فإذا لا يؤتون الناس اي لو كان لهم نصيب من الملك فإذن لا يؤتون
أحدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل و
القطمير والمراد بالملك إما ملك أهل الدنيا وإما ملك الله كقوله قل لو أنتم تملكون خزائن
رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وهذا أوصف لهم بالشح وأحسن لطباقه نظيره
من القرآن ويجوز أن يكون معنى الهمزة في أم لإنكار أنهم قد أوتوا نصيبا من الملك وكانوا
أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون أحوال الملوك وأنهم لا يؤتون أحدا مما يملكون
شيئا وقرأ ابن مسعود فإذا لا يؤتوا على إعمال إذن عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في
قراءة العامة كأنه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا إذن أم يحسدون الناس بل أيحسدون
رسول الله والمؤمنين على إنكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله
من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا إلزام لهم بما عرفوه من
إيتاء الله الكتاب والحكمة آل إبراهيم الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وأنه ليس ببدع
أن يؤتيه الله مثل ما أوتي أسلافه وعن ابن عباس الملك في آل إبراهيم ملك يوسف وداود
وسليمن وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة و
لسليمن ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم من اليهود من آمن به اي بما ذكر من حديث آل
ابرهيم ومنهم من صد عنه وأنكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله ومنهم من
أنكر نبوته او من آل ابرهيم من آمن بابرهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون
بدلناهم جلودا غيرها أبدلناهم إياها كيف تعذب مكان الجلود العاصية
جلود لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل
يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات
وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم
ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله اي أدامك على عزك وزادك فيه عزيزا لا يمتنع
عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يعذب إلا بعدل من يستحقه ظليلا صفة مشتقة من لفظ
الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل أليل ويوم أيوم وما أشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب
فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك إلا ظل الجنة رزقنا
الله بتوفيقه لما يزلف إليه التقرب بحسن ذلك الظل وفي قراءة عبد الله سيدخلهم بالياء

إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر

أن تؤدوا الأمانات الخطاب عام لكل أحد في كل أمانة وقيل نزلت في عثمن بن طلحة بن عبد
الدار وكان سادن الكعبة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه حين دخل مكة يوم الفتح
أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح إليه وقال لو علمت أنه رسول
الله لم أمنعه فلوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه يده وأخذه منه وفتح ودخل رسول
الله وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة
فنزلت فأمر عليا أن يرده إلى عثمن ويعتذر إليه فقال عثمن لعلي أكرهت وآذيت ثم جئت
ترفق فقال لقد أنزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا إله إلا
الله وأن محمدا رسول الله فهبط جبريل وأخبر رسول الله صلى الله عليه أن السدانة في أولاد
عثمن أبدا وقيل هو خطاب للولاة بأداء الأمانات والحكم بالعدل وقرئ الأمانة على التوحيد
نعما يعظكم به ما إما أن تكون منصوبة موصوفة بيعظكم به وإما أن تكون مرفوعة موصولة
به كأنه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما
يعظكم به ذاك وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون
لما أمر الولاة بأداء الأمانات إلى أهلها وأن يحكموا بالعدل أمر الناس بأن يطيعوهم وينزلوا
على قضاياهم والمراد بأولي الأمر منكم أمراء الحق لأن أمراء الجور الله ورسوله بريئان منهم
فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وإنما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين
لهما في إيثار العدل واختيار الحق والأمر بهما والنهي عن أضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن
تبعهم بإحسان وكان الخلفاء يقولون أطيعوني ما عدلت فيكم فإن خالفت فلا طاعة لي
عليكم وعن أبي حازم أن مسلمة بن عبد الملك قال له ألستم أمرتم بطاعتنا في قوله وأولي
الأمر منكم قال أليس قد نزعت عنكم إذا خالفتم الحق بقوله فإن تنازعتم في شيء فردوه
إلى الله والرسول وقيل هم أمراء السرايا وعن النبي صلى الله عليه من أطاعني فقد أطاع الله
ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع أميري فقد أطاعني ومن يعص أميري فقد عصاني
وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم
عن المنكر فإن تنازعتم في شيء فإن اختلفتم أنتم وأولو الأمر منكم في شيء من أمور الدين
فردوه إلى الله ورسوله اي ارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة وكيف تلزم طاعة
أمراء الجور وقد جنح الله الأمر بطاعة أولي الأمر بما لا يبقى معه شك وهو أن أمرهم أولا

ذلك خير وأحسن تأويلا ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم مصيبة

بأداء الأمانات وبالعدل في الحكم وأمرهم آخرا بالرجوع إلى الكتاب والسنة فيما أشكل
وأمراء الجور لا يؤدون أمانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا إلى الكتاب ولا إلى السنة
إنما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم أولوا الأمر عند الله
ورسوله وأحق أسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك إشارة إلى الرد إلى الرد إلى الكتاب و
السنة خير لكم وأصلح وأحسن تأويلا وأحسن عاقبة وقيل أحسن تأويلا من تأويلكم أنتم
روي أن بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي إلى النبي صلى الله عليه ودعاه
المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم إنهما احتكما إلى رسول الله فقضى لليهودي فلم يرض المنافق
وقال تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه
فقال للمنافق أكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر فاشتمل على
سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله
ورسوله فنزلت وقال جبريل إن عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله أنت الفاروق
والطاغوت كعب بن الأشرف سماه الله طاغوتا لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله
صلى الله عليه أو على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه أو جعل اختيار التحاكم إلى غير
رسول الله على التحاكم إليه تحاكما إلى الشيطان بدليل قوله وقد أمروا أن يكفروا به ويريد
الشيطان أن يضلهم وقرئ بما أنزل وما أنزل على البناء للفاعل وقرأ عباس بن الفضل أن
يكفروا بها ذهابا بالطاغوت إلى الجمع كقوله أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وقرأ الحسن
تعالوا بضم اللام على أنه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة و
أصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي في آية إن أصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت
اللام وقعت واو الجمع بعد اللام من تعالى فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول
أهل مكة تعالي بكسر اللام للمرأة وفي شعر الحمداني تعالي أقاسمك الهموم تعالي والوجه
فتح اللام فكيف تكون حالهم وكيف يصنعون يعني أنهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون
أمرا ولا يوردونه إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم من التحاكم إلى غيرك واتهامهم
لك في الحكم ثم جاءوك حين يصابون فيعتذرون إليك ويحلفون ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك
إلا إحسانا لا إساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك ففرج
عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وأنهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم

بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون

عند حلول بأس الله وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا ما
أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه
وما خطر ببالنا أنه يحكم له بما حكم به فأعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ولا تزد
على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا بالغ في وعظهم بالتخويف
والإنذار فإن قلت بم تعلق قوله في أنفسهم قلت بقوله بليغا أي قل لهم قولا بليغا
في أنفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو
التوعد بالقتل والاستئصال إن نجم منهم النفاق وأطلع قرنه وأخبرهم أن ما في نفوسهم
من الدغل والنفاق معلوم عند الله وأنه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة
إلا لإظهاركم الإيمان وإسراركم الكفر وإضماره فإن فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق
إلا السيف أو يتعلق بقوله قل لهم أي قل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على
النفاق قولا بليغا وأن الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم إبطانه فأصلحوا
أنفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق وإلا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين
بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك وأغلظ أو قل لهم في أنفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم
مسارا لهم بالنصيحة لأنها في السر أنجع وفي الإمحاض أدخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر
فيهم وما أرسلنا من رسول وما أرسلنا رسولا قط إلا ليطاع بإذن الله بسبب إذن
الله في طاعته وبأنه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤد عن الله فطاعته
طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ويجوز أن يراد
بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت جاءوك
تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالإخلاص وبالغوا في
الاعتذار إليك من إيذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم إلى الله ومستغفرا لوجدوا
الله توابا لعلموه توابا أي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات
تفخيما لشأن رسول الله وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعة من اسمه الرسول من
الله بمكان فلا وربك معناه فوربك كقوله فوربك لنسألنهم أجمعين ولا مزيدة لتأكيد معنى
القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتأكيد وجوب العلم ولا يؤمنون جواب القسم فإن قلت
هلا زعمت أنها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون قلت يأبى ذلك استواء النفي والإثبات فيه

حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ومن يطع الله والرسول

وذلك قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم فيما شجر بينهم فيما اختلف
بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه حرجا ضيقا اى لا تضيق صدورهم من حكمك
وقيل شكا فان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا ويذعنوا
لما تأتي به من قضائك لا يعارضونه بشيء من قولك سلم لامر الله واسلم له وحقيقته سلم
نفسه واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة وتسليما تأكيد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل
وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق واليهودي
وقيل في شأن الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله في شراج من الحرة
كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان
ابن عمتك فتغير وجه رسول الله ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف
حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ
رسول الله استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله
هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة
في حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين
الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق
لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر
فقال رسول الله والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال
الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل
بنا ذلك فنزلت الآية في شأن حاطب ونزلت في شأن هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
اى لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين
استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه الا ناس قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على
البدل من الواو في فعلوه وقرئ الا قليلا بالنصب على اصل الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو
انهم فعلوا ما يوعظون به من اتباع رسول الله وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لانه الصادق
المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا لايمانهم
وابعد من الاضطراب فيه واذن جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وماذا يكون لهم ايضا بعد
التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء من لدنا اجرا عظيما كقوله

فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا

ويؤتي من لدنه اجرا عظيما في ان المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته اجرا لانه
تابع للاجر ثبت اثباته ولهديناهم ولطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات والصديقون
افاضل صحابة الانبياء الذين تقدموا في تصديقهم كابي بكر الصديق رضي الله عنه وصدقوا
في اقوالهم وافعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة اقرب عباد
الله الى الله وارفعهم درجات عنده وحسن اولئك رفيقا فيه معنى التعجب كانه قيل وما
احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن
الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق و
الخليط في استواء الواحد والجمع فيه ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز روي
ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه كان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه فاتاه
يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله عن حاله فقال
يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة
شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع
النبيين وان دخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك
ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من
نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة ذلك مبتدا
والفضل صفته ومن الله الخبر ويجوز ان يكون ذلك مبتدا والفضل من الله خبره والمعنى ان
ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم تبعا
لثوابهم وكفى بالله عليما بجزاء من اطاع او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم
اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب احوالهم خذوا حذركم
الحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه
جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو
ولا تمكنوه من انفسكم فانفروا واذا نفرتم الى العدو ثبات جماعات متفرقة سرية بعد
سرية او انفروا جميعا اى مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة
وقرئ فانفروا بضم الفاء اللام في لمن للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر لها في قوله ان الله لغفور وفي ليبطئن
جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير

وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما

الراجع منها اليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه والمبطئون
منهم المنافقون لانهم كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد
وبطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اذا ابطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ على فلان وابطأ
علي وبطؤ نحو ثقل ويقال ما ابطأ بك فيعدى بالباء ويجوز ان يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل
فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن ابي وهو الذي
ثبط الناس يوم احد فان اصابتكم مصيبة من قتل او هزيمة فضل من الله من فتح او غنيمة
ليقولن وقرأ الحسن ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطئن في
معنى الجماعة وقوله كأن لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين
مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون
المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر انه
تهكم لانهم كانوا اعدى عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا
على وجه العكس تهكما بحالهم وقرئ فافوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم
والفوز في معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف بمعنى فانا افوز
في ذلك الوقت يشرون بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ وشريت بردا ليتني
من بعد برد كنت هامه فالذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة هم المبطئون وعظوا
بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل
الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة و
يستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال
فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر
العظيم على اجتهاده في اعزاز دين الله والمستضعفين فيه وجهان ان يكون مجرورا عطفا
على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعني
واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين
من المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة
وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى
الشديد فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة

وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية

وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه فتولاهم
احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل على اهل مكة عتاب بن اسيد فرأوا منه
الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز
بها من الظلمة فان قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم
الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين
كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا
كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء وعن ابن عباس كنت انا وامي
من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز ان يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر و
بالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان
والولائد الولدان لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الآباء والاخوة فان قلت
لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث قلت هو وصف للقرية الا انه مسند الى اهلها
فاعطي اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي
ظلم اهلها ولو انث فقيل الظالمة اهلها لجاز لا لتأنيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث
فان قلت هل يجوز من هذه القرية الظالمين اهلها قلت نعم كما تقول التي ظلموا اهلها على لغة من
يقول اكلوني البراغيث ومنه واسروا النجوى الذين ظلموا رغب الله المؤمنين ترغيبا
وشجعهم تشجيعا باخبارهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم
يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين الى جنب كيد الله
للكافرين اضعف شيء واوهنه كفوا ايديكم اي كفوها عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا
مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه فلما كتب
عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار
بالارواح وخوفا من الموت كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول فان قلت
ما محل كخشية الله من الاعراب قلت محله النصب على الحال من الضمير في يخشون اي يخشون
الناس مثل اهل خشية الله اي مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية بمعنى او اشد
خشية من اهل خشية الله واشد معطوف على الحال فان قلت لم عدلت عن الظاهر وهو
كونه صفة للمصدر ولم تقدر يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله قلت

وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا

أي ذلك قوله أو أشد خشية لأنه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس
أشد خشية لم يكن إلا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لأنك لا تقول خشي
فلان أشد خشية فتنصب خشية وأنت تريد المصدر إنما تقول أشد خشية فتجرها و
إذا نصبتها لم يكن أشد خشية إلا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم إلا أن تجعل الخشية
خاشية وذات خشية على قولهم جد جده فتزعم أن معناه يخشون الناس خشية مثل خشية
الله أو خشية أشد خشية من خشية الله ويجوز على هذا أن يكون محل أشد مجرورا عطفا على
خشية الله يريد كخشية الله أو كخشية أشد خشية منها لولا أخرتنا إلى أجل قريب استزادة
في مدة الكف واستمهال إلى وقت آخر كقوله لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق ولا تظلمون
فتيلا ولا تنقصون أدنى شيء من أجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون
بالياء وقرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كأنه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول
القائل من يفعل الحسنات الله يشكرها ويجوز أن يقال حمل على ما يقع موقع أينما تكونوا
وهو أينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع
زهير يقول لا غائب مالي ولا حرم وهو قول نحوي سيبويه ويجوز أن يتصل بقوله
ولا تظلمون فتيلا أي ولا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم أينما تكونوا في ملاحم حروب أو غيرها
ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على أينما
تكونوا والبروج الحصون مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة من شاد القصر إذا رفعه أو طلاه
بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا
قصيدة شاعرة وإنما الشاعر قارضها السيئة تقع على البلية والمعصية والحسنة على النعمة
والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال إن الحسنات يذهبن
السيئات والمعنى وإن تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها إلى الله وإن تصبهم بلية من قحط و
شدة أضافوها إليك وقالوا هي من عندك وما كانت إلا بشؤمك كما حكى الله عن قوم موسى
وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك
وروي عن اليهود لعنت أنها تشاءمت برسول الله فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها
وغلت أسعارها فرد الله عليهم قل كل من عند الله يبسط الأرزاق ويقبضها على حسب
المصالح لا يكادون يفقهون حديثا فيعلموا أن الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر

ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله

عن حكمة وصواب ثم قال ما أصابك يا إنسان خطابا عاما من حسنة أي من نعمة وإحسان
فمن الله تفضلا منه وإحسانا وامتنانا وامتحانا وما أصابك من سيئة أي من بلية ومصيبة
فمن نفسك لأنك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم
ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة
يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما يعفو الله أكثر وأرسلناك للناس رسولا
أي رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم أنت رسول العرب والعجم كقوله وما أرسلناك
إلا كافة للناس قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغي
لأحد أن يخرج عن طاعتك واتباعك من يطع الرسول فقد أطاع الله لأنه لا يأمر إلا بما أمر
الله به ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه
طاعة لله وروي أنه قال من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال
المنافقون ألا تسمعون إلى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى أن يعبد غير الله
ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن الطاعة
فأعرض عنه فما أرسلناك إلا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم
عليها وتعاقبهم كقوله وما أنت عليهم بوكيل ويقولون إذا أمرتهم بشيء طاعة بالرفع أي أمرنا
وشأننا طاعة ويجوز النصب بمعنى أطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة
وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف أصبحت
فيقول حمد الله وثناء عليه كأنه قال أمري وشأني حمد الله ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان
على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها بيت طائفة زورت طائفة وسوت
غير الذي تقول خلاف ما قلت وما أمرت به أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة
لأنهم أبطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وإنما ينافقون بما يقولون ويظهرون
والتبييت إما من البيتوتة لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل يقال هذا أمر بيت بليل وإما
من أبيات الشعر لأن الشاعر يدبرها ويسويها والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف
أعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد أو يكتبه في جملة ما يوحى إليك فيطلعك على
أسرارهم فلا تحسبوا أن إبطانهم يغني عنهم فأعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم
وتوكل على الله في شأنهم فإن الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم إذا قوي أمر الإسلام وعز

وكفى بالله وكيلا أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم

انصاره وقرئ بيت طائفة بالإدغام وتذكير الفعل لأن تأنيث الطائفة غير حقيقي ولأنها
في معنى الفريق والفوج وتدبر الأمر تأمله والنظر في أدباره وما يؤول إليه في عاقبته و
منتهاه ثم استعمل في كل تأمل فمعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر ما فيه لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان
بعضه بالغا حد الإعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه إخبارا بغيب
قد وافق المخبر عنه وبعضه إخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند
علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة
لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق أخبار علم أنه ليس إلا من عند قادر على ما لا يقدر
عليه غيره عالم بما لا يعلمه أحد سواه فإن قلت أليس نحو قوله فإذا هي ثعبان مبين كأنها جان
فوربك لنسألنهم أجمعين فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان من الاختلاف قلت
ليس باختلاف عند المتدبرين هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال
ولا استبطان للأمور كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله من أمن وسلامة أو خوف و
خلل أذاعوا به وكانت إذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر إلى رسول الله وإلى أولي
الأمر وهم كبار الصحابة البصراء بالأمور والذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير
ما أخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم
بأمور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله وأولي الأمر على أمن ووثوق
بالظهور على بعض الأعداء أو على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الأعداء فتعود
إذاعتهم مفسدة ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر وفوضوه إليهم وكانوا كأن لم يسمعوا
لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون
من أفواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود
ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم
ونعلم هل هو مما يذاع أو لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما
يذاع أو لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر أي يتلقونه
منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال أذاع السر وأذاع به قال أذاع به في الناس
حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب ويجوز أن يكون المعنى فعلوا به الإذاعة وهو أبلغ من

ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا

أذاعوه وقرئ لعلمه بإسكان اللام كقوله ٥ كما ضجر بازل من الأدم دبرت صفحتاه وغاربه ٥ و
النبط الماء يخرج من البئر أول ما تحفر وإنباطه واستنباطه إخراجه واستخراجه فاستعير
لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وهو إرسال الرسول وإنزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر
إلا قليلا منكم أو إلا اتباعا قليلا لما ذكر في الآي قبلها تثبطهم عن القتال وإظهارهم الطاعة
وإضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل الله إن أفردوك وتركوك وحدك لا تكلف إلا نفسك
غير نفسك وحدها أن تقدمها إلى الجهاد فإن الله هو ناصرك لا الجنود فإن شاء نصرك
وحدك كما ينصرك وحولك الألوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى إلى الخروج وكان أبو
سفيان واعد رسول الله اللقاء فيها فكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت فخرج وما معه إلا
سبعون لم يلو على أحد ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي ولا
نكلف بالنون وكسر اللام أي لا نكلف نحن إلا نفسك وحدها وحرض المؤمنين وما عليك في شأنهم
إلا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا وهم قريش وقد كف
بأسهم فقد بدا لأبي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد إلا السويق ولا يلقون
إلا في عام مخصب فرجع بهم والله أشد بأسا من قريش وأشد تنكيلا تعذيبا الشفاعة الحسنة
هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر أو جلب إليه خير وابتغي بها وجه الله ولم
يؤخذ عليها رشوة وكانت في أمر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة
ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق أنه شفع شفاعة فأهدى إليه المشفوع له جارية
فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا أتكلم فيما بقي منها وقيل
الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لأنها في معنى الشفاعة إلى الله وعن النبي صلى الله عليه
من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة
على المسلم بضد ذلك مقيتا شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا وأقات على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب
وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على إساءته مقيتا وقال السموأل ألي الفضل أم علي إذا
حوسبت إني على الحساب مقيت ٥ واشتقاقه من القوت لأنه يمسك النفس ويحفظها الأحسن
منها أن تقول وعليكم السلام ورحمة الله إذا قال السلام عليكم وأن تزيد وبركاته إذا قال ورحمة الله
وروي أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال

وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيمة لا ريب فيه

آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك
ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله وتلا الآية فقال إنك لم
تترك لي فضلا فرددت عليك مثله أو ردوها وأجيبوها بمثلها ورد السلام ورجع جوابه
بمثله لأن المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسلية واجب والتخيير إنما وقع بين الزيادة
وتركها وعن أبي يوسف رحمه الله من قال لآخر أقرئ فلانا السلام وجب عليه أن يفعل وعن النخعي
السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم
عليهم ولا يردون عليه إلا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في
الخطبة وقراءة القرآن جهرا أو رواية الحديث وعند مذاكرة العلم والأذان والإقامة وعن
أبي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري
من غير عذر في حمام أو غيره وذكر الطحاوي أن المستحب رد السلام على الطهارة وعن النبي
صلى الله عليه أنه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل إذا دخل على امرأته ولا يسلم على أجنبية
ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير
والأقل على الأكثر وإذا التقيا ابتدرا وعن أبي حنيفة لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي
صلى الله عليه إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم أي وعليكم ما قلتم لأنهم كانوا يقولون
السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلام وإن بدأك فقل وعليك وعن الحسن يجوز أن تقول
للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فإنها استغفار وعن الشعبي أنه قال لنصراني سلم
عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فقال أليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء
في أن يبدأ أهل الذمة بالسلام إذا دعت إلى ذلك حادثة تحوج إليهم وروي ذلك عن النخعي
وعن أبي حنيفة لا تبدأه بسلام في كتاب ولا غيره وعن أبي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم
وإذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه على كل شيء
حسيبا أي محاسبا على كل شيء من التحية وغيرها لا إله إلا هو إما خبر للمبتدأ وإما اعتراض
والخبر ليجمعنكم إلى يوم القيمة أي ليحشرنكم إليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب
وهي قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن أصدق
من الله حديثا لأنه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك لأن الكذب مستقبح بصارف عن
الإقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه الذي هو كونه كذبا وإخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه

ومن أصدق من الله حديثا فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم
ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق

فمن كذب لم يكذب إلا لأنه محتاج إلى أن يكذب ليجر منفعة أو يدفع مضرة أو هو غني عنه إلا أنه
يجهل غناه أو هو جاهل بقبحه أو هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في أخباره ولا يبالي
بأيهما نطق وربما كان الكذب أحلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء أنه عوتب على الكذب
فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا أني صادق
في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه
كما هو منزه عن سائر القبائح فئتين نصب على الحال كقولك ما لك قائما روي أن قوما من المنافقين
استأذنوا رسول الله في الخروج إلى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين
مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم
مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا إلى رسول الله إنا على دينك
وما أخرجنا إلا اجتواء المدينة والاشتياق إلى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله
يوم أحد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين أغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم
أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم في شأن قوم نافقوا نفاقا
ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم والله أركسهم أي ردهم في حكم المشركين
كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله أو أركسهم في الكفر
بأن خذلهم حتى ارتكسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم أتريدون أن تهدوا أن تجعلوا من جملة المهتدين
من أضل الله من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك أو خذله حتى ضل وقرئ ركسهم وركسوا
فيها فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم وكونكم معهم
شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء فلا تتولوهم وإن آمنوا حتى يظاهروا إيمانهم
بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من أغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بدا ولا تعرب
فإن تولوا عن الإيمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث
وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وإن بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم
إلا الذين يصلون استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون ينتهون إليهم و
يتصلون بهم وعن أبي عبيدة هو من الانتساب وصلت إلى فلان واتصلت به إذا انتميت إليه
قيل إن الانتساب لا أثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله من معه من هو من أنسابهم والقوم
هم الأسلميون كان بينهم وبين رسول الله عهد وذلك أنه وادع وقت خروجه إلى مكة هلال بن عويمر

أو جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا

الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل إلى هلال ولجأ إليه فله من الجوار مثل
الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح أو جاؤكم لا يخلو من أن يكون معطوفا
على صفة قوم كأنه قيل إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم
ولا عليكم أو على صلة الذين كأنه قيل إلا الذين يتصلون بالمعاهدين أو الذين لا يقاتلونكم و
الوجه العطف على الصلة لقوله فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم
سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر أن كفهم عن القتال أحد سببي
استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الإيقاع بهم فإن قلت كل واحد من الاتصالين له تأثير
في صحة الاستثناء واستحقاق إزالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين
لأن الاتصال بهؤلاء أو هؤلاء دخول في حكمهم فهلا جوزت أن يكون العطف على صفة قوم ويكون
قوله فإن اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم قلت
هو جائز ولكن الأول أظهر وأجرى على أسلوب الكلام وفي قراءة أبي بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت
صدورهم بغير أو ووجهه أن يكون جاؤكم بيانا ليصلون أو بدلا أو استئنافا أو صفة بعد
صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال بإضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة
صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف
على أو جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤوا رسول الله
غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض أن يقاتلوكم عن أن يقاتلوكم أو كراهة أن يقاتلوكم
فإن قلت كيف يجوز أن يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم إلا لقذف
الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء أو نحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين غير مكافين
فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فإن اعتزلوكم فإن لم يتعرضوا لكم
وألقوا إليكم السلم أي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله
لكم عليهم سبيلا فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم ستجدون آخرين هم قوم من أسد وغطفان
كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا
ونكثوا عهودهم كلما ردوا إلى الفتنة كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين أركسوا فيها قلبوا
فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم
سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر وإضرارهم بأهل

وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله

الإسلام أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق
بحاله كقوله وما كان لنبي أن يغل وما يكون لنا أن نعود فيها أن يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص إلا خطأ
إلا على وجه الخطأ فإن قلت بم انتصب خطأ قلت بأنه مفعول له أي ما ينبغي له أن يقتله لعلة
من العلل إلا للخطأ وحده ويجوز أن يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ وأن
يكون صفة للمصدر إلا قتلا خطأ والمعنى أن من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة
إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرمي كافرا فيصيب مسلما أو يرمي شخصا على أنه كافر
فإذا هو مسلم وقرئ خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي أن عياش بن أبي ربيعة
وكان أخا أبي جهل لأمه أسلم وهاجر خوفا من قومه إلى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله فأقسمت
أمه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل ومعه الحرث بن زيد بن أبي
أنيسة فأتياه وهو في أطم ففتل منه أبو جهل في الذروة والغارب وقال أليس محمد يحثك على صلة
الرحم انصرف وبر أمك وأنت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده
كل واحد مائة جلدة فقال للحرث هذا أخي فمن أنت يا حارث لله علي إن وجدتك خاليا أن أقتلك
وقدما به على أمه فحلفت لا يحل كتافه أو يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحرث فلقيه
عياش بظهر قبا ولم يشعر بإسلامه فأنحى عليه فقتله ثم أخبر بإسلامه فأتى رسول الله فقال
قتلته ولم أشعر بإسلامه فنزلت فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة والتحرير الإعتاق والحر والعتيق
الكريم لأن الكرم في الأحرار كما أن اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها
وحر الوجه أكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل أي لئيم الفعل والرقبة عبارة
عن النسمة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة
كانت على حكم الإسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزي إلا رقبة قد صلت وصامت ولا
تجزي الصغيرة وقاس عليه الشافعي رضي الله عنه كفارة الظهار فاشترط الإيمان وقيل لما أخرج
نفسا مؤمنة عن جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها في جملة الأحرار لأن إطلاقها من قيد
الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق ممنوع من تصرف الأحرار مسلمة إلى أهله مؤداة إلى ورثته
يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء فيقضى منها الدين وتنفذ
الوصية وإذا لم يبق وارث فهو لبيت المال لأن المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله
أنا وارث من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه أنه قضى بدية المقتول فجاءت امرأته تطلب ميراثها

لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا
وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما

غير أولي الضرر قرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم أو حال عنهم والجر
صفة للمؤمنين والضرر المرض والعاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها وعن زيد بن ثابت
كنت إلى جنب رسول الله فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت أن ترضها
ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون
فقال ابن أم مكتوم وكان أعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته
السكينة كذلك ثم قال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير أولي
الضرر قال زيد أنزلها الله وحدها فألحقتها والذي نفسي بيده لكأني أنظر إلى ملحقها عند
صدع في الكتف وعن ابن عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون إليها وعن مقاتل
إلى تبوك فإن قلت معلوم أن القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء
قلت معناه الإذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد و
يترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أريد به التحريك من حمية الجاهل وأنفته ليهاب
به إلى التعلم ولينهض بنفسه عن صفة الجهل إلى شرف العلم فضل الله المجاهدين جملة موضحة
لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل ما لهم لا يستوون فأجيب بذلك والمعنى
على القاعدين غير أولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الأولى المتضمنة لهذا الوصف وكلا
وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى أي المثوبة الحسنى وهي الجنة وإن
كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلى الله عليه لقد خلفتم بالمدينة
أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم
وكانت أفئدتهم تهوي إلى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر أو غيره فإن قلت قد ذكر
الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم قلت أما المفضلون درجة
واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الأضراء وأما المفضلون درجات فالذين فضلوا
على القاعدين الذين أذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لأن الغزو فرض كفاية فإن قلت
لم نصب درجة وأجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من
التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضيلة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة وأما أجرا
فقد انتصب بفضل لأنه في معنى أجرهم أجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من أجرا ويجوز

درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن
أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا

أن ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه أسواطا بمعنى ضربات كأنه قيل وفضلهم تفضيلات
ونصب أجرا عظيما على أنه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة
بإضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة توفاهم يجوز أن يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم
ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى أن الله يوفي الملائكة
أنفسهم فيتوفونها أي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي أنفسهم في حال ظلمهم أنفسهم
قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في أي شيء كنتم من أمر دينكم وهم ناس من أهل مكة أسلموا
ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة فإن قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين
في الأرض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب أن يقولوا كنا في كذا أو لم نكن في شيء
قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بأنهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم
يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وأنهم
لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم ألم تكن أرض الله واسعة
فتهاجروا فيها أرادوا أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا
تمنعون فيها من إظهار دينكم ومن الهجرة إلى رسول الله كما فعل المهاجرون إلى أرض الحبشة
وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب لبعض
الأسباب والعوائق عن إقامة الدين لا تنحصر أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم
على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض
وإن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد
اللهم إن كنت تعلم أن هجرتي إليك لم تكن إلا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير
ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك
في دار كرامتك يا واسع المغفرة ثم استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون
حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروي أن رسول الله صلى الله عليه
بعث بهذه الآية إلى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة أو ضمرة بن جندب لبنيه احملوني
فإني لست من المستضعفين وإني لأهتدي الطريق والله لا أبيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها
إلى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم فإن قلت كيف أدخل الولدان في جملة المستثنين
من أهل الوعيد كأنهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا

الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما

من عقله فقال لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب الي رسول الله ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا ينفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة **فان قلت** على من تجب الرقبة والدية **قلت** على القاتل الا ان الرقبة في ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فان لم تكن له عاقلة فهي في بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبي صلى الله عليه كل معروف صدقة وقرا ابي الا ان يتصدقوا **فان قلت** بم تعلق ان يصدقوا وما محله **قلت** تعلق بعليه او بمسلمة كانه قيل وتجب عليه الدية او يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا من اهله بمعنى الا متصدقين من قوم عدو لكم من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم في قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطا وليس على عاقلته لاهله شيء لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم ياتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطا لانهم يظنونه كافرا مثلهم وان كان من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من مسلمين فمن لم يجد رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة او تنقيلا من الرقبة الى الصوم توبة منه هذه الآية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤون هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة

يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا

ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ثم ذكر الله سبحانه التوبة في قتل الخطا لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع واي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي **فان قلت** هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر **قلت** ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليات بدليل مثله فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا وقرئ مؤمنا بفتح الميم من آمنه اي لا نؤمنك واصله ان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم لم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرا الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي قال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتاخذوا ماله كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله فتبينوا تكرير للامر بالتبين ليؤكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك غير اولي الضرر

فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما

قلت الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك واما الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء من جملة اهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكنا فى الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا اريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم فى التكليف وان اريد العبيد والاماء البالغون فلا سؤال فان قلت الجملة التى هى لا يستطيعون ما موقعها قلت هى صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشىء بعينه كقوله ولقد امر على اللئيم يسبنى فان قلت لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع قلت للدلالة على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عنى فكيف بغيره مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اى يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدى كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب وقرئ مرغما فقرئ ثم يدركه الموت بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كانه اراد ان يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله من عنزى سبنى لم اضربه وقرئ يدركه بالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فاذا وجبت جنوبها وجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه وروى فى قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه الموت اخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله فقالوا لو توفى بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض دينى من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا فى الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهى هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت فى طريقه فاجره واقع على الله الضرب فى الارض هو السفر وادنى مدة السفر الذى يجوز فيه القصر عند ابى حنيفة مسيرة ثلثة ايام ولياليهن سير الابل ومشى الاقدام على القصد

واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم

ولا اعتبار بابطاء الضارب واسراعه فلو سار مسيرة ثلثة ايام ولياليهن فى يوم قصر ولو سار مسيرة يوم فى ثلثة ايام لم يقصر وعند الشافعى رحمه الله ادنى مدة السفر اربعة برد مسيرة يومين وقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ظاهره التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل والى التخيير ذهب الشافعى رحمه الله وروى عن النبى صلى الله عليه انه اتم فى السفر وعن عائشة رضى الله عنها اعتمرت مع رسول الله من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بابى انت وامى قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة وما عاب على وكان عثمان رضى الله عنه يتم ويقصر وعند ابى حنيفة رحمه الله القصر فى السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر رضى الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة رضى الله عنها اول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت فى السفر وزيدت فى الحضر فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا فى القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه وقرئ تقصروا من اقصر وجاء فى الحديث اقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرا الزهرى تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب فى حال الخوف خاصة وهو قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا واما فى حال الامن فبالسنة وفى قراءة عبد الله من الصلاة ان يفتنكم ليس فيها ان خفتم على انه مفعول له بمعنى كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة تعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف بعد رسول الله حيث شرط كونه فيهم وقال من راها بعده ان الائمة نواب عن رسول الله فى كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضر الجماعة فى حال الخوف عليه ان يؤمهم كما ام رسول الله الجماعات التى كان يحضرها والضمير فى فيهم للخائفين فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك فصل بهم وليأخذوا اسلحتهم الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه فاذا سجدوا فليكونوا يعنى غير المصلين من ورائكم يحرسونكم وصفة صلاة الخوف عند ابى حنيفة ان يصلى الامام باحدى الطائفتين ركعة ان كانت الصلاة ركعتين والاخرى بازاء العدو ثم تقف هذه بازاء العدو وتاتى الاخرى فيصلى بها ركعة ويتم صلاته ثم تقف بازاء العدو وتاتى الاولى فتؤدى الركعة

ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا

بغير قراءة وتتم صلاتها والسجود على ظاهره عند ابي حنيفة وعند مالك بمعنى الصلاة لان الامام
يصلي عنده بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتم صلاتها وتسلم وتذهب ثم يصلي بالثانية ركعة
ويقف قاعدا حتى تتم صلاتها وتسلم بهم ويعضده ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا
معك وقرئ وليأت فان قلت كيف جمع بين الاسلحة وبين الحذر في الاخذ قلت
جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة في
الاخذ وجعلا مأخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان جعل الايمان مستقرا
لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء فيميلون عليكم فيشدون
عليكم شدة واحدة ورخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من
مطر او يضعفهم من مرض وامرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو
فان قلت كيف طابق الامر باخذ الحذر قوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا قلت
الامر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الايهام باخبارهم
ان الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر
ليس لذلك وانما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فاذا قضيتم الصلاة
فاذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما مسايفين ومقارعين
وقعودا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم حين
تضع الحرب اوزارها وامنتم فاقيموا الصلاة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال
القلق والانزعاج ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا باوقات لا يجوز
اخراجها عن اوقاتها على اي حال كنتم خوف او امن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي رضي الله عنه
رحمه الله في ايجابه الصلوة على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة
اذا حضر وقتها فاذا اطمأن فعليه القضاء واما عند ابي حنيفة رحمه الله فهو معذور في
تركها الى ان يطمئن وقيل معناه فاذا قضيتم صلاة الخوف فاديموا ذكر الله مهللين مكبرين
مسبحين داعين بالنصرة والتأييد في كافة احوالكم من قيام وقعود واضطجاع فان ما انتم
فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجإ اليه فاذا اطمأننتم فاذا اقمتم فاقيموا
الصلاة فاتموها ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار
بالقتال والتعرض به لهم ثم الزمهم الحجة بقوله ان تكونوا تألمون اي ليس ما تكابدون من

ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما

الالم بالجرح والقتل مختصا بكم انما هو امر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم
يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى منهم بالصبر لانكم ترجون
من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب العظيم في الآخرة وقرأ
الاعرج ان تكونوا تألمون بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله فانهم يألمون
كما تألمون تعليل وقرئ فانهم يئلمون كما تئلمون وروي ان هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح
فتواكلوا وكان الله عليما حكيما لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم ولا ينهاكم الا لما هو عالم به مما
يصلحكم روي ان طعمة بن ابيرق احد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في
جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من
اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه و
اتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد
له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله فسألوه ان يجادل عن صاحبهم
وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله ان يفعل وان يعاقب اليهودي
وقيل هم ان يقطع يده فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق
اهله فسقط الحائط عليه فقتله بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك وعن عمر رضي
الله عنه لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه ولكن
ليجتهد رايه لان الراي من رسول الله كان مصيبا لان الله كان يريه اياه وهو منا الظن
والتكلف ولا تكن للخائنين خصيما ولا تكن لاجل الخائنين مخاصما للبراء يعني لا تخاصم اليهود
لاجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي يختانون انفسهم يخونونها بالمعصية
كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما
جعلت ظلما لها لان الضرر راجع اليهم فان قلت لم قيل للخائنين ويختانون انفسهم وكان
السارق طعمة وحده قلت لوجهين احدهما ان بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا
شركاء له في الاثم والثاني انه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن
قط ولا تجادل عنه فان قلت لم قيل خوانا اثيما على المبالغة قلت كان الله عالما
من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة امره لم يشك
في حاله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضي الله عنه

انه امر بقطع يده فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال
كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا
من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم
لا يخفى عليه خافية من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية
من ربهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين انهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس الا الكشف
الصريح والافتضاح يبيتون يدبرون ويزورون واصله ان يكون بالليل ما لا يرضى من
القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته فان قلت
كيف سمي التدبير قولا وانما هو معنى في النفس قلت لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على
المجاز ويجوز ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيته وتوريكه الذنب
على اليهودي ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم واولاء وهما مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبينة
لوقوع اولاء خبرا كما تقول لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك ويجوز ان يكون
اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في
الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه وقرأ عبد الله عنه اي عن طعمة
وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره
كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل
سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة
لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه او لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه فانما
يكسبه على نفسه اي لا يتعداه ضرره الى غيره فليتق على نفسه ومن يكسب خطيئة صغيرة
او اثما او كبيرة ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا واثما لانه بكسب
الاثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الامرين وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه
ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة واصله يكتسب ولولا فضل الله عليك ورحمته
اي عصمته والطافه وما اوحى اليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر
ان يضلوك عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني هو صاحبهم فقد
روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة وما يضلون الا انفسهم لان وباله عليهم
وما يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على

خلاف ذلك وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور وضمائر القلوب او من امور الدين والشرائع
ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم الى الناس وقيل الآية في المنافقين
لا خير في كثير من نجواهم من متناجي الناس الا من امر بصدقة الا نجوى من امر على انه مجرور
بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى
ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل هو
عام في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع
وعن النبي صلى الله عليه كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي
عن منكر او ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول
لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه او ما سمعته يقول والعصر ان الانسان لفي خسر
فهو هذا بعينه وشرط في استيجاب الاجر العظيم ان ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب
به اليه وان يبتغي به وجهه خالصا لان الاعمال بالنيات فان قلت كيف قال الا من امر
ثم قال ومن يفعل ذلك قلت قد ذكر الآمر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل
الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن
به الوعد بالاجر العظيم ويجوز ان يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر به عن
سائر الافعال وقرئ يؤتيه بالياء ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من
الدين الحنيفي القيم وهو دليل على ان الاجماع حجة لا يجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب
والسنة لان الله عز وعلا جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط و
جعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول نوله ما تولى نجعله
واليا لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وقرئ
ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة ان الله لا
يغفر ان يشرك به تكرير للتأكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروي انه مات مشركا وقيل جاء
شيخ من العرب الى رسول الله فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا
منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جرأة على الله ولا مكابرة
له وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي
عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه الا اناثا اللات

إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم
فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا
غرورا أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا
ومن أصدق من الله قيلا

والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حي من أحياء العرب إلا ولهم صنم يعبدونه يسمونه
أنثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في أصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم
الملائكة بنات الله وقرئ أنثا جمع أنيث أو إناث ووثنا وأثنا بالتخفيف والتثقيل جمع
وثن كقولك أسد وأسد وأسد وقلبت الواو ألفا نحو أجوه في وجوه وقرأت عائشة رضي الله عنها
أوثانا وإن يدعون وإن يعبدون بعبادة الأصنام إلا شيطانا لأنه هو الذي أغراهم على
عبادتها فأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة ولعنه الله وقال لأتخذن صفتان بمعنى شيطانا
مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضته
لنفسي من قولهم فرض له في العطاء وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون
إلى النار ولأمنينهم الأماني الباطلة من طول الأعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين
بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك فليبتكن آذان الأنعام يشقونها
بالبحائر كانوا يشقون أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا
على أنفسهم الانتفاع بها وتغيير خلق الله بفقء عين الحامي وإعفائه عن الركوب
وقيل الخصاء وهو في قول عامة العلماء مباح في البهائم وأما في بني آدم فمحظور وعند
أبي حنيفة يكره شرى الخصيان وإمساكهم واستخدامهم لأن الرغبة فيهم تدعو إلى خصائهم
وقيل فطرة الله التي هي دين الإسلام وقيل للحسن إن عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة
هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمتفلجات
المغيرات خلق الله وقيل التخنث وعد الله حقا مصدران الأول مؤكد لنفسه والثاني
مؤكد لغيره ومن أصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ فإن قلت ما فائدة هذه التوكيدات
قلت معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله
الصادق لأوليائه ترغيبا للعباد في إيثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون
في عاقبته غصص إخلاف مواعيد الشيطان ليس بأمانيكم ليس ينال ما وعد الله من
الثواب بأمانيكم ولا بأماني أهل الكتاب والخطاب للمسلمين لأنه لا يتمنى وعد الله إلا من
آمن به ولذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان بوعد الله وعن مسروق والسدي
هي في المسلمين وعن الحسن ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل إن قوما
ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله

ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك
يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا

وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل وقيل إن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال
أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم النبيين
وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين لقولهم
إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا لأوتين مالا وولدا إن لي
عنده للحسنى وكان أهل الكتاب يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار إلا أياما
معدودة ويعضده تقدم ذكر أهل الشرك قبله وعن مجاهد أن الخطاب للمشركين قوله
من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني أهل الكتاب نحو من قوله
بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب
قوله وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وإذا أبطل الله الأماني وأثبت أن الأمر كله معقود
بالعمل وأن من أصلح عمله فهو الفائز ومن أساء عمله فهو الهالك تبين الأمر ووضح ووجب قطع الأماني
وحسم المطامع والإقبال على العمل الصالح ولكنه نصح لا تعيه الآذان ولا تلقي إليه الأذهان
فإن قلت ما الفرق بين من الأولى والثانية قلت الأولى للتبعيض أراد ومن يعمل بعض
الصالحات لأن كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الأحوال وإنما يعمل منها ما هو تكليفه
وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه الصلاة في بعض الأحوال
والثانية لتبيين الإبهام في ومن يعمل فإن قلت كيف خص الصالحون بأنهم لا يظلمون وغيرهم
مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال
الصالحات جميعا والثاني أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لأن كلا
الفريقين مجزيون بأعمالهم لا تفاوت بينهم ولأن ظلم المسيء أن يزاد في عقابه وأرحم الراحمين
معلوم أنه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه وأما المحسن فله ثواب وتوابع الثواب
من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز أن ينقص من الفضل لأنه ليس بواجب فكان نفي الظلم دلالة
على أنه لا يقع نقصان في الفضل أسلم وجهه لله أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف
لها ربا ومعبودا سواه وهو محسن وهو عامل للحسنات تارك للسيئات حنيفا حال من المتبع أو من
إبراهيم كقوله بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف أي مال عن الأديان كلها
إلى دين الإسلام واتخذ الله إبراهيم خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه
كرامة الخليل عند خليله والخليل المخال وهو الذي يخالك أي يوافقك في خلالك أو

ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء

بسابرك في طريقك من الخلل وهو الطريق في الرمل او يسد خللك كما تسد خلله او يداخلك
خلال منازلك وحجبك فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة اعتراضية لا محل
لها من الاعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جمة فائدتها تاكيد وجوب اتباع
ملته لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان تتبع ملته وطريقته
ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان ابرهيم عليه السلم بعث الى خليل له
بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت
ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس
فلما اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فاخرجت احسن
حوارى واختبزت واستنبه ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت امرأته
من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات
وما في الارض متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين ومعناه ان له ملك اهل السموات والارض
فطاعته واجبة عليهم وكان الله بكل شيء محيطا فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها
فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما هو اصلح لها ما يتلى في محل الرفع اي الله يفتيكم والمتلو في
الكتاب في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبني
زيد وكرمه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على انها جملة معترضة و
المراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة في حقوق
اليتامى من عظائم الامور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها والمحافظة
عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القرآن وانه في ام الكتاب
لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى
عليكم في الكتاب والقسم ايضا لمعنى التعظيم وليس بسديد ان يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله
من حيث اللفظ والمعنى فان قلت بم تعلق قوله في يتامى النساء قلت في الوجه الاول
هو صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن واما في
الوجهين الآخرين فبدل لا غير فان قلت الاضافة في يتامى النساء ما هي قلت
اضافة بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة وقرئ في ييامى النساء بيائين على قلب همزة ايامى
ياء لا تؤتونهن ما كتب لهن وقرئ ما كتب الله لهن اي ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل

اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما
وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا

منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت دميمة عضلها عن
التزوج حتى تموت فيرثها وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن لجمالهن او عن ان تنكحوهن
لدمامتهن وروي ان عمر بن الخطاب كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال
زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فانت احق
بها والمستضعفين مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام
بالامور دون الاطفال والنساء ويجوز ان يكون خطابا للاوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب
وان تقوموا مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا و
يجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم
حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم خافت من بعلها توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخائله وامارته
والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة وان
يؤذيها بسب او ضرب والاعراض ان يعرض عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض
الاسباب من طعن في سن او دمامة او شيء في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير
ذلك فلا بأس بهما في ان يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو اصلح اصبر
في اصطبر صلحا في معنى مصدر كل واحد من الافعال الثلاثة ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له
نفسا عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول
الله وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما روي ان امرأة اراد ان يطلقها زوجها
لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين
فقال ان كان هذا يصلح فهو احب الي فاقرها او تهب له بعض المهر او كله او النفقة فان لم
تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان او يسرحها والصلح خير من الفرقة او من النشوز والاعراض
وسوء العشرة او هو خير من الخصومة في كل شيء او الصلح خير من الخيور كما ان الخصومة شر من
الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله واحضرت الانفس الشح ومعنى احضار الانفس الشح
ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا ينفك عنه يعني انها مطبوعة عليه والغرض ان
المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا
رغب عنها واحب غيرها وان تحسنوا بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن
وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة

فإن الله كان بما تعملون من الإحسان والتقوى خبيرا وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان
الخارجي من أدم بني آدم وامرأته من أجملهم فأجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله
فقال ما لك قالت حمدت الله على أني وإياك من أهل الجنة قال كيف قالت لأنك رزقت مثلي
فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين
ولن تستطيعوا ومحال أن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة
ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه إلا ما تستطيعون
بشرط أن تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لأن تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك
بظلام للعبيد وقيل معناه أن تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى الله عليه أنه كان يقسم بين نسائه
فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك يعني المحبة لأن عائشة رضي الله
عنها كانت أحب إليه وقيل إن العدل بينهن أمر صعب بالغ من الصعوبة حدا يوهم أنه غير
مستطاع لأنه يجب أن يسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والإقبال والممالحة
والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة
هذا إذا كن محبوبات كلهن فكيف إذا مال القلب مع بعضهن فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على
المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضى منها يعني أن اجتناب كل الميل مما هو في حد
اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه إن وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ
فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال هل هي إلا حظة أو تطليق
أو صلف أو بين ذاك تعليق وفي قراءة أبي فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان
يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث إلى
أزواج رسول الله بمال فقالت عائشة إلى كل أزواج رسول الله بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث
إلى القرشيات بمثل هذا وإلى غيرهن بغيره فقالت ارفع رأسك فإن رسول الله كان يعدل بيننا
في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فأخبره فأتم لهن جميعا وكان لمعاذ امرأتان فإذا كان
عند إحداهما لم يتوضأ في بيت الأخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد وإن تصلحوا
ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما تستقبل غفر الله لكم وإن يتفرقا وإن
يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن الله كلا يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا أهنأ من
عيشه والسعة الغنى والمقدرة والواسع الغني المقتدر من قبلكم متعلق بوصينا أو بأوتوا

وإياكم عطف على الذين أوتوا والكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية أن اتقوا بأن اتقوا أو تكون
أن المفسرة لأن التوصية في معنى القول وقوله وإن تكفروا فإن لله عطف على اتقوا لأن المعنى أمرناهم
وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم إن تكفروا فإن لله والمعنى أن لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم
والمنعم عليهم بأصناف النعم كلها فحقه أن يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون
ثوابه ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من الأمم السالفة ووصيناكم أن اتقوا الله يعني أنها وصية
قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين لأنهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون
النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم إن تكفروا فإن لله في سماواته وأرضه من الملائكة والثقلين من
يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لأن يحمد
لكثرة نعمه وإن لم يحمده أحد منهم وتكرير قوله لله ما في السماوات وما في الأرض تقرير لما هو موجب
تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لأن الخشية والتقوى أصل الخير كله إن يشأ يذهبكم يفنكم
ويعدمكم كما أوجدكم وأنشأكم ويأت بآخرين ويوجد إنسا آخرين مكانكم أو خلقا آخرين
غير الإنس وكان الله على ذلك من الإعدام والإيجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء أراده
وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله من العرب
أي إن يشأ يمتكم ويأت بأناس آخرين يوالونه ويروى أنها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه يده
على ظهر سلمان وقال إنهم قوم هذا يريد أبناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة
فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب أحدهما دون الآخر والذي يطلبه أخسهما لأن
من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة إلى جنبه كلا شيء والمعنى
فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له إن أراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط قوامين بالقسط مجتهدين
في إقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما أمرتم بإقامتها ولو على
أنفسكم ولو كانت الشهادة على أنفسكم أو آبائكم أو أقاربكم فإن قلت الشهادة على الوالدين
والأقربين أن يقول أشهد أن لفلان على والدي كذا أو على أقاربي فما معنى الشهادة على نفسه قلت
هي الإقرار على نفسه لأنه في معنى الشهادة عليها بإلزام الحق لها ويجوز أن يكون المعنى وإن كانت الشهادة
وبالا على أنفسكم أو على آبائكم وأقاربكم وذلك أن يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم أو غيره
إن يكن إن يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه أو فقيرا فلا يمنعها
ترحما عليه فالله أولى بهما بالغني والفقير أي بالنظر لهما وإرادة مصلحتهما ولولا أن الشهادة عليهما

فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا

مصلحة لهما لما شرعها لانظر لعباده من كل ناظر فان قلت لم ثنى الضمير في اولى بهما
وكان حقه ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين قلت قد رجع
الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا لا الى المذكور فلذلك ثنى ولم يفرد وهو جنس
الغنى وجنس الفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغنى والفقير اي بالاغنياء والفقراء وفي قراءة ابي
فالله اولى بهم وهي شاهدة على ذلك وقرأ عبد الله ان يكن غني او فقير على كان التامة ان تعدلوا
يحتمل العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان
تعدلوا عن الحق وان تلووا او تعرضوا وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل
او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها وقرئ وان تلوا او تعرضوا بمعنى وان وليتم اقامة
الشهادة او اعرضتم عن اقامتها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا
خطاب للمسلمين ومعنى آمنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه وازدادوه والكتاب الذي
انزل من قبل المراد به جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ
وكتابه على ارادة الجنس وقرئ نزل وانزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لاهل الكتاب لانهم
آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي انه لعبد الله بن سلام واسد واسيد ابني
كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن اخيه ويامين بن يامين
اتوا رسول الله وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر
بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب
كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كانه قيل يا ايها الذين آمنوا
نفاقا آمنوا اخلاصا فان قلت كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي انزل من قبل وكانوا
مؤمنين بالتوراة والانجيل قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما انزل من الكتب
فامروا ان يؤمنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به لان طريق الايمان به هو
المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا به لاجل المعجزة لآمنوا به
كله فحين آمنوا ببعضه علم انهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايمانا وهذا الذي اراد عز وجل
في قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم
الكافرون حقا فان قلت لم قيل نزل على رسوله وانزل من قبل قلت لان القرآن نزل
مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله ومن يكفر بالله الآية ومن يكفر بشيء

ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره

من ذلك فقد ضل لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي
تعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين
تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان يحدثوا ما
يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب اولئك
الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان اهون شيء عندهم
وادونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد
تكرار الردة ونصحت توبتهم لم تقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة
واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وانه امر لا يكاد يكون وهكذا ترى
الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب انه يموت
على شر حال واسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالانجيل وبعيسى ثم
ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بشر المنافقين وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم والذين
نصب على الذم او رفع بمعنى اريد الذين او هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول
بعضهم لبعض لا يتم امر محمد فتولوا اليهود فان العزة لله جميعا يريد لاوليائه الذين كتب لهم
العز والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ان اذا سمعتم هي ان
المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل عليكم ان الشأن كذا والشأن ما افادته الجملة
بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل او في موضع النصب بنزل
فيمن قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون
في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر
القرآن في مجالسهم فيستهزئون به فنهى المسلمين عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان
احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة
المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم
انكم اذا مثل الاحبار في الكفر ان الله جامع المنافقين والكافرين يعني القاعدين والمقعود
معهم فان قلت الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم الى من يرجع قلت الى من دل عليه
يكفر بها ويستهزأ بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها فان قلت لم يكون

انكم اذاً مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب
قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا

مثلهم بالمجالسة اليهم في وقت الخوض قلت لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي
بالكفر كافر فان قلت فلما كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين
قلت لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الانكار لرضاهم الذين
يتربصون اما بدل من الذين يتخذون واما صفة للمنافقين او نصب على الذم منهم يتربصون بكم
اي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق الم نكن معكم مظاهرين فاسهموا لنا في الغنيمة
الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المسلمين بان ثبطناهم
عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا
نصيبا لنا مما اصبتم وقرئ ونمنعكم بالنصب باضمار ان قال الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني
وبينكم المودة والاخاء فان قلت لم سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلت
تعظيما لشان المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح له ابواب السماء حتى
ينزل على اوليائه واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دنيّ ولمظة من الدنيا يصيبونها يخادعون
الله يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما
يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والاموال في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل
من النار في الآخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة واحلال باس ونقمة ورعب دائم والخادع
اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما
يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفا نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس
من نوركم كسالى قرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان ككسالى في سكران اي يقومون متثاقلين
متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة يراؤن الناس يقصدون بصلاتهم
الرياء والسمعة ولا يذكرون الله الا قليلا ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون
الناس الا ما يجاهرون به قليل ايضا لانهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه
او ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين
بالاسلام لو صحبته الايام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث
الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفتر عنه ويجوز ان يراد بالقلة العدم فان قلت ما معنى
المراءاة وهي مفاعلة من الرؤية قلت فيه وجهان احدهما ان المرائي يريهم عمله وهم يرونه
استحسانه والثاني ان يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس بمعنى رآهم كقولك

مذبذبين بين ذلك لا الى هولآء ولا الى هولآء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون
ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله
فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما

نعمه وناعمه وقنفذه وفانقه وعليش مفانق روى ابو زيد رأت المرأة المرآة الرجل اذا امسكتها له
ليرى وجهه ويدل عليه قراءة ابن ابي اسحق يرؤونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم اي يبصرونهم
اعمالهم ويراؤونهم كذلك مذبذبين اما حال نحو قوله ولا يذكرون عن واو يراؤون اي
يراؤونهم غير ذاكرين مذبذبين او منصوب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى
بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين
اي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرجوان الا ان الذبذبة فيها
تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرأ ابن عباس مذبذبين بكسر الذال
بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او رأيهم او بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى
وفي مصحف عبد الله متذبذبين وعن ابي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى اخذ بهم
تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا بماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دبة قريش
وذلك اشارة الى الكفر والايمان لا الى هولآء لا منسوبين الى هولآء فيكونوا مؤمنين ولا الى هولآء
ولا منسوبين الى هولآء فيسموا مشركين لا تتخذوا الكافرين اولياء لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم
اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء سلطانا حجة بينة يعني ان موالاة الكافرين بينة على
النفاق وعن صعصعة بن صوحان انه قال لابن اخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر
فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وانه يحق عليك ان تخالص المؤمن الدرك الاسفل الطبق
الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض
وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم ادراك جهنم **فان قلت** لم كان المنافق اشد
عذابا من الكافر **قلت** لانه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله ومداجاتهم
واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما
يثق المؤمنون الخلص واخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين
فهم اصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيشاركونهم
فيه ويساهمونهم **فان قلت** من المنافق **قلت** هو في الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر
واما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر
ومنه قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث
كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه من المنافق فقال الذي يصف

الإسلام ولا نعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فإذا خرجنا تكلمنا بخلافه
فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن أتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فأصبح قد عمم
وقلد وأعطى سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم أيتشفى به من الغيظ أم يدرك به الثأر
أم يستجلب به نفعا أو يستدفع به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه
شيء من ذلك وإنما هو أمر أوجبته الحكمة أن يعاقب المسيء فإن قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد
أبعدتم عن أنفسكم استحقاق العذاب وكان الله شاكرا مثيبا موفيا أجوركم عليما بحق شكركم
وإيمانكم فإن قلت لم قدم الشكر على الإيمان قلت لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة
العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن
به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الإيمان وكأنه أصل التكليف ومداره إلا من ظلم
إلا جهر من ظلم استثني من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو أن يدعو على الظالم ويذكره
بما فيه من السوء وقيل هو أن يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف
رجل قوما فلم يطعموه فأصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ إلا من ظلم على البناء للفاعل
للانقطاع أي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز أن يكون من ظلم مرفوعا
كأنه قيل لا يحب الجهر بالسوء إلا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد إلا عمرو بمعنى ما جاءني إلا عمرو
ومنه لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ثم حث على العفو وأن لا يجهر أحد لأحد
بسوء وإن كان على وجه الانتصار بعد ما أطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الأحب إليه
والأفضل عنده والأدخل في الكرم والتخشع والعبودية وذكر إبداء الخير وإخفاءه تشبيبا
للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وأن له مكانا في باب الخير وسيطا
والدليل على أن العفو هو الغرض المقصود بذكر إبداء الخير وإخفائه قوله فإن الله كان
عفوا قديرا أي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنة الله جعل
الذين آمنوا بالله وكفروا برسله أو آمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله
وبرسله جميعا لما ذكرنا من العلة ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا أن يتخذوا دينا وسطا بين
الإيمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا أي طريقا وسطا
في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد أخطأوا فإنه لا واسطة بين الكفر والإيمان ولذلك قال
أولئك هم الكافرون حقا أي هم الكاملون في الكفر وحقا تأكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد

الله حقا أي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر أو هو صفة لمصدر الكافرين أي هم
الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه فإن قلت كيف جاز دخول بين على أحد وهو
يقتضي شيئين فصاعدا قلت إن أحدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما
تقول ما رأيت أحدا فتقصد العموم ألا تراك تقول إلا بني فلان وإلا بنات فلان فالمعنى
ولم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كأحد من النساء سوف يؤتيهم
أجورهم معناه أن إيتاءها كائن لا محالة وإن تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا
كونه متأخرا روي أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
إن كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى فنزلت وقيل كتابا إلى فلان وكتابا
إلى فلان بأنك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وإنما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت
قال الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لأعطاهم وفيما آتاهم كفاية فقد سألوا موسى جواب
لشرط مقدر معناه إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أكبر من ذلك وإنما أسند
السؤال إليهم وإن وجد من آبائهم في أيام موسى وهم النقباء السبعون لأنهم كانوا على مذهبهم
وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت جهرة عيانا بمعنى أرناه نره جهرة بظلمهم
بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا أمرا جائزا لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة كما سأل
إبراهيم صلوات الله عليه أن يريه إحياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا
للمشبهة ورميا بالصواعق وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين
أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم حتى تاب عليهم فأطاعوا واحتبوا بأفنيتهم والسيوف تتساقط
عليهم فيا لك من سلطان مبين بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا لهم والطور
مطل عليهم ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا في السبت وقد أخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم
سمعنا وأطعنا ومعاهدتهم على أن يتموا عليه ثم نقضوه بعد وقرئ لا تعدّوا ولا تعتدوا
وبإدغام التاء في الدال فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد فإن قلت بم تعلقت الباء
وما معنى التوكيد قلت إما أن يتعلق بمحذوف كأنه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما
فعلنا وإما أن يتعلق بقوله حرمنا عليهم على أن قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله
فبما نقضهم ميثاقهم وأما التوكيد فمعناه تحقيق أن العقاب أو تحريم الطيبات لم يكن إلا
بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك فإن قلت هلا زعمت أن المحذوف

بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم

الذى تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم **قلت** لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم ارادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله خلق قلوبنا غلفا اى فى اكنة لا يتوصل اليها شىء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وكذهب المجبرة اخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا ان تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله **فان قلت** علام عطف قوله وبكفرهم **قلت** الوجه ان يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقالوا قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم **فان قلت** فما معنى المجىء بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الاضراب او على ما بعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم **قلت** قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا والبهتان العظيم هو التزنية **فان قلت** كانوا كافرين بعيسى عليه السلم اعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله **قلت** قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح فى الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلم عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الارض مهادا روى ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربى وبكلمتك خلقتنى اللهم العن من سبنى وسب والدتى فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى والقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم

وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به

انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم انه قد قتل وصلب وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم رفع الى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا **فان قلت** شبه مسند الى ماذا ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وان اسندته الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر **قلت** هو مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز ان يسند الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كانه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه الا اتباع الظن استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعنى ولكنهم يتبعون الظن **فان قلت** قد وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح احد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون شاكين ظانين **قلت** اريد انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك وما قتلوه يقينا وما قتلوه قتلا يقينا او ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك فى قولهم انا قتلنا المسيح او يجعل يقينا تاكيدا لقوله وما قتلوه كقولك وما قتلوه حقا اى حق انتفاء قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشىء علما ونحرته علما اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفى عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لى الحجاج آية ما قراتها الا تخالج فى نفسى شىء منها يعنى هذه الآية وقال انى اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودى اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبى وتقول للنصرانى اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الى وقال ممن قلت حدثنى محمد بن على ابن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبى فقلت له ما اردت الى ان تقول حدثنى محمد بن على ابن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعنى بزيادة اسم على لانه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه

قوله لانه مشهور بيان انه اراد زيادة الغيظ
لانه لو كان مشهورا به لم يكن احتياج الى ذكر
محمد بن على وانما ذكر للغيظ

فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما

قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وإن خر من فوق بيت أو احترق أو أكله سبع قال يتكلم بها في الهوا ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وتدل عليه قراءة أبي إلا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وإن منهم أحد إلا سيؤمنون به قبل موتهم لأن أحدا يصلح للجمع فإن قلت ما فائدة الإخبار بإيمانهم بعيسى قبل موتهم قلت فائدته الوعيد وليكون علمهم بأنهم لا بد لهم من الإيمان به عن قريب عند المعاينة وأن ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الإيمان به في أوان الانتفاع به وليكون إلزاما للحجة لهم وكذلك قوله ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بأنهم كذبوه وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله وقيل الضميران لعيسى بمعنى وإن منهم أحد إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي أنه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز أن يراد أنه لا يبقى أحد من جميع أهل الكتاب إلا ليؤمنن به على أن الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما أنزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم إيمانهم وقيل الضمير في به يرجع إلى الله تعالى وقيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم فبظلم من الذين هادوا فبأي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات إلا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الألبان وكلما أذنبوا ذنبا صغيرا أو كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من الطعام وغيره وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا أو صدا كثيرا بالباطل بالرشوة التي كانوا يأخذونها في الأحكام وما أشبهها من تحريف الكتاب لكن الراسخون يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون والمؤمنون يعني المؤمنين منهم أو المؤمنين من المهاجرين والأنصار وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلوة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التورية ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة في الغيرة على

إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبرهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمن وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا

الإسلام وذب المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما أنزل إليك أي يؤمنون بالكتاب وبالمقيمين الصلوة وهم الأنبياء وفي مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي إنا أوحينا إليك جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله أن ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بأن شأنه في الوحي إليه كشأن سائر الأنبياء الذين سلفوا وقرئ زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب ورسلا نصب بمضمر في معنى أوحينا إليك وهو أرسلنا ونبأنا وما أشبه ذلك أو بما فسره قد قصصناهم وفي قراءة أبي ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل وعن إبرهيم ويحيى بن وثاب وكلم الله موسى بالنصب ومن بدع التفاسير أنه من الكلم وأن معناه وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن رسلا مبشرين ومنذرين الأوجه أن ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير فإن قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الأدلة التي النظر فيها موصل إلى المعرفة والرسل في أنفسهم لم يتوصلوا إلى المعرفة إلا بالنظر في تلك الأدلة ولا عرف أنهم رسل الله إلا بالنظر فيها قلت الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء أهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل أمور الدين وبيان أحوال التكليف وتعليم الشرائع فكان إرسالهم إزاحة للعلة وتتميما لإلزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له فإن قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد قلت لما سأل أهل الكتاب إنزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله إنا أوحينا إليك قال لكن الله يشهد بمعنى أنهم لا يشهدون لكن الله يشهد وقيل لما نزل إنا أوحينا إليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما أنزل إليه إثباته لصحته بإظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات وشهادة الملائكة شهادتهم بأنه حق وصدق فإن قلت بم يجابون لو قالوا بم يعلم أن الملائكة يشهدون وذلك خفي قلت يجابون بأنه يثبت شهادتهم بأنه لما علم بإظهار المعجزات أنه شاهد بصحته علم أن الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لأن شهادتهم تبع لشهادته فإن قلت ما معنى قوله أنزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي قبله قلت معناه أنزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان

ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها
ابدا وكان ذلك على الله يسيرا يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله عليما
حكيما يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله
ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد

وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان شهادته بصحته انه انزله بالنظم
المعجز الفائت للقدر وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وقيل انزله بما علم
من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل انه انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين
برصد من الملئكة والملئكة يشهدون بذلك كما قال في آخر سورة الجن الا من ارتضى الى قوله واحاط بما لديهم
والاحاطة بمعنى العلم وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا
قل اى شئ اكبر شهادة قل الله كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي او كان بعضهم كافرين
وبعضهم ظالمين اصحاب كبائر لانه لا فرق بين الفريقين في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة ولا ليهديهم
طريقا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل الى جهنم او لا يهديهم يوم القيمة الا طريقها يسيرا
اى لا صارف له عنه فآمنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما
بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اى اقصدوا او
ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد لا تغلوا في دينكم غلت
اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه
عن مقداره حيث جعلوه الها ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد
قرا جعفر بن محمد انما المسيح بوزن السكيت وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته
وامره لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه ذو
روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا
من عند الله وقدرته خالصة ومعنى القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها ثلثة خبر
لمبتدا ان صحت الحكاية عنهم انهم يقولون هو جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم
الابن واقنوم روح القدس الحيوة فتقديره الله ثلثة والا فتقديره الالهة ثلثة والذي يدل
عليه القرآن التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلثة آلهة وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى
الى قوله أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
والمشهور المستفيض عنهم انهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الاب والام
ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى ابن مريم فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد
بامهاتهم وان اتصاله بالله عز وعلا من حيث انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه
جسدا حيا من غير اب فنفى ان يتصل به اتصال الابناء بالآباء وقوله سبحانه ان يكون له ولد وحكاية

له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم

الله اوثق من حكاية غيره ومعنى سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد وقرا
الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع النون اى سبحانه ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان له ما في
السموات وما في الارض بيان لتنزهه مما نسب اليه يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض
ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض وكفى
بالله وكيلا يكل اليه الخلق كلهم امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه لن يستنكف لن يانف ولن
يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ولا الملائكة المقربون
ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل
وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم فان قلت من اين دل قوله ولا الملائكة المقربون على ان المعنى
ولا من فوقه قلت من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق لرد
مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى
عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كانه قيل لن يستنكف الملئكة المقربون من العبودية
فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملائكة درجة و
اعلاهم منزلة ومثاله قول القائل وما مثله ممن يجاود حاتم ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره
لا شبهة في انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق
مع هذه الآية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين وقرا علي
رضي الله عنه عبيدا لله على التصغير وروي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلعم لم تعيب صاحبنا
قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شئ اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس
بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت اى لا يستنكف عيسى عن ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو
كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار به الصق فان قلت علام
عطف قوله ولا الملائكة قلت لا يخلو اما ان يعطف على المسيح او على اسم يكون او على
المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك مررت برجل
عبد ابوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض
وهو ان المسيح لا يانف ان يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية او ان يعبد الله
هو ومن فوقه فان قلت قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف فما
وجهه قلت فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملائكة او ولا الملائكة المقربون

فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا
يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما يستفتونك
قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا
ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين

ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه اختصارا واما اذا عطفتهم على الضمير
في عبدا فقد طاح هذا السؤال قرى فسيحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون فان قلت
التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت
هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل بهم
وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر
احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فاما الذين
آمنوا بالله واعتصموا به والثاني وهو ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في
جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا
رأى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله البرهان والنور المبين القرآن او اراد
بالبرهان دين الحق او رسول الله وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز في
رحمة منه وفضل في ثواب مستحق وتفضل ويهديهم اليه الى عبادته صراطا مستقيما
وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم روي انه آخر ما نزل من الاحكام كان
رسول الله في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم
آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله فقال اني كلالة فكيف
اصنع في مالي فنزلت ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع
على الصفة لا النصب على الحال اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو
اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها
البنت الا في مذهب ابن عباس وبالاخت التي لاب وام او لاب دون التي لام لان الله
فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت للام
فلها السدس في آية المواريث مسوى بينها وبين اخيها وهو يرثها واخوها يرثها ان قدر
الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اي ابن لان الابن يسقط الاخ
دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر
على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله
عليه السلام الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ وليسا
باول حكمين بين احدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز ان يدل حكم انتفاء الولد على حكم انتفاء

يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعاير الله

الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب فاولى ان يرث عند انتفاء الابعد ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما دالا على انتفاء الآخر فان قلت الى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة قلت اصله فان كان من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك كما انث ضمير من لمكان تانيث الخبر كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة ان تضلوا مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا عن النبي صلى الله عليه من قرأ سورة النساء فكانما تصدق على كل مومن ومومنة وورث ميراثا و اعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يقال وفى بالعهد واوفى به ومنه والموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا وهي عقود الله التي عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله احلت لكم وما بعده البهيمة كل ذات اربع في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كانهم ارادوا ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب فاضيفت الى الانعام لملابسة الشبه غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش ان انتصابه عن قوله اوفوا بالعقود وقوله وانتم حرم حال عن محلي الصيد كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا نحرج عليكم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام ويعلم انه حكمة ومصلحة والحرم جمع حرام وهو المحرم الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك

ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا

من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والأفعال التي هي علامات الحاج يعرف
بها من الإحرام والطواف والسعي والحلق والنحر والشهر الحرام شهر الحج والهدي ما أهدي
إلى البيت ويتقرب به إلى الله من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج
والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل أو عروة مزادة أو لحاء شجر أو غيره
وآمو المسجد الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار وإحلال هذه الأشياء أن يتهاون بحرمة
الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها وأن يحدثوا في أشهر الحج ما يصدون به الناس
عن الحج وأن يتعرض للهدي بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله وأما القلائد ففيها وجهان أحدهما
أن يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة
التوصية بها لأنها أشرف الهدي كقوله وجبريل وميكال كأنه قيل والقلائد منها خصوصا
والثاني أن ينهى عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا أن تحلوها كما قال ولا
يبدين زينتهن فنهى عن إبداء الزينة مبالغة في النهي عن إبداء مواقعها ولا آمين ولا تحلوا قوما
قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب ورضوانا وأن يرضى عنهم
أي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا أن يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة
وعن النبي صلى الله عليه المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن
ليس فيها منسوخ وعن أبي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة
وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين أن يمنعوا أحدا عن
حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك إنما المشركون نجس ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد
الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء
الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بأن المشركين كانوا يظنون في أنفسهم أنهم على سداد من
دينهم وأن الحج يقربهم إلى الله فوصفهم الله بظنهم وقرأ عبد الله ولا آمي البيت الحرام
على الإضافة وقرأ حميد بن قيس والأعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين فاصطادوا
إباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كأنه قيل فإذا أحللتم فلا جناح عليكم أن تصطادوا
وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ وإذا أحللتم يقال حل المحرم وأحل
جرم يجري مجرى كسب في تعديه إلى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته
ذنبا نحو كسبته إياه ويقال أجرمته ذنبا على نقل المتعدي إلى مفعول بالهمزة إلى مفعولين كقولهم

ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ١٢٥
حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا
بالأزلام ذلكم فسق

أكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء وأول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين
والثاني أن تعتدوا وأن صدوكم بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض
وقرئ بسكون النون والمعنى لا يكسبنكم بغض قوم لأن صدوكم الاعتداء أو لا يحملنكم عليه وقرئ
إن صدوكم على أن الشرطية وفي قراءة عبد الله إن يصدوكم ومعنى صدهم إياكم عن المسجد الحرام
منع أهل مكة رسول الله والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بإلحاق
مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والإغضاء ولا تعاونوا على الإثم والعدوان
على الانتقام والتشفي ويجوز أن يراد العموم لكل بر وتقوى وكل إثم وعدوان فيتناول العموم
العفو والانتصار كان أهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات البهيمة التي تموت حتف أنفها و
الفصيد وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له وما أهل لغير الله به
أي رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها
حتى ماتت أو انخنقت بسبب والموقوذة التي أثخنوها ضربا بعصا أو حجر حتى ماتت والتي تردت
من جبل أو في بئر فماتت والتي نطحتها أخرى فماتت بالنطح وما أكل السبع بعضه إلا ما ذكيتم إلا
ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب أوداجه وقرأ عبد الله والمنطوحة
وهي رواية عن أبي عمرو والسبع بسكون الباء وقرأ ابن عباس وأكيل السبع وما ذبح على النصب
كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون
به إليها تسمى الأنصاب والنصب واحد قال الأعشى وذا النصب المنصوب لا تعبدنه
وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد وأن تستقسموا بالأزلام وحرم عليكم
الاستقسام بالقداح كان أحدهم إذا أراد سفرا أو غزوا أو تجارة أو نكاحا أو أمرا من
معاظم الأمور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وبعضها
غفل فإن خرج الآمر مضى لطيته وإن خرج الناهي أمسك وإن خرج الغفل أجالها عودا
فمعنى الاستقسام بالأزلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالأزلام وقيل هو الميسر وقسمتهم
الجزور على الأنصباء المعلومة ذلكم فسق إشارة إلى الاستقسام أو إلى تناول ما حرم عليهم
لأن المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا فإن قلت لم كان استقسام المسافر وغيره
بالأزلام لتعرف الحال فسقا قلت لأنه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب
وقال لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله واعتقاد أن إليه طريقا وإلى استنباطه وقوله

اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم

امره في دني وهاني دني افتراء على الله وما يدريه انه امره او نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وان كان اراد بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم فامره ظاهر اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم اشيب فلا تريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحو الآن في قوله

الآن لما ابيض مسربتي وعضضت من نابي على جذمي

وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم يئسوا منه ان يبطلوه وان يرجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله عز وجل وفى بوعده من اظهاره على الدين كله فلا تخشوهم بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين واخشون واخلصوا لي الخشية اكملت لكم دينكم كفيتكم امر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم او اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس واصول الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان او اتممت نعمتي عليكم باكمال امر الدين والشرائع كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا يعني اخترته لكم من بين الاديان وآذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا ان هذه امتكم امة واحدة **فان قلت** بم اتصل قوله فمن اضطر **قلت** بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها في مخمصة في مجاعة غير متجانف لاثم غير منحرف اليه كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوه لان يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم

يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب

من المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما احل لهم منها فقيل احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات اي احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف او تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازي والشاهين والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لان التأديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد او من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم **فان قلت** ما فائدة هذه الحال وقد استغني عنها بعلمتم **قلت** فائدتها ان يكون من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب وتعلمونهن حال ثانية او استئناف وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل آخذ علما ان لا يأخذه الا من اقتل اهله علما وانحرهم دراية واغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله مما علمكم الله من علم التكليب لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وان لا يأكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه وعن علي رضي الله عنه اذا اكل البازي فلا تأكل وفرق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب بالضرب ولم يشترطوه في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق بين امساك الكل والبعض وعن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم اذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل **فان قلت** الام رجع الضمير في قوله واذكروا اسم الله عليه **قلت** اما ان يرجع الى ما امسكن على معنى وسموا عليه اذا ادركتم ذكوته او الى ما علمتم من الجوارح اي سموا عليه عند ارساله طعام الذين اوتوا الكتاب قيل هو ذبائحهم وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي رضي الله عنه انه استثنى نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رضي الله عنه وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس

اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم
إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة

وهو قول عامة التابعين وبه أخذ أبو حنيفة وأصحابه وحكم الصابئين حكم أهل الكتاب عند أبي حنيفة
وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا
ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب وأما المجوس فقد سن بهم سنة أهل الكتاب في أخذ
الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روي عن ابن المسيب أنه قال إذا كان المسلم مريضا
فأمر المجوسي أن يذكر اسم الله ويذبح فلا بأس وقال أبو ثور وإن أمره بذلك في الصحة فلا بأس وقد
أساء وطعامكم حل لهم فلا عليكم أن تطعموهم لأنه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم إطعامهم
المحصنات الحرائر أو العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والإماء من المسلمات يصح نكاحهن
بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن وأما الإماء الكتابيات فعند أبي حنيفة هن كالمسلمات
وخالفه الشافعي رضي الله عنه وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى
يؤمن ويقول لا أعلم شركا أعظم من قولها إن ربها عيسى وعن عطاء قد أكثر الله المسلمات وإنما
رخص لهم يومئذ محصنين أعفاء ولا متخذي أخدان صدائق والخدن يقع على الذكر والأنثى
ومن يكفر بالإيمان بشرائع الإسلام وما أحل الله وحرم إذا قمتم إلى الصلوة كقوله وإذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله وكقولك إذا ضربت غلامك فهون عليه في أن المراد إرادة الفعل فإن قلت
لم جاز أن يعبر عن إرادة الفعل بالفعل قلت لأن الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وإرادته
له وهي قصده إليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الإنسان
لا يطير والأعمى لا يبصر أي لا يقدران على الطيران والإبصار ومنه قوله نعيده وعدا علينا
إنا كنا فاعلين يعني إنا كنا قادرين على الإعادة كذلك عبر عن إرادة الفعل بالفعل وذلك لأن الفعل
مسبب عن القدرة والإرادة فأقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولإيجاز الكلام ونحوه
من إقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدأ الذي هو سبب الجزاء
بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم إلى الصلوة قصدتموها لأن من توجه إلى الشيء
وقام إليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام إليه فإن قلت ظاهر الآية توجب
الوضوء على كل قائم إلى الصلوة محدث وغير محدث فما وجهه قلت يحتمل أن يكون الأمر للوجوب
فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وأن يكون للندب وعن رسول الله والخلفاء بعده أنهم كانوا
يتوضؤن لكل صلوة وعن النبي صلى الله عليه من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات
وعنه عليه السلام أنه كان يتوضأ لكل صلوة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات

فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين

الخمس بوضوء واحد فقال له عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز
فإن قلت هل يجوز أن يكون الأمر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الإيجاب ولهؤلاء على
وجه الندب قلت لا لأن تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الإلغاز والتعمية وقيل كان
الوضوء لكل صلوة واجبا أول ما فرض ثم نسخ إلى تفيد معنى الغاية مطلقا فأما دخولها في
الحكم وخروجها فأمر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة إلى ميسرة لأن الإعسار
علة الإنظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالتين
معسرا وموسرا وكذلك أتموا الصيام إلى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على
الدخول قولك حفظت القرآن من أوله إلى آخره لأن الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله
تعالى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لوقوع العلم بأنه لا يسرى به إلى بيت المقدس من غير أن
يدخله وقوله إلى المرافق وإلى الكعبين لا دليل فيه على أحد الأمرين فأخذ كافة العلماء بالاحتياط
فحكموا بدخولها في الغسل وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه أنه
كان يدير الماء على مرفقيه وامسحوا برؤسكم المراد إلصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه
بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه وقد أخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب أو أكثره على
اختلاف الرواية وأخذ الشافعي رضي الله عنه باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة
ببيان رسول الله وهو ما روي أنه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الرأس وقرأ جماعة
وأرجلكم بالنصب فدل على أن الأرجل مغسولة فإن قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها
في حكم المسح قلت الأرجل من بين الأعضاء الثلثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة
للإسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الثالث الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب
الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل إلى الكعبين فجيء بالغاية إماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة
لأن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه أنه أشرف على فتية من قريش فرأى
في وضوئهم تجوزا فقال ويل للأعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها
دلكا وعن ابن عمر كنا مع رسول الله فتوضأ قوم وأعقابهم بيض تلوح فقال ويل للأعقاب
من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب وعن عمر أنه رأى رجلا يتوضأ فترك باطن قدميه
فأمره أن يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة رضي الله عنها لأن تقطعا أحب إلي
من أن أمسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت أن أحدا من أصحاب رسول الله مسح

على القدمين وقد ذهب بعض الناس إلى ظاهر العطف فأوجب المسح وعن الحسن أنه جمع بين الأمرين وروي عن الشعبي نزل القرآن بالمسح والغسل سنة وقرأ الحسن وأرجلكم بالرفع بمعنى وأرجلكم مغسولة أو ممسوحة إلى الكعبين وقرئ فاطهروا أي فطهروا أبدانكم وكذلك ليطهركم وفي قراءة عبد الله فأموا صعيدا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم وليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم واذكروا نعمة الله عليكم وهي نعمة الإسلام وميثاقه الذي واثقكم به أي عاقدكم عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا وأطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان عدى يجرمنكم بحرف الاستعلاء متضمنا معنى فعل يتعدى به كأنه قيل ولا يحملنكم ويجوز أن يكون قوله أن تعتدوا بمعنى على أن تعتدوا والجار حذف مع أن ونحوه قوله عليه السلام من أتبع على ملي فليتبع لأنه بمعنى أحيل وقرئ شنآن بالسكون ونظيره في المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على أن تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بأن تنتصروا منهم وتتشفوا مما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة أو قذف أو قتل أولاد أو نساء أو نقض عهد أو ما أشبه ذلك اعدلوا هو أقرب للتقوى نهاهم أولا أن تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله هو أقرب للتقوى أي العدل أقرب إلى التقوى وأدخل في مناسبتها أو أقرب إلى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه لهم مغفرة وأجر عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كأنه قال قدم لهم وعدا فقيل أي شيء وعده لهم فقيل لهم مغفرة وأجر عظيم أو يكون على إرادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة أو على إجراء وعد مجرى قال لأنه ضرب من القول أو تجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كأنه قيل وعدهم هذا القول وإذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والأجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيامة فيسرون به ويستروحون إليه ويهون عليهم السكرات والأهوال قبل الوصول إلى الثواب روي أن المشركين

رأوا رسول الله وأصحابه قاموا إلى صلاة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان في غزوة ذي أنمار فلما صلوا ندموا ألا كانوا أكبوا عليهم فقالوا إن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم يعنون صلاة العصر وهموا بأن يوقعوا بهم إذا قاموا إليها فنزل جبريل بصلاة الخوف وروي أن رسول الله أتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله سلاحه بشجرة فجاء أعرابي فسل سيف رسول الله ثم أقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلاثا فشام الأعرابي السيف فصاح رسول الله بأصحابه فأخبرهم وأبى أن يعاقبه يقال بسط إليه لسانه إذا شتمه وبسط إليه يده إذا بطش به ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها إلى المبطوش به ألا ترى إلى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى فكف أيديهم عنكم منعها أن تمد إليكم لما استقر بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير إلى أريحا أرض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم إني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها وإني ناصركم وأمر موسى بأن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام أن يحدثوهم فنكثوا الميثاق إلا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها كما يقال له عريف لأنه يتعرفها إني معكم أي ناصركم ومعينكم عزرتموهم نصرتموهم ومنعتموهم من أيدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل إذا حطته وكنفته والتعزير والتأزير من واد واحد ومنه لأنصرنك نصرا مؤزرا أي قويا وقيل معناه ولقد أخذنا ميثاقهم بالإيمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم

لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم

عن المنكر واللام في لئن اقمتم موطئة للقسم وفي لاكفرن جواب له وهذا الجواب ساد مسد
جواب القسم والشرط جميعا بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم فان قلت
من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل سواء السبيل قلت اجل ولكن الضلال بعده اظهر واعظم لان
الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى لعناهم
طردناهم واخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم
قاسية خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى قست قلوبهم او امليناهم ولم نعاجلهم بالعقوبة
حتى قست وقرأ عبد الله قسية اي ردية مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو من القسوة
لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح
بالحاء اخوان في الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ قسية بكسر القاف للاتباع يحرفون
الكلم بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه ونسوا حظا و
تركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا مما ذكروا به من التوراة يعني ان تركهم واعراضهم عن
التوراة اغفال حظ عظيم او قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزلت اشياء
منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه
الآية وقيل تركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وبيان نعته ولا
تزال تطلع اي هذه عادتهم وهجيراهم وكان عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك
ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وان يسموك على خائنة
منهم على خيانة او على فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم
رجل راوية للشعر للمبالغة قال حدثت نفسك بالوفا ولم تكن للغدر خائنة مغل الاصبع
وقرئ على خيانة منهم الا قليلا منهم وهم الذين آمنوا منهم فاعف عنهم بعث على مخالقتهم
وقيل هو منسوخ بآية السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم اخذنا
ميثاقهم اخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى اي مثل ميثاقهم بالايمان
بالله والرسل وبافعال الخير او اخذنا من النصارى ميثاق انفسهم بذلك فان قلت فهلا
قيل من النصارى قلت لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا
لعيسى نحن انصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان
فاغرينا فالصقنا والزمنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء الذي

العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير

يلصق به بينهم بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض
الظالمين بعضا او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض يا اهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى
مما كنتم تخفون من نحو صفة رسول الله ومن نحو الرجم ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يبينه اذا
لم تضطر اليه مصلحة دينية ولم يكن فيه فائدة الا افتضاحكم وصفته مما لا بد من بيانه وكذلك
الرجم وما فيه احياء شريعة واماتة بدعة وعن الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا
على الناس من الحق او لانه ظاهر الاعجاز من اتبع رضوانه من آمن منهم سبل السلام طرق السلامة
والنجاة من عذاب الله او سبل الله قولهم ان الله هو المسيح معناه بت القول على ان حقيقة
الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم
يؤدي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت ويدبر امر العالم فمن يملك من الله شيئا فمن
يمنع من قدرته ومشيئته شيئا ان اراد ان يهلك من دعوه الها من المسيح وامه دلالة على
ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد واراد بعطف من في الارض على المسيح وامه انهما من
جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية يخلق ما يشاء اي يخلق من ذكر وانثى ويخلق من انثى
من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق آدم او يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد
عيسى معجزة له وكاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب اليه ولا
ينسب الى البشر المجرى على يده ابناء الله اشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع
ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن ابناء الله و
يقول اقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن آل فرعون لكم الملك اليوم
فلم يعذبكم بذنوبكم فان صح انكم ابناء الله واحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون
وتمسكم النار اياما معدودات على زعمكم ولو كنتم ابناء الله لكنتم من جنس الاب غير فاعلين للقبائح
ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم احباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم بل انتم بشر من جملة من خلق
من البشر يغفر لمن يشاء وهم اهل الطاعة ويعذب من يشاء وهم العصاة يبين لكم اما ان يقدر
المبين وهو الدين والشرائع وحذفه لظهور ما ورد الرسول لتبيينه او يقدر مما كنتم
تخفون وحذفه لتقدم ذكره او لا يقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال
اي مبينا لكم وعلى فترة متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من

فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين
يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها
فإنا داخلون قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما

الوحي أن تقولوا كراهة أن تقولوا فقد جاءكم متعلق بمحذوف أي لا تعتذروا فقد جاءكم وقيل كان بين
عيسى ومحمد صلى الله عليهما خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة وقيل أربعمائة ونيف وستون وعن
الكلبي كان بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة وألف نبي وبين عيسى ومحمد أربعة أنبياء ثلاثة من بني
إسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الامتنان عليهم وأن الرسول بعث إليهم
حين انطمست آثار الوحي أحوج ما يكونون إليه ليهشوا إليه ويعدوه أعظم نعمة من الله وفتح
باب إلى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بأنه لم يرسل إليهم من ينبههم عن غفلتهم جعل فيكم
أنبياء لأنه لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء وجعلكم ملوكا لأنه ملكهم بعد فرعون
ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولأن الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الأنبياء وقيل كانوا مملوكين في أيدي
القبط فأنقذهم الله فسمى إنقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت
وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه إلى تكلف الأعمال وتحمل المشاق ما لم يؤت أحدا من العالمين
من فلق البحر وإغراق العدو وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك من الأمور العظام
وقيل أراد عالمي زمانهم الأرض المقدسة أرض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل
الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الأردن وقيل سماها الله لإبراهيم ميراثا لولده حين رفع
على الجبل فقيل له انظر فلك ما أدرك بصرك وكان بيت المقدس قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين
كتب الله لكم قسمها لكم وسماها أو خط في اللوح أنها لكم ولا ترتدوا على أدباركم ولا تنكصوا
على أعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا قيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا
أصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا إلى مصر
ويجوز أن يراد لا ترتدوا على أدباركم في دينكم بمخالفتكم أمر ربكم وعصيانكم نبيكم فترجعوا
خاسرين ثواب الدنيا والآخرة الجبار فعال من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه وهو العاتي
الذي يجبر الناس على ما يريد قال رجلان هما كالب ويوشع من الذين يخافون من الذين يخافون
الله ويخشونه كأنه قيل رجلان من المتقين ويجوز أن يكون الواو لبني إسرائيل والراجع إلى الموصول
محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو إسرائيل وهم الجبارون وهما رجلان منهم أنعم الله عليهما
بالإيمان فآمنا قالا لهم إن العمالقة أجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا إليهم فإنكم
غالبوهم يشجعانهم على قتالهم وقراءة من قرأ يخافون بالضم شاهدة له وكذلك أنعم الله عليهما
كأنه قيل من المخوفين وقيل هو من الإخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة

ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا
إنا هاهنا قاعدون قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين

أو يخوفهم وعيد الله بالعقاب فإن قلت ما محل أنعم الله عليهما قلت إن انتظم مع قوله من
الذين يخافون في حكم الوصف لرجلان فمرفوع وإن جعل كلاما معترضا فلا محل له فإن قلت
من أين علما أنهم غالبون قلت من جهة إخبار موسى بذلك وقوله كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة
الظن وما تبيناه من عادة الله في نصرة رسله وما عهداه من صنع الله لموسى في قهر أعدائه وما
عرفا من حال الجبابرة والباب باب قريتهم لن ندخلها نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد
المؤيس وأبدا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول وما داموا فيها بيان للأبد فاذهب أنت وربك
يحتمل أن لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الإرادة والقصد
للجواب كأنهم قالوا أريدا قتالهم والظاهر أنهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة
بهما واستهزاء وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل
وسألوا بها رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم ويحكى أن موسى وهرون
خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما ولأمر ما قرن الله اليهود بالمشركين
وقدمهم عليهم في قوله لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا لما عصوه و
تمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به إلا هرون
عليه السلام قال رب إني لا أملك لنصرة دينك إلا نفسي وأخي وهذا من البث والحزن والشكوى إلى الله
والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب عليه
السلام إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وعن علي رضي الله عنه أنه كان يدعو الناس على منبر الكوفة
إلى قتال البغاة فما أجابه إلا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال أين تقعان مما أريد وفي
إعراب أخي وجوه أن يكون منصوبا عطفا على نفسي وعلى الضمير في إني بمعنى ولا أملك إلا نفسي وإن
أخي لا يملك إلا نفسه ومرفوعا عطفا على محل إن واسمها كأنه قيل أنا لا أملك إلا نفسي وهرون كذلك
لا يملك إلا نفسه أو على الضمير في لا أملك وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير في نفسي وهو ضعيف
لقبح العطف على ضمير المجرور إلا بتكرير الجار فإن قلت أما كان معه الرجلان المذكوران
قلت كأنه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن إلى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال
الصحبة من أحوال قومه وتلونهم فلم يذكر إلا النبي المعصوم الذي لا شبهة في أمره ويجوز أن
يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه ويجوز أن يريد ومن يؤاخيني على
ديني فافرق فافصل بيننا وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم

قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين

ولذلك وصل به قوله فانها محرمة عليهم على وجه التسبيب او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها فان قلت كيف توفق بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد كتبها لكم بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم والثاني ان يراد فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضت الاربعون كان ما كتب فقد روى ان موسى سار بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبيا فاخبرهم بانه نبي الله وان الله امره بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم الى اريحا وقتل الجبارين واخرجهم وصار الشام كله لبني اسرائيل وقيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها وهلكوا في التيه ونشأت نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها والعامل في الظرف اما محرمة واما يتيهون ومعنى يتيهون في الارض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه فيها روى انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى اذا سئموا وامسوا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظللهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله فان قلت فلم كان ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون قلت كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتثقف ولا يقطع عنه معروفه واحسانه فان قلت هل كان معهم في التيه موسى وهرون عليهما السلم قلت اختلف في ذلك فقيل لم يكونا معهم لانه كان عقابا وقد طلب موسى الى ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة كالنار لابرهيم وملئكة العذاب وروى ان هرون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلثة اشهر ومات النقبا في التيه بغتة الا كالب ويوشع فلا تأس فلا تحزن عليهم لانه ندم على الدعا عليهم فقيل انهم احقا لفسقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم هما ابنا آدم لصلبه قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا

واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار

فمن ايكما تقبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بني اسرائيل بالحق تلاوة متلبسة بالحق والصحة او اتله نبأ متلبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله ويبغون عليه او اتل عليهم وانت محق صادق واذ قربا نصب بالنبأ اي قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت ويجوز ان يكون بدلا من النبأ اي اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من نسيكة او صدقة كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب قال الاصمعي تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب فان قلت كيف كان قوله انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لاقتلنك قلت لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على ان الله تعالى لا يقبل طاعة الا من مؤمن متق فما انعاه على اكثر العاملين اعمالهم وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت قال اني اسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك قيل كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره اني اريد ان تبوء باثمي واثمك ان تحتمل اثم قتلي لك لو قتلتك واثم قتلك لي فان قلت كيف يحتمل اثم قتله له ولا تزر وازرة وزر اخرى قلت المراد بمثل اثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله عليه السلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم على ان البادي عليه اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه لانه كان سببا فيه الا ان الاثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لانه مكافئ دافع عن عرضه الا ترى الى قوله ما لم يعتد المظلوم لانه اذا خرج من حد المكافأة واعتدى لم يسلم فان قلت فحين كف هابيل عن قتل اخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فاين الاثم حتى يتحمل اخوه

وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين

مثله فيجتمع عليه الآثمان **قلت** هو مقدر فهو يتحمل مثل الإثم المقدر كأنه قال إني أريد أن تبوء بمثل إثمي لو بسطت إليك يدي وقيل بإثمي بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله لم يتقبل قربانك **فإن قلت** فكيف جاز أن يريد شقاوة أخيه وتعذيبه بالنار **قلت** كان ظالما وجزاء الظالم حسن جاز أن يراد ألا ترى إلى قوله وذلك جزاء الظالمين وإذا جاز أن يريده الله جاز أن يريده العبد لأنه لا يريد إلا ما هو حسن والمراد بالإثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب **فإن قلت** لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما أنا بباسط **قلت** ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك أكده بالباء المؤكدة للنفي فطوعت له نفسه قتل أخيه فوسعته له ويسرته من طاع له المرتع إذا اتسع وقرأ الحسن فطاوعت وفيه وجهان أن يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وأن يراد أن قتل أخيه كأنه دعا نفسه إلى الإقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الأعظم فبعث الله غرابا روي أنه أول قتيل قتل على وجه الأرض من بني آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى أروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة فقال يا ويلتا أعجزت وروي أنه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروي أن آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وأنه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر إلا منحول ملحون وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر ليريه الله أو الغراب أي ليعلمه لأنه لما كان سبب تعليمه فكأنه قصد تعليمه على سبيل المجاز سوأة أخيه عورة أخيه وما لا يجوز أن ينكشف من جسده والسوأة الفضيحة لقبحها **قال** بالقوم للسوأة السوآء إلى للفضيحة العظيمة فكنى بها عنها فأواري بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على فأنا أواري أو على التسكين في موضع النصب للتخفيف النادمين على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في أمره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط أبيه ولم يندم ندم التائبين من أجل ذلك بسبب ذلك وعلته وقيل أصله من أجل شرا إذا جناه يأجله أجلا ومنه قوله ٥ وأهل خباء صالح ذات بينهم ٥ قد احتربوا في عاجل أنا آجله ٥

من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا

كأنك إذا قلت من أجلك فعلت كذا أردت من أن جنيت فعله وأوجبته ويدل عليه قولهم من جراك فعلته أي من أن جررته بمعنى جنيته وذلك إشارة إلى القتل المذكور أي من أجل ذلك القتل كتبنا على بني إسرائيل ومن لابتداء الغاية أي ابتداء الكتب ونشأ من أجل ذلك ويقال فعلت كذا لأجل كذا وقد يقال أجل كذا بحذف الجار وإيصال الفعل **قال** أجل أن الله قد فضلكم وقرئ من أجل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لإلقاء حركتها عليها وقرأ أبو جعفر من إجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة فإذا خفف كسر النون ملقيا لكسرة الهمزة عليها بغير نفس بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص أو فساد عطف على نفس بمعنى أو بغير فساد في الأرض وهو الشرك وقيل قطع الطريق ومن أحياها ومن استنقذها من بعض أسباب الهلكة قتل أو غرق أو حرق أو غير ذلك **فإن قلت** كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم **قلت** لأن كل إنسان يدلي بما يدلي به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فإذا قتل فقد أهين ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق إذن بين الواحد والجميع في ذلك **فإن قلت** فما الفائدة في ذكر ذلك **قلت** تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها لأن المتعرض لقتل النفس إذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذي أراد إحياءها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن آدم أرأيت لو قتلت الناس جميعا أكنت تطمع أن يكون لك عمل يوازي ذلك فيغفر لك به كلا إنه شيء سولته لك نفسك والشيطان فكذلك إذا قتلت واحدا بعد ذلك بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات لمسرفون يعني في القتل لا يبالون بعظمته يحاربون الله ورسوله يحاربون رسول الله ومحاربة المسلمين في حكم محاربته ويسعون في الأرض فسادا مفسدين أو لأن سعيهم في الأرض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون في الأرض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز أن يكون مفعولا له أي للفساد نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله فقطعوا عليهم وقيل في العرنيين فأوحى إليه أن من جمع بين القتل وأخذ المال قتل وصلب ومن أفرد القتل قتل ومن أفرد أخذ المال قطعت يده لأخذ المال ورجله لإخافة السبيل ومن أفرد الإخافة نفي من الأرض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان أو مسلما ومعناه أن يقتلوا من غير صلب إن أفردوا القتل أو يصلبوا مع القتل إن جمعوا بين القتل والأخذ

او يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم
فاعلموا ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض
جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم والسارق والسارقة

قال ابو حنيفة ومحمد يصلب حيا ويطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا
المال او ينفوا من الارض اذا لم يزيدوا على الاخافة وعن جماعة منهم الحسن والنخعي ان الامام
مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير تفصيل والنفي الحبس عند ابي حنيفة وعند الشافعي
النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك
وهو بلد في اقصى تهامة وناصع وهو من بلاد الحبشة خزي ذل وفضيحة الا الذين تابوا
استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة واما حكم القتل والجراح واخذ المال فالى الاولياء
ان شاؤوا عفوا وان شاؤوا استوفوا وعن علي رضي الله عنه ان الحرث بن بدر جاءه تائبا بعد ما
كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة الوسيلة كل ما يتوسل به اي يتقرب من
قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله من فعل الطاعات وترك المعاصي
وانشد للبيد ارى الناس لا يدرون ما قدر امرهم الا كل ذي لب الى الله واسل ليفتدوا به
ليجعلوه فدية لانفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه وعن
النبي صلى الله عليه يقال للكافر يوم القيمة ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به
فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك ولو مع ما في حيزه خبر ان ... لم وحد الراجع
في قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان ... متولى قوله فاني وفيها انها العرب او على اجراء
الضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز ان يكون الواو في ومثله بمعنى مع فيتوحد
المرجوع اليه ... ثم ينصب المفعول معه ... بما يستدعيه لو من الفعل لان التقدير
لو ثبت ان لهم ما في الارض فقرأ ابو واقد ان يخرجوا بضم الياء من اخرج ويشهد لقراءة العامة
قوله بخارجين ومما يروى عن عكرمة ان نافع بن الازرق قال لابن عباس يا اعمى البصر اعمى القلب
تزعم ان قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها
هذا للكفار فمما لفقته المجبرة وليس باول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق
ابن عم رسول الله وهو بين اظهر اعضاده وانصاره من قريش وانضاده من بني عبد المطلب وهو حبر
الامة وبحرها بالخطاب الذي لا يجسر على مثله احد من اهل الدنيا وبرفعه الى عكرمة دليلين
ناصعين ان الحديث فرية ما فيها مرية والسارق والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف
عند سيبويه كانه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما ووجه آخر وهو ان
يرتفعا بالابتداء والخبر فاقطعوا ايديهما ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى والذي

فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض
يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين

سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما والاسم الموصول تضمن معنى الشرط وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها
سيبويه على قراءة العامة لاجل الامر لان زيدا فاضربه احسن من زيد فاضربه ايديهما يديهما
ونحوه فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف واريد باليد اليمين
بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم والسارق في الشريعة من سرق
من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم
عند ابي حنيفة وعند مالك والشافعي رضي الله عنه ربع دينار وعن الحسن درهم وفي مواعظه
احذر من قطع يدك في درهم جزاء ونكالا مفعول لهما فمن تاب من السراق من بعد ظلمه من بعد
سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات فان الله يتوب عليه ويسقط عنه عقاب الآخرة
واما القطع فلا تسقطه التوبة عند ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي رضي الله عنه في احد قوليه
تسقطه من يشاء من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين وقيل يسقط
حد الحربي اذا سرق بالتوبة ليكون ادعى له الى الاسلام وابعد من التنفير عنه ولا يسقطه
عن المسلم لان في اقامته الصلاح للمؤمن والحياة ولكم في القصاص حياة ... لم قدم
التعذيب على المغفرة ... لانه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة قرئ لا يحزنك بضم
الياء ويسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر اي في اظهاره بما يلوح
منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع
فيه الشيب واسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم
وتهافتهم فيه اسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها وآمنا مفعول قالوا وبافواههم
متعلق بقالوا لا بآمنا ومن الذين هادوا ان منقطع مما قبله خبر لسماعون اي ومن اليهود قوم
سماعون ويجوز ان يعطف على من الذين قالوا وبه يرتفع سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين
او للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون لما تفتريه الاحبار ويفتعلونه من الكذب
على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده سماعون
لقوم آخرين لم ياتوك يعني اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله وتجافوا عنه لما افرط
فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة اي قابلون من الاحبار ومن اولئك المفرطين في
العداوة الذين لا يقدرون ان ينظروا اليك وقيل سماعون الى رسول الله لاجل ان يكذبوا
عليه بان يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول

لهم يا محمد يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين
لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم

الله لاجل ان يكذبوا عليه بان يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير
سماعون من رسول الله لاجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوا ما سمعوا منه وقيل
السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر يحرفون الكلم يميلونه ويزيلونه عن مواضع
بعد ان كان ذا مواضع ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق
واعملوا به وان لم تؤتوه وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا واياكم واياه فهو الباطل والضلال
وروي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا
رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله عن ذلك وقالوا ان
امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم
فابوا ان ياخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد
ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض
ورضوا به حكما فقال له رسول الله انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر ورفع
فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه
هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته
ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا
اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله
بالزانيين فرجما عند باب مسجده ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه فلن تملك
له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان
يمنحهم من الطافه ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من اهلها لعلمه انها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان
الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم السحت
كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله الربوا
والربوا باب منه وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر
من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا ياخذون الرشى على الاحكام وتحليل
الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه فاراها
اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فياكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي ان
عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم اليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال

سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين
وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا
للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا

أغرى من القوم لحمٍ كما قال الله سماعون للكذب أكالون للسحت وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم
أنبته السحت فالنار أولى به قيل كان رسول الله صلى الله عليه مخيرا إذا تحاكم إليه أهل الكتاب
بين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي أنهم إذا ارتفعوا إلى حكام المسلمين
فإن شاؤا حكموا وإن شاؤا أعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله وعند
أبي حنيفة رحمه الله إن احتكموا إلينا حملوا على حكم الإسلام وإن زنى منهم رجل بمسلمة أو سرق
من مسلم شيئا أقيم عليه الحد وأما أهل الحجاز فإنهم لا يرون الحدود عليهم يذهبون إلى أنهم
قد صولحوا على شركهم وهو أعظم من الحدود ويقولون إن النبي صلى الله عليه رجم اليهوديين
قبل نزول الجزية فلن يضروك شيئا لأنهم كانوا لا يتحاكمون إليه إلا لطلب الأيسر والأهون
عليهم كالجلد مكان الرجم فإذا أعرض عنهم وأبى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا إعراضه عنهم و
كانوا خلقاء بأن يعادوه ويضادّوه فأمّنه الله منهم بالقسط بالعدل والاحتياط كالحكم بالرجم
وكيف يحكمونك تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص في كتابهم الذي
يدعون الإيمان به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما
في كتابهم الذين يدعون الإيمان به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك
الموافق لما في كتابهم لا يرضون به وما أولئك بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون أو وما أولئك
بالكاملين في الإيمان على سبيل التهكم بهم **فإن قلت** فيها حكم الله ما موضعه من الإعراب **قلت**
إما أن ينتصب حالا من التوراة وهي مبتدأ خبره عندهم وإما أن يرتفع خبرا عنها كقولك
وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله وإما أن لا يكون له محل وتكون جملة مبينة لأن عندهم ما يغنيهم
عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره **فإن قلت**
لم أنثت التوراة **قلت** لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوهما في كلام العرب **فإن قلت**
علام عطف ثم يتولون **قلت** على يحكمونك فيها هدى يهدي للحق والعدل ونور يبين ما استبهم
من الأحكام الذين أسلموا صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم
سبحانه لا للتفصلة والتوضيح وأريد بإجرائها التعريض باليهود وأنهم بعداء من ملة الإسلام
التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث وأن اليهودية بمعزل منها وقوله الذين أسلموا
للذين هادوا وامنا د على ذلك والربانيون والأحبار والزهاد والعلماء من ولد هارون الذين
التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود بما استحفظوا من كتاب الله بما سألهم أنبياؤهم

ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن
والسن بالسن والجروح قصاص

حفظه من التوراة اي بسبب سؤال انبيائهم اياهم ان يحفظوه من التغيير والتبديل ومن
في من كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم باحكام التوراة النبيون
بين موسى وعيسى للذين هادوا ويحملونهم على احكام التوراة لا يتركونهم ان يعدلوا عنها كما فعل
رسول الله من حملهم على حكم الرجم وارغام انوفهم وابائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم
الربانيون والاحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم انبياؤهم من كتاب الله والقضاء باحكامه
وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز ان يكون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار
جميعا ويكون الاستحفاظ من الله اي كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس
نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وادهانهم فيها وامضائها على خلاف ما امروا
به من العدل لخشية سلطان ظالم او خيفة اذية احد من القرباء والاصدقاء ولا تشتروا
ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا بآيات الله واحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه
ورضى الناس كما حرف احبار اليهود كتاب الله وغيروا احكامه رغبة في الدنيا وطلبا
للرياسة فهلكوا ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به فاولئك هم الكافرون والظالمون
والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بان حكموا
بغيرها وعن ابن عباس ان الكافرين والظالمين والفاسقين اهل الكتاب وعنه نعم القوم انتم ما
كان من حلو فلكم وما كان من مر فهو لاهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر
فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في اهل الاسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى
وعن ابن مسعود هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة انتم اشبه الامم سمتا ببني اسرائيل
لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا
في مصحف ابي وانزل الله على بني اسرائيل فيها وفيه وان الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت
منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس
بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه
الكتب كما تقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها ولذلك قال الزجاج
لو قرئ ان النفس بالكسر لكان صحيحا او للاستئناف والمعنى فرضنا عليهم فيها ان النفس ماخوذة
بالنفس مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف
والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص ذات قصاص وهو

فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه وآتيناه
الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الفاسقون وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق

المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص وتعرف المساواة وعن ابن عباس كانوا لا يقتلون
الرجل بالمرأة فنزلت فمن تصدق من اصحاب الحق به بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق
به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله بن
عمرو يهدم عنه ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني اذا تجاوز عنه صاحب
الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة ابي فهو كفارته له يعني فالمتصدق كفارته له اي
الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فاجره على الله وترغيب في
العفو قفيته مثل عقبته اذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه الى
الثاني بزيادة الباء **فان قلت** فاين المفعول الاول في الآية **قلت** هو محذوف والظرف
الذي هو على آثارهم كالساد مسده لانه اذا قفى به على اثره فقد قفى به اياه والضمير في
آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين اسلموا وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة
فان صح فلانه اعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر ومصدقا عطف على
محل فيه هدى ومحله النصب على الحال وهدى وموعظة يجوز ان ينتصبا على الحال كقوله مصدقا
وان ينتصبا مفعولا لهما لقوله وليحكم كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الانجيل وللحكم
بما انزل الله فيه من الاحكام **فان قلت** فان نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع
بقوله وليحكم **قلت** اصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فاقدر
وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله آتيناه اياه وقرئ وليحكم على لفظ الامر بمعنى وقلنا ليحكم وروي
في قراءة ابي وان ليحكم بزيادة ان مع الامر على ان موصولة بالامر كقولك امرته بان قم كانه
قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل وقيل ان عيسى صلوات الله عليه كان متعبدا
بما في التوراة من الاحكام لان الانجيل مواعظ وزواجر والاحكام فيه قليلة وظاهر قوله
وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
وان ساغ لقائل ان يقول معناه وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة
فان قلت اي فرق بين التعريفين في قوله وانزلنا اليك الكتاب وقوله لما بين يديه من
الكتاب **قلت** الاول تعريف العهد لانه عني به القرآن والثاني تعريف الجنس لانه عني
جنس الكتب المنزلة ويجوز ان يقال هو للعهد لانه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق
وانما اريد نوع معلوم منه وهو ما انزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا ورقيبا على سائر

لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات
الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم
واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم

الكتب لانه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اى هو من عليه بان حفظ
من التغيير والتبديل كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذى هيمن عليه الله
عز وجل او الحفاظ فى كل بلد لو حرف حرف منه او حركة او سكون لتنبه عليه كل احد
ولاشمأزوا رادين ومنكرين فمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذلك عدى بعن كأنه قيل ولا تنحرف عما
جاءك من الحق متبعا اهواءهم لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وقرأ يحيى بن وثاب بفتح
الشين ومنهاجا طريقا واضحا فى الدين تجرون عليه وقيل هذا دليل على انا غير متعبدين بشرائع
من قبلنا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة او ذوى امة واحدة اى
دين واحد لا اختلاف فيه ولكن اراد ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها
مذعنين معتقدين انها مصالح قد اختلفت على حسب الاحوال والاوقات معترفين بان الله لم
يقصد باختلافها الا ما اقتضته الحكمة ام تتبعون الشبه وتفرطون فى العمل فاستبقوا
الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها الى الله مرجعكم استئناف فى معنى التعليل لاستباق
الخيرات فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم
فى العمل وان احكم بينهم معطوف على ماذا قلت على الكتاب فى قوله وانزلنا
اليك الكتاب كأنه قيل وانزلنا اليك ان احكم على ان ان وصلت بالامر لانه فعل كسائر
الافعال ويجوز ان يكون معطوفا على بالحق اى انزلناه بالحق وبان احكم ان يفتنوك عن بعض ما
انزل الله اليك ان يضلوك عنه ويصرفوك وذلك ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا
وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد
قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وان بيننا
وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك
رسول الله فنزلت فان تولوا عن الحكم بما انزل الله اليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله
ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعنى ذنب التولى عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم
موضع ذلك واراد ان لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وان هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد
منها وهذا الابهام لتعظيم التولى واسرافهم فى ارتكابه ونحو البعض فى هذا الكلام ما فى
قول لبيد: او يرتبط بعض النفوس حمامها: اراد نفسه وانما قصد تفخيم شانها بهذا
الابهام كانه قال نفسا كبيرة ونفسا اى نفس فكما ان التنكير يعطى معنى التكثير وهو فى معنى البعضية

وان كثيرا من الناس لفاسقون افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض
ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة

فكذلك اذا صرح بالبعض لفاسقون لمتمردون فى الكفر معتدون فيه يعنى ان التولى عن
حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء فى الكفر افحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان احدهما ان قريظة
والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروى ان رسول
الله صلى الله عليه قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثانى ان
يكون تعييرا لليهود بانهم اهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التى هى هوى وجهل
لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحى من الله وعن الحسن هو عام فى كل من يبتغى غير حكم الله و
الحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل
بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وقرئ تبغون بالتاء والياء وقرأ السلمى افحكم الجاهلية
يبغون برفع الحكم على الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه كاسقاطه عن
الصلة فى اهذا الذى بعث الله وعن الصفة فى الناس رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت وعن
الحال فى مررت بهند يضرب زيد وقرأ قتادة افحكم الجاهلية على ان هذا الحكم الذى يبغونه
انما يحكم به افعى نجران ونظيره من حكام الجاهلية فارادوا بسفههم ان يكون محمد خاتم النبيين
حكما كاولئك الحكام لقوم يوقنون اللام فى قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام فى هيت لك اى هذا الخطاب
وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتبينون ان لا اعدل من الله ولا احسن حكما منه
لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتواخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم
معاشرة المؤمنين ثم علل النهى بقوله بعضهم اولياء بعض اى انما يوالى بعضهم بعضا لاتحاد
ملتهم واجتماعهم فى الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم ومن يتولهم منكم فانه من
جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد فى وجوب مجانبة المخالف فى الدين
واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه لا تراءى ناراهما ومنه قول عمر رضى الله عنه لابى
موسى فى كاتبه النصرانى لا تكرموهم اذ اهانهم الله ولا تأمنوهم اذ خونهم الله ولا
تدنوهم اذ اقصاهم الله وروى انه قال له ابو موسى لا قوام للبصرة الا به فقال مات
النصرانى والسلام يعنى هب انه قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة و
استغن عنه بغيره ان الله لا يهدى القوم الظالمين يعنى الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة
يمنعهم الله الطافه ويخذلهم مقتا لهم فيما يدعون فيهم يتكلمون فى موالاتهم ويرغبون
فيها ويعتذرون بانهم لا يأمنون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان اى صرف من صروفه

فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه

ودولة لهم فيحتاجوا إليهم وإلى معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لرسول الله إن لي موالي من اليهود كثيرا عددهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسول الله على أعدائه وإظهار المسلمين أو أمر من عنده يقطع شأفة اليهود وتجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به أنفسهم وذلك أنهم كانوا يشكون في أمر رسول الله صلى الله عليه ويقولون ما نظن أن يتم له أمر وبالحري أن يكون الدولة والغلبة لهؤلاء وقيل أو أمر من عنده أو أن يؤمر النبي صلى الله عليه بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل أو أمر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فأعطوا بأيديهم من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ويقول الذين آمنوا قرئ بالنصب عطفا على أن يأتي وبالرفع على أنه كلام مبتدأ أي ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا فإن قلت لمن يقولون هذا القول قلت إما أن يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق في الإخلاص أهؤلاء الذين أقسموا لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار وإما أن يقولوه لليهود لأنهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم حبطت أعمالهم من جملة قول المؤمنين أي بطلت أعمالهم التي كانوا تكلفوها في رأي أعين الناس وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم أو من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجيبا من سوء حالهم قرئ من يرتد ومن يرتدد وهو في الإمام بدالين وهو من الكائنات التي أخبر عنها في القرآن قبل كونها وقيل كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة ثلث في عهد رسول الله صلى الله عليه بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الأسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول الله فكتب رسول الله إلى معاذ بن جبل وسادات اليمن فأهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله وأخبر رسول الله بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله من الغد وأتى خبره في آخر شهر ربيع الأول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ

فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم

وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجاب من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه أبو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام أراد في جاهليتي وفي إسلامي وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله خالدا فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه وسبع في عهد أبي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول أبو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري

أمت سجاح ووالاها مسيلمة ... كذابة في بني الدنيا وكذاب

وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم على يدي أبي بكر رضي الله عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الأيهم نصرته اللطمة وسيرته إلى بلاد الروم بعد إسلامه فسوف يأتي الله بقوم هم أهل اليمن وقيل لما نزلت أشار رسول الله صلى الله عليه إلى أبي موسى الأشعري فقال قوم هذا وقيل هم ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الأنصار وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوؤهم طريقة وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة السفهاء شيئا وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي أين عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فإن الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات ومنها الحب

من يشاء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون

شرطه أن تلحقه سكرات المحبة فإذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة فإن قلت أين الراجع من الجزاء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط قلت هو محذوف معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم أو بقوم غيرهم أو ما أشبه ذلك أذلة جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه أن ذلولا لا يجمع على أذلة فإن قلت هلا قيل أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين قلت فيه وجهان أحدهما أن يضمن الذل معنى الحنو والعطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع والثاني أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم ونحوه قوله عز وعلا أشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ أذلة وأعزة بالنصب على الحال ولا يخافون لومة لائم يحتمل أن تكون الواو للحال على أنهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فإنهم كانوا موالين لليهود لعنت فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط وأن تكون للعطف على أن من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وأنهم صلاب في دينهم إذا شرعوا في أمر من أمور الدين إنكار منكر أو أمر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم في إنكارهم وصلابتهم في أمرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم أحد من اللوام وذلك إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة يؤتيه يوفق له من يشاء ممن يعلم أن له لطفا واسع كثير الفواضل والألطاف عليم بمن هو من أهلها عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ومعنى إنما وجوب اختصاصهم بالموالاة فإن قلت قد ذكرت جماعة فهلا قيل إنما أولياؤكم قلت أصل الكلام إنما وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق الأصالة ثم نظم في سلك إثباتها له إثباتها لرسول الله والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام أصل وتبع وفي قراءة عبد الله إنما مولاكم الله فإن قلت الذين يقيمون ما محله قلت الرفع على البدل من الذين آمنوا أو على هم الذين يقيمون أو النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقا أو واطأت قلوبهم ألسنتهم إلا أنهم مفرطون في العمل وهم راكعون الواو فيه للحال أي يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله إذا

ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين وإذا ناديتم إلى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون

صلوا وإذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكاة بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة وإنها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كأنه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته فإن قلت كيف صح أن يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء حتى إن لزهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخروه إلى الفراغ منها فإن حزب الله من إقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فإنهم هم الغالبون لكنهم بذلك جعلوا أعلاما لكونهم حزب الله وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم ويحتمل أن يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب روي أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني أن اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار إطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين أشركوا وقرئ والكفار بالنصب والجر ويعضد قراءة الجر قراءة أبي ومن الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرهم إن كنتم مؤمنين حقا لأن الإيمان حقا يأبى موالاة أعداء الدين اتخذوها الضمير للصلاة أو للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمة بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو وأهله وقيل فيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده لا يعقلون لأن لعبهم وهزؤهم من أفعال السفهاء والجهلة فكأنه لا عقل لهم وقرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون إلا الإيمان بالكتب المنزلة كلها وأن أكثركم فاسقون فإن قلت علام عطف قوله وأن أكثركم فاسقون قلت فيه وجوه منها أن يعطف على أن آمنا بمعنى وما تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الإيمان كأنه قيل وما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الإسلام وأنتم خارجون منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف أي واعتقاد أنكم فاسقون ومنها أن يعطف على

هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل

المجرور اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي وما تنقمون منا الا الايمان مع انكم فاسقون ويجوز ان يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كانه قيل وما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا روي انه اتى رسول الله صلى الله عليه نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وان اكثركم بالكسر ويحتمل ان ينتصب وان اكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او يرتفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم علمتم انا على الحق وانكم على الباطل الا ان حب الرياسة وكسب الاموال لا يدعكم فتنصفوا ذلك اشارة الى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله ومن لعنه في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله قل افأنبئكم بشر من ذلكم النار او في محل الجر على البدل من شر وقرئ مثوبة ومثالها مشورة ومثوبة **فان قلت** المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاءت في الاساءة **قلت** وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه فبشرهم بعذاب اليم **فان قلت** المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة **قلت** كان اليهود لعنوا يزعمون ان المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الاسلام في زعمكم ودعواكم وعبد الطاغوت عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وفي قراءة ابي وعبدوا الطاغوت على المعنى وقرأ ابن مسعود ومن عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال

ابني لبينى ان امكم امة وان اباكم عبد

وعبدة بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد واصله عبدة فحذفت التاء للاضافة او هو كخدم في جمع خادم وعبد وعباد واعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم او بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك امر اذا صار اميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله **فان قلت** كيف جاز ان يجعل الله منهم عباد الطاغوت **قلت** فيه وجهان احدهما انه خذلهم حتى عبدوها والثاني انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت العجل لانه معبود من دون الله ولان عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس رضي الله عنه اطاعوا الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وقرأ الحسن الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة اصحاب السبت والخنازير كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروي انها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤوسهم اولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في قولك اولئك شر واضل لدخوله في باب الكناية التي هي اخت المجاز نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه يظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله بشأنهم وانهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك وقوله بالكفر وبه حالان اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال ولمعنى آخر وهو ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم فكان رسول الله متوقعا لاظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا اي قالوا ذلك وهذه حالهم الاثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة لبئس ما كانوا يصنعون كانهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لان كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان المعنى في ذلك ان مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعو اليها وتحمله على ارتكابها واما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فاذا فرط في الانكار كان اشد حالا من المواقع ولعمري ان هذه الآية مما يقذ السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن ابن عباس رضي الله عنه هي اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه لانهما كلامان متعقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه الا باشارته من غير

واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم

ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين

استعمال يد ولا بسطها وقبضها ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال
لان بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد
كقوله: جاد الحمى بسط اليدين بوابل ... شكرت نداه تلاعه ووهاده ... ولقد جعل لبيد للشمال يدا
في قوله: اذ اصبحت بيد الشمال زمامها ... ويقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعلت لليأس الذي
هو من المعاني لا من الاعيان كفان ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تاويل
امثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن اذا عبثت به فان قلت قد صح ان قوله يد الله مغلولة
عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت ايديهم ومن حقه ان يطابق ما تقدمه والا تنافر الكلام وزل
عن سننه قلت يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله
وانكده ونحوه بيت الاشتر: بقيت وفري وانحرفت عن العلى ... ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل
الايدي حقيقة يغللون في الدنيا اسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث
اللفظ وملاحظة اصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره اي قطعه لان السب اصله القطع
فان قلت كيف جاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد قلت المراد به الدعاء
بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا الى بخلهم ونكدا الى نكدهم او بما هو مسبب عن
البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق اعراضهم فان قلت
لم ثنيت اليد في بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة قلت ليكون رد قولهم
وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله السخي
بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا بسكون العين وفي مصحف
عبد الله بل يداه بسطتان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح ينفق كيف
يشاء تاكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي ان الله
كان بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وكذبوه
كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي
بقوله الآخرون فاشركوا فيه وليزيدن اي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود
وكفرا بآيات الله والقينا بينهم العداوة فكلمهم ابدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا
تعاضد كلما اوقدوا نارا كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على احد قط
وقد اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بخت نصر

ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته

ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط
عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم
من اذل الناس ويسعون ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله من كتبهم ولو ان
اهل الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم آمنوا برسول الله وبما جاء به وقرنوا ايمانهم بالتقوى
التي هي الشريطة في الفوز بالايمان لكفرنا عنهم تلك السيئات ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم مع
المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة
رحمة الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود
والنصارى وان الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فاين
الاطناب ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل اقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت
رسول الله وما انزل اليهم من سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم وقيل
هو القرآن لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت
ارجلهم عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة اوجه ان يفيض عليهم بركات السماء وبركات الارض
وان يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة وان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل
منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة طائفة
حالها امم في عداوة رسول الله وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام واصحابه و
ثمانية واربعون من النصارى وساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوأ عملهم
وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم بلغ ما انزل اليك جميع ما انزل اليك واي شيء
انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه
كما امرتك فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته فلم تبلغ اذن ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد
منها شيئا قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت
اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدلي به غيرها وكونها
لذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن
ابن عباس رضي الله عنه ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه
بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي
العصمة فقويت فان قلت وقوع قوله فما بلغت رسالته جزاء للشرط ما وجه صحته قلت

والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين قل يا اهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم
ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى

فيه وجهان احدهما انه اذا لم يمتثل امر الله فى تبليغ الرسالات وكتمها كلها كانه لم يبعث رسولا كان
امرا شنيعا لا خفا بشناعته فقيل ان لم تبلغ منها ادنى شىء وان كلمة واحدة فانت كمن ركب الامر
الشنيع الذى هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثانى ان يراد فان
لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحى كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله
عليه السلم فاوحى الله الى ان لم تبلغ رسالاتى عذبتك والله يعصمك عدة من الله بالحفظ والكلاءة
والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعاديك فما عذرك فى مراقبتهم فان قلت اين ضمان العصمة وقد
شج فى وجهه يوم احد وكسرت رباعيته قلت المراد انه يعصمه من القتل وفيه ان عليه ان
يحتمل كل ما دون النفس فى ذات الله فما اشد تكليف الانبيا عليهم السلم وقيل نزلت بعد يوم احد
والناس الكفار بدليل قوله ان الله لا يهدى القوم الكافرين ومعناه انه لا يمكنهم مما يريدون انزاله
بك من الهلاك وعن انس كان رسول الله يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا
يا ايها الناس فقد عصمنى الله من الناس لستم على شىء اى على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده و
بطلانه كما تقول هذا ليس بشىء تريد تحقيره وتصغير شانه وفى امثالهم اقل من لا شىء فلا تأس فلا
تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك وفى المؤمنين غنى عنهم
والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما فى حيز ان من اسمها وخبرها
كانه قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وانشد سيبويه شاهدا له
والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا فى شقاق اى فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك فان قلت
هلا زعمت ان ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر
لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان فان قلت لم لا يصح والنية به التاخير فكانك قلت ان زيدا
منطلق وعمرو قلت لانى اذا رفعته رفعته عطفا على محل ان واسمها والعامل فى محلهما هو
الابتداء فيجب ان يكون هو العامل فى الخبر لان الابتداء ينتظم الجزئين فى عمله كما ينتظمهما ان فى عملها
فلو رفعت الصابئون المنوى به التاخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بان لاعملت فيهما رافعين
مختلفين فان قلت فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو قلت هو
مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين امنوا الى اخره ولا محل لها كما
لا محل للتى عطفت عليها فان قلت ما التقديم والتاخير الا لفائدة فما فائدة هذا التقديم
قلت فائدته التنبيه على ان الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن

من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون

بغيهم وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا وما سموا صابئين إلا
لأنهم صبأوا عن الأديان كلها أي خرجوا كما أن الشاعر قدم قوله وأنتم تنبيها على أن المخاطبين
أوغل في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه
في البغي قبلهم مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدما فإن قلت فلو قيل والصابئين وإياكم
لكان التقديم حاصلا قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لأنه لا إزالة فيه عن موضعه
وإنما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام
فإن قلت كيف قيل الذين آمنوا ثم قيل من آمن قلت فيه وجهان أن يراد بالذين آمنوا
الذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون وأن يراد بمن آمن من ثبت على الإيمان واستقام ولم
يخالجه ريبة فيه فإن قلت فما محل من آمن قلت إما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف
عليهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر إن وإما النصب على البدل من اسم إن
وما عطف عليه أو من المعطوف عليه فإن قلت فأين الراجع إلى اسم إن قلت هو محذوف
تقديره من آمن منهم كما جاء في موضع آخر وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة
كقراءة من قرأ يستهزيون والصابون وهو من صبوت لأنهم صبوا إلى اتباع الهوى والشهوات
في دينهم ولم يتبعوا أدلة العقل والسمع وفي قراءة أبي والصابئين بالنصب وبها قرأ ابن كثير
وقرأ عبد الله يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد
وأرسلنا إليهم رسلا ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية
وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف أي رسول منهم بما لا تهوى أنفسهم بما يخالف هواهم
ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع فإن قلت أين جواب الشرط فإن قوله
فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لأن الرسول الواحد لا يكون فريقين ولأنه لا
يحسن أن تقول إن أكرمت أخي أخاك أكرمت قلت هو محذوف يدل عليه قوله فريقا
كذبوا وفريقا يقتلون كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا
جواب مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم فإن قلت لم جيء بأحد الفعلين ماضيا
وبالآخر مضارعا قلت جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل و
استحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجب منها وقرئ أن لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع
على أن أن هي المخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن فإن قلت

وحسبوا ان لا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح
يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة وما من اله الا
اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم

كيف دخل فعل الحسبان على أنّ التي هي للتحقيق قلت نزّل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة
العلم فان قلت فاين مفعولا حسب قلت سدّ ما يشتمل عليه صلة أنّ وأن من المسند والمسند
اليه مسدّ المفعولين والمعنى وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله فتنة اي بلاء وعذاب في
الدنيا والآخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله
عليهم ثم عموا وصموا كرّة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية وقرئ
عُموا وصُموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمّهم اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا
ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك كثير منهم بدل من الضمير او على قولهم اكلوني البراغيث
او هو خبر مبتدأ محذوف اي اولئك كثير منهم لم يفرق عيسى صلوات الله عليه بينه وبينهم في انه
عبد مربوب مثلهم وهو احتجاج على النصارى انه من يشرك بالله في عبادته او فيما هو مختص به
من صفاته او افعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين اي حرمه دخولها
ومنعه منه كما يمنع المحرّم من المحرّم عليه وما للظالمين من انصار من كلام الله على انهم ظلموا وعدلوا
عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم وردّه وانكره وان
كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى على معنى ولا ينصركم احد فيما تقولون
ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول او ولا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله
من في قوله وما من اله الا اله واحد للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا اله
الا الله والمعنى وما اله قط في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده
لا شريك له ومن في قوله ليمسن الذين كفروا منهم للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من
الاوثان فان قلت فهلا قيل ليمسنهم عذاب اليم قلت في اقامة الظاهر مقام المضمر
فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة اخرى
وهي الاعلام في تفسير الذين كفروا انهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى
خاصة عذاب اليم اي نوع شديد الالم من العذاب كما تقول اعطني عشرين من الثياب تريد من
الثياب خاصة لا من غيرها من الاجناس التي يجوز ان يتناولها عشرون ويجوز ان يكون للتبعيض
على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا من النصرانية افلا يتوبون بعد
هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من اصرارهم
والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول اي ما هو

ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون قل اتعبدون
من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا
كثيرا وضلوا عن سواء السبيل

الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاءوا بآيات من الله كما اتى بامثالها ان ابرأ الله الابرص
واحيا الموتى على يده فقد احيا العصى وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على يد موسى وان خلقه
من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وامه صديقة اي وما امه ايضا الا كبعض
النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما الا منزلة بشرين احدهما نبي والآخر صحابي
فمن اين اشتبه عليكم امرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الانبياء وصحابتهم مع انه لا
تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرّح ببعدهما عما نسبت اليهما في قوله كانا
ياكلان الطعام لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن
الا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق واعصاب واخلاط وامزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك
مما يدل على انه مصنوع مؤلف مدبّر كغيره من الاجسام كيف نبين لهم الآيات اي الاعلام من
الادلة الظاهرة على بطلان قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله فان قلت
ما معنى التراخي في قوله ثم انظر قلت معناه ما بين العجبين يعني انه بين لهم الآيات بيانا عجبا
وان اعراضهم عنها اعجب منه ما لا يملك هو عيسى اي شيئا لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم به
الله من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان
والسعة والخصب ولان كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فباقدار الله وتمكينه
فكانه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع
ضرا ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو
السميع العليم متعلق باتعبدون اي اتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون و
يعلم ما تعتقدون او اتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه ان يسمع كل مسموع
ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك الا وهو حي قادر غير الحق صفة للمصدر اي لا تغلوا
في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا لان الغلو في الدين غلوان حق وهو ان يفحص عن
حقائقه ويفتش عن اباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من اهل
العدل والتوحيد رضوان الله عليهم وغلو باطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض
عن الادلة واتباع الشبه كما يفعل اهل الاهواء والبدع قد ضلوا من قبل هم ائمتهم في النصرانية
كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه واضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث وضلوا
لما بعث رسول الله عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه نزل الله لعنهم في

لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون
ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم
اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى

الزبور على لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال
داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم
عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب
السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي ذلك بما عصوا اي
لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ الا لاجل المعصية والاعتداء لا لشيء آخر ثم فسر المعصية
والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا
يفعلون للتعجب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عن باب
التناهي عن المناكير وقلة عبئهم به كأنه ليس من ملة الاسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله و
ما فيه من المبالغات في هذا الباب فان قلت كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية
والاعتداء قلت من قبل ان الله عز وجل امر بالتناهي فكان الاخلال به معصية وهو اعتداء
لان في التناهي حسما للفساد فكان تركه على عكسه فان قلت ما معنى وصف المنكر بفعلوه
ولا يكون النهي بعد الفعل قلت معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل
منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله كما ترى امارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهيأ
فتنكر ويجوز ان يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على
فعله يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ترى كثيرا منهم هم منافقو اهل
الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم ومحله
الرفع كأنه قيل لبئس زادهم الى الآخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله ولو كانوا
يؤمنون ايمانا خالصا غير نفاق ما اتخذوا المشركين اولياء يعني ان موالاة المشركين كفى بها
دليلا على نفاقهم وان ايمانهم ليس بايمان ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم و
نفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء
كما لم يوالهم المسلمون وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين
عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في
شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا وكذلك فعل
في قوله ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا ولعمري انهم لكذلك واشد وعن النبي
صلى الله عليه ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم

ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين

للمؤمنين بان منهم قسيسين ورهبانا اي علماء وعبادا وانهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر
فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بين على ان العلم انفع شيء واهداه الى الخير وادله
على الفوز حتى علم القسيسين وكذلك علم الآخرة والتحدث بالعاقبة وان كان في راهب والبراءة
من الكبر وان كانت في نصراني ووصفهم برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما
يحكى عن النجاشي انه قال لجعفر بن ابي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون
وهم يغرونه عليهم ويطلبون عنتهم عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة
تنسب اليها فقرأها الى قوله ذلك عيسى ابن مريم وقرأ سورة طه الى قوله هل اتاك حديث
موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله وهم سبعون رجلا حين
قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه سورة يس فبكوا فان قلت بم تعلقت اللام في قوله للذين
آمنوا قلت بعداوة ومودة على ان عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين اشد العداوات
واظهرها وان مودة النصارى التي اختصت المؤمنين اقرب المودات وادناها وجودا و
اسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم
وصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب فان قلت ما معنى قوله تفيض من الدمع
قلت معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء او غيره حتى يطلع ما فيه
من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من اقامة المسبب مقام
السبب او قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم كأنها تفيض بانفسها اي تسيل
من الدمع من اجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا فان قلت اي فرق بين من ومن
في قوله مما عرفوا من الحق قلت الاولى لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة
الحق وكان من اجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا وتحتمل معنى
التبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرأوا القرآن
واحاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم على البناء للمفعول ربنا آمنا المراد به انشاء الايمان
والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيامة
لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا
نؤمن انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم بصحبة
الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك او ارادوا وما لنا لا نؤمن بالله وحده

وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين

لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك
قائما والواو في ونطمع واو الحال **فان قلت** ما العامل في الحال الاولى والثانية **قلت** العامل في
الاولى ما في اللام من معنى الفعل كانه قيل اي شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية معنى هذا الفعل
ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا
من لا نؤمن على انهم انكروا على انفسهم انهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا الصالحين
وان يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الاسلام لان الكافر ما ينبغي
له ان يطمع في صحبة الصالحين فاثابهم الله بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد واخلاص
من قولك هذا قول فلان اي اعتقاده وما يذهب اليه طيبات ما احل الله لكم ما طاب ولذ من
الحلال ومعنى ولا تحرموا لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم
في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه
يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان
لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب
ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ رسول الله فقال
لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام
واصوم وافطر واكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت وروي ان
رسول الله كان ياكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلوا والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة
وعن ابن مسعود ان رجلا قال له اني حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك وكفر عن
يمينك وعن الحسن انه دعي الى طعام ومعه فرقد السبخي واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها
الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسال الحسن اهو صائم
قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد اترى لعاب النحل بلباب
البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا ياكل الفالوذ ويقول لا اؤدي شكره قال
افيشرب الماء البارد قال نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه في الماء البارد اكثر من نعمته في
الفالوذ وعنه ان الله تعالى ادب عباده فاحسن ادبهم قال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب
الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا واطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه ولا تعتدوا
ولا تتعدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل

وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين
من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام

تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده
على عقبه او اراد ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم الله اي من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا
حلالا حال مما رزقكم الله واتقوا الله تاكيد للتوصية بما امر به وزاده تاكيدا بقوله الذي
انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما امر به وعما نهى عنه اللغو في
اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة رضي الله عنها انها سئلت عنه
فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه وعن مجاهد هو الرجل
يحلف على الشيء يرى انه كذلك وليس كما ظن وهو قول ابي حنيفة بما عقدتم الايمان بتعقيدكم
الايمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروي ان الحسن سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق
فقال يا ابا سعيد دعني اجب عنك فقال ولست بماخوذ بلغو تقوله اذا لم تعمد عاقدات العزائم
وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت
المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته فكفارة
نكثه والكفارة الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة اي تسترها من اوسط ما تطعمون
من اقصده لان منهم من يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتر وهو عند ابي حنيفة نصف صاع
من بر او صاع من غيره لكل مسكين او يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي رضي الله عنه مد لكل مسكين وقرأ
جعفر بن محمد اهاليكم بسكون الياء والاهالي اسم جمع لاهل كالليالي في جمع ليلة والاراضي في جمع
ارض وقولهم اهلون كقولهم ارضون بسكون الراء واما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف
كما قالوا رايت معدي كرب تشبيها للياء بالالف او كسوتهم عطف على محل من اوسط وقرئ
بضم الكاف ونحو قدوة في قدوة واسوة في اسوة والكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس
كانت العباءة تجزئ يومئذ وعن ابن عمر ازار او قميص او رداء او كساء وعن مجاهد ثوب جامع
وعن الحسن ثوبان ابيضان وقرأ سعيد بن المسيب واليماني او كاسوتهم بمعنى او مثل ما تطعمون
اهليكم اسرافا كان او تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم
فان قلت ما محل الكاف **قلت** الرفع تقديره او طعامهم كاسوتهم بمعنى
كمثل طعامهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة شرط الشافعي رضي الله عنه الايمان قياسا
على كفارة القتل واما ابو حنيفة واصحابه فيجوزون تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة
سوى القتل **فان قلت** ما معنى او **قلت** التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلث على

ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تشكرون يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون

الاطلاق بايتهما اخذ المكفر فقد اصاب فمن لم يجد احداها فصيام ثلثة ايام متتابعات عند
ابي حنيفة تمسكا بقراءة ابي وابن مسعود رضي الله عنهما فصيام ثلثة ايام متتابعات وعن مجاهد
كل صوم متتابع الا قضاء رمضان ويخير في كفارة اليمين ذلك المذكور كفارة ايمانكم ولو قيل تلك
كفارة ايمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الاشياء او لتانيث الكفارة والمعنى اذا حلفتم وحنثتم
فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة انما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير
قبل الحنث لا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه ويجوز عند الشافعي رضي الله عنه بالمال اذا لم يعص الحانث
واحفظوا ايمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا اراد الايمان التي الحنث فيها معصية لان الايمان اسم
جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بان تكفروها وقيل احفظوها كيف
حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان يبين لكم اياته اعلام شريعته واحكامه
لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه اكد تحريم الخمر والميسر وجوها من
التاكيد منها تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله عليه السلام شارب
الخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلهما رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها انه جعله
من عمل الشيطان والشيطان لا ياتي منه الا الشر البحت ومنها انه امر بالاجتناب ومنها انه جعل
الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها انه
ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض بين اصحاب الخمر والقمر وما
يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة اوقات الصلاة وقوله فهل انتم منتهون من
ابلغ ما ينهى به كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم مع هذه
الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا فان قلت
الام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه قلت الى المضاف المحذوف كانه قيل انما شان
الخمر والميسر او تعاطيهما او ما اشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان فان قلت
لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام اولا ثم افردهما اخرا قلت لان الخطاب
مع المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر
الانصاب والازلام لتاكيد تحريم الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعا من اعمال الجاهلية واهل
الشرك فوجب اجتنابه باسره وكانه لا مباينة بين من عبد صنما واشرك بالله في علم الغيب وبين
من شرب خمرا او قامر ثم افردهما بالذكر ليرى ان المقصود بالذكر الخمر والميسر وقوله وعن الصلاة

واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا ثم اتقوا
واحسنوا والله يحب المحسنين يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم

اختصاص للصلوة من بين الذكر كانه قيل وعن الصلاة خصوصا واحذروا وكونوا حذرين خاشين
لانهم اذا احذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز ان يراد واحذروا
ما عليكم في الخمر والميسر او في ترك طاعة الله والرسول فان توليتم فاعلموا انكم لن تضروا بتوليكم الرسول
لان الرسول ما كلف الا البلاغ المبين بالايات وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه رفع
الجناح عن المؤمنين في اي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها اذا ما اتقوا ما حرم
عليهم منها وامنوا وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا وامنوا ثم ثبتوا
على التقوى والايمان ثم اتقوا واحسنوا ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا اعمالهم او احسنوا
الى الناس وآسوهم بما رزقهم الله من الطيبات وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف
باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون مال الميسر فنزلت يعني ان المؤمنين لا جناح عليهم
في اي شيء طعموه من المباحات اذا اتقوا المحارم ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا على معنى
ان اولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان
ومثاله ان يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح وقد علمت ان ذلك امر مباح ليس على احد جناح
في المباح اذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد ان زيدا تقي مؤمن محسن وانه غير مؤاخذ
بما فعل نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم
في رحالهم فيستمكنون من صيده اخذا بايديهم وطعنا برماحهم ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز
من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الاخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه
فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فالوعيد لاحق به فان قلت ما معنى التقليل و
التصغير في قوله بشيء من الصيد قلت قلل وصغر ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام
التي تدحض عندها اقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الارواح والاموال وانما هو شبيه بما
ابتلي به اهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف شانهم عند ما هو اشد
منه ... بالاحرام محرمون جمع حرام كردح جمع رداح والتعمد ان يقتله
وهو ذاكر لاحرامه او عالم ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى
صيدا وهو يظن انه ليس بصيد فاذا هو صيد او قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته
فاصاب صيدا فهو مخطئ فان قلت محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ فما بال
التعمد مشروطا في الاية قلت لان مورد الاية فيمن تعمد فقد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية

يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم

حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت و
لان الاصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله ليذوق وبال امره ومن عاد
فينتقم الله منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير
لا ارى في الخطأ شيئا اخذا باشتراط العمد في الآية وعن الحسن روايتان فجزاء مثل ما قتل
برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو عند ابي حنيفة قيمة الصيد
يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد
وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان
شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق
به وعند محمد والشافعي رضي الله عنه مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير في النعم عدل الى قول
ابي حنيفة فان قلت فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله
هديا بالغ الكعبة قلت قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم
كما خير الله تعالى في الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في احد وجوه التخيير
لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير
الذي في الآية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او الصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة
بغير تعسف اذا قوم ونظر بعد التقويم اي الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله
الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يتخير بين الاطعام و
الصوم ففيه نبو عما في الآية الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك
صياما كيف خير بين الاشياء الثلثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم وقرا عبد الله فجزاؤه
مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى
فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد وقرا السلمي
على الاصل وقرا محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل وقرا الحسن من
النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فكنه يحكم به بمثل ما قتل ذوا عدل منكم حكمان
عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد
دون الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبيا فسال عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف
ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم امير المؤمنين حتى سال غيره فاقبل عليه

يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه
والله عزيز ذو انتقام

ضربا بالدرة وقال اتغمص الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم
فانا عمر وهذا عبد الرحمن وقرا محمد بن جعفر ذو عدل منكم اراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد
الوحدة وقيل اراد الامام هديا حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لان الصفة خصصته فقربته
من المعرفة او بدل من مثل فيمن نصبه او عن محله فيمن جره ويجوز ان ينتصب حالا عن الضمير
في به ووصف هديا ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان
يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت عند ابي حنيفة وعند الشافعي رضي الله عنه في الحرم
فان قلت بم يرتفع كفارة من نصب جزاء قلت يجعلها خبر مبتدا محذوف كانه قيل او الواجب
عليه كفارة او يقدر فعليه ان يجزي جزاء او كفارة فيعطفها على ان يجزي وقرئ او كفارة
طعام مساكين على الاضافة وهذه الاضافة مبينة كانه قيل او كفارة من طعام مساكين
كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرا الاعرج او كفارة طعام مسكين انما وحده لانه
واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل ذلك بكسر العين والفرق
بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار
ومنه عدلا الحمل لان كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور
بمعنى المفعول به كالذبح ونحوه ونحوهما الحمل والحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز
للعدل كقولك لي مثله رجلا والخيار في ذلك الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة وابي يوسف
وعند محمد الى الحكمين ليذوق متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او يكفر ليذوق سوء
عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء
لثقله من قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا
يستمرا عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول الله وتسالوه
عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان
الصيد فيها محرما ومن عاد الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي عنه فينتقم الله منه
فينتقم خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن يؤمن
بربه فلا يخاف يعني ينتقم منه في الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن
عطاء وابرهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح
انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة صيد البحر مصيدات البحر مما يؤكل

احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم

وما يؤكل وطعامه وما يطعم من صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم اكل المأكول منه وهو السمك وحده عند ابي حنيفة رحمه الله وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الاية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه متاعا لكم مفعول له اي احل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة في باب الحال لان قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة حال مختصة بيعقوب يعني احل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم يأكلونه طريا وللسيارة منكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر وقرئ وطعمه وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء عند ابي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انهم اجازوا للمحرم اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي واحمد لا يباح له ما صيد لاجله فان قلت ما يصنع ابو حنيفة بعموم قوله صيد البر قلت قد اخذ ابو حنيفة رحمه الله بالمفهوم من قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما لان ظاهره انه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لانهم هم المخاطبون فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقرا ابن عباس وحرم عليكم صيد البر اي الله عز وجل وقرئ ما دمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك قياما للناس انتعاشا لهم في امر دينهم ودنياهم ونهوضا الى اغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم وعن عطاء لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر الحرام والشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لان لاختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شانا قد عرفه الله وقيل عنى به جنس الاشهر الحرم والهدي والقلائد والمقلد منه خصوصا وهو البدن لان الثواب فيه اكثر وبهاء الحج معه اظهر ذلك اشارة الى جعل الكعبة قياما للناس او الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره لتعلموا ان الله يعلم كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما امركم به وكلفكم شديد العقاب لمن انتهك محارمه غفور رحيم لمن حافظ عليها ما على الرسول الا البلاغ تشديد في

ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين

ايجاب القيام بما امر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله وان كان قريبا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل فان ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم فاتقوا الله وآثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر ومن حق هذه الاية ان تكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا بالكثرة كما قيل بسعد ان سعدا كثيرة ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا وكما قيل لا يدهمنك من دهمائهم عدد فان جلهم بل كلهم بقر وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين اراد المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عن الايقاع بهم وان كانوا مشركين الجملة الشرطية والمعطوفة عليها اعني قوله ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم صفة للاشياء والمعنى لا تكثروا مسائلة رسول الله حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو ما روي ان سراقة بن مالك او عكاشة بن محصن قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه حتى اعاد مسالته ثلاث مرات فقال ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين اظهركم يوحى اليه تبد لكم تلك التكاليف التي تسؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها عفا الله عنها عفا الله عما سلف من مسالتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته فان قلت كيف قال لا تسألوا عن اشياء ثم قال قد سألها ولم يقل قد سأل عنها قلت الضمير في سألها ليس براجع الى اشياء حتى تجب تعديته بعن وانما هو راجع الى المسالة التي دل عليها لا تسألوا يعني قد سأل هذه المسالة قوم من الاولين ثم اصبحوا بها اي بمرجوعها او بسببها كافرين وذلك ان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم عن اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد

ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون

عن ماء ولا مرعى وإذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرجل إذا قدمت من
سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل إذا
أعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ذكرا فهو
لآلهتهم فإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم وإذا نتجت من صلب
الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل الله
ما شرع ذلك ولا أمر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا يفترون على
الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم إلى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في
تحريمها كبارهم والواو في قوله ولو كان آباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الإنكار وتقديره
أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بالعالم
المهتدي وإنما يعرف اهتداؤه بالحجة كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العتو والعناد
من الكفرة يتمنون دخولهم في الإسلام فقيل لهم عليكم أنفسكم وما كلفتم من إصلاحها والمشي بها
في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم إذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر
معايبهم ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن من
تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وإنما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه وعن
ابن مسعود أنها قرئت عنده فقال إن هذا ليس بزمانها إنها اليوم مقبولة ولكن يوشك أن
يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا
يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى قال إذا جعل دونها السيف
والسوط والسجن وعن أبي ثعلبة الخشني أنه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا
سألت رسول الله صلى الله عليه عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا
ما رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك و
دع أمر العوام فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل أجر خمسين
رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل إذا أسلم قالوا له سفهت أباك ولاموه فنزلت عليكم أنفسكم
عليكم من أسماء الفعل بمعنى الزموا إصلاح أنفسكم ولذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم أنفسكم بالرفع
وقرئ لا يضركم وفيه وجهان أن يكون خبرا مرفوعا ويعضده قراءة أبي حيوة لا يضيركم وأن

بما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى

يكون جوابا للأمر مجزوما وإنما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة والأصل لا
يضرركم ويجوز أن يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره ارتفع اثنان
على أنه خبر للمبتدأ الذي هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أو على أنه فاعل
شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان وقرأ الشعبي شهادة بينكم بالتنوين وقرأ الحسن
شهادة بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان وإذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل
منه وفي إبداله منه دليل على وجوب الوصية وأنها من الأمور اللازمة التي ما ينبغي أن يتهاون بها
المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور أمارات بلوغ الأجل منكم من أقاربكم أو من
غيركم من الأجانب إن أنتم ضربتم في الأرض يعني إن وقع الموت في السفر ولم يكن معكم أحد من
عشيرتكم فاستشهدوا أجنبيين على الوصية وجعل الأقارب أولى لأنهم أعلم بأحوال الميت وبما
هو أصلح وهم له أنصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من أهل الذمة وقيل هو منسوخ لا تجوز
شهادة الذمي على المسلم وإنما جازت في أول الإسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر
وعن مكحول نسخها قوله وأشهدوا ذوي عدل منكم وروي أنه خرج بديل بن أبي مريم مولى عمرو
بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي بن زيد وتميم بن أوس وكانا نصرانيين تجارا إلى الشام
فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه وأمرهما أن يدفعا
متاعه إلى أهله ومات ففتشا متاعه فأخذا إناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب
فغيباه فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدا فترافعوا إلى رسول الله فنزلت تحبسونهما
تقفونهما وتصبرونهما للحلف من بعد الصلاة من بعد صلوة العصر لأنه وقت اجتماع الناس
وعن الحسن بعد العصر أو الظهر لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث
بديل أنها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه صلاة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند
المنبر فحلفا ثم وجد الإناء بمكة فقالوا إنا اشتريناه من تميم وعدي وقيل هي صلاة أهل الذمة
وهم يعظمون صلاة العصر إن ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى إن ارتبتم في شأنهما
واتهمتموهما فحلفوهما وقيل إن أريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وإن أريد الوصيان
فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي رضي الله عنه أنه كان يحلف الشاهد والراوي إذا اتهمهما و
الضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا أي لا نحلف
بالله كاذبين لأجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى أن هذه عادتهم في صدقهم وأمانتهم

ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين فان عثر على انهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما
وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين

أبدًا وأنتم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم او الوالدين و
الاقربين شهادة الله اي الشهادة التي امر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة
ثم ابتدأ آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على
ما ذكره سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان
كذا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها كقوله عادلولى
فان قلت ما موقع تحبسونهما قلت هو استيناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة
فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما فان قلت كيف فسرت الصلاة بصلاة العصر
وهي مطلقة قلت لما كان معروفة عندهم بالتحليف بعدها اغنى ذلك عن التقييد كما لو قلت
في بعض ائمة الفقه اذا صلى اخذ في الدرس علم انها صلاة الفجر ويجوز ان تكون اللام للجنس وان
يقصد بالتحليف على اثر الصلاة ان تكون الصلاة لطفا في النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور
ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب
اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الآثمين فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين
استحق عليهم اي من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته
وفي قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما
احق من شهادتهما والاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان
كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان وقيل هما بدل من الضمير في يقومان او من آخران ويجوز ان
يرتفعا باستحق اي من الذين استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة
الحال وقرئ الاولين على انه وصف للذين استحق عليهم مجرور او منصوب على المدح ومعنى
الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية و
انتصابه على المدح وقرا الحسن الاولان ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي وابو
حنيفة واصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما
اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فانكر الورثة فكانت اليمين على الورثة
لانكارهم الشراء فان قلت فما وجه قراءة من قرا استحق عليهم الاوليان على البناء للفاعل وهو
علي وابي وابن عباس قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة
ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين ذلك الذي تقدم من بيان الحكم

يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس
تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل

ادنى ان ياتي الشهداء على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان ان تكرر
ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل واسمعوا سمع
اجابة وقبول يوم يجمع بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كانه قيل
واتقوا الله يوم جمعه او ظرف لقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم
او منصوب باضمار اذكر او يجمع الله الرسل كان كيت وكيت وماذا منتصب باجبتم انتصاب
مصدره على معنى اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بما ذا اجبتم فان قلت ما معنى
سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد فان قلت فكيف يقولون
لا علم لنا وقد علموا بم اجيبوا قلت يعلمون ان الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم فيكلون
الامر الى علمه واحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكي واللجا
الى ربهم في الانتقام منهم وذلك اعظم على الكفرة وافت في اعضادهم واجلب لحسرتهم و
سقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي انبيائه عليهم ومثاله ان ينكب بعض
الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم
على الانتصار له منه فجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به
يريد توبيخه وتبكيته فيقول له انت اعلم بما فعل بي تفويضا للامر الى علم سلطانه واتكالا عليه
واظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن
الجواب ثم يجيبون بعد ما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم وقيل معناه علمنا ساقط
مع علمك ومغمور به لانك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة
الامم لرسلهم فكانه لا علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة
وكيف يخفى عليهم امرهم وقد راوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين وقرئ علام الغيوب
بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف باوصافك المعروفة من
العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص او على النداء او هو صفة لاسم ان اذ قال
بدل من يوم يجمع والمعنى انه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وبتعديد ما
ما اظهر على ايديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة او جاوزوا حد التصديق الى
ان اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني اسرائيل فيما اظهر على يد عيسى من البينات هذا سحر مبين واتخذه
بعضهم وامه الهين ايدتك قويتك وقرئ آيدتك على افعلتك بروح القدس بالكلام الذي يحيا به

واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات
فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع
ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين

الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الآثام والدليل عليه قوله تكلم الناس
في المهد في موضع الحال لان المعنى تكلمهم طفلا وكهلا الا ان في المهد فيه دليل على حد من الطفولة
وقيل روح القدس جبريل صلوات الله عليه ايده به لتثبيت الحجة فان قلت ما معنى قوله في
المهد وكهلا قلت معناه تكلمهم في هاتين الحالتين من غير ان يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين
الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد الذي يستنبأ فيه الانبياء والتوراة و
الانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لان المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب
الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير باذني بتسهيلي فتنفخ فيها
الضمير للكاف لانها صفة الهيئة المضاف اليها لا لها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك
الضمير في فتكون تخرج الموتى تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل اخرج سام بن نوح ورجلين
وامرأة وجارية واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله لعيسى
اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له
بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى بات اوحيت الى الحواريين امرتهم على السنة الرسل مسلمون
مخلصون من اسلم وجهه لله عيسى في محل النصب على اتباع حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو
والدليل عليه قوله يا حار بن عمرو كاني خمر لان الترخيم لا يكون الا في المضموم فان قلت
كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم قلت ما وصفهم الله بالايمان والاخلاص
وانما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قالوا فآذن ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين
وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم
معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون
من الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم مؤمنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة
وقرئ هل تستطيع ربك اي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف
يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وهي من ماده اذا اعطاه ورفده
كانها تميد من تقدم اليه ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من
بني اسرائيل او نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على ان عليها في موضع الحال
وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا كدعواهم للايمان والاخلاص وانما سأل عيسى واجيب
ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب اذا خالفوا وتروى ونعلم بالياء على البناء للمفعول

قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه
عذابا لا اعذبه احدا من العالمين واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت
قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما امرتني به

وتعلم ونكون بالتاء والضمير للقلوب اللهم اصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم وربنا
نداء ثان تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد
فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرأ عبد الله تكن على جواب الامر ونظيرهما يرثني ويرث
لاولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن ياتي بعدنا وقيل ياكل
منها آخر الناس كما ياكل اولهم ويجوز للمقدمين منا والاتباع وفي قراءة زيد لاولانا واخرانا والتانيث
بمعنى الامة والجماعة عذابا بمعنى تعذيبا والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به
لم يكن بد من الباء روي ان عيسى عليه السلام لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة
حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى
وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم احسنكم
عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها وياكل منها فقال شمعون راس الحواريين انت اولى بذلك
فقام عيسى فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية
بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما
خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى
الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة
قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله و
يزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة
احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم
عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي انهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله فمن يكفر
بعد منكم فاني اعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكان عيدا
الى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح انها نزلت سبحانك من ان يكون لك شريك ما يكون لي ما ينبغي لي
ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله في نفسي في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه سلك
بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل في نفسك لقوله في نفسي انك انت علام الغيوب
تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي
اليه علم احد ان في قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل
القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له اما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير ان يوسط

ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم

بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله و اما فعل الامر فمسند الى ضمير الله عز وجل فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من ان تكون بدلا من ما امرتني به او من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لان البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك لو اقمت ان اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الا ما امرتني بان اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع اليه من صلته **فان قلت** فكيف يصنع **قلت** يحمل فعل القول على معناه لان معنى ما قلت لهم الا ما امرتني به ما امرتهم الا بما امرتني به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز ان يكون ان موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا رقيبا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من ان يقولوا ذلك ويتديّنوا به فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الادلة وانزلت عليهم من البينات وارسلت اليهم من الرسل ان تعذبهم فانهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لانبيائك وان تغفر لهم فانك انت العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب **فان قلت** المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وان تغفر لهم **قلت** ما قال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على ان فقال ان عذبتهم عدلت لانهم احقاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لان المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم اعظم جرما كان العفو عنه احسن قرئ هذا يوم ينفع بالرفع والاضافة وبالنصب اما على انه ظرف لقال واما على ان هذا مبتدأ والظرف خبر ومعناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز ان يكون فتحا كقوله يوم لا تملك لانه مضاف الى متمكن وقرأ الاعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله واتقوا يوما لا تجزي **فان قلت** ما معنى قوله ينفع الصادقين صدقهم ان اريد صدقهم في الآخرة فليست الآخرة بدار عمل وان اريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لانه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلم بالصدق فيما يجيب به يوم القيمة **قلت** معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم القيمة اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه واما عيسى فكان صادقا في الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه

لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون

فان قلت في السموات والارض العقلاء وغيرهم فهلا غلّب العقلاء فقيل ومن فيهن **قلت** ما يتناول الاجناس كلها تناولا عاما الا تراك تقول اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو قبل ان تعرف اعاقل هو ام غير عاقل فكان اولى بارادة العموم عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية عن ابن عباس غير ست آيات ما نزلت ... [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشأ كقوله وجعل الظلمات والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صيّر كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كانشاء شيء من شيء او تصيير شيء شيئا او نقله من مكان الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلناكم ازواجا اجعل الآلهة الها واحدا **فان قلت** لم افرد النور **قلت** للقصد الى الجنس كقوله والملك على ارجائها او لان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من اجناس الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار **فان قلت** علام عطف قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون **قلت** اما على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته واما على قوله خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه **فان قلت** فما معنى ثم **قلت** استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم انتم تمترون استبعاد لان يمتروا فيه بعدما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل الاجل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت **فان قلت** المبتدأ النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره فلم جاز تقديمه في قوله واجل مسمى عنده **قلت** لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك **فان قلت** الكلام السائر ان يقال عندي ثوب جيد ولي عبد كيّس وما اشبه ذلك فما اوجب التقديم **قلت** اوجبه ان المعنى واي اجل مسمى عنده تعظيما لشأن

الساعة فلا جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم في السموات متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود
فيهما ومنه قوله وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله او وهو المعروف بالإلهية او المتوحد
بالإلهية فيهما او هو الذي يقال له فيهما الله لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز ان يكون الله في السموات خبرا
بعد خبر على معنى انه الله وانه في السموات والأرض بمعنى انه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شيء كأن ذاته
فيهما فان قلت كيف موقع قوله يعلم سركم وجهركم قلت ان اردت المتوحد بالإلهية
كان تقريرا له لأن الذي استوى عنده السر والعلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلت في
السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم او خبر ثالث ويعلم ما
تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب من في من آية للاستغراق وفي من آيات
للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الأدلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا
كانوا عنه معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به راسا لقلة خوفهم وتدبرهم
للعواقب فقد كذبوا مردود على كلام محذوف كأنه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا
بما هو اعظم آية واكبرها وهو الحق لما جاءهم يعني القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة
فعجزوا عنه فسوف يأتيهم انباء الشيء الذي كانوا به يستهزؤن وهو القرآن اي اخباره
واحواله بمعنى سيعلمون بأي شيء استهزؤا وسيظهر لهم انه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند
ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيمة او عند ظهور الإسلام وعلو كلمته مكن له في الأرض
جعل له مكانا فيها ونحوه ارض له ومنه قوله انا مكنا له في الأرض اولم نمكن لهم واما مكنته في
الأرض فأثبته فيها ومنه قولهم ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما
في قوله مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود
وغيرهم من البسطة في الأجسام والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا والسماء
المظلة لأن الماء ينزل منها الى السحاب او السحاب او المطر والمدرار المغزار فان قلت
اي فائدة في ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم قلت الدلالة على انه لا يتعاظمه ان يهلك
قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على ان ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف
عقباها كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بأيديهم ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا
سكرت ابصارنا ولا تبقى لهم علة لقالوا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره
لقضي الامر لقضي امر هلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين اما لانهم اذا عاينوا الملك

قد نزل على رسول الله في صورته وهو شيء آية لا شيء ابين منها وايقن ثم لا يؤمنون كما قال ولو
اننا نزلنا اليهم الملائكة لم يكن بد من اهلاكهم كما اهلك اصحاب المائدة واما لانه يزول الاختيار
الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوا ملكا في
صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر
وعدم الانظار جعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجاة الشدة اشد من نفس
الشدة ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا انزل
على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لجعلناه رجلا لارسلناه
في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعم الاحوال في صورة دحية
لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم وللبسنا عليهم ولخلطنا عليهم ما يخلطون على
انفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا راوا الملك في صورة انسان هذا انسان وليس
بملك فان قال لهم الدليل على اني ملك اني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق باني ملك لا بشر كذبوه
كما كذبوا محمدا فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز ان
يراد وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة
وقرأ ابن محيصن ولبسنا بلام واحدة وقرأ الزهري وللبّسنا عليهم ما يلبّسون بالتشديد
ولقد استهزئ تسلية لرسول الله عما كان يلقى من قومه فحاق بهم فاحاط بهم الشيء الذي
كانوا يستهزؤن به وهو الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء به فان قلت اي فرق
بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت جعل النظر مسببا عن السير في قوله
فانظروا فكأنه قيل سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين واما قوله سيروا
في الأرض ثم انظروا فمعناه اباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر
في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح لمن ما في السموات والأرض
سؤال تبكيت وقل لله تقرير لهم اي هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا
شيئا منه الى غيره كتب على نفسه الرحمة اي اوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته
ونصب الأدلة لكم على توحيده بما انتم مقرون به من خلق السموات والأرض ثم اوعدهم
على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله ليجمعنكم الى يوم القيامة
فيجازيكم على اشراككم وقوله الذين خسروا انفسهم نصب على الذم او رفع اي اريد الذين

الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير

خسروا انفسهم او انتم الذين خسروا انفسهم فان قلت كيف جعل عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم
والامر على العكس قلت معناه الذين خسروا انفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون
وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديه بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا انفسهم وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما
يشتمل عليه الملوان اولي غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اتخذ لان الانكار
في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان اولى بالتقديم ونحوه افغير الله تأمروني اعبد
آلله اذن لكم وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرأ الزهري فطر
وعن ابن عباس ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال
احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق كقوله ما اريد منهم
من رزق وما اريد ان يطعمون والمعنى ان المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ
ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المأمون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الاول للمفعول والثاني
للفاعل والضمير لغير الله وقرأ الاشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بان معناه
وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الازهري اطعمت بمعنى استطعمت ونحوه افدت ويجوز ان يكون
المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطي ويمنع ويبسط و
يقدر ويغني ويفقر اول من اسلم لان النبي سابق امته في الاسلام كقوله وبذلك امرت
وانا اول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن وقيل لي
لا تكونن من المشركين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك من يصرف عنه العذاب
يومئذ فقد رحمه الله الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت
اليه تريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن له بد
من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك اليوم
فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف
لكونه معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب
المفعول به اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله فقد رحمه وينصر هذه القراءة
قراءة ابي من يصرف الله عنه وان يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك من
بلاياه فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شيء قدير فكان

وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم

قادرا على ادامته او ازالته فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله
وانا فوقهم قاهرون الشيء اعم العام لوقوعه على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على
القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح ان يقال في الله عز وجل شيء
لا كالاشياء كأنك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح جسم لا كالاجسام واراد اي
شهيد اكبر شهادة فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بيني وبينكم يحتمل
ان يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم
اي هو شهيد بيني وبينكم وان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على ان الله
عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شيء شهادة شهيد له ومن بلغ عطف على ضمير
المخاطبين من اهل مكة اي لانذركم به وانذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من
الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا
صلى الله عليه ائنكم لتشهدون تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد شهادتكم الذين
آتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه بحليته
ونعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة كما يعرفون ابناءهم بحلاهم ونعوتهم لا يخفون
عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة اهل الكتاب به وبصحة نبوته
ثم قال الذين خسروا انفسهم من المشركين ومن اهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون به جمعوا
بين امرين متناقضين فكذبوا على الله بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان
الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله امرنا بها وقالوا الملائكة
بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا
القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ويوم نحشرهم ناصبه محذوف تقديره
ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو ادخل في التخويف اين شركاؤكم
اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف
المفعولان وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما وانما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز
ان يشاهدوهم الا انهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكأنهم غيب
عنهم وان يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء
فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه

ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم
وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين

اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا الا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء
من التدين به ويجوز ان يراد ثم لم تكن جوابهم الا ان قالوا فسمي فتنة لانه كذب وقرئ تكن بالتاء
وفتنتهم بالنصب وانما انث ان قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت امك وقرئ بالياء
ونصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة وقرئ ربنا بالنصب على النداء وضل عنهم وغاب
عنهم ما كانوا يفترونه اي يفترون الاهية وشفاعته **فان قلت** كيف يصح ان يكذبوا حين
يطلعوا على حقائق الامور وعلى ان الكذب والجحود لا وجه لمنفعته **قلت** الممتحن ينطق
بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها
فان عدنا فانا ظالمون وقد ايقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك
وقد علموا انه لا يقضي عليهم واما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا
انا على خطأ في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف
وتحريف لافصح الكلام الى ما هو عي وافحام لان المعنى الذي ذهبوا اليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه
ولا منطبق عليه وهو ناب عنه اشد النبو وما ادري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله يوم
يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون بعد قوله
ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا ومنهم من يستمع اليك
حين تتلو القرآن روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل
واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد
فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير
الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل
كلا فنزلت والاكنة على القلوب والوقر في الآذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله
واعتقاد صحته ووجه اسناد الفعل الى ذاته وهو قوله وجعلنا للدلالة على انه امر ثابت
فيهم لا يزول عنهم كانهم مجبولون عليه او هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي آذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب وقرا طلحة وقر بكسر الواو حتى اذا جاؤك يجادلونك هي حتى التي تقع بعدها
الجمل والجملة قوله يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز ان تكون الجارة فيكون
اذا جاؤك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير
له والمعنى انه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون

وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون
من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل

ان هذا الا اساطير الاولين فيجعلون كلام الله واصدق الحديث خرافات واكاذيب وهي الغاية
في التكذيب وهم ينهون الناس عن القرآن او عن الرسول واتباعه ويثبطونهم عن الايمان به و
ينأون عنه بانفسهم فيضلون وان يهلكون بذلك الا انفسهم ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان
كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله وقيل هو ابو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول
الله وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا الى ابي طالب وارادوا برسول الله صلى الله
عليه سوءا فقال **شعر** : والله لن يصلوا اليك بجمعهم ... حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصح ... ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه ... من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذاري سبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا
فنزلت ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت امرا شنيعا ووقفوا على النار اروها
حتى يعاينوها او اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم او ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها من
قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا بالبناء للفاعل من وقف عليه
وقوفا يا ليتنا نرد تمنيهم ثم ابتدأوا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين
الايمان كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الاثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني
ولا اعود بمعنى دعني وانا لا اعود تركتني او لم تتركني ويجوز ان يكون معطوفا على نرد او حالا
على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني **فان قلت**
يدفع ذلك قوله وانهم لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا **قلت** هذا تمن قد تضمن
معنى العدة فجاز ان يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فاحسن
اليك واكافئك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه
ولم يكافئه كذب كانه قال ان رزقني الله مالا كافأتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون
بالنصب باضمار ان على جواب التمني ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين بل بدا لهم
ما كانوا يخفون من الناس من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا
ما تمنوا ضجرا لا انهم عازمون على انهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم
الذي كانوا يسرونه وقيل هو في اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة

ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون

رسول الله ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي
وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به وقالوا عطف على لعادوا اى ولو ردوا
لكفروا ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيمة ويجوز ان يعطف
على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا
الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف
العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف
قال مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال اليس هذا بالحق
وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق
وما هو الا باطل بما كنتم تكفرون بكفركم بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام
فيه في موضع آخر حتى غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له اى ما زال بهم التكذيب الى
حسرتهم وقت مجيء الساعة فان قلت اما يتحسرون عند موتهم قلت لما كان الموت وقوعا
في احوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله
عليه من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة
فجأة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كأنه قيل بغتتهم الساعة بغتة فرطنا
فيها الضمير للحياة الدنيا وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة او للساعة على معنى
قصرنا في شأنها وفي الايمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله يحملون
اوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما الف الكسب
بالايدي الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله ساء مثلا القوم جعل اعمال الدنيا لعبا
ولهوا واشتغالا بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب اعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله
للذين يتقون دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عباس ولدار الآخرة
وقرئ بالتاء والياء قد في قد نعلم بمعنى ربما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله
ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه ضمير الشأن ليحزنك قرئ بفتح الياء وضمها والذي
يقولون هو قولهم ساحر كذاب لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه اذا جعله
كاذبا في زعمه واكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى الله لانك رسوله
المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود آياته فاله عن حزنك

ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم
فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين

لتكذيبهم وانهم كذبوك وانت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك لجحود
آيات الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما
اهانوني ومن هذه الطريقة قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل فانهم لا يكذبونك
بقلوبهم ولكنهم يجحدون بألسنتهم وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم
بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه يسمى الامين فعرفوا
انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وكان ابو جهل يقول ما نكذبك وانك عندنا لمصدق
وانما نكذب ما جئتنا به وروي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن
محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق
وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر
قريش فنزلت وقوله ولكن الظالمين من اقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على انهم ظلموا في
جحودهم ولقد كذبت تسلية لرسول الله وهذا دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي
لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنهم اهانوني على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم
وايذائهم ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبإ المرسلين بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة
المشركين كان يكبر على النبي صلى الله عليه كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك
انك لا تهدي من احببت وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا منفذا تنفذ
فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها او سلما في السماء فتأتيهم منها بآية فافعل
يعني انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وتهالكه عليه وانه لو استطاع
ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات
فكان يود ان يجابوا اليها لتمادي حرصه على ايمانهم فقيل له ان استطعت كذا فافعل دلالة
على انه بلغ من حرصه انه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون ويجوز
ان يكون ابتغاء النفق في الارض والسلم في السماء هو الاتيان بالآيات كأنه قيل لو استطعت النفوذ
الى ما تحت الارض والرقي في السماء لفعلت لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها وحذف
جواب ان كما تقول ان شئت ان تقوم بنا الى فلان نزوره ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بان يأتيهم
بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون

انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون
وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون

ما هو خلافه انما يستجيب الذين يسمعون يعني ان الذين تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى
الذين لا يسمعون وانما يستجيب من يسمع كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على
الجائهم الى الاستجابة بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيمة ثم اليه يرجعون للجزاء
فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر ان يحييهم بالايمان وانت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهؤلاء
الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل الى
استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء لولا نزل عليه آية نزل بمعنى انزل وقرئ ان ينزل بالتشديد
والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لان تأنيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وانما قالوا
ذلك مع تكاثر ما انزل من الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركهم الاعتداد بما انزل عليه كانه
لم ينزل عليه شيء من الآيات عنادا منهم قل ان الله قادر على ان ينزل آية تضطرهم الى الايمان
كنتق الجبل على بني اسرائيل ونحوه او آية ان جحدوها جاءهم العذاب ولكن اكثرهم لا يعلمون ان
الله قادر على ان ينزل تلك الآية وان صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها امم امثالكم مكتوبة ارزاقها
وآجالها واعمالها كما كتبت ارزاقكم وآجالكم واعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا في الكتاب
في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان نثبت مما يختص به ثم الى ربهم
يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض كما روي انه
يأخذ للجماء من القرناء فان قلت كيف قيل الا امم مع افراد الدابة والطائر قلت لما كان
قوله وما من دابة ولا طائر دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن ان يقال وما من دواب ولا طير
حمل قوله الا امم على المعنى فان قلت هلا قيل وما من دابة ولا طائر الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله
في الارض ويطير بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل وما من دابة
قط في جميع الارضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم
محفوظة احوالها غير مهمل امرها فان قلت فما الغرض في ذكر ذلك قلت الدلالة
على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة
الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله شأن عن شأن وان المكلفين
ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان وقرأ ابن ابي عبلة ولا طائر بالرفع
على المحل كانه قيل وما دابة ولا طائر وقرأ علقمة ما فرطنا بالتخفيف فان قلت كيف
اتبعه قوله والذين كذبوا بآياتنا قلت لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد

والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشاء الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون
ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون
فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا
اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام المنبه بكم لا ينطقون بالحق خابطون
في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا بانهم من اهل الطبع من يشأ
الله يضلله اي يخذله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم اي يلطف به لان اللطف يجدي عليه
ارأيتكم اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ما شأنه فلو
جعلت للكاف محلا لكنت كانك تقول ارأيت نفسك زيدا ما شأنه وهو خلف من القول ومتعلق
الاستخبار محذوف تقديره ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم
بقوله اغير الله تدعون بمعنى اتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون
الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه
الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم
او لا تذكرونها في ذلك الوقت لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر
دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارأيتكم اغير الله تدعون
ان اتاكم عذاب الله فان قلت ان علقت الاستخبار به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون
اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين قلت قد اشترط
في الكشف المشيئة وهو قوله ان شاء ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل
لوجه آخر من الحكمة ارجح منه البأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء القحط والجوع والضراء
المرض ونقصان الانفس والاموال والمعنى ولقد ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم
يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا
معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم
عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم
فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم
فتحنا عليهم ابواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة ليزاوج عليهم بين نوبتي الضراء
والسراء كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا للصلاح حتى
اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر
ولا تصد لتوبة واعتذار اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون واجمون متحيرون آيسون
فقطع دابر القوم آخرهم لم يترك منهم احد قد استؤصلت شأفتهم والحمد لله رب العالمين

قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم

إيذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم وأجزل القسم وقرئ فتحنا بالتشديد إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم بأن يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم بأن يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم يأتيكم به أي يأتيكم بذاك إجراء للضمير مجرى اسم الإشارة أو بما أخذ وختم عليه يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها لما كانت البغتة أن يقع الأمر من غير أن يشعر به وتظهر أماراته قيل بغتة أو جهرة وعن الحسن ليلا ونهارا وقرئ بغتة أو جهرة هل يهلك أي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط إلا الظالمون وقرئ هل يهلك بفتح الياء إلا مبشرين ومنذرين من آمن بهم وبما جاءوا به وأطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم نرسلهم ليتلهى بهم ويقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة وأصلح ما يجب إصلاحه مما كلف جعل العذاب ماسا كأنه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام ومنه قولهم لقيت منه الأمرين وأقورين حيث جمعوا جمع العقلاء وقوله إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا أي لم أدع ما يستبعد في العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمه بين الخلق وأرزاقه وعلم الغيب وأني من الملائكة الذين هم أشرف جنس خلقه الله وأفضله وأقربه منزلة منه أي لم أدع الإلهية ولا الملكية لأنه ليس بعد الإلهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وإنما أدعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة هل يستوي الأعمى والبصير مثل للضال والمهتدي ويجوز أن يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى إليه ومن لم يتبع أو لمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الإلهية أو الملكية أفلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين أشباه العميان أو فتعلموا أني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر أو فتعلموا أن اتباع ما يوحى إلي مما لا بد لي منه فإن قلت أعلم الغيب ما محله من الإعراب قلت النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لأنه من جملة المقول كأنه قال لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول وأنذر به الضمير راجع إلى قوله ما يوحى إلي والذين يخافون أن يحشروا إما قوم داخلون في الإسلام مقرون بالبعث إلا أنهم مفرطون في العمل فينذرهم بما أوحي إليه لعلهم يتقون أي يدخلون في زمرة أهل التقوى من المسلمين وإما أهل الكتاب لأنهم مقرون بالبعث وإما ناس من المشركين علم من حالهم أنهم يخافون إذا سمعوا حديث البعث أن يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى أن ينجع فيهم الإنذار دون المتمردين منهم فأمر أن ينذر هؤلاء وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا بمعنى يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا

قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم

ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من اجل النعم واجزل القسم وقرئ فتحنا بالتشديد ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم يأتيكم به اي يأتيكم بذلك اجرى الضمير مجرى اسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه ثم هم يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها لما كانت البغتة ان يقع الامر من غير ان يشعر به وتظهر اماراته قيل بغتة او جهرة وعن الحسن ليلا ونهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا الظالمون وقرئ هل يهلك بفتح الياء الا مبشرين ومنذرين من آمن بهم وبما جاءوا به واطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم نرسلهم ليتلهى بهم [illegible]

القول وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي والذين يخافون ان يحشروا اما قوم داخلون في الاسلام مقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحي اليه لعلهم يتقون اي يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فامر ان ينذر هؤلاء وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا بمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا

ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين

لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال ذكر غير المتقين منهم وامره بان ينذرهم ويكرمهم وان لا يطيع فيهم من اراد بهم خلاف ذلك واثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم اي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل معناه يصلون صلوة الصبح والعصر ووصفهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته روي ان رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلم ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت قال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ما ذا يصيرون قالوا فاكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر عن مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات ما عليك من حسابهم من شيء كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله في اعمالهم على معنى وان كان الامر على ما يقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قلت اما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء حتى ضم اليه وما من حسابك عليهم من شيء قلت قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين فتطردهم جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم وقرئ بالغدوة والعشي وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض اي ابتليناهم بهم وذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين اهؤلاء الذين من [illegible]

أليس الله بأعلم بالشاكرين وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذًا وما أنا من المهتدين

الله عليهم من بيننا أي أنعم عليهم بالتوفيق لإصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء إنكارًا لأن يكون أمثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه أألقي الذكر عليه من بيننا لو كان خيرا ما سبقونا إليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لأنه لا يقول مثل قولهم هذا إلا مخذول مفتون أليس الله بأعلم بالشاكرين أي الله أعلم بمن يقع منه الإيمان والشكر فيوفقه للإيمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق فقل سلام عليكم إما أن يكون أمرا بتبليغ سلام الله إليهم وإما أن يكون أمرا بأن يبدأهم بالسلام إكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم وقرئ إنه فإنه بالكسر على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل إنه من عمل منكم وبالفتح على الإبدال من الرحمة بجهالة في موضع الحال أي عمله وهو جاهل وفيه معنيان أحدهما أنه فاعل فعل الجهلة لأن من عمل ما يؤدي إلى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك أو ظان فهو من أهل السفه والجهل لا من أهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر على أنها قالت عشية زرتها جهلت على عمد ولم تك جاهلا والثاني أنه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم أن لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل إنها نزلت في عمر حين أشار بإجابة الكفرة إلى ما سألوا ولم يعلم أنها مفسدة وقرئ وليستبين بالياء والتاء مع رفع السبيل لأنها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل يقال استبان الأمر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى إسلامه ومن يرى فيه أمارة القبول وهو الذي يخاف إذا سمع ذكر القيامة ومن دخل في الإسلام إلا أنه لا يحفظ حدوده وليستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب أن تعامل به فصلنا ذلك التفصيل نهيت صرفت وزجرت بما ركب في من أدلة العقل وبما أوتيت من أدلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة قل لا أتبع أهواءكم أي لا أجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من أراد إصابة الحق ومجانبة الباطل قد ضللت إذًا أي إن اتبعت أهواءكم فأنا ضال وما أنا من الهدى في شيء يعني أنكم كذلك ولما نفى أن يكون

قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى

الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل إني على بينة من ربي ومعنى قوله إني على بينة من ربي وكذبتم به أني من معرفة ربي وأنه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به أنتم حيث أشركتم به غيره يقال أنا على بينة من هذا الأمر وأنا على يقين منه إذا كان ثابتا عندك بدليل ثم عقبه بما دل به على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وأنهم أحقاء بأن يغافصوا بالعذاب المستأصل فقال ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء إن الحكم إلا لله في تأخير عذابكم يقضي الحق أي القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في أقسامه وهو خير الفاصلين أي القاضين وقرئ يقص الحق أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره لو أن عندي أي في قدرتي وإمكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الأمر بيني وبينكم لأهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانتقاما من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا والله أعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي القرآن وكذبتم به أي بالبينة وذكر الضمير على تأويل البيان أو القرآن **فإن قلت** بم انتصب الحق **قلت** بأنه صفة لمصدر يقضي أي يقضي القضاء الحق ويجوز أن يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع إذا صنعها أي يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله يقضي بالحق **فإن قلت** لم أسقطت الياء في الخط **قلت** اتباعا للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لأن المفاتح يتوصل بها إلى ما في المخازن المستوثق منها بالأغلاق والأقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل إليها فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل إليها غيره كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل إلى ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هو جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كأنه قيل وما يسقط من شيء من هذه الأشياء إلا يعلمه وقوله إلا في كتاب مبين كالتكرير لقوله إلا يعلمها لأن معنى إلا يعلمها ومعنى إلا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله أو اللوح وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان أن يكون عطفا على محل من ورقة وأن يكون رفعا على الابتداء وخبره إلا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امرأة إلا في الدار وهو الذي يتوفاكم بالليل الخطاب للكفرة أي أنتم منسدحون الليل كله كالجيف ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم فيه ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك

ثم الیه مرجعکم ثم ینبئکم بما کنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ویرسل علیکم حفظة حتی اذا جاء احدکم الموت توفته رسلنا وهم لا یفرطون ثم ردوا
الی الله مولیهم الحق الا له الحکم وهو اسرع الحاسبین قل من ینجیکم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفیة لئن انجیتنا من هذه لنکونن من الشاکرین قل الله ینجیکم
منها ومن کل کرب ثم انتم تشرکون قل هو القادر علی ان یبعث علیکم عذابا من فوقکم او من تحت ارجلکم

الذی قطعتم به اعمارکم من النوم باللیل وکسب الآثام بالنهار ومن اجله کقولک فیم دعوتنی
فیقول فی امر کذا لیقضی اجل مسمی وهو الاجل الذی سماه وضربه لبعث الموتی وجزائهم علی
اعمالهم ثم الیه مرجعکم وهو المرجع الی موقف الحساب ثم ینبئکم بما کنتم تعملون فی لیلکم ونهارکم
حفظة ملائکة حافظین لاعمالکم وهم الکرام الکاتبون وعن ابی حاتم السجستانی انه کان یکتب
عن الاصمعی کل شیء یلفظ به من فوائد العلم حتی قال فیه انت شبه الحفظة تکتب لفظ اللفظة فقال
ابو حاتم وهذا ایضا مما یکتب فان قلت الله تعالی غنی بعلمه عن کتبة الملائکة فما فائدتها قلت
فیها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقیب علیهم والملائکة الذین هم اشرف خلقه موکلون
بهم یحفظون علیهم اعمالهم ویکتبونها فی صحائف تعرض علی رؤس الاشهاد فی مواقف القیمة کان
ذلک ازجر لهم عن القبیح وابعد من السوء توفته رسلنا ای استوفت روحه وهم ملک الموت واعوانه
وعن مجاهد جعلت الارض له مثل الطست یتناول من یتناوله وما من اهل بیت الا ویطوف علیهم
فی کل یوم مرتین وقری توفاه ویجوز ان یکون ماضیا ومضارعا بمعنی تتوفی وهم لا یفرطون بالتشدید
والتخفیف فالتفریط التوانی والتاخیر عن الحد والافراط مجاوزة الحد ای لا ینقصون مما
امروا به او لا یزیدون فیه ثم ردوا الی الله ای الی حکمه وجزائه مولیهم مالکهم الذی یلی علیهم امورهم
الحق العدل الذی لا یحکم الا بالحق الا له الحکم یومئذ لا حکم فیه لغیره وهو اسرع الحاسبین لا یشغله
حساب عن حساب وقری الحق بالنصب علی المدح کقولک الحمد لله الحق ظلمات البر والبحر مجاز
عن مخاوفهما واهوالهما یقال للیوم الشدید یوم مظلم ویوم ذو کواکب ای اشتدت ظلمته حتی
عاد کاللیل ویجوز ان یراد ما یشفون علیه من الخسف فی البر والغرق فی البحر بذنوبهم فاذا
دعوا وتضرعوا کشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتهما لئن انجیتنا علی ارادة
القول من هذه من هذه الظلمة والشدة وقری ینجیکم بالتخفیف والتشدید وانجانا وخفیة
بالضم والکسر هو القادر هو الذی عرفتموه قادرا وهو الکامل القدرة عذابا من فوقکم
کما امطر علی قوم لوط وعلی اصحاب الفیل الحجارة وارسل علی قوم نوح الطوفان او من تحت
ارجلکم کما اغرق فرعون وخسف بقارون وقیل من فوقکم من قبل اکابرکم وسلاطینکم ومن
تحت ارجلکم من قبل سفلتکم وعبیدکم وقیل هو حبس المطر والنبات او یلبسکم شیعا او
یخلطکم فرقا مختلفین علی اهواء شتی کل فرقة منکم مشایعة لامام ومعنی خلطهم ان ینشب
القتال بینهم فیختلطوا ویشتبکوا فی ملاحم القتال من قوله وکتیبة لبستها بکتیبة حتی اذا التبست

او یلبسکم شیعا ویذیق بعضکم باس بعض انظر کیف نصرف الآیات لعلهم یفقهون وکذب به قومک وهو الحق قل لست علیکم بوکیل لکل نبا مستقر وسوف
تعلمون واذا رایت الذین یخوضون فی آیاتنا فاعرض عنهم حتی یخوضوا فی حدیث غیره واما ینسینک الشیطان فلا تقعد بعد الذکری مع القوم الظالمین وما علی
الذین یتقون من حسابهم من شیء ولکن ذکری لعلهم یتقون وذر الذین اتخذوا دینهم لعبا ولهوا

وعن رسول الله صلی الله علیه سالت الله ان لا یبعث علی امتی عذابا من فوقهم او من تحت
ارجلهم فاعطانی ذلک وسالته ان لا یجعل باسهم بینهم فمنعنی واخبرنی جبریل ان فناء امتی
بالسیف وعن جابر بن عبد الله لما نزل من فوقکم قال رسول الله اعوذ بوجهک فلما نزل او من
تحت ارجلکم او یلبسکم شیعا قال هاتان اهون ومعنی الآیة الوعید باحد اصناف العذاب
المعدودة والضمیر فی قوله وکذب به راجع الی العذاب وهو الحق ای لا بد ان ینزل بهم قل
لست علیکم بوکیل بحفیظ وکل الی امرکم امنعکم من التکذیب اجبارا انما انا منذر لکل نبا لکل
شیء ینبا به یعنی انباءهم بانهم یعذبون وایعادهم به مستقر وقت استقرار وحصول
لا بد منه وقیل الضمیر فی به للقرآن یخوضون فی آیاتنا فی الاستهزاء بها والطعن فیها وکانت
قریش فی اندیتهم یفعلون ذلک فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتی یخوضوا فی حدیث
غیره فلا باس ان تجالسهم حینئذ واما ینسینک الشیطان وان شغلک بوسوسته حتی تنسی
النهی عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذکری بعد ان تذکر النهی وقری ینسینک بالتشدید
ویجوز ان یراد وان کان الشیطان ینسیک قبل النهی قبح مجالسة المستهزئین لانها مما تنکره
العقول فلا تقعد بعد الذکری بعد ان ذکرناک قبحها ونبهناک علیه معهم وما علی الذین
یتقون من حسابهم من شیء وما یلزم المتقین الذین یجالسونهم شیء مما یحاسبون علیه من ذنوبهم
ولکن علیهم ان یذکروهم ذکری اذا سمعوهم یخوضون بالقیام عنهم واظهار الکراهة لهم
وموعظتهم لعلهم یتقون لعلهم یجتنبون الخوض حیاء او کراهة لمساءتهم ویجوز ان یکون
الضمیر للذین یتقون ای یذکرونهم ارادة ان یثبتوا علی تقواهم ویزدادوها وروی ان
المسلمین قالوا لئن کنا نقوم کلما استهزءوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس فی البیت الحرام وان نطوف
فرخص لهم فان قلت ما محل ذکری قلت یجوز ان یکون نصبا علی ولکن یذکرونهم ذکری
ای تذکیرا او رفعا علی ولکن علیهم ذکری ولا یجوز ان یکون عطفا علی محل من شیء کقولک ما فی الدار
من احد ولکن زید لان قوله من حسابهم یابی ذلک اتخذوا دینهم لعبا ولهوا ای دینهم الذی
کان یجب ان یاخذوا به لعبا ولهوا وذلک ان عبادة الاصنام وما کانوا علیه من تحریم البحائر
والسوائب وغیر ذلک من باب اللعب واللهو واتباع هوی النفس والعمل بالشهوة ومن جنس
الهزل دون الجد او اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام وغیرها دینا لهم او اتخذوا
دینهم الذی کلفوه ودعوا الیه وهو دین الاسلام لعبا ولهوا حیث سخروا به واستهزءوا وقیل جعل

وغرتهم الحيوة الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا
لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته
الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين

الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين
واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لهوا ولعبا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله
ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وذكر به
اي بالقرآن ان تبسل نفس مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها واصل
الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم قال وابسالي بني بغير جرم ومنه هذا عليك بسل اي
حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه او لانه شديد البسور يقال بسر الرجل اذا
اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه وان تعدل كل عدل وان تفد
كل فداء والعدل الفدية لان الفادي يعدل المفدى بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل
يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما في قوله
ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده اليه اولئك اشارة الى المتخذين دينهم لعبا
ولهوا وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان قل
اندعوا انعبد من دون الله الضار النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا ونرد الى اعقابنا
راجعين الى الشرك بعد اذ انقذنا الله منه وهدانا للاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي
ذهبت به مردة الجن والغيلان في الارض المهمه حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف
يصنع له اي لهذا المستهوى اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستوي
او سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم
ولا يأتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوي الانسان والغيلان
تستولي عليه كقوله كالذي يتخبطه الشيطان فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات
الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم قل ان هدى الله وهو الاسلام هو الهدى وحده
وما وراءه ضلال وغي ومن يبتغ غير الاسلام دينا فماذا بعد الحق الا الضلال فان قلت
ما محل الكاف في قوله كالذي استهوته قلت النصب على الحال من الضمير في نرد على اعقابنا
اي انكص مشبهين من استهوته الشياطين فان قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال
من هوى في الارض اذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويه وحرصت عليه فان قلت
ما محل امرنا قلت النصب عطفا على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان
كأنه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم فان قلت ما معنى اللام في لنسلم قلت هي تعليل

وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ
في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير واذ قال ابرهيم لابيه ازر اتتخذ اصناما الهة اني اراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري ابرهيم
ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين

للامر بمعنى امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم فان قلت فاذا كان هذا واردا في شأن ابي بكر
فكيف قيل للرسول قل اندعوا قلت للاتحاد الذي كان بين رسول الله والمؤمنين خصوصا
بينه وبين الصديق رضوان الله عليه فان قلت علام عطف قوله وان اقيموا قلت
على موقع لنسلم كأنه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا ويجوز ان يكون التقدير وامرنا لان نسلم ولان
اقيموا اي للاسلام ولاقامة الصلاة قوله الحق مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه
بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض
قائما بالحق والحكمة وحين يقول للشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة اي لا
يكون شيئا من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب ويوم ينفخ ظرف لقوله وله
الملك كقوله لمن الملك اليوم ويجوز ان يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله
الحق اي لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق واليوم بمحذوف دل عليه قوله بالحق كأنه قيل وحين
يكون ويقدر يقوم بالحق عالم الغيب هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح ازر اسم ابي
ابرهيم وفي كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارخ والاقرب ان يكون وزن ازر فاعل
مثل تارخ وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما اشبهها من اسمائهم وهو عطف بيان لابيه وقيل
ازر اسم صنم فيجوز ان ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات وفي شعر بعض المحدثين
ادعى باسماء نبزا في قبائلها كأن اسماء اضحت بعض اسمائي او اريد عابد ازر فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ ازر اتتخذ اصناما الهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة
الاستفهام وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا على
الانكار ثم قال تتخذ اصناما الهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في حكم الانكار لانه كالبيان
له فلما جن عليه الليل عطف على قال ابرهيم لابيه وقوله وكذلك نري ابرهيم جملة معترضة
فيما بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف ابرهيم
ونبصره ملكوت السموات والارض يعني الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده
بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا
ذلك ونري حكاية حال ماضية وكان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب
فاراد ان ينبههم على الخطأ في دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم
ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها وان وراءها

فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت
قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد
هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا

محدثا أحدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها
هذا ربي قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأن ذلك أدعى
إلى الحق وأنجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة لا أحب الآفلين لا أحب عبادة
الأرباب المتغيرين عن حال إلى حال المتنقلين من مكان إلى مكان المحتجبين بستر فإن ذلك من
صفات الأجرام بازغا مبتدئا في الطلوع لئن لم يهدني ربي تنبيه لقومه على أن من اتخذ القمر
إلها وهو نظير الكوكب في الأفول فهو ضال وأن الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه هذا أكبر
من باب استعمال النصفة أيضا مع خصومه إني بريء مما تشركون من الأجرام التي تجعلونها شركاء
لخالقها إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض أي للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى
أنه مبتدئها ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله والأول أظهر
لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله يا قوم إني بريء مما تشركون فإن قلت لم احتج عليهم بالأفول
دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال إلى حال قلت الاحتجاج بالأفول أظهر لأنه انتقال
مع خفاء واحتجاب فإن قلت ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والإشارة للشمس قلت
جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت أمك ولم
تكن فتنتهم إلا أن قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث ألا
تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وإن كان العلامة أبلغ احترازا من علامة التأنيث
وقرئ ترى إبراهيم ملكوت السموات بالتاء ورفع الملكوت ومعناه وتبصره دلائل الربوبية و
حاجه قومه قال أتحاجوني في الله وكانوا حاجوه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه منكرين
لذلك وقد هدان يعني إلى التوحيد ولا أخاف ما تشركون به وقد خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء
إلا أن يشاء ربي شيئا إلا وقت مشيئة ربي شيئا يخاف فحذف الوقت يعني لا أخاف معبوداتكم
في وقت قط لأنها لا تقدر على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء ربي أن يصيبني بمخوف من جهتها إن أصبت
ذنبا أستوجب به إنزال المكروه مثل أن يرجمني بكوكب أو بشقة من الشمس أو القمر أو يجعلها قادرة
على مضرتي وسع ربي كل شيء علما أي ليس بعجب ولا مستبعد أن يكون في علمه إنزال المخوف بي من
جهتها أفلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف أخاف لتخويفكم شيئا
مأمون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وأنتم لا تخافون ما يتعلق به كل مخوف وهو إشراككم بالله
ما لم ينزل بإشراكه سلطانا أي حجة لأن الإشراك لا يصح أن يكون عليه حجة كأنه قال وما لكم تنكرون

فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء
إن ربك حكيم عليم ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا
ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم
ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها
قوما ليسوا بها بكافرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا

على الأمن في موضع الأمن ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف ولم يقل فأينا أحق
بالأمن أنا أم أنتم احترازا من تزكية نفسه ثم عدل عنه إلى قوله فأي الفريقين يعني فريقي
المشركين والموحدين ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم
بظلم أي لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وتلك إشارة
إلى جميع ما احتج به إبراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل إلى قوله وهم مهتدون ومعنى
آتيناها أرشدناه إليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء يعني في العلم والحكمة وقرئ بالتنوين
ومن ذريته الضمير لنوح أو لإبرهيم وداود عطف على نوحا أي وهدينا داود ومن آبائهم
في موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم ولو أشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما
رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك آتيناهم
الكتاب يريد الجنس فإن يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة أو بالنبوة هؤلاء يعني أهل مكة فقوما
هم الأنبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وبدليل وصل قوله فإن يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم أصحاب النبي صلى الله عليه وكل من
آمن به وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الملائكة وادعى الأنصار أنها لهم وعن مجاهد هم الفرس
ومعنى توكيلهم بها أنهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به
ويتعهده ويحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين تأكيد النفي فبهداهم
اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد إلا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد
بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فإنها مختلفة وهي
هدى ما لم تنسخ فإذا نسخت لم تبق هدى بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبدا والهاء في اقتده
للوقف تسقط في الدرج واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء في المصحف وما قدروا الله
حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين أنكروا بعثة
الرسل والوحي إليهم وذلك من أعظم رحمته وأجل نعمته وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
أو ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين
جسروا على تلك المقالة العظيمة من إنكار النبوة والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من
قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن
على رسول الله فألزموا ما لا بد لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى وأدرج تحت الإلزام

ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء

توبيخهم وان نعي عليهم سوء حملهم لكتابهم وتحريفهم وابداء بعض واخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى حتى غيّروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطّعة وورقات مفرّقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء وروي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه انشدك بالذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك قال انه اغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل القائلون قريش وقد الزموا انزال التوراة لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة وكانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم الخطاب لليهود اي علمتم على لسان محمد مما اوحي اليه ما لم تعلموا انتم وانتم حملة التوراة ولم يعلمه اباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم قل الله اي انزله الله فانهم لا يقدرون ان يناكروك ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما انت لاعب ويلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة لهم او لذرهم مبارك كثير المنافع والفوائد ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كانه قيل انزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانذار وقرئ ليُنذر بالتاء والياء وسميت مكة ام القرى لانها مكان اول بيت وضع للناس ولانها قبلة اهل القرى كلها ومحجهم ولانها اعظم القرى شانا ولبعض المجاورين فمن يلوذ في بعض القربات دخله فان ام القرى ملقى رحالي ومنتابي والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالعاقبة ويخافونها يؤمنون بهذا الكتاب وذلك ان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وخص الصلوة لانها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطف الله في المحافظة على اخواتها افترى على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب او كذاب صنعاء الاسود العنسي وعن النبي صلى الله عليه رايت فيما يرى النائم كان في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا عني فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي ومن قال سانزل مثل ما انزل الله

ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون

هو عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله فكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى آخر الآية عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال عليه السلم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله فقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحرث والمستهزئون ولو ترى جوابه محذوف اي لرايت امرا عظيما اذ الظالمون يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله وغمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة باسطوا ايديهم يبسطون اليهم ايديهم يقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف في السياق والالحاح والتشديد في الازهاق من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملازم يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول له اخرج الي ما لي عليك الساعة ولا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك وقيل معناه باسطوا ايديهم بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها من ايدينا اي لا تقدرون على الخلاص اليوم تجزون يجوز ان يريدوا وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع وان يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة والهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه عن آياته تستكبرون فلا تؤمنون بها فرادى منفردين عن اموالكم واولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم التي زعمتم انها شفعاؤكم وشركاء الله كما خلقناكم اول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم فيكم شركاء في استعبادكم لانهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفي استعبادهم وقرئ فرادا بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى نحو سكرى فان قلت كما خلقناكم في اي محل هو قلت في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا اي مجيئا مثل خلقنا لكم لقد تقطع بينكم وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين يريد اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره بهذا التاويل ومن رفع فقد اسند الفعل الى الظرف كما تقول قوتل خلفك وامامك وفي قراءة عبد الله

ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم

لقد تقطع ما بينكم فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد الشقين اللذين في النواة
والحنطة يخرج الحي من الميت اي الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى ومخرج هذه
الاشياء الميتة من الحيوان والنامي فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل
بعد قوله يخرج الحي من الميت قلت عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من
الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر
النامين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض
بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي تحق له الربوبية فانى تؤفكون فكيف تصرفون
عنه وعن توليه الى غيره والاصباح مصدر سمي به الصبح وقرا الحسن بفتح الهمزة جمع صبح
وانشد قوله ❊ افني رباحا وبني رباح ❊ تناسخ الامساء والاصباح ❊ بالكسر والفتح مصدرين
وجمعي مسي وصبح فان قلت فما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال
❊ تفرّى ليل عن بياض نهار ❊ قلت فيه وجهان احدهما ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي
الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح والثاني ان يراد فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر
عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق
وقال الطائي ❊ وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه ❊ وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل بالنصب
على المدح وقرا النخعي فلق الاصباح وجعل الليل السكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن استيناسا
به واسترواحا اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستأنس بها الا تراهم
سموها المؤنسة والليل يطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز ان يراد
وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه والشمس والقمر قرئا بالحركات الثلاث فالنصب
على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل اي وجعل الشمس والقمر حسبانا او يعطفان على محل الليل
فان قلت كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف اليه في معنى
المضي ولا تقول زيد ضارب عمرا امس قلت ما هو في معنى المضي وانما هو دال على جعل
مستمر في الازمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق الاصباح كما تقول الله قادر عالم
فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف
تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا او محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر
حسبانا جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان

وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا
الآيات لقوم يفقهون وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية
وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه

بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران ذلك اشارة
الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم
بتدبيرهما وتدويرهما في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر واضافها اليهما لملابستها لهما
او شبه مشتبهات الطرق بالظلمات من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان مثله او مصدرا
ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في
الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان قلت
لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر انشاء بني آدم قلت كان انشاء الانس من نفس
واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة الطف وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال
فطنة وتدقيق نظر مطابقا له فاخرجنا به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من اصناف النامي
يعني ان السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفننة كما قال تسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر
كاعور وعور وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا
وهو السنبل وقنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع
النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل
قنوان ومن قرا يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان جمع قنو
ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس من زنات
التكسير دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولان النخلة وان
كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تأتي بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها
من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر او دل بذكر القريبة على ذكر
البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما ان يراد وثم
جنات من اعناب اي مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على معنى وحاصلة او ومخرجة من النخل
قنوان وجنات من اعناب اي من نبات اعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل
شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصبا
على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة لفضل هذين الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال
اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ

انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض انى يكون له ولد

وقرئ مشتبها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله كنت منه ووالدى بريا والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه فى القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاهمال انظروا الى ثمره اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا للمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرا ابن محيصن ويانعه وقرئ ثمره ان جعلت لله شركاء مفعولى جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول فان قلت ما فائدة التقديم قلت فائدته استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التى للتبيين والمعنى اشركوهم فى عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا ان الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا ان الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم اى اختلاقهم للافك يعنى وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله فى قولهم والله امرنا بها وخرقوا له وخلقوا له اى افتعلوا له بنين وبنات وهو قول اهل الكتابين فى المسيح وعزير وقول قريش فى الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة فى نادى القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اى اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرّقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرا ابن عمر وابن عباس وحرّفوا له بمعنى وزوّروا له اولادا لان المزوّر محرّف مغير للحق الى الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ او صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية بديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اى بديع شعره او هو بديع فى السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اى ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل فيها وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على انه خبر مبتدا محذوف او هو مبتدا وخبره انى يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلثة اوجه احدها ان مبتدع السموات والارض وهى اجسام عظيمة

ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الأبصار وهو
يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست

لا يستقيم أن يوصف بالولادة لأن الولادة من صفات الأجسام ومخترع الأجسام لا يكون
جسما حتى يكون والدا والثاني أن الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال
عن مجانس فلم يصح أن يكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث أنه ما من شيء إلا وهو خالقه و
العالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد إنما يطلبه المحتاج وقرئ لم يكن صاحبة
بالياء وإنما جاز للفصل كقوله لقد ولد الأخيطل أم سوء ذلكم إشارة إلى الموصوف بما تقدم من الصفات
وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهي الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء أي ذلكم الجامع لهذه
الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى أن من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق
بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شيء وكيل يعني هو مع
تلك الصفات مالك لكل شيء من الأرزاق والآجال رقيب على الأعمال البصر هو الجوهر اللطيف
الذي ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه
لأنه متعال أن يكون مبصرا في ذاته لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلا أو تابعا كالأجسام
والهيئات وهو يدرك الأبصار وهو للطف إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي
لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن أن تدركه الأبصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الأبصار
لا تلطف عن إدراكه وهذا من باب اللف قد جاءكم بصائر من ربكم هو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقوله وما أنا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما أن البصر نور العين الذي به تبصر
أي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر فمن أبصر الحق
وآمن فلنفسه أبصر وإياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي وإياها ضر بالعمى وما أنا عليكم بحفيظ
أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها إنما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم وليقولوا جوابه محذوف
تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست أي دارست
العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا أساطير الأولين ودرست بضم الراء مبالغة
في درست أي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت أو عفيت ودارست
وفسروها بدارست اليهود محمدا وجاز الإضمار لأن الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز
أن يكون الفعل للآيات وهو لأهلها أي دارس أهل الآيات وحملتها محمدا وهم أهل الكتاب ودرس
أي درس محمد ودارسات على هي دارسات أي قديمات أو ذات درس كعيشة راضية فإن قلت
أي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه قلت الفرق بينهما أن الأولى مجاز والثانية حقيقة

والنبينه لقوم يعلمون اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم
بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون

وذلك ان الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف
الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه فان قلت الام
يرجع الضمير في قوله ولنبينه قلت الى الآيات لانها في معنى القرآن كانه قيل وكذلك
نصرف القرآن او الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر
الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز ان يراد فنبين فمن قرأ دارست ودارست درست الكتاب
ودارسته يرجع الى الكتاب المقدر لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل
له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهي حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا ولا تسبوا
الآلهة الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند نزول قوله انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون
يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله فان قلت سب الآلهة حق وطاعة فكيف
صح النهي عنه وانما يصح النهي عن المعاصي قلت رب طاعة علم انها تكون مفسدة فتخرج عن ان
تكون طاعة فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن المنكر هو من اجل الطاعات
فاذا علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك النهي كما يجب
النهي عن المنكر فان قلت فقد روي عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء
فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك في ديننا قلت ليس هذا
مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها
حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف سب الآلهة وانما خيل الى محمد رحمه الله انه مثله حتى نبه
عليه الحسن عدوا ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين وتشديد الواو وبمعناه يقال عدا
فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء وعن ابن كثير عدوا بفتح العين بمعنى اعداء بغير علم
على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك زينا لكل امة مثل ذلك التزيين زينا لكل امة
من امم الكفار سوء عملهم اي خليناهم وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او امهلنا
الشيطان حتى زين لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا فينبئهم
فيوبخهم عليه ويعاقبهم عليه لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات
عند الله وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة او انما الآيات عند الله لا عندي
فكيف اجيئكم بها وآتيكم بها وما يشعركم وما يدريكم انها ان الآية التي تقترحونها اذا

واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما
لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله
ولكن اكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض

جاءت لا يؤمنون بها يعني انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تدرون بذلك وذلك ان
المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم
انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون الا ترى الى قوله كما لم يؤمنوا
به اول مرة وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق انك تشتري لحما وقال امرؤ القيس
عوجا على الطلل المحيل لاننا نبكي الديار كما بكى ابن حذام ويقويها قراءة ابي لعلها اذا جاءت
لا يؤمنون وقرئ انها بالكسر على ان الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم
بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ
وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون اي يحلفون بانهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم
ان تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا
بها ونقلب افئدتهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم
انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم اي نطبع على قلوبهم وابصارهم
فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا اولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا
على قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم في طغيانهم اي نخليهم وشأنهم لا نكفهم عن الطغيان حتى
يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم اي الله عز وجل وقرأ الاعمش وتقلب افئدتهم وابصارهم
على البناء للمفعول ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى
كما قالوا فأتوا بآبائنا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا كفلاء
بصحة ما بشرنا به وانذرنا او جماعات وقيل قبلا مقابلة وقرئ قبلا اي عيانا الا ان يشاء
الله مشيئة اكراه واضطرار ولكن اكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون
من حال قلوبهم عند نزول الآيات او ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان
يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت الآية المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
وكما خلينا بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة
لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب
شياطين على البدل من عدوا او على انهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن يوحي
بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض
الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن لاني اذا تعوذت

زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون افغير الله ابتغي
حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل
لكلماته وهو السميع العليم وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم
بالمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه

بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا زخرف القول
ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي ويموهه غرورا خدعا واخذا على
غرة ولو شاء ربك ما فعلوه ما فعلوا ذلك اي ما عادوك او ما اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول
بان يكفهم وخلّهم وشانهم ولتصغى جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا
على ان اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في اليه يرجع الى ما رجع اليه الضمير في
فعلوه اي ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين افئدة الكفار وليرضوه
لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل يا
محمد افغير الله اطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وهو الذي انزل اليكم الكتاب
المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد
الدلالة على ان القرآن حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له فلا تكونن
من الممترين من باب التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين او فلا تكونن من الممترين في ان
اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم به ويجوز ان يكون فلا تكونن
خطابا لكل احد على معنى انه اذا تعاضدت الادلة على صحته وصدقه فما ينبغي ان يمتري فيه احد
وقيل الخطاب لرسول الله خطاب لامته وتمت كلمات ربك اي تم كل ما اخبر به وامر ونهى
ووعد واوعد صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا من ذلك مما هو اصدق واعدل
وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك اي ما تكلم به وقيل هي القرآن وان تطع اكثر الناس
اضلوك لان الاكثر في غالب الامر يتبعون هواهم ثم قال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان
آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شيء او يكذبون
في ان الله حرم كذا واحل كذا وقرئ من يُضل بضم الياء اي يضله الله فكلوا مسبب عن انكار
اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون
انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تأكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما
ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم او مات حتف انفه وما ذكر
اسم الله عليه هو المذكى ببسم الله وما لكم ان لا تأكلوا واي غرض لكم في ان لا تأكلوا وقد فصل
لكم وقد بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة وقرئ فَصَّل لكم ما حرم
عليكم على تسمية الفاعل وهو الله عز وجل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال

قوله ويجوز عطف من حيث المعنى على جملة قوله من باب لانه كان المعنى في الوجهين المذكورين ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فذكر انه يجوز ان يكون لكل احد

وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته

الضر ورة وان كثيرا ليضلون قرئ بفتح اليا وضمها اي يضلون فيحرمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة ظاهر الاثم وباطنه ما اعلنتم منه وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنى في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر وانه لفسق الضمير راجع الى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وان الاكل منه لفسق او الى الموصول على وان اكله لفسق او جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا فان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز اكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد قلت قد تاوله هولاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله او فسقا اهل لغير الله به ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم ولا تاكلون مما قتله الله وبهذا يرجح تاويل من تاوله بالميتة انكم لمشركون لان من اتبع غير الله في دينه فقد اشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه ان لا ياكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيف ما كان لما يرى في الآية من التشديد العظيم وان كان ابو حنيفة مرخصا في النسيان دون العمد ومالك والشافعي رضي الله عنهما فيهما مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال لمن كان ميتا فاحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلاهم ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته هذه وهي قوله في الظلمات ليس بخارج منها بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار اي صفتها هذه وهي قوله فيها انهار زين للكافرين اي زينه الشيطان او الله عز وعلا على قوله زينا لهم اعمالهم ويدل عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الاكابر لانهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله امرنا مترفيها وقرئ اكبر مجرميها على قولك هم اكبر قومهم واكابر قومهم وما يمكرون الا بانفسهم لان مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله وتقديم موعد بالنصرة عليهم روي ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وروي ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت ونحوها قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة الله اعلم كلام مستانف للانكار عليهم وان الله لا يصطفي للنبوة الا من علم انه

سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا كانما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو
وليهم بما كانوا يعملون ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا

يصلحها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم سيصيب الذين اجرموا من اكابرها صغار وذلة
بعد كبرهم وعظمهم وعذاب شديد في الدارين من الاسر والقتل وعذاب النار فمن يرد الله ان يهديه
ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام يلطف به حتى يرغب في الاسلام
وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله يخذله ويخليه وشانه وهو الذي لا لطف له
يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله
الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد حرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر كانما
يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق
عنه المقدرة وقرئ يصعد واصله يتصعد وقرا عبد الله يتصعد ويصاعد واصله
يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد من اصعد يجعل الله الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق
وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب او اراد الفعل المؤدي الى الرجس وهو العذاب
من الارتجاس وهو الاضطراب وهذا صراط ربك وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته
في التوفيق والخذلان مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على انه حال مؤكدة كقوله وهو الحق
مصدقا لهم لقوم يذكرون دار السلام دار الله يعني الجنة اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار
السلامة من كل آفة وكدر عند ربهم في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى او ذخيرة لهم
لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهو وليهم مواليهم ومحبهم او ناصرهم
على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون ويوم نحشرهم منصوب
بمحذوف اي واذكر يوم نحشرهم او ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن او ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن
كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين قد استكثرتم
من الانس اضللتم منهم كثيرا او جعلتموهم اتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر
الامير من الجنود واستكثر فلان من الاشياع وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم واستمعوا
الى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات
وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم
في اغوائهم وقيل استمتاع الانس بالجن ما في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن
وان الرجل كان اذا نزل واديا وخاف قال اعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع
الجن بالانس اعتراف الانس لهم بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم وبلغنا اجلنا الذي

الذي اجلت لنا قال النار مثويكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل
منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين

اجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع
الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم خالدين فيها الا ما شاء الله اي تخلدون
في عذاب النار الابد كله الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب
الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون
ويطلبون الرد الى الجحيم او يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه
وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت وقد علم انه لا
يشاء الا التشفي منه باقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله الا اذا شئت
من اشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه اطماع ان ربك حكيم لا
يفعل شيئا الا بموجب الحكمة عليم بان الكفار يستوجبون عذاب الابد وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا
نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الانس او نجعل بعضهم اولياء بعض يوم القيمة
وقرناءهم كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يقال لهم يوم
القيمة على جهة التوبيخ الم يأتكم رسل منكم واختلف في ان الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق
بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين ان يبعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به
آنس وله آلف وقال الآخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان
في الخطاب صح ذلك وان كان من احدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل اراد رسل الرسل
من الجن اليهم كقوله ولوا الى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان يبعث محمد يبعثون
الى الانس ورسول الله صلى الله عليه الى الجن والانس قالوا شهدنا على انفسنا حكاية لتصديقهم و
ايجابهم قوله الم يأتكم لان الهمزة الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا
على انفسنا اقرار منهم بان حجة الله لازمة لهم وانهم محجوجون بها فان قلت ما لهم مقرين
في هذه الآية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت تتفاوت الاحوال والمواطن
في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في البعض او اريد شهادة ايديهم وارجلهم
وجلودهم حين تختم على افواههم فان قلت لم كرر ذكر شهادتهم على انفسهم قلت
الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة
نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحيوة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة امرهم ان اضطروا
الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه انما قال ذلك تحذيرا للسامعين

ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما تعملون وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف
من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار
انه لا يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا

من شأن حالهم ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر
مبتدأ محذوف اي الامر ذلك وان لم يكن ربك مهلك القرى تعليل اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء
كون ربك مهلك القرى بظلم على ان ان هي التي تنصب الافعال ويجوز ان تكون مخففة من الثقيلة
على معنى لان الشان والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ولك ان تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا
اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم
وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح ولكل من المكلفين
درجات منازل مما عملوا من جزاء اعمالهم وما ربك بغافل عما تعملون بساه عنه يخفى عليه مقاديره
واحواله وما يستحق عليه من الاجر وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة يترحم عليهم
بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء
من الخلق المطيع كما انشأكم من ذرية قوم آخرين من اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم
وهم اهل سفينة نوح عليه السلام المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى
المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم
من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم واعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل اذا
امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل اي عامل
على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم
فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم
وهي التخلية والتسجيل على المأمور بانه لا يأتي منه الا الشر فكأنه مأمور به وهو واجب عليه
حتم ليس له ان يتقصى عنه ويعمل بخلافه فان قلت ما موضع من قلت الرفع اذا كان بمعنى
اي وعلق عنه فعل العلم او النصب اذا كان بمعنى الذي وعاقبة الدار العاقبة الحسنى التي خلق
الله هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال وادب حسن
مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق وان المنذر مبطل كانوا يعينون اشياء من
حرث ونتاج لله واشياء منهما لالهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا
رجعوا فجعلوه للآلهة واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها واعتلوا بان الله غني وانما ذاك
لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وفي قوله مما ذرأ اشارة الى ان الله كان اولى بان تجعل له الزاكي لانه هو الذي
ذرأه وزكاه ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكية بزعمهم وقرئ بالضم اي قد زعموا انه لله

فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم
دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم

والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين
اصنامهم في القربة فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى
الضيفان والتصدق على المساكين فهو يصل الى شركائهم من انفاق عليها بذبح نسائك عندها
والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون في ايثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم وكذلك
ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله والآلهة او ومثل ذلك التزيين
البليغ الذي علم من الشياطين والمعنى ان شركاءهم من الشياطين او من سدنة الاصنام زينوا لهم
قتل اولادهم بالوأد او بنحرهم للآلهة وكان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما
لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب
قتل اولادهم وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين
كانه قيل لما قيل زين لهم قتل اولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم واما قراءة ابن عامر
قتل اولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء
والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا
كما سمج ورد زج القلوص ابي مزاده فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز
بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك ان رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء
ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء لان الاولاد شركاؤهم في اموالهم لوجد في ذلك مندوحة
عن هذا الارتكاب ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ويشبهوه
ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا
عليه وقيل معناه ليوقعوهم في دين ملتبس فان قلت ما معنى اللام قلت ان كان التزيين
من الشياطين فهي على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة ولو شاء الله
مشيئة قسر ما فعلوه لما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او لما فعل الشياطين او السدنة
التزيين او الارداء او اللبس او جميع ذلك ان جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة وما يفترون
وما يفترونه من الافك او وافتراءهم حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في
الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرأ الحسن
وقتادة حجر بضم الحاء وعن ابن عباس حرج وهو من التضييق وكانوا اذا عينوا اشياء
من حرثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون

وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهو الذي انشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر

البتّا وانعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا انعامهم فقالوا هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه انعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها اجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس الى الله افتراء عليه اى فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر موكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء كانوا يقولون في اجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا ياكل منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وانث خالصة للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر محرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك ويجوز ان تكون التاء للمبالغة مثلها في راوية الشعر وان تكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية اى ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرا خالصة بالنصب على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر موكد ولا يجوز ان يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرا ابن عباس خالصه على الاضافة وفي مصحف عبد الله خالص وان يكن ميتة وان يكن ما في بطونها ميتة وقرئ وان تكن بالتانيث على وان تكن الاجنة ميتة وقرا اهل مكة وان تكن ميتة بالتانيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله فهم فيه شركاء لان الميتة لكل ميت ذكرا او انثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه سواء سيجزيهم وصفهم اى جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم من قوله وتصف السنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر سفها بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان الله هو رازق اولادهم لا هم وقرئ قتلوا بالتشديد ما رزقهم الله من البحائر والسوائب وغيرها انشا جنات من الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه الارض لم تعرش وقيل المعروشات ما في الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه مختلفا اكله في اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ اكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يوكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك كقوله فادخلوها خالدين وقرئ ثمره بضمتين **فان قلت** ما فائدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يوكل منه **قلت** لما ابيح لهم الاكل من ثمره

وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء

قيل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع وآتوا حقه يوم حصاده الآية مكية والزكاة انما فرضت بالمدينة فاريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكاة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء ولا تسرفوا في الصدقة كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمس مائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئا الى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا حمولة وفرشا عطف على جنات اى وانشا من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم كفعل اهل الجاهلية ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد اذا كان وحده فهو فرد فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه آخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كاسا بشرط ان يكون فيها خمر والضان والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئا بفتح العين وقرا ابي ومن المعزى وقرئ اثنان على الابتداء الهمزة في آلذكرين للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضان والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضان والانثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضانها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف ما كانت ذكورا او اناثا او مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرمه ام كنتم شهداء بل اكنتم شهداء ومعنى الهمزة الانكار يعني ام شاهدتم ربكم حين

اذ وصيكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون
ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن
البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون

امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم
هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله ام كنتم شهداء على معنى اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا
تؤمنون بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس وهو عمرو
بن لحي بن قمعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب فان قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه
ولم يوال بينه قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير اجنبي من المعدود وذلك ان الله عز وجل
من على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها
والاحتجاج على من حرمها تاكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد
فيما اوحي الي تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس محرما طعاما محرما
من المطاعم التي حرمتموها الا ان يكون ميتة الا ان يكون الشيء المحرم ميتة او دما مسفوحا
مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح او
فسقا عطف على المنصوب قبله سمي ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب الفسق ومنه قوله تعالى
ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق واهل صفة له منصوبة المحل ويجوز ان يكون مفعولا
له من اهل اي اهل لغير الله به فسقا فان قلت فعلام تعطف اهل وابن يرجع الضمير في به
على هذا القول قلت يعطف على يكون ويرجع الضمير الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن
اضطر فمن دعته الضرورة الى اكل شيء من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله تارك
لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه ذو الظفر
ما له اصبع من دابة او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم
التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله ومن
البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما كقولك من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط
والمعنى انه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم
منهما الا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله الا ما حملت ظهورهما يعني الا ما اشتمل
على الظهور والجنوب من السحفة او الحوايا او اشتمل على الامعاء وما اختلط بعظم وهو شحم
الالية وقيل الحوايا عطف على شحومهما واو بمنزلتها في قولهم جالس الحسن او ابن سيرين ذلك الجزاء
جزيناهم وهو تحريم الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون فيما اوعدنا به العصاة لا نخلفه
كما لا نخلف ما وعدناه اهل الطاعة فلما عصوا وبغوا الحقنا بهم الوعيد واحللنا بهم العقاب

فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد باسه عن القوم المجرمين سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين
من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين قل هلم شهداءكم
الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا

فان كذبوك في ذلك وزعموا ان الله واسع الرحمة وانه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا
وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لاهل طاعته ولا يرد باسه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين
فلا يغتر برجاء رحمته عن خوف نقمته سيقول الذين اشركوا اخبار بما سوف يقولونه ولما
قالوه قال وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون بكفرهم وتمردهم
ان شركهم وشرك ابائهم وتحريمهم ما احل الله بمشيئة الله وارادته ولولا مشيئته لم يكن شيء
من ذلك كمذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم اي جاؤوا بالتكذيب المطلق لان الله
عز وعلا ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وارادتها
والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وارادته فقد
كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ ادلة العقل والسمع وراء ظهره
حتى ذاقوا باسنا حتى انزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح
الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بان مثل قولهم محال ان يكون
له حجة ان تتبعون الا الظن في قولكم هذا وان انتم الا تخرصون تقدرون ان الامر كما تزعمون
او تكذبون وقرئ كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف قل فلله الحجة البالغة يعني فان
كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم
فلو شاء لهداكم اجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين فان تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي ان تعلقوا
دين من خالفكم ايضا بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لان المشيئة
تجمع بين ما انتم عليه وبين ما هم عليه هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم فان قلت كيف امره
باستحضار شهدائهم الذين يشهدون ان الله حرم ما زعموه محرما ثم امره بان لا يشهد
معهم قلت امره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر
للمشهود لهم بانقطاع الشهداء انهم ليسوا على شيء لتساوي اقدام الشاهدين والمشهود لهم
في انهم لا يرجعون الى ما يصح التمسك به وقوله فلا تشهد معهم يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا
به ولا تصدقهم لانه اذا سلم لهم فكانه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع
اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذب بايات
الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لانه لو تبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالايات موحدا لله

والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن

فإن قلت هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون أن الله حرم هذا وأي فرق بينه وبين المنزل قلت المراد أن يحضروا شهداءهم الذين علم أنهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فأضيف الشهداء إليهم لذلك وجيء بالذين للدلالة على أنهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا أناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض ويناقضه قوله فإن شهدوا فلا تشهد معهم تعال من الخاص الذي صار عاما وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وما حرم منصوب بفعل التلاوة بمعنى أتل الذي حرمه ربكم أو بحرم بمعنى أتل أي شيء حرم ربكم لأن التلاوة من القول وأن في أن لا تشركوا مفسرة ولا للنهي فإن قلت هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت أن لا تشركوا بدلا من ما حرم قلت وجب أن يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الأوامر عليها وهي قوله وبالوالدين إحسانا لأن التقدير وأحسنوا بالوالدين إحسانا وأوفوا وإذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله أوفوا فإن قلت فما تصنع بقوله وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وإنما يستقيم عطفه على أن لا تشركوا إذا جعلت أن هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى أتل عليكم نفي الإشراك والتوحيد وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيما قلت أجعل قوله وأن هذا صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا بمعنى ولأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كأنه قيل واتبعوا صراطي لأنه مستقيم أو واتبعوا صراطي إنه مستقيم فإن قلت إذا جعلت أن مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب أن يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالأوامر قلت لما وردت هذه الأوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم أن التحريم راجع إلى أضدادها وهي الإساءة إلى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله من إملاق من أجل فقر ومن خشيته كقوله خشية إملاق ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الإثم وباطنه إلا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم إلا بالتي هي أحسن

إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون

إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ أشده فادفعوه إليه بالقسط بالسوية والعدل لا نكلف نفسا إلا وسعها إلا ما يسعها ولا تعجز عنه وإنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك لأن مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فأمر ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفو عنه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل فلا ينبغي أن يزيد في القول أو ينقص كقوله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين وقرئ وأن هذا صراطي بتخفيف أن وأصله وأنه هذا صراطي على أن الهاء ضمير الشأن والحديث وقرأ الأعمش وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم وفي مصحف أبي وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم أيادي سبا عن سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام وقرئ فتفرق بإدغام التاء وروى أبو وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه أنه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وشماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل إنهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الأحبار والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة فإن قلت علام عطف قوله ثم آتينا موسى الكتاب قلت على وصاكم به فإن قلت كيف صح عطفه عليه بثم والإيتاء قبل التوصية بدهر طويل قلت هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل أمة على لسان نبيها كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكأنه قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى الكتاب وأنزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له إسحق ويعقوب تماما على الذي أحسن تماما للكرامة والنعمة على الذي أحسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين ويدل عليه قراءة عبد الله على الذين أحسنوا أو أراد به موسى عليه السلم أي تتمة للكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما أمر به أو تماما على الذي أحسن موسى من العلم والشرائع من أحسن الشيء إذا أجاد معرفته أي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرأ يحيى بن يعمر على الذي أحسن أي على الذي هو أحسن بحذف المبتدأ كقراءة من قرأ مثلا ما بعوضة بالرفع أي على الدين الذي هو أحسن دين وأرضاه أو آتينا موسى الكتاب تماما

وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك او ياتي بعض ايات ربك يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون

اي تماما كاملا على احسن ما تكون عليه الكتب اي على الوجه والطريق الذي هو احسن وهو معنى قول الكلبي اتم له الكتاب على احسنه ان تقولوا كراهة ان تقولوا على طائفتين يريد اهل التوراة واهل الانجيل وان كنا هي ان المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم لغافلين على ان الهاء ضمير الشان عن دراستهم عن قراءتهم اي لم نعرف مثل دراستهم لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب ووقائعها وخطبها واشعارها واسجاعها وامثالها على انا اميون وقرى ان يقولوا او يقولوا بالياء فقد جاءكم بينة من ربكم تبكيت لهم وهو على قراءة من قرا يقولوا على لفظ الغيبة احسن لما فيه من الالتفات والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من احاسن الحذوف فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعد ما عرف صحتها وصدقها او تمكن من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب الملائكة ملائكة الموت او العذاب او ياتي ربك او ياتي كل ايات ربك بدليل قوله او ياتي بعض ايات ربك يريد ايات القيمة والهلاك الكلي وبعض الايات اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن لم تكن امنت من قبل صفة لقوله نفسا وقوله او كسبت في ايمانها خيرا عطف على امنت والمعنى ان اشراط الساعة اذا جاءت وهي ايات ملجئة مضطرة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها غير كاسبة خيرا في ايمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا امنت في غير وقت الايمان وبين النفس التي في وقته ولم تكسب خيرا ليعلم ان قوله الذين امنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينين لا ينبغي ان تنفك احداهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد والا فالشقوة والهلاك قل انتظروا انا منتظرون وعيد وقرى ان تاتيهم الملائكة بالياء والتاء وقرا ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المونث الذي هو بعضه كقولك ذهبت بعض اصابعه فرقوا دينهم اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة

ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما اتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم

كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فامنوا ببعض وكفروا ببعض وقرى فارقوا دينهم اي تركوه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما لها لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة باية السيف عشر امثالها على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها وقرى عشر امثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافاة السيئات عدل وهم لا يظلمون لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم دينا نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم وقرى قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به وملة ابرهيم عطف بيان وحنيفا حال من ابرهيم ان صلاتي ونسكي وعبادتي وتقربي كله وقيل وذبحي وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل وصلاتي وحجي من مناسك الحج ومحياي ومماتي وما اتيه في حياتي واموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم لاسلام امته اغير الله ابغي ربا جواب عن دعائهم له الى عبادة الهتهم والهمزة للانكار اي منكر ان ابغي ربا غيره وهو رب كل شيء فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل افغير الله تامروني اعبد ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم جعلكم خلائف الارض لان محمدا صلى الله عليه خاتم النبيين خلفت امته سائر الامم او جعلهم يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض في الشرف والرزق ليبلوكم فيما اتاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغني بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو ات قريب عن رسول الله صلى الله عليه انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية غير ثمان ايات وسلهم عن القرية الى واذ نتقنا وهي مائتان وخمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب وانزل اليك صفة له والمراد بالكتاب السورة فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك منه كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اي لا تشك في انه منزل من الله او حرج منه بتبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فامنه الله ونهاه عن المبالاة بهم فان قلت بم تعلق قوله لتنذر قلت بانزل اي انزل اليك لانذارك به او بالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته فان قلت فما محل ذكرى قلت يحتمل الحركات الثلاث النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدأ محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار وللذكرى فان قلت النهي في قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا ارينك هاهنا اتبعوا ما انزل اليكم من القرآن والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله اولياء اي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد والله ما نزلت آية الا وهو يحب ان تعلم فيم انزلت وما معناها وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل على ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ يتذكرون بحذف التاء وتتذكرون بالتاء والياء وقليلا نصب بتذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة فجاءها اهلها بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله او هم قائلون حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم باسنا بائتين او قائلين فان قلت هل يقدر حذف المضاف الذي هو الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اهلكناها قلت انما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله او هم قائلون فان قلت لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون قلت قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني

فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون

زيد هو فارس لم تحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد على الاول والصحيح انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح وارد على حده واما جاءني زيد هو فارس فخبيث فان قلت فما معنى قوله اهلكناها فجاءها باسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء البأس قلت معناه اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلاة وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم لوط اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة فما كان دعواهم ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه لا مستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعاءهم ربهم الا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم وان لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان وان قالوا رفع اسم له ويجوز العكس فلنسألن الذين ارسل اليهم ارسل مسند الى اليهم والجار والمجرور وهو اليهم ومعناه فلنسألن المرسل اليهم وهم الامم يسألهم عما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ويسأل المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فان قلت فاذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم قلت معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بالسنتهم وشهد عليهم انبياؤهم والوزن يومئذ الحق يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته اي والوزن يوم يسأل الله الامم ورسلهم الوزن الحق اي العدل وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق تاكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم وتشهد بها عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم ويشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤونها في موقف الحساب وقيل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل فمن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم

ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين

الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات أن يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات أن يخف بآياتنا يظلمون يكذبون بها ظلما كقوله فظلموا بها مكناكم في الأرض جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا أو ملكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها أو ما يتوصل به إلى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر أنه همز على التشبيه بصحائف ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك ألا ترى إلى قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم من الساجدين ممن سجد لآدم لا في ألا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم أهل الكتاب بمعنى ليعلم فإن قلت ما فائدة زيادتها قلت توكيد معنى الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل ليتحقق علم أهل الكتاب وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك إذ أمرتك لأن أمري لك بالسجود أوجبه عليك إيجابا وحتمه حتما لا بد لك منه فإن قلت لم سأله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه قلت للتوبيخ ولإظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وازدرائه بأصل آدم وأنه خالف أمر ربه معتقدا أنه غير واجب عليه لما رأى أن سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب فإن قلت كيف يكون قوله أنا خير منه جوابا لما منعك وإنما الجواب أن يقول منعني كذا قلت قد استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو أن أصله من نار وأصل آدم من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهي إنكار الأمر واستبعاد أن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا أن يؤمر بما أمر به فاهبط منها من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة إلى الأرض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون لك فما يصح لك أن تتكبر فيها وتعصي فاخرج إنك من الصاغرين من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه لتكبرك كما تقول للرجل قم صاغرا إذا أهنته وفي ضده قم راشدا وذلك أنه لما أظهر الاستكبار ألبس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله إلى الأرض فإن قلت لم أجيب إلى استنظاره وإنما استنظر ليفسد عباده ويغويهم قلت لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من أعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وأنواع الملاذ والملاهي وما ركب في الأنفس من الشهوات ليمتحن بها عباده فبما أغويتني

قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين

فبسبب إغوائك إياي لأقعدن لهم وهو تكليفه إياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم أفضل منه ومن آدم أنفسا ومناصب وعن الأصم أمرتني بالسجود فحملني الأنف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لأجتهدن في إغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم فإن قلت بم تعلقت الباء فإن تعلقها بلأقعدن يصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد لأمرن قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما أغويتني أقسم بالله لأقعدن أي فبسبب إغوائك أقسم ويجوز أن يكون الباء للقسم أي فأقسم بإغوائك لأقعدن وإنما أقسم بالإغواء لأنه كان تكليفا والتكليف من أحسن أفعال الله لكونه تعريضا لسعادة الأبد فكان جديرا بأن يقسم به ومن مكاذيب المجبرة ما حكوا عن طاوس أنه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس إليه فقال له طاوس تقوم أو تقام فقام الرجل فقيل له أتقول هذا الرجل فقيه فقال إبليس أفقه منه قال رب بما أغويتني وهذا يقول أنا أغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على إضافة القبائح إلى الله سبحانه أن لفقوا الأكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين وقيل ما للاستفهام كأنه قيل بأي شيء أغويتني ثم ابتدأ لأقعدن وإثبات الألف إذا أدخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ وأصل الغي الفساد ومنه غوى الفصيل إذا بشم والبشم فساد في المعدة لأقعدن لهم صراطك المستقيم لأعترضن لهم على طريق الإسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن أي على الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل ثم لآتينهم من الجهات الأربع التي يأتي منها العدو في الغالب وهذا مثل لوسوسته إليهم وتسويله ما أمكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك فإن قلت كيف قيل من بين أيديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن أيمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قلت المفعول فيه عدي إليه الفعل نحو تعديته إلى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذاك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وإنما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه أنه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه أنه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له

قال اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين

ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا اجلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فيأتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا تجد اكثرهم شاكرين قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله لهم مذؤوما من ذأمه اذا ذمه وقرأ الزهري مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسؤول واللام في لمن تبعك موطئة للقسم ولأملأن جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لأملأن جهنم منكم اجمعين على ان لأملأن في محل الابتداء ولمن تبعك خبره ويا آدم وقلنا يا آدم وقرئ هذي الشجرة والاصل الياء والهاء بدل منها ويقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها اليه ليبدي جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول **فان قلت** ما للواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة كما في اويصل **قلت** لان الثانية مدة كالف وارى وقد جاء في قراءة عبد الله اوري بالقلب الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملكية بالمنظر الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام لقوله وملك لا يبلى من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقرئ من سوأتهما بالتوحيد وسوّاتهما بالواو المشددة وقاسمهما واقسم لهما اني لكما لمن الناصحين **فان قلت** المقاسمة ان تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته

وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين

وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه **قلت** كأنه قال لهما اقسم لكما اني لمن الناصحين وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او اقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة بغرور بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر انه كان اذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الاكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم بدت لهما سوآتهما اي تهافت عنهما اللباس وظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر ويقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل وقرأ ابو السمال وطفقا بالفتح يخصفان ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستتراها كما تخصف النعل بان تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد واصله يختصفان وقرأ الزهري يخصفان من اخصف وهو منقول من خصف اي يخصفان انفسهما وقرئ يخصفان من خصّف بالتشديد من ورق الجنة قيل كان ورق التين الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطأ حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس وروي انه قال لآدم الم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لأهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز وسميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما لانفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وابليس بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وانتفاع بعيش الى حين الى انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما اهبط آدم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته

قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله
لعلهم يذكرون يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم

ويزين من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بأرض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم
بعده جعل ما في الأرض منزلا من السماء لأنه قضي ثم وكتب ومنه وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج
وريشا لباس الزينة استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته أي أنزلنا عليكم لباسين لباسا
يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لأن الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرأ
عثمان رضي الله عنه ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى لباس الورع والخشية
من الله وارتفاعه على الابتداء وخبره إما الجملة التي هي ذلك خير كأنه قيل ولباس التقوى
هو خير لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر وإما المفرد الذي هو
خير وذلك صفة للمبتدأ كأنه قيل ولباس التقوى المشار إليه خير ولا تخلو الإشارة من أن
يراد بها تعظيم لباس التقوى أو أن تكون إشارة إلى اللباس المواري للسوأة لأن مواراة السوأة
من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف أي وهو لباس
التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله وأبي ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس
التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب وقرئ ولباس
التقوى بالنصب عطفا على لباسا وريشا ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على
عباده يعني إنزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة
على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها إظهارا للمنة
فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة وإشعارا بأن التستر
باب عظيم من أبواب التقوى لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بأن لا تدخلوا الجنة كما محن
أبويكم بأن أخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال أي أخرجهما نازعا لباسهما بأن كان سببا في أن
نزع عنهما إنه يراكم هو تعليل للنهي وتحذير من فتنته بأنه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم
من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار إن عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم
الله وقبيله وجنوده من الشياطين وفيه دليل بين أن الجن لا يرون ولا يظهرون للإنس
وأن إظهارهم أنفسهم ليس في استطاعتهم وأن زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة إنا جعلنا
الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون أي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم وأطاعوهم
فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر أبلغ من الأول فإن قلت علام عطف
قوله قلت على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في إنه ضمير الشأن والحديث دون الذي

إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون
قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين
أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين

وقبيله بالنصب وفيه وجهان أن تعطفه على اسم إن وأن يكون الواو بمعنى مع وإذا عطف على
اسم إن وهو الضمير في إنه كان راجعا إلى إبليس الفاحشة ما يبالغ في قبحه من الذنوب أي إذا
فعلوها اعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبأن الله أمرهم بأن يفعلوها وكلاهما
باطل من العذر لأن أحدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افتراء على الله وإلحاد في
صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن إن الله بعث محمدا صلى
الله عليه إلى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله عز وجل وإذا
فعلوا فاحشة قل إن الله لا يأمر بالفحشاء لأن فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود
الصارف فكيف يأمر بفعله أتقولون على الله ما لا تعلمون إنكار لإضافتهم القبيح إليه وشهادة
على أن مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة بالقسط بالعدل وبما
قام في النفوس أنه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد وأقيموا وجوهكم وقل أقيموا
وجوهكم أي اقصدوا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين إلى غيرها عند كل مسجد في كل
وقت سجود أو في كل مكان سجود وهو الصلاة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين أي الطاعة
مستغنين لها وجهه خالصا كما بدأكم تعودون كما أنشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في إنكارهم
الإعادة بابتداء الخلق والمعنى أنه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة فريقا
هدى وهم الذين أسلموا أي وفقهم للإيمان وفريقا حق عليهم الضلالة أي كلمة الضلالة وعلم
الله أنهم يضلون ولا يهتدون وانتصابه بقوله وفريقا بفعل يفسره ما بعده كأنه قيل
وخذل فريقا حق عليهم الضلالة إنهم إن الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين أولياء
تولوهم بالطاعة فيما أمروهم به وهذا دليل على أن علم الله لا أثر له في ضلالهم وأنهم هم الضالون
باختيارهم وتوليهم الشياطين دون الله خذوا زينتكم أي ثيابكم ولباس زينتكم عند كل مسجد
كلما صليتم وطفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وإنما كان
أحدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وإن طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لأنهم
قالوا لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب
وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلاة وكان بنو عامر
في أيام حجهم لا يأكلون الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فإنا
أحق أن نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت

قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون
قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ولكل امة اجل
فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا
باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا
يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله

يا اخطائك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن
الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له
قد جمع الله الطب كله في نصف اية من كتابه قال وما هي قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا
فقال النصراني ولا يوثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه الطب في الفاظ
يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته
فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا زينة الله من الثياب وكل ما يتجمل به
والطيبات من الرزق المستلذات من الماكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من انكار تحريم
هذه الاشياء وقيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها
قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم
القيمة لا يشركهم فيها احد فان قلت هلا قيل هي للذين امنوا ولغيرهم قلت لينبه
على انها خلقت للذين امنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر فامتعه قليلا
ثم اضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على انها خبر بعد خبر
الفواحش ما تفاحش قبحه اي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج والاثم عام لكل ذنب وقيل
شرب الخمر والبغي الظلم والكبر افرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ما لم ينزل
به سلطانا فيه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل برهانا بان يشرك به غيره وان تقولوا على الله وان تتقولوا
عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل امة اجل وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في
اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم وقرئ فاذا جاء اجالهم وقال ساعة لانها اقل الاوقات
في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد اقصر وقت واقربه اما ياتينكم هي
ان الشرطية ضمت اليها ما موكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة
فان قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى
واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تاتينكم بالتاء فمن اظلم فمن اشنع ظلما ممن يقول على الله ما
لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار
حتى اذا جاءتهم رسلنا حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له اي الى وقت وفاتهم وهي حتى التي
يبتدا بعدها الكلام والكلام ههنا هي الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا ويتوفونهم
حال من الرسل اي متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه وما وقعت موصولة باين في خط المصحف

قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا
اداركوا فيها جميعا قالت اخريهم لاوليهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اوليهم لاخريهم فما كان لكم
علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك
نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين

٢٢٢

وكان حقها ان تفصل لانها موصولة بمعنى اين الالهة الذين تدعون ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم
ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وانهم لم يجدوه في العاقبة قال ادخلوا
اي يقول الله تعالى يوم القيمة لاولئك الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته
وهم كفار العرب في امم في موضع الحال اي كائنين في جملة امم وفي غمارهم مصاحبين لهم اي ادخلوا
في النار مع امم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها
حتى اذا اداركوا فيها اي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت اخريهم منزلة وهي
الاتباع والسفلة لاوليهم منزلة وهي القادة والرؤوس ومعنى لاوليهم لاجل اوليهم لان
خطابهم مع الله لا معهم عذابا ضعفا مضاعفا لكل ضعف لان كلا من القادة والاتباع كانوا
ضالين مضلين ولكن لا تعلمون قرئ بالتاء والياء فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على
قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق
الضعف فذوقوا العذاب من قول القادة او من قول الله لهم جميعا لا تفتح لهم ابواب السماء لا
يصعد لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السماء
فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد ارواحهم
اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون ففتحنا ابواب السماء
وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل
للايات وبالياء على ان الفعل لله عز وجل وقرا ابن عباس الجمل بوزن القمل وسعيد بن جبير الجمل
بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس
الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس ان الله احسن تشبيها من ان يشبه
بالجمل يعني ان الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراءة العامة
اوقع لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك يقال اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت
للاهتداء به في المضايق المشبهة باخرات الابر والجمل مثل في عظم الجرم قال جسم الجمال واحلام العصافير
ان الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدا من
ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الا في باب واسع في ثقب الابرة وعن ابن مسعود انه سئل عن
الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى اخر تكلف وقرئ في سم
بالحركات الثلاث وقرا عبد الله في سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به

والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار
وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون
عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب

وهو الابرة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين ليؤذن ان الاجرام هو السبب الموصل
الى العقاب وان كل من اجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لان كل مجرم ظالم لنفسه
مهاد فراش غواش اغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله لا
نكلف نفسا الا وسعها جملة معترضة بين المبتدا والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف
الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الامكان الواسع غير الضيق من الايمان
والعمل الصالح وقرا الاعمش لا تكلف نفس من كان في قلبه غل على اخيه في الدنيا نزع منه فسلمت
قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التواد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا
وعثمان وطلحة والزبير منهم هدانا لهذا اي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل
الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي يعنون وما كان يستقيم ان نكون مهتدين لولا هداية
الله وتوفيقه وفي مصاحف اهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على انها جملة موضحة للاولى لقد
جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا
بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا
يتمالك ان لا يقوله للتفرج لا للقربة ان تلكم الجنة ان مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا
بانه تلكم الجنة اورثتموها والضمير ضمير الشان والحديث وتكون بمعنى اي لان المناداة من
القول كانه قيل وقيل لهم تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون بسبب اعمالكم لا بالتفضل كما يقول
المبطلة ان في ان قد وجدنا يحتمل ان تكون مخففة من الثقيلة وان تكون مفسرة كالتي سبقت انفا
وكذلك ان لعنة الله على الظالمين وانما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة باصحاب النار
وزيادة في غمهم وليكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين
وهو ملك يامره الله فينادي بينهم نداء يسمع اهل الجنة واهل النار وقرئ ان لعنة الله بالتشديد
والنصب وقرا الاعمش ان لعنة الله بكسر ان على ارادة القول او على اجراء اذن مجرى قال
فان قلت هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة
وعدنا عليه ولقائل ان يقول اطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب
والعقاب وسائر احوال القيامة لانهم كانوا مكذبين بذلك اجمع ولان الموعود كله مما ساءهم
وما نعيم اهل الجنة الا عذاب لهم فاطلق لذلك وبينهما حجاب يعني بين الجنة والنار او بين
الفريقين وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب

وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار
قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم
لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء

وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف
الديك رجال من المسلمين من آخرهم دخولا في الجنة لقصور اعمالهم كانهم المرجون لامر الله
يحبسون بين الجنة والنار الى ان ياذن الله في دخول الجنة يعرفون كلا من زمر السعداء
والاشقياء بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها يلهمهم الله ذلك او تعرفهم الملائكة اذا
نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار
وراوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته ان لا يجعلهم معهم ونادوا
رجالا من رؤوس الكفرة يقولون لهم اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم
الى اهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من
الدنيا وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا
الجنة وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا
ما يقولون وفائدة ذلك بيان ان الجزاء على قدر الاعمال وان التقدم والتاخر على حسبها
وان احدا لا يسبق عند الله الا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده الا بتخلفه فيه وليرغب
السامعون في حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبتهم وليتصوروا ان كل احد يعرف
ذلك اليوم بسيماه التي استوجب ان يوسم بها من اهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن اساءته
ويزيد المحسن في احسانه وليعلم ان العصاة يوبخهم كل احد حتى اقصر الناس عملا وقوله
واذا صرفت ابصارهم فيه ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا
وقرا الاعمش واذا قلبت ابصارهم وقرئ ادخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرا عكرمة
دخلوا الجنة فان قلت كيف لاءم هاتين القراءتين قوله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
قلت تاويله ادخلوا الجنة او دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
فان قلت ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون قلت لا محل له لانه استيناف
كان سائلا سال عن حال اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم
ان دخولهم الجنة استاخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم
يطمعون لم ييأسوا ويجوز ان يكون له محل بان يقع صفة لرجال ما اغنى عنكم جمعكم المال
او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون
من الكثرة افيضوا علينا فيه دليل ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة

او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا
بآياتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق
فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب
المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها

لدخوله في حكم الافاضة ويجوز ان يراد او القوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله
علفتها تبنا وماء باردا ❊ وانما يطلبون ذلك مع يأسهم من الاجابة اليه حيرة في امرهم كما يفعل
المضطر الممتحن حرمهما على الكافرين منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه
ويحظر كقوله حرام على عيني ان تطعما الكرى ❊ فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين
الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به كما نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل
الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به فصلناه على علم عالمين كيف نفصل احكامه ومواعظه
وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذي عوج وقرأ ابن محيصن فضلناه بالضاد
المعجمة بمعنى فضلناه على جميع الكتب عالمين انه اهل للتفضيل عليها وهدى ورحمة حال من منصوب
فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه الا تأويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه
وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد قد جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين وصح انهم جاؤا
بالحق او نرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كانه قيل هل لنا
من شفعاء او هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا
يطلب له فعل آخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد وقرأ ابن ابي اسحق او نرد
بالنصب عطفا على فيشفعوا او تكون او بمعنى حتى ان اي يشفعون لنا حتى نرد فنعمل وقرأ
الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل يغشي الليل النهار وقرئ يغشي بالتشديد اي يلحق
الليل بالنهار او النهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس يغشى الليل
النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اي يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثا حسن
الملائمة لقراءة حميد بامره بمشيئته وتصريفه وهو متعلق بمسخرات اي خلقهن جاريات بمقتضى
حكمته وتدبيره وكما يريد ان يصرفها سمي ذلك امرا على التشبيه كانهن مأمورات بذلك
وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال
الا له الخلق والامر اي هو الذي خلق الاشياء وهو الذي صرفها على حسب ارادته تضرعا
وخفية نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل
من الضراعة وهي الذل اي تذللا وتملقا وقرئ خفية وعن الحسن رحمه الله ان الله يعلم
القلب التقي والدعاء الخفي ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل
لقد فقه الفقه الكثير ولا يشعر الناس به وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده

وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به
الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى
لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن
ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا

الزور وما يشعرون به لقد ادركنا اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون على ان يعملوه في السر
فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين
ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وبين
دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به
في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه
وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء
وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار
وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين ان رحمة الله قريب من المحسنين
كقوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وانما ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم او الترحم او لانه
صفة موصوف محذوف اي شيء قريب او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول كما شبه ذاك
به فقيل قتلاء واسراء او على انه بزنة المصدر الذي هو النقيض والضغيب او لان تأنيث
الرحمة غير حقيقي وقرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه اما لان ارسل ونشر متقاربان
فكانه قيل نشرها نشرا واما على الحال بمعنى منتشرات ونشرا جمع نشور ونشرا بالتخفيف نشر
كرسل ورسل وقرأ مسروق نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنقض وحسب ومنه قولهم
ضم نشره وبشرا جمع بشير وبشرا بتخفيفه وبشرا بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره اي باشرات
وبشرى بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها اثرا اقلت
حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا
ثقالا سحائب ثقالا بالماء جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال
لانث كما لو حمل على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ ميت فانزلنا
به بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات
نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين اذ كل واحد منهما
اعادة للشيء بعد انشائه البلد الطيب الارض العذاة الكريمة التربة والذي خبث الارض السبخة
التي لا تنبت ما ينتفع به باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا
وافيا لانه واقع في مقابلة نكدا والنكد الذي لا خير فيه وقرئ يخرج نباته اي يخرجه البلد
وينبته وقوله والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف

كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه انا لنريك فى ضلال مبين قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربى وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون

الذى هو النبات واليه المضاف اليه الذى هو الراجع الى البلد مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل او يقدر ونبات الذى خبث وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر اى ذا نكد ونكدا باسكانها للتخفيف كقوله نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شئ من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله بعقله فوعاه وانتفع به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون ليفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء اى يصرفها الله لقد ارسلنا جواب قسم محذوف **فان قلت** ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا **قلت** انما كان ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تأكيدا للجملة المقسم عليها التى هى جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذى هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل ارسل نوح وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبى عليه السلام وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره والجر على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما فى الدار من احد الا زيدا وغير زيد **فان قلت** ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله **قلت** الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعى الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون من كانوا يعبدونه من دون الله واليوم العظيم يوم القيامة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان الملأ الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء فى ضلال فى ذهاب عن طريق الصواب والحق ومعنى الرؤية رؤية القلب **فان قلت** لم قال ليس بى ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا **قلت** الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ فى نفى الضلال عن نفسه كانه قال ليس بى شئ من الضلال كما لو قيل لك ألك تمر فقلت ما لى تمرة **فان قلت** كيف وقع قوله ولكنى رسول استدراكا للانتفاء عن الضلالة **قلت** كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا فى معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة وقرئ ابلغكم بالتخفيف **فان قلت** كيف موقع قوله ابلغكم **قلت** فيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا بيانا لكونه رسول رب العالمين والثانى ان يكون صفة لرسول **فان قلت**

او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه فى الفلك واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنريك فى سفاهة

كيف جاز ان يكون الرسول لفظه لفظ الغائب **قلت** جاز ذلك لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان معناه كما قال انا الذى سمتن امى حيدره رسالات ربى ما اوحى الى فى الاوقات المتطاولة او فى المعانى المختلفة من الاوامر والنواهى والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده ادريس وهى ثلثون صحيفة ومن صحف شيث وهى خمسون صحيفة وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفى زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض من نصيحة الله ورسله واعلم من الله ما لا تعلمون اى من صفات الله واحواله يعنى قدرته الباهرة وشدة بطشه على اعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحى الله اليه او اراد واعلم من جهة الله اشياء لا علم لكم بها قد اوحى الى بها او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لينذركم ولتتقوا ليحذركم عاقبة الكفر ولتوجد منكم التقوى وهى الخشية بسبب الانذار ولعلكم ترحمون ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم والذين معه قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به **فان قلت** فى الفلك بم يتعلق **قلت** هو متعلق بمعه كانه قيل والذين استقروا معه فى الفلك او صحبوه فى الفلك ويجوز ان يتعلق بفعل الانجاء اى انجيناهم فى السفينة من الطوفان عمين عمى القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمى والعامى ان العمى يدل على عمى ثابت والعامى على عمى حادث ونحوه قوله ضائق به صدرك اخاهم واحدا منهم من قولك يا اخا العرب للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم افهم عن رجل منهم واعرف بحاله فى صدقه وامانته وهو هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح واخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان له **فان قلت** لم حذف العاطف فى قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما فى قصة نوح **قلت** هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملأ **فان قلت** لم وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح **قلت** كان فى اشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذى اسلم وكان يكتم اسلامه فاريدت

وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم

التفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز ان يكون وصفا واردا للذم لا غير في سفاهة في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز ارادوا انه متمكن فيها غير منفك عنها وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم على ما يكون منهم ناصح امين اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقي ان اتهم او انا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض او جعلكم ملوكا في الارض قد استخلفكم فيها بعدهم في الخلق بسطة فيما خلق من اجرامكم ذهابا في الطول والبدانة قيل كان اقصرهم ستين ذراعا واطولهم مائة ذراع فاذكروا آلاء الله في استخلافكم وبسطة اجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء الى ونحوه انى وآناء وضلع واضلاع وعنب واعناب **فان قلت** اذ في قوله اذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه **قلت** هو مفعول به وليس بظرف اي اذكروا وقت استخلافكم اجئتنا لنعبد الله وحده انكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه والفا لما صادفوا آباءهم يتدينون به **فان قلت** ما معنى المجيء في قوله اجئتنا **قلت** فيه اوجه ان يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم وان يريدوا به الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون ان الله لا يرسل الا الملائكة فكأنهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك وان لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك فأتنا بما تعدنا استعجال منهم للعذاب قد وقع عليكم اي حق عليكم ووجب او قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك فقال لسعني طوير كأنه ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر في اسماء سميتموها في اشياء ما هي الا اسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمونها آلهة ومعنى الالهية فيها معدوم

ليس

ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين

محال وجوده وهذا كقوله ما تدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم ان عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية

ألا يا قيل ويحك قم فهينم ... لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا ... قد امسوا لا يبينون الكلاما

فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فاتتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا **فان قلت** ما فائدة نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب بآيات الله **قلت** هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كأنه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين قرئ والى ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة والى ثمود بالصرف بتأويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن

اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم

سام بن نوح اخو ادريس وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم
الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى قد جاءتكم بينة آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي وكانه قيل
ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية وآية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة
من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها آية ولكم بيان لمن هي له آية موجبة عليه الايمان خاصة وهم
ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم خصوصا وانما
اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها وانها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة
آية من آياته كما تقول آية الله وروي ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في
الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا
البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا
الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم
يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون
قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان
استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم
وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في
ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة
التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن
فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج
بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله و
عظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع
اعقابهم ناس من رؤوسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت
ترد غبا فاذا كان يومها وضعت راسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون
ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود
فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت
بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي
فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة

واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم

بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق
سقبها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم
العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم
مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما
رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع
الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا تأكل
في ارض الله اي الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في ارضه فليست الارض لكم
ولا ما فيها من النبات من انباتكم ولا تمسوها بسوء لا تضربوها ولا تطردوها ولا تريبوها بشيء
من الاذى اكراما لآية الله ويروى ان رسول الله صلى الله عليه حين مر بالحجر في غزوة تبوك
قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا
ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال صلى الله عليه يا علي اتدري من اشقى الاولين
قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم
قال قاتلك وقرأ ابو جعفر في رواية تأكل في ارض الله وهو في موضع الحال بمعنى آكلة وبوأكم
ونزلكم والمباءة المنزل في الارض في ارض الحجر بين الحجاز والشام من سهولها قصورا اي تبنونها
من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر وقرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء
وتنحاتون باشباع الفتحة كقوله ينباع من ذفرى اسيل حرة فان قلت علام انتصب
بيوتا قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال
المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب والقصبة قميصا وقلما في حال الخياطة
والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء للذين استضعفوا للذين
استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم ولمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا فان قلت
الضمير في منهم راجع الى ماذا قلت الى قومه او الى الذين استضعفوا فان قلت هل
لاختلاف المرجعين اثر في اختلاف المعنى قلت نعم وذلك ان الراجع اذا رجع الى قومه فقد
جعل من آمن مفسرا لمن استضعف منهم فدل ان استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين واذا رجع
الى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل ان المستضعفين كانوا مؤمنين
وكافرين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة اتعلمون ان الله فوق العرش

أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين

فإن قلت كيف صح قولهم إنا بما أرسل به مؤمنون جواباً عنه قلت سألوهم عن العلم بإرساله فجعلوا إرساله أمراً معلوماً مكشوفاً مسلماً لا يدخله ريب كأنهم قالوا العلم بإرساله وبما أرسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وإنارته وإنما الكلام في وجوب الإيمان به فنخبركم أنا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة إنا بالذي آمنتم به كافرون فوضعوا آمنتم به موضع أرسل به رداً لما جعله المؤمنون معلوماً وأخذوه مسلماً فعقروا الناقة أسند العقر إلى جميعهم لأنه كان برضاهم وإن لم يباشره إلا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة أنتم فعلتم كذا وما فعله إلا واحد منهم وعتوا عن أمر ربهم وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل في أرض الله أو شأن ربهم وهو دينه ويجوز أن يكون المعنى وصدر عتوهم عن أمر ربهم كأن أمر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن أمري ائتنا بما تعدنا أرادوا من العذاب وإنما جاز الإطلاق لأنه كان معلوماً واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين الرجفة الصيحة التي زلزلت لها الأرض واضطربوا لها في دارهم في بلادهم أو في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم أي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فأخذتهم الصيحة فلم يبق منهم إلا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه وروي أن صالحاً كان بعثه إلى قوم فخالف أمره وروي أنه مر بقبر أبي رغال فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم فذكر قصة أبي رغال وأنه دفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه بأسيافهم فاستخرجوا الغصن فتولى عنهم الظاهر أنه كان مشاهداً لما جرى عليهم وأنه تولى عنهم بعد ما أبصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من إيمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم آل جهداً في إبلاغكم والنصيحة لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين ويجوز أن يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لإصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروي أن عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي أنه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعاً فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفاً وخمسمائة دار وروي أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم

ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين

فإن قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين قلت قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى ألقى بنفسه في التهلكة يا أخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية ولوطاً وأرسلنا لوطاً وإذ ظرف لأرسلنا أو واذكر لوطاً وإذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه أتأتون الفاحشة أتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة إذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من أحد من العالمين من الأولى زائدة لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض فإن قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة مستأنفة أنكر عليهم أولاً بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال أنتم أول من عملها أو على أنه جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها أحد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به إنكم لتأتون الرجال بيان لقوله أتأتون الفاحشة والهمزة مثلها في أتأتون للإنكار والتعظيم وقرئ إنكم على الإخبار المستأنف لتأتون الرجال من أتى المرأة إذا غشيها شهوة مفعول له أي للاشتهاء لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم أعظم منه لأنه وصف لهم بالبهيمية وأنه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه أو حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين إلى السماجة بل أنتم قوم مسرفون أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو إلى اتباع الشهوات وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحد في كل شيء فمن ثم أسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد ونحوه بل أنتم قوم عادون وما كان جواب قومه إلا أن قالوا يعني ما أجابوه بما يكون جواباً عما كلمهم به لوط عليه السلام من إنكار الفاحشة وتعظيم أمرها ووسمهم بسمة الإسراف الذي هو أصل الشر كله ولكنهم جاؤوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجراً بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم إنهم أناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخاراً بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد وأهله ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم أي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكانت كافرة موالية لأهل سدوم وروي أنها التفتت فأصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة فأمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف

وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها

بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فان قلت اي فرق بين مطر وامطر قلت يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حرى غير ممطور وحري ان يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال امطرت عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال المطر فامطر علينا حجارة من السماء وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله فساء مطر المنذرين كان يقال لشعيب خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين. قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ بما آمركم به والانتهاء عما انهاكم عنه فاوفوا ولا تبخسوا فان قلت ما كانت معجزته قلت قد وقع العلم بانه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبئا لا نبيا غير ان معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر اكثر معجزات نبينا فيه ومن معجزات شعيب عليه السلام ما روي من محاربة عصى موسى التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها ووقوع عصى آدم على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لان هذه كلها كانت قبل ان يستنبأ موسى فكانت معجزات لشعيب فان قلت كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال والميزان كما في سورة هود قلت اريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي امثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس وقيل اشياءهم لانهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم او كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه كما يفعل امراء الحرمين وروي انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر او اعطوه بدلها زيوفا بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا فيها بعد ما اصلح فيها الصالحون من الانبياء واتباعهم العاملين بشرائعهم واضافته كاضافة قوله بل مكر الليل والنهار بمعنى بل مكركم في الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف ذلكم اشارة الى ما

ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين

ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض او الى العمل بما امرتهم به ونهيتهم عنه ومعنى خير لكم يعني في الانسانية وحسن الاحدوثة وما تطلبونه من التكسب والتربح لان الناس ارغب في متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانة والسوية ان كنتم مؤمنين ان كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم ولا تقعدوا بكل صراط ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اي ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغيها عوجا فان قلت صراط الحق واحد وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام كثيرة مختلفة فكانوا اذا راوا احدا يشرع في شيء منها اوعدوه وصدوه فان قلت الام يرجع الضمير في آمن به قلت الى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح امرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها او يكون تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج واذكروا اذ كنتم قليلا اذ مفعول به غير ظرف اي اذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا وقيل اذ كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين او كنتم اقلة اذلة فاعزكم بكثرة العدد والعدد عاقبة المفسدين آخر امر من افسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما اصاب المؤتفكة فاصبروا فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون او موعظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اي ليصبر المؤمنون على اذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم

قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين

من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف اى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر **فان قلت** كيف خاطبوا شعيبا عليه السلم بالعود في الكفر في قولهم او لتعودن في ملتنا وكيف اجابهم بقوله ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها والانبياء لا يجوز عليهم من الصغائر الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر **قلت** لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا اجرا للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك اجرى شعيب عليه السلم جوابه فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريا من ذلك اجرا للكلام على حكم التغليب **فان قلت** فما معنى قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله والله تعالى متعال ان يشاء ردة المؤمنين وعودهم في الكفر **قلت** معناه الا ان يشاء الله خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شيء علما اى هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون وهو يعلم احوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازدياد في الايقان ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء الله حسما لطمعهم في العود لان مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج من الحكمة او لو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح ربنا افتح بيننا احكم بيننا والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبينهم وينكشف بان تنزل عليهم عذابا يتبين معه انهم على الباطل وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين **فان قلت** كيف اسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم **قلت** هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافتراء من الكافر لان الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه حيث يزعم انه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبا وقال الملأ الذين كفروا من قومه اى اشرافهم للذين دونهم يثبطونهم

وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض

عن الايمان لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية **فان قلت** ما جواب القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط **قلت** قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا في دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستيناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم والاسى شدة الحزن قال العجاج واخلبت عيناه من فرط الاسى اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم يعني انه لا يأسى عليهم لانهم ليسوا احقاء بالاسى وقرأ يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة الا اخذنا اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثرت ومنه قوله عليه السلم واعفوا اللحى وقال الحطيئة بمستأسد القريان عاف نباته وقال ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات الشحم كوم وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء يعني وابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات الا ان ناخذهم بالعذاب فاخذناهم اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم فجاءة من غير شعور منهم اللام في القرى اشارة الى القرى التي دل عليها قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كانه قال ولو ان اهل تلك القرى الذين كذبوا واهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات

كالضحك والعلم اللهو اي التبسم

ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا
مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون

من السماء والأرض لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل أراد المطر والنبات ولكن كذبوا فأخذناهم بشؤم
كسبهم ويجوز أن تكون اللام في القرى للجنس فإن قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت
تيسيرها عليهم كما يتيسر أمر الأبواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ إذا تعذرت
عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين بياتا يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بيتا وبياتا ومنه قوله [illegible]
بأسنا بياتا وهم قائلون ويكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز
أن يراد أن يأتيهم بأسنا بائتين أو وقت بيات أو مبيتا أو مبيتين ويكون بمعنى تبييتا كأنه قيل أن
يبيتهم بأسنا بياتا وضحى نصب على الظرف يقال أتيته ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الأصل اسم لضوء
الشمس إذا أشرقت وارتفعت والفاء والواو في أفأمن وأوأمن حرفا عطف دخلت عليهما همزة
الإنكار فإن قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت الأولى بالفاء والثانية بالواو قلت
المعطوف عليه قوله فأخذناهم بغتة وقوله ولو أن أهل القرى إلى يكسبون وقع اعتراضا بين
المعطوف والمعطوف عليه وإنما عطفت بالفاء لأن المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد
ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى وقرئ أو أمن على العطف
بأو وهم يلعبون يشتغلون بما لا يجدي عليهم كأنهم يلعبون فإن قلت فلم رجع فعطف بالفاء
قوله أفأمنوا مكر الله قلت هو تكرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لأخذه
العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل أن يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي
يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم أن ابنته قالت له ما لي أرى الناس
ينامون ولا أراك تنام قال يا بنتاه إن أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بياتا أولم يهد
قرئ أولم يهد بالياء والنون أن لو نشاء مرفوع بأنه فاعله بمعنى أولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم
ويرثونهم أرضهم هذا الشأن وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين
كما أهلكنا الموروثين وإذا قرئ بالنون فهو منصوب كأنه قيل أولم يهد الله للوارثين هذا الشأن بمعنى
أولم يبين لهم أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وإنما عدي فعل الهداية باللام لأنه
بمعنى التبيين فإن قلت بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم قلت فيه أوجه أن يكون
معطوفا على ما دل عليه معنى أولم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم أو على يرثون الأرض
أو يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم فإن قلت هل يجوز أن يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما
كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على أصبناهم قلت لا يساعد عليه المعنى لأن القوم كانوا مطبوعا

تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم من
عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون إني
رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق

على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والإصابة بها وهذا التفسير يؤدي
إلى خلوهم عن هذه الصفة وأن الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك من أنبائها كقوله هذا
بعلي شيخا في أنه مبتدأ وخبر وحال ويجوز أن يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وأن يكون القرى
نقص خبرا بعد خبر فإن قلت ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا قلت هو مفيد ولكن
بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم فإن قلت ما معنى
الإخبار عن القرى بنقص عليك من أنبائها قلت معناه أن تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض
أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوه من
آيات الله من قبل مجيء الرسل وما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم
الرسل أي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم
في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات ومعنى اللام تأكيد النفي وأن الإيمان كان
منافيا لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل
ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم من عهد الضمير للناس
على الإطلاق وما وجدنا لأكثر الناس من عهد يعني أن أكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الإيمان
والتقوى وإن وجدنا وإن الشأن والحديث وجدنا أكثرهم لفاسقين خارجين عن الطاعة مارقين
والآية اعتراض ويجوز أن يرجع الضمير إلى الأمم المذكورين وأنهم كانوا إذا عاهدوا الله في ضر ومخافة
لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن
لك إلى قوله إذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول
إن المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما من
بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للأمم فظلموا بها فكفروا بآياتنا أجرى الظلم
مجرى الكفر لأنهما من واد واحد إن الشرك لظلم عظيم أو فظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم
وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها ولأنه إذا وجب الإيمان بها فكفروا بدل الإيمان كان كفرهم بها
ظلما فلذلك قيل فظلموا بها أي كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الإيمان يقال
لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الأكاسرة فكأنه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس
وقيل الوليد بن مصعب بن الريان حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق فيه أربع قراءات المشهورة
وحقيق على أن لا أقول وهي قراءة نافع وحقيق أن لا أقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بأن لا أقول

قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده
فاذا هي بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم

وهي قراءة أبي وفي المشهورة إشكال ولا تخلو من وجوه أحدها أن يكون مما قلب من الكلام لأمن
الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق علي أن
لا أقول وهي قراءة نافع والثاني أن ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا
على قول الحق أي لازما له والثالث أن يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب
والرابع وهو الأوجه الأدخل في نكت القرآن أن يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق
في ذلك المقام لا سيما وقد روي أن عدو الله فرعون قال له لما قال اني رسول من رب العالمين كذبت
فيقول أنا حقيق على قول الحق أي واجب على قول الحق أن أكون أنا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلي
ناطقا به فأرسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم
ومولد آبائهم وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت الأسباط غلب فرعون نسلهم
واستعبدهم فأنقذهم الله بموسى وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله
موسى أربعمائة عام فإن قلت كيف قال له فأت بها بعد قوله ان كنت جئت بآية قلت
معناه ان كنت جئت من عند من أرسلك بآية فأتني بها وأحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك
ثعبان مبين ظاهر أمره لا يشك في أنه ثعبان وروي أنه كان ثعبانا ذكرا أشعر فاغرا فاه بين
لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل في الأرض ولحيه الأعلى على سور القصر ثم توجه نحو
فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك وهرب
الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا ودخل
فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بني اسرائيل فأخذه موسى فعاد
عصا فإن قلت بم يتعلق للناظرين قلت يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا
تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر
اليه كما تجتمع النظارة للعجائب وذلك ما يروى أنه أرى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم
أدخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع
الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة ان هذا الساحر عليم أي عالم بالسحر ماهر فيه قد
أخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية والآدم أبيض فإن قلت
قد عزي هذا الكلام الى فرعون في سورة الشعراء وأنه قاله للملأ وعزي ههنا اليهم قلت
قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثم وقولهم ههنا أو قاله ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لأعقابهم

يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجرا
ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا يا موسى اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم

أو قالوه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة
ثم تبلغه الخاصة العامة والدليل عليه أنهم أجابوه في قولهم أرجه وأخاه وأرسل في المدائن
حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وقرئ سحار أي يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة أو بخير منه
وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تأمرون من أمرته فأمرني بكذا اذا شاورته فأشار
عليك برأي وقيل فماذا تأمرون من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له ان هذا الساحر عليم يريد أن يخرجكم
كأنه قيل فقال فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه ومعنى أرجه وأخاه أخرهما وأصدرهما عنك
حتى ترى رأيك فيهما وتدبر أمرهما وقيل احبسهما وقرئ أرجئه بالهمز وأرجه من أرجأه وأرجاه
فإن قلت هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا قلت هو على تقدير سائل سأل ما قالوا اذ جاؤوه
فأجيب بقوله قالوا أئن لنا لأجرا أي جعلا على الغلبة وقرئ ان لنا لأجرا على الإخبار وإثبات
الأجر العظيم وايجابه كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لإبلا وان
له لغنما يقصدون الكثرة فإن قلت وانكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه قلت هو
معطوف على محذوف سد مسده حرف الإيجاب كأنه قال ايجابا لقولهم ان لنا لأجرا نعم ان
لكم لأجرا وانكم لمن المقربين أراد أني لا أقتصر بكم على الثواب وحده وان لكم مع الثواب ما يقل
معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لأن المثاب انما يتهنأ بما يصل اليه ويغتبط به اذا
نال معه الكرامة والرفعة وروي أنه قال لهم تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وروي أنه
دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة أهل الأرض
الا أن يكون أمرا من السماء فإنه لا طاقة لنا به وروي أنهم كانوا ثمانين ألفا وقيل سبعين ألفا وقيل
بضعة وثلاثين ألفا واختلفت الروايات فمن مقل ومكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من أهل نينوى
وقيل قال فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه يعني السحر تخييرهم اياه أدب حسن راعوه معه
كما يفعل أهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين قبل أن يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين
قبل أن يتآخذوا للصراع وقولهم واما أن نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا
قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر واقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى
ما رغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التأييد السماوي وأن
المعجزة لن يغلبها سحر أبدا سحروا أعين الناس أروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة
بخلافه كقوله يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى روي أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي

وجاءوا بسحر عظيم واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا
صاغرين والقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا
منها اهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا

أمثال الحيات قد ملأت الأرض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا
كانهم استدعوا رهبتهم بسحر عظيم في باب السحر روي انهم لووا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها
ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزيبق ما يافكون ما موصولة او مصدرية بمعنى ما يافكونه اي
يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او افكهم تسمية للمافوك بالافك روي انها لما تلقفت
ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله بقدرته
تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا و
عصينا فوقع الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اي فاثر فيها من قولهم قاس
وقيع وانقلبوا صاغرين وصاروا اذلاء مبهوتين والقي السحرة وخروا سجدا كانما القاهم
ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما رأوا فكانهم القوا عن قتادة كانوا اول النهار كفارا
سحرة وفي آخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا
وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر بذلوا انفسهم لله آمنتم به على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل الشنيع
توبيخا لهم وتقريعا وقرئ أآمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد ان
هذا لمكر مكرتموه في المدينة ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان
تخرجوا منها الى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا
بني اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروي
ان موسى قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك قال لآتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لأومنن
بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن
وقرئ لاقطعن بالتخفيف وكذلك ثم لاصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا وقيل ان اول
من قطع من خلاف وصلب لفرعون انا الى ربنا منقلبون فيه اوجه ان يريدوا انا لا
نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك او ننقلب الى الله
يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب
الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا
منه وما تنقم منا الا ان آمنا وما تعيب منا الا الايمان بالله اراد وما تعيب منا الا
ما هو اصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
افرغ علينا صبرا اهب لنا صبرا واسعا واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ

ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم
وانا فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

الماء افراغا وعن بعض السلف ان احدكم ليفرغ على اخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك اي يغمره بالحياء
والخجل او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا
انهم اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام ويذرك عطف
على ليفسدوا لانه اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك آلهته
فكانه تركهم لذلك او هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة
الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء والنصب باضمار ان تقديره أيكون منك ترك
موسى ويكون تركه اياك وآلهتك وقرئ ويذرك والهتك بالرفع عطفا على اتذر بمعنى اتذره و
ايذرك اي اتطلق له ذلك او يكون مستانفا او حالا على معنى أتذره وهو يذرك وآلهتك وقرأ
الحسن ويذرك بالجزم كانه قيل يفسدوا كما قرئ واكن من الصالحين كانه قيل اصدق وقرأ انس
رضي الله عنه ونذرك بالنون والنصب اي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك والاهتك
اي عبادتك وروي انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف نفس فارادوا
بالفساد في الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم
ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى
ولذلك قال انا ربكم الاعلى سنقتل ابناءهم يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا
على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها
في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب
ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد قال موسى لقومه
استعينوا بالله قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل ابناءهم وجزعوا منه وتضجروا وانسكنهم و
يسليهم ويعدهم النصرة عليهم ويذكر لهم ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم و
ديارهم فان قلت لم اخليت هذه الجملة عن الواو وادخلت على التي قبلها قلت هي جملة مبتداة
مستانفة واما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون وقوله ان
الارض لله يجوز ان يكون اللام للعهد ويراد ارض مصر خاصة كقوله واورثنا الارض وان يكون
للجنس فيتناول ارض مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء باصغريه فاراد بالمرء
الجنس وغرضه ان يتناوله لنا ولا اولينا والعاقبة للمتقين بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين
منهم ومن القبط وان المشية متناولة لهم وقرأ والعاقبة للمتقين بالنصب ابي وابن مسعود

قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين
ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون

عطفا على الأرض أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل أبنائهم قبل مولد موسى
إلى أن استنبئ وإعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من أنواع الخدم
والمهن ويمسّون به من العذاب عسى ربكم أن يهلك عدوكم تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل وكشف عنه
وهو إهلاك فرعون واستخلافهم بعده في أرض مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه
وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد رحمة الله عليه
ورضوانه أنه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان فطلب زيادة لعمرو
فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف
تعملون بالسنين بسني القحط والسنة من الأسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا
منها فقالوا أسنت القوم بمعنى أقحطوا وقال ابن عباس أما السنون فكانت لباديتهم وأهل مواشيهم
وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا تمرة لعلهم يذكرون
فيتنبهوا على أن ذلك لإصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولأن الناس في حال الشدة أضرع خدودا
وألين أعطافا وأرق أفئدة وقيل عاش فرعون أربعمائة سنة لم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة
ولو أصابه في تلك المدة وجع أو جوع أو حمى لما ادعى الربوبية فإذا جاءتهم الحسنة من الخصب و
الرخاء قالوا لنا هذه أي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها
في قولك الجل للفرس وإن تصبهم سيئة من ضيقة وجدب يطيروا بموسى ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءموا
ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه هذه من عندك
فإن قلت كيف قيل فإذا جاءتهم الحسنة بإذا وتعريف الحسنة وإن تصبهم سيئة بإن وتنكير السيئة
قلت لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة
ولا يقع إلا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت أيام البلاء فهل عددت أيام الرخاء طائرهم عند الله
أي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة
والسيئة وليس شؤم أحد ولا يمنه بسبب فيه كقوله قل كل من عند الله ويجوز أن يكون معناه ألا
إنما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لأجله ويعاقبون
له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله النار يعرضون عليها الآية ولا طائر أشأم من هذا وقرأ الحسن
إنما طيركم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند أبي الحسن هو تكسير
مهما هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمت إليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج أخرج

وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد

أينما تكونوا يدرككم الموت وإما نذهبن بك إلا أن الألف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين
وهو المذهب السديد البصري ومن الناس من زعم أن مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف
وما للجزاء كأنه قيل كف ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فإن قلت ما محل مهما
قلت الرفع بمعنى أي شيء تأتنا به أو النصب بمعنى أيما شيء تحضرنا تأتنا به ومن آية تبيين
لمهما والضميران في به وبها راجعان إلى مهما إلا أن أحدهما ذكر على اللفظ والثاني أنث على المعنى لأنه
في معنى الآية ونحوه قول زهير ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم
وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها في غير موضعها
ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني أعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية
في شيء ثم يذهب فيفسر مهما تأتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر وهذا وأمثاله
مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه فإن قلت كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها
قلت ما سموها آية لاعتقادهم أنها آية وإنما سموها اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك
الاستهزاء والتلهي الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل قيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك
أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر أحد أن يخرج من داره
وقيل أرسل الله عليهم الماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت
بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت بني إسرائيل قطرة وفاض
الماء على وجه أرضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة أيام وعن
أبي قلابة الطوفان الجدري وهو أول عذاب وقع فيهم فبقي في الأرض وقيل هو الموتان
وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا
فنبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد بمثله فأقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد فأكلت
عامة زروعهم وثمارهم ثم أكلت كل شيء حتى الأبواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني
إسرائيل منها شيء ففزعوا إلى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة أيام خرج موسى عليه السلام
إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد إلى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن
بتاركي ديننا فأقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول أبي عبيدة كبار القردان
وقيل الدبا وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس
فأكل ما أبقاه الجراد ولحس الأرض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل

والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز

احدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحا فلا يرد منها الا يسيرا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذت في ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلات منها آنيتهم واطعمتهم فلا يكشف احد شيئا من ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا اراد ان يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم فكان يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المراة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك فكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروي ان موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروي انه لما اراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم وقرا الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف آيات مفصلات نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا تشكل على عاقل انها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض بزمان تمتحن فيه احوالهم وينظر ايستقيمون على ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم بما عهد عندك ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء اما ان تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى اجل

الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر

هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجاؤا النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن كما كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم هو البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه بانهم كذبوا بآياتنا اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها القوم الذين كانوا يستضعفون هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه والارض ارض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤا في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق كلمة ربك الحسنى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الآية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة اولي الصبر وقرا عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور وما كانوا يعرشون من الجنات وهو الذي انشا جنات معروشات او وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بالكسر والضم وذكر اليزيدي ان الكسر افصح وبلغني انه قرا بعض الناس يغرسون من غرس الاشجار وما احسبه الا تصحيفا منه وهذا آخر ما اقتص الله من نبا فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبا بني اسرائيل وما احدثوه بعد انقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصفه ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول الله مما راى من بني اسرائيل بالمدينة وروي انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم وقرئ وجوزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جازه

اليزيدي هو محمد بن المبارك العدوي بصري يسكن بغداد وعرف باليزيدي لصحبته يزيد بن منصور خال المهدي قرا على ابي عمرو البصري واشتهر بروايته وتقدم على اصحابه ولما قام اليزيدي بقراءة ابي عمرو بعده اخذها عنه جماعة كثيرة منهم ابو عمر الدوري وابو شعيب السوسي والدور موضع ببغداد والسوس موضع بالاهواز وهما المشهوران بالرواية عن ابي عمرو رحمة الله عليهم اجمعين

لخم حي من اليمن ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهلية وقيل اللخم بالفتح قبيلة من مصر وبالضم ضرب من السمك

على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله
ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة

كقولك اعلاه وعلاه وعالاه وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها اجعل لنا الها صنما نعكف عليه
كما لهم آلهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي رضي الله عنه
ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها ولما تجف اقدامكم
انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق حيث
واكده لانه لا جهل اعظم مما رأى منهم ولا اشنع ان هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل متبر ما هم فيه مدمر
مكسر ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان رضاضا ويقال لكسار الذهب التبر اي يتبر الله و
يهدم دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم هذه ويتركها رضاضا وباطل ما كانوا يعملون
اي ما عملوا شيئا من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كان في زعمهم تقربا
الى الله كما قال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم
خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا
يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا اغير
الله ابغيكم الها اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين فعل بكم ما فعل دون غيركم من الاختصاص
بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار
والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله يسومونكم سوء العذاب يبغونكم
شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها فان قلت ما محل يسومونكم قلت هو استيناف
لا محل له ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين او من آل فرعون وذلكم اشارة الى الانجاء او الى العذاب
والبلاء النعمة او المحنة وقرئ يقتلون بالتخفيف روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر
ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون
سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلثين انكر خلوف فيه
فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله اليه
اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب من ريح المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرة ايام
من ذي الحجة لذلك وقيل امره الله بان يصوم ثلثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله ثم انزلت
عليه التوراة في العشر وكلم فيها ولقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصلها هاهنا
وميقات ربه ما وقت له من الوقت وضربه له واربعين ليلة نصب على الحال اي تم بالغا هذا
العدد وهارون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح

وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني

وكن مصلحا او اصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا
تطعه لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددناه ومعنى اللام الاختصاص فكانه قيل واختص مجيئه
بميقاتنا كما تقول اتيته لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق
الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح وروي ان موسى كان يسمع ذلك الكلام
من كل جهة وعن ابن عباس كلمه اربعين يوما واربعين ليلة وكتب له الالواح وقيل انما كلمه في اول
الاربعين ارني انظر اليك ثاني مفعولي ارني محذوف اي ارني نفسك انظر اليك فان قلت
الرؤية عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك قلت معنى ارني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك
بان تتجلى لي فانظر اليك واراك فان قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي لقوله
انظر اليك قلت لما قال ارني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الادراك علم ان الطلبة
هي الرؤية لا النظر الذي لا ادراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر الي فان قلت كيف
طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من اعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن
الرؤية التي هي ادراك ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض
فمحال ان يكون في جهة ومنع المجبرة احالته في العقول غير لازم لانه ليس باول مكابرتهم وارتكابهم
وكيف يكون طالبه وقد قال حين اخذت الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل السفهاء
منا الى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا قلت ما كان طلبه الرؤية
الا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا
الرؤية انكر عليهم واعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن
لك حتى نراه فاراد ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا و
ينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب ارني انظر اليك فان قلت فهلا قال ارهم
ينظروا اليك قلت لان الله سبحانه انما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام
رب العزة ارادوا ان يرى موسى ذاته فيبصروه معه كما اسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة
مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى ارني انظر اليك ولانه اذا زجر عما طلب وانكر عليه
في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له لن يكون ذلك كان غيره اولى بالانكار ولان
الرسول امام امته فكان ما يخاطب به ويخاطب راجعا اليهم وقوله انظر اليك وما فيه من
معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم

ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا

وجل صاحب الجمل ان يجعل الله منظورا اليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو اعرق في معرفة الله
من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين فان قلت
ما معنى لن قلت تاكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك ان لا تنفي المستقبل تقول لا افعل غدا
والمعنى ان فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الابصار
نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تاكيد وبيان لان المنفي مناف لصفاته فان قلت
كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله قلت اتصل به على معنى
ان النظر الي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو ان تنظر الى الجبل الذي يرجف بك
وبمن طلبت الرؤية لاجلهم كيف افعل به وكيف اجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم
ما اقدمت عليه بما اريك من عظم اثره كانه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند
نسبة الولد اليه في قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فان استقر مكانه كما كان مستقرا
ثابتا ذاهبا في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل
مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالارض وهذا الكلام مدمج بعضه في بعض وارد على اسلوب
عجيب ونمط بديع الا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد
بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية اعني قوله فان استقر مكانه
فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اي
مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء
والدكاء اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة او ارضا دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء
متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء اي مدها مستوية وقرأ
يحيى بن وثاب دكا اي قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا من هول ما رأى وصعق من باب
فعل يقال صعقته فصعق واصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه اذا ضربه
على رأسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه
فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة فلما افاق
من صعقته قال سبحانك انزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت اليك من طلب
الرؤية وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس فان قلت
فان كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب قلت من اجرائه تلك المقالة العظيمة

فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين

وان كان لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله فانظر الى اعظام الله امر الرؤية في هذه
الآية وكيف ارجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف اصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك
مبالغة في اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجئا اليه وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال
وانا اول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه
العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم
لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمري موكفه قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفه
وتفسير آخر وهو ان يريد بقوله ارني انظر اليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا كانها اراءة
في جلائها بآية مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق الى معرفتك انظر اليك اعرفك معرفة اضطرار
كاني انظر اليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة
جلية هي في الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلا واستوى قال لن تراني لن تطيق معرفتي على هذه
الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر الى الجبل فاني اورد عليه واظهر
له آية من تلك الآيات فان ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها
فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا
لعظم ما رأى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك مما اقترحت وتجاسرت وانا اول المؤمنين
بعظمتك وجلالك وان شيئا لا يقوم لبطشك وبأسك اصطفيتك على الناس اخترتك
على اهل زمانك وآثرتك عليهم برسالاتي وهي اسفار التوراة وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ
ما آتيتك ما اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي
من اجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطي التوراة يوم النحر فان قلت
كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله ونبيا قلت اجل ولكنه كان
تابعا له وردءا ووزيرا والكليم هو موسى والاصيل في حمل الرسالة ذكر وفي عدد الالواح
وفي جوهرها وطولها انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمردة
جاء بها جبريل وقيل من زبرجدة خضراء او ياقوتة حمراء وقيل امر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها
له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة
وان طولها كان عشرة اذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا
بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام

وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين سأصرف عن آياتي الذين
يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا

وقيل أنزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر
موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الألواح إني أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي
شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فإن من حلف باسمي كاذبا فلا أزكيه ولا تقتلوا
ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز أن يكون بدلا من
قوله فخذ ما آتيتك والضمير في فخذها للألواح أو لكل شيء لأنه في معنى الأشياء أو للرسالات
أو للتوراة ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل أولي العزم من الرسل يأخذوا بأحسنها أي فيها ما هو
حسن وأحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم أن يحملوا أنفسهم على الأخذ
بما هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم وقيل يأخذوا بما هو واجب
أو ندب لأنه أحسن من المباح ويجوز أن يراد يأخذوا بما أمروا به دون ما نهوا عنه على قولك
الصيف أحر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف أقفرت
منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل
عاد وثمود والقرون الذين أهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في أسفاركم وقيل دار الفاسقين
نار جهنم وقرأ الحسن سأوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال أورني كذا وأوريته ووجهه
أن يكون من أوريت الزند كأن المعنى بينه لي وأنره لأستبينه وقرئ سأورثكم وهي قراءة حسنة
يصححها قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون سأصرف عن آياتي بالطبع على قلوب
المتكبرين وخذلانهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم
وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه إذا عظمت أمتي الدنيا نزع عنها
هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل سأصرفهم
عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد فرعون أن يبطل آية موسى بأن جمع لها السحرة فأبى الله تعالى
إلا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها
سحرا بإهلاكهم وفيه إنذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا
يكونوا أمثالهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان أن يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين
لأن التكبر بالحق لله وحده وأن يكون صلة لفعل التكبر أي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من
دينهم وإن يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقرأ مالك بن دينار وإن يروا بالضم
وقرئ سبيل الرشد والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام وما أسفه من ركب المفازة

وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون واتخذ
قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في أيديهم

فإن رأى طريقا مستقيما أعرض عنه وتركه وإن رأى معتسفا مرديا أخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك
في دينه أسفه ذلك في محل الرفع أو النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم أو صرفهم الله ذلك
الصرف بسببه ولقاء الآخرة يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به أي ولقائهم الآخرة
ومشاهدتهم أحوالها ومن إضافة المصدر إلى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الآخرة من بعده
من بعد ذهابه إلى الطور فإن قلت لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري
قلت فيه وجهان أحدهما أن ينسب الفعل إليهم لأن رجلا منهم باشره ووجد فيما بين أظهرهم
كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا والقائل والفاعل واحد ولأنهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين
به فكأنهم أجمعوا عليه والثاني أن يراد واتخذوه إلها وعبدوه وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد
جمع حلي كثدي وثدي ومن حليهم بالكسر للإتباع كدلي ومن حليهم على التوحيد والحلي اسم ما
يتحسن به من الذهب والفضة فإن قلت لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم إنما كانت عواري
في أيديهم قلت الإضافة تكون بأدنى ملابسة وكونها عواري في أيديهم كفى به ملابسة على
أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم ألا ترى إلى قوله عز وعلا فأخرجناهم
من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل جسدا بدنا ذا لحم ودم
كسائر الأجساد والخوار صوت البقر قال الحسن إن السامري قبض قبضة من تراب من أثر فرس
جبرئيل يوم قطع البحر فقذفه في في العجل فكان عجلا له خوار وقرأ علي رضي الله عنه جؤار بالجيم
والهمزة من جأر إذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا ألم يروا حين اتخذوه إلها أنه لا
يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر
قبل أن تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق إلى سبيل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الأدلة
وبما أنزل في كتبه ثم ابتدأ فقال اتخذوه أي أقدموا على ما أقدموا عليه من الأمر المنكر وكانوا
ظالمين واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا أول مناكيرهم ولما سقط
في أيديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته
أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لأن فاه قد وقع فيها وسقط مسند إلى في أيديهم
وهو من باب الكناية وقرأ أبو السميفع سقط في أيديهم على تسمية الفاعل أي وقع العض فيها وقال
الزجاج معناه سقط الندم في أيديهم أي في قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وإن
كان محالا أن يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين ورأوا

وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام

انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبينا كانهم ابصروه بعيونهم وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء
وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحواء عليهما السلام وان لم تغفر لنا وترحمنا
اسفا الشديد الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين خلفتموني قمتم مقامي
وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه او لوجوه
بني اسرائيل وهم هارون عليه السلام والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني
حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله او حيث لم تكفوا من عبد غير الله فان قلت اين ما يقتضيه
بئس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم
محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم فان قلت اي معنى لقوله من بعدي
بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد ما رايتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص
العبادة له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من
عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف
من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف اي من بعد اولئك الموصوفين بالصفات
الحميدة يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن
معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى
حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ آخره ولم ارجع اليكم
فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري قال لهم حين
اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا
عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا والقى الالواح وطرحها لما لحقه
من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان
في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من
موسى وروي ان التوراة كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة
اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة واخذ براس
اخيه اي بشعر راسه يجره اليه بذوائبه وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه
وذهب بفطنته وظنا باخيه انه فرط في الكف ابن ام قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر
على طرح ياء الاضافة والاصل ابن امي بالياء وابن ام بكسر الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح

ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ولما سكت عن موسى الغضب

فانما اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم
للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد
فذكره بحقها ان القوم استضعفوني يعني انه لم آل جهدا في كفهم بالوعظ والانذار وبما بلغته
طاقتي من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروني واستضعفوني ولم يبق الا ان يقتلوني فلا تشمت بي
الاعداء فلا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي وقرئ فلا تشمت بي الاعداء على
نهي الاعداء عن الشماتة والمراد ان لا تحل بي ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا
تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا او ولا تعتقد اني واحد من الظالمين
مع براءتي منهم ومن ظلمهم لما اعتذر اليه اخوه وذكر له شماتة الاعداء قال رب اغفر لي ولاخي
ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه
الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما
في الدنيا والآخرة غضب من ربهم وذلة الغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة خروجهم من
ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال ابناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله
بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية المفترين المكذبين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري
هذا الهكم واله موسى ويجوز ان يتعلق في الحياة الدنيا بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب
في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله والذين
عملوا السيئات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها الى الله واعتذروا اليه وآمنوا
واخلصوا الايمان ان ربك من بعدها من بعد تلك العظائم لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم
رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذوا العجل ومن عداهم عظم جنايتهم اولا
ثم اردفها تعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اعظم واجل ولكن
لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والانابة وما وراءه طمع فارغ واشعبية باردة لا يلتفت
اليها حازم ولما سكت عن موسى الغضب هذا مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل
لقومك كذا والق الالواح وجر براس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن
هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة
والا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة
وطرفا من تلك الروعة وقرئ ولما سكت واسكت اي اسكته الله او اخوه باعتذاره اليه وتنصله

واخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم
من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا
حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك

والمعنى ولما طفى غضبه اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ منها اي كتب والنسخة فعلة
بمعنى مفعول كالخطبة لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول لان تاخر الفعل عن مفعوله
يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت واختار موسى قومه اي من قومه فحذف
الجار واوصل الفعل كقوله منا الذي اختير الرجال سماحة قيل اختار من اثني عشر سبطا من
كل سبط ستة حتى تتاموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم
مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان
تختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا
الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبا فامرهم موسى ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم
ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات ربه وكان امره ربه ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما دنا
موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا
فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل
ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب ارني انظر اليك يريد ان يسمعوا الرد والانكار من جهته
فاجيب بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا ولما كانت الرجفة قال موسى رب لو شئت
اهلكتهم من قبل واياي وهذا تمن منه للاهلاك قبل ان يرى ما راى من تبعة طلب الرؤية كما
يقول النادم على الامر اذا راى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكني قبل هذا اتهلكنا بما فعل
السفهاء منا يعني اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم
طلبوها سفها وجهلا ان هي الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا
بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء
تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل
ذلك اضلالا من الله وهدى منه لان محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم
بها وهداهم على الاتساع في الكلام انت ولينا مولانا القائم بامورنا واكتب لنا واثبت لنا و
اقسم في هذه الدنيا حسنة عافية وحياة طيبة او توفيقا في الطاعة وفي الآخرة الجنة هدنا
اليك تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم
يا راكب الذنب هدهد واسجد كانك هدهد وقرا ابو وجزة السعدي هدنا اليك

قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت
عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون

بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وامال ويحتمل امرين ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى حركنا اليك
انفسنا وامِلنا بها او حُرِّكنا اليك وامِلنا على تقدير فُعلنا كقولك عُدت يا مريض بكسر العين فعلت من
العيادة ويجوز عِدت بالاشمام وعُدت باخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على
هذه اللغة ان يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده عذابي من حاله وصفته اني اصيب به من
اشاء اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة واما رحمتي
فمن حالها وصفتها انها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب
في نعمتي وقرا الحسن من اساء من الاساءة فساكتبها هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين
يكونون في آخر الزمان من امة محمد صلى الله عليه الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون
بشيء منها الذين يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتابا مختصا به وهو القرآن النبي صاحب المعجزات
الذي يجدونه يجد نعته اولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل
ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها او ما طاب في الشريعة
والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث
من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم كالربوا والرشوة وغيرهما
من المكاسب الخبيثة الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل
لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم وكذلك الاغلال مثل لما كان
في شرائعهم من الاشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان او خطأ من غير شرع الدية وقطع
الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم
وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم
وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة
وقرئ آصارهم على الجمع وعزروه ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف واصل العزر
المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح الا ترى الى تسميته الحد والحد هو
المنع والنور القرآن فان قلت ما معنى قوله انزل معه وانما انزل مع جبريل قلت معناه
انزل مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به ويجوز ان يعلق باتبعوا اي واتبعوا
القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين
له في اتباعه فان قلت كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه قلت لما دعا

قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون

لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله وعلى
كفرهم بآيات الله العظام التي اجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون
واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول الله وما جاء به كعبد الله بن سلام
وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح وفي ان يحشروا معهم
ولا يفرق بينهم وبين اعقابهم عن رحمة الله التي وسعت كل شيء اني رسول الله اليكم جميعا قيل بعث
كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه الى كافة الانس وكافة الجن وجميعا نصب
على الحال من اليكم فان قلت الذي له ملك السموات والارض ما محله قلت الاحسن ان يكون
منتصبا باضمار اعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز ان يكون جرا على الوصف وان
حيل بين الصفة والموصوف بقوله جميعا وقوله لا اله الا هو بدل من الصلة التي هي له ملك
السموات والارض وكذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان
هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على الاحياء
والاماتة غيره وكلماته وما انزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته
على الافراد وهي القرآن او اراد جنس ما كلم به وعن مجاهد اراد عيسى بن مريم وقيل هي الكلمة
التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وانما قيل ان عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لانه
لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى لعلكم تهتدون ارادة ان تهتدوا فان قلت
هلا قيل فآمنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم قلت عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر
لتجري عليه الصفات التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم
ان الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي يؤمن
بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه ومن
قوم موسى امة هم المؤمنون التائبون من بني اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا
حتى اقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين
يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم
لا يجورون واراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي صلى الله عليه وآمن به من اعقابهم وقيل ان
بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا
وسألوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى

وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون واذ قيل لهم اسكنوا

خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه ان
جبريل ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد
النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه مني
السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت
فريضة غير الصلاة والزكاة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا
السبت وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل اني منهم فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من
المؤمنين وهل يزيد صلحاؤكم عليهم شيئا من يهدي بالحق وبه يعدل وقيل لو كان في طرف من الدنيا متمسكين
بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر بشريعة
محمد صلى الله عليه الى كل افق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل
ولا بر ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملأ به مسامعهم والزمهم به الحجة
وهو سائلهم عنه يوم القيامة وقطعناهم وصيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة
الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف اثنتي عشرة اسباطا كقولك اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من
ولد يعقوب عليه السلام فان قلت مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا
قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط
لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة ونظيره بين رماحي مالك ونهشل واسباطا بدل من اثنتي عشرة
بمعنى وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة
كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين فانبجست فانفجرت
والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج وكيف غربي دالج تبجسا فان قلت
هلا قيل فضرب فانبجست قلت لعدم الالباس وليجعل الانبجاس مسببا عن الايحاء بضرب الحجر
للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك بحيث لا حاجة الى
الافصاح به وقوله كل اناس نظير قوله اثنتي عشرة اسباطا يريد كل امة من تلك الامم الثنتي عشرة
والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتوام واخوات لها ويجوز ان يقال ان الاصل الكسر
والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت في نحو سكارى وغيارى من الفتحة وظللنا عليهم
الغمام وجعلنا ظليلا عليهم في التيه وكلوا على ارادة القول وما ظلمونا وما رجع الينا ضرر
ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم واذ قيل لهم واذكر اذ قيل لهم

بهذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا

والقرية بيت المقدس **فان قلت** كيف اختلفت العبارة هاهنا وفي سورة البقرة **قلت** لا باس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية فكلوا منها وبين قوله فكلوا لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للاكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسوا قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد وقرئ نغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم وخطيئتكم على البناء للمفعول وسلهم وسل اليهود وقرئ واسألهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم انه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك اعدوتم في السبت والقرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن ابي عمرو بن العلاء ما رايت قرويين افصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن حاضرة البحر قريبة منه راكبة لشاطئه اذ يعدون في السبت اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون ادغمت التاء في الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون من الاعداد وكانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم مامورون بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون وقراءة عمر بن عبد العزيز ويوم اسباتهم وقرئ لا يسبتون بضم الباء وقرا علي رضي الله عنه لا يسبتون بضم الياء من اسبتوا وعن الحسن لا يسبتون على البناء للمفعول اي لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بان يسبتوا **فان قلت** اذ يعدون واذ تاتيهم ما محلهما من الاعراب **قلت** اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد باهل القرية اهلها كانه قيل وسلهم عن اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة واما الثاني فمنصوب بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء

ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء

وعن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا وشرعت على فلان في بيته فرايته يفعل كذا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم واذ قالت معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب امة منهم جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا لتماديهم في الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا ابلاء عذر الى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر الى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب اي وعظناهم معذرة الى ربكم او اعتذرنا معذرة فلما نسوا يعني اهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الظالمين الراكبين للمنكر **فان قلت** الامة الذين قالوا لم تعظون من اي الفريقين هم امن فريق الناجين ام المعذبين **قلت** من فريق الناجين لانهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي حال المنهي وان النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهي بك واما الآخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان ياسهم لم يستحكم كما استحكم ياس الاولين ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس انه قال ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان وروي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كانها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وياخذونها يوم الاحد

يمكس بالكسر مكسا وماكس مماكسة ومكاسا والمكس انقا[illegible] الجناية اي الخراج والماكس العشار وفي الحديث لا يدخل صاحب مكس الجنة والمكس ما يأخذه العشار

واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم
سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون

واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح
السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين
فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل
القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم اصحاب
الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب
ولعنهم داود عليه السلم فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان
للناس شأنا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود
انسباءها من الانس والانس لا يعرفون انسباءهم من القرود فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه
ويبكي فيقول الم ننهكم فيقول براسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن
اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الآخرة هاه وايم
الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة
ادهى وامر بئيس شديد يقال بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد فهو بئيس وقرئ بيئس بوزن فيعل وبئس بوزن حذر
وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء كما يقال كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب
في ذئب وبيئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيس بوزن ريس على قلب همزة بيئس ياء وادغام الياء فيها وبيس
على تخفيف بيس كهين في هين وبائس على فاعل فلما عتوا عما نهوا فلما تكبروا واعرضوا عن ترك ما نهوا عنه كقوله
وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة عبارة عن مسخهم قردة كقوله انما امره اذا اراد شيئا
ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما
عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ تأذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الايذان
وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم
الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه
ليبعثن على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى ان
بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى آخر الدهر ومعنى ليبعثن
عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم
فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين آمنوا منهم بالمدينة او الذين وراء
الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة فان قلت

ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا
وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون

ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه
وما منا الا له مقام معلوم بمعنى وما منا احد الا له مقام معلوم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم
ينتهون فينيبون فخلف من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله ورثوا الكتاب التوراة
بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون
بها يأخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا
الادنى تخسيس وتحقير والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من دنو الحال وسقوطها
وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون
سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا والفاعل سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز ان يكون الاخذ
الذي هو مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون
عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر لا غفران له الم يؤخذ
عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التوراة من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر الا بالتوبة ودرسوا
ما فيه في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه
كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه الله يأتي على الناس زمان ان قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا
لم نشرك بالله شيئا كل امرهم الى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الامة اشباه الذين
ذكرهم الله وتلا الآية والدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى ومحارم
الله وقرئ ورّثوا الكتاب وان لا تقولوا بالتاء وادّارسوا بمعنى تدارسوا وافلا تعقلون بالتاء والياء
فان قلت ما موقع قوله ان لا يقولوا على الله الا الحق قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى
ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب
وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق وان فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان ان لا يقولوا مفعولا
له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا تقولوا نهيا كأنه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على
الله الا الحق فان قلت علام عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت على الم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكأنه
قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والذين يمسكون بالكتاب فيه وجهان احدهما ان يكون
مرفوعا بالابتداء وخبره انا لا نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين في معنى الذين
يمسكون بالكتاب كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا والثاني ان
يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون ويكون قوله انا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسكون بالتشديد ويمسكون

الم ننهكم جمع عن نسخة جار الله

طعام وخيم غير مرئ

قوله بوزن ريس قال في الصحاح رأس فلان القوم يرأس رياسة وهو رئيسهم ويقال ايضا ريس مثال قيم وهو الذي يرأس

اى قضى وحتم وقطع ومنه لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اى لم تقطعه بالنية الا ترى الى قوله لمن لم يبيت الصيام

والذين يمسكون الكتاب واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل

قراءة أبيّ والذين مسّكوا بالكتاب **فإن قلت** التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها إقامة الصلاة
فكيف أفردت **قلت** إظهارًا لمزية الصلاة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والإيمان وقرأ ابن
مسعود والذين استمسكوا بالكتاب وإذ نتقنا الجبل فوقهم قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور
ومنه نتق السقاء إذا نفضه ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب وقرئ
بالطاء من أطل عليه إذا أشرف وظنوا أنه واقع بهم وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا
أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخًا في
فرسخ وقيل لهم إن قبلتموها بما فيها وإلا ليقعنّ عليكم فلما نظروا إلى الجبل خرّ كل رجل منهم ساجدًا
على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقًا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديًا يسجد إلا
على حاجبه الأيسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الألواح وفيها كتاب
الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فلذلك لا ترى يهوديًا يقرأ عليه التوراة إلا اهتز وأنغض
لها رأسه خذوا ما آتيناكم على إرادة القول أي وقلنا خذوا ما آتيناكم أو قائلين خذوا ما آتيناكم
من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الأوامر والنواهي ولا تنسوه
أو واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه ويجوز أن يراد خذوا ما آتيناكم من
الآية العظيمة بقوة إن كنتم تطيقونه كقوله إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا
واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة والإنذار لعلكم تتقون ما أنتم عليه وقرأ ابن مسعود
وتذكّروا وقرئ واذّكروا بمعنى وتذكروا من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى أخذ
ذرياتهم من ظهورهم إخراجهم من أصلابهم نسلا وإشهادهم على أنفسهم وقوله ألست بربكم وقالوا بلى شهدنا
من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم
وبصائرهم التي ركّبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقرّرهم وقال
لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع
في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وعلا إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن
فيكون فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين وقوله إذ قالت الأنساع للبطن الحق
قالت له ريح الصبا قرقار ومعلوم أنه لا قول ثمّ وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى أن تقولوا مفعول
له أي فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة أن تقولوا يوم القيامة إنا
كنا عن هذا غافلين لم ننبّه عليه أو كراهة أن تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم

وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون

فاقتدينا بهم لأن نصب الأدلة على التوحيد وما نبّهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الإعراض عنه والإقبال
على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم **فإن قلت**
بنو آدم وذرياتهم من هم **قلت** عنى ببني آدم أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن
الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله من أخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على أنها في المشركين
وأولادهم قوله أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل والدليل على أنها في اليهود الآيات التي عطفت عليها
هي والتي عطفت عليها هي على نمطها وأسلوبها وذلك قوله وسئلهم عن القرية التي إذ قالت أمة منهم
وإذ تأذن ربك وإذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا أفتهلكنا بما فعل المبطلون
أي كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل
البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وإرادة أن يرجعوا عن شركهم نفصلها وقرئ ذريتهم على
التوحيد وأن يقولوا بالياء واتل عليهم على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها هو عالم من علماء بني
إسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بأن كفر بها
ونبذها وراء ظهره فأتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينًا له أو فأتبعه خطواته و
قرئ فاتّبعه بمعنى فتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على
موسى ومن معه فأبى وقال كيف أدعو على من معه الملائكة فألحّوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا
لرفعناه بها لعظمناه ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات ولكنه أخلد إلى الأرض مال إلى
الدنيا ورغب فيها وقيل مال إلى السفالة **فإن قلت** كيف علّق رفعه بمشيئة الله ولم يعلّق بفعله الذي
يستحق به الرفع **قلت** المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك أن مشيئة الله
رفعه تابعة للزومه فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه
بها الا ترى إلى قوله ولكنه أخلد إلى الأرض فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي هو فعله فوجب أن يكون
ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب أن يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ فمثله
كمثل الكلب فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في أخس أحواله وأذلها وهي حال دوام
اللهث واتصاله حمل عليه أي شدّ عليه وهيّج فطرد أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك أن سائر
الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا هيّج منه وحرّك وإلا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعًا
وكان حق الكلام أن يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا حططناه ووضعنا منزلته
فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه أبلغ حط لأن تمثيله بالكلب في أخس أحواله وأذلها

ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ولقد ذرانا لجهنم من الجن والانس لهم
قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها

فى معنى ذلك وعن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم تحمل عليه وقيل معناه ان وعظته
فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته فسعى لهث وان تركته على حاله لهث فان قلت
ما محل الجملة الشرطية قلت النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين
وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين
كذبوا بآياتنا من اليهود بعد ما قرأوا نعت رسول الله في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا
الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص القصص القصص الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون
فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك علمته من جهة الوحي
فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم ساء مثلا القوم اي مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم
وقرأ الجحدري ساء مثل القوم وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز
الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا عن الصلة
بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم
لم يتعدها الى غيرها فهو المهتدي حمل على اللفظ واولئك هم الخاسرون حمل على المعنى كثيرا من الجن
والانس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم وجعلهم في انهم لا يلقون اذهانهم الى
معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله
سماع تدبر كانهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لاغراقهم في الكفر
وشدة شكائمهم فيه وانه لا يأتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات
وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه الى خالد بن الوليد بلغني ان اهل الشام اتخذوا
لك دلوكا عجن بخمر واني لاظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الامور ما خلق
فلان الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب رسول الله مع علمهم انه النبي
الموعود وانهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الايمان يتأتى منهم كانهم خلقوا للنار اولئك كالانعام
في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم اضل من الانعام عن الفقه والاعتبار
والتدبر اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم
بعض ما تبصره وهؤلاء اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار ولله الاسماء الحسنى التي هي احسن
الاسماء لانها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء
وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه

وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم
ان كيدي متين اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم

بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض
الوجه يا نخي او ان يأبوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى نحو ان يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ويجوز ان يراد لله الاوصاف الحسنى
وهي الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون
في اوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل
الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز لما قال ولقد
ذرانا لجهنم كثيرا فاخبر ان كثيرا من الثقلين عاملون باعمال اهل النار اتبعه قوله وممن خلقنا امة
يهدون بالحق وعن النبي صلى الله عليه انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم
مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن
الكلبي هم الذين آمنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين الاستدراج استفعال من
الدرجة بمعنى الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة قال الاعشى فلو كنت في جب ثمانين قامة
ورقيت اسباب السماء بسلم ⁂ ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم اني عنكم غير مفحم
ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم مات بعضهم
في اثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث
لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا
بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة
من الله وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ بالله منه واملي لهم
عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين ان كيدي متين سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من
حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان ما بصاحبهم بمحمد صلى الله عليه من جنة من
جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه علا الصفا فدعاهم فخذا
فخذا يحذرهم باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون بات يهوت الى الصباح اولم
ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض فيما تدلان عليه من عظم الملك والملكوت
الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس لا يحصرها العدد ولا
يحيط بها الوصف وان عسى ان مخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى على ان الضمير ضمير الشان والمعنى
اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا

لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم
فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم
ثم كيدون فلا تنظرون

دعوا الله ربهما مالك أمرهما الذي هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ إليه فقالا لئن آتيتنا صالحا لئن وهبت لنا ولدا سويا قد صلح بدنه وقيل ولدا ذكرا لأن الذكورة من الصلاح والجودة والضمير في آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما آتاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء أي جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكذلك فيما آتاهما أي آتى أولادهما وقد دل على ذلك بقوله فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس وما أشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله وهم آل قصي ألا ترى إلى قوله في قصة أم معبد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فخار لا يبارى وسؤدد
ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا التفسير حسن لا إشكال فيه وقرئ شركا أي ذوي شرك وهم الشركاء أو أحدثا لله إشراكا في الولد أيشركون الأصنام مجرى أولي العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم إياها آلهة والمعنى أيشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون لأن الله خالقهم أو لا يقدر على اختلاق شيء لأنه جماد وهم يخلقون لأن عبدتهم يختلقونهم فهم أعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم وإن تدعوهم وإن تدعوا هذه الأصنام إلى الهدى أي إلى ما هو هدى ورشاد وإلى أن يهدوكم والمعنى وإن تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم إلى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون عن دعائهم في أنه لا فلاح معهم
فإن قلت هلا قيل أم صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية قلت لأنهم كانوا إذا حزبهم أمر دعوا الله دون أصنامهم كقوله وإذا مس الناس ضر فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل إن دعوتموهم لم يفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم إن الذين تدعون أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عباد أمثالكم وقوله عباد أمثالكم استهزاء بهم أي قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء فإن ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم لا تفاضل بينكم ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالهم فقال ألهم أرجل يمشون بها وقيل عباد أمثالكم مملوكون أمثالكم وقرأ سعيد بن جبير إن الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم بتخفيف إن ونصب عبادا أمثالكم والمعنى إن الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم على إعمال إن النافية عمل ما الحجازية قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعا أنتم وشركاؤكم فلا تنظرون فإني

إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا
وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم إن الذين
اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون

لا أبالي بكم ولا يقول هذا إلا واثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال لهم إني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون إن وليي الله ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب الذي أوحى إلي كتابه وأعزني برسالته وهو يتولى الصالحين ومن عادته أن ينصر الصالحين من عباده وأنبيائه ولا يخذلهم ينظرون إليك يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر إليه وهم لا يبصرون وهم لا يدركون المرئي خذ العفو ضد الجهد أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا قال
خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضب
وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة فلما نزلت أمر أن يأخذهم بها طوعا أو كرها والعرف المعروف والجميل من الأفعال وأعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم وأغض على ما يسوءك منهم وقيل لما نزلت الآية سأل جبريل فقال لا أدري حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد إن ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها وإما ينزغنك من الشيطان نزغ وإما ينخسنك منه نخس بأن يحملك بوسوسته على خلاف ما أمرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ والغرز والنخس كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروي أنها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه كيف يا رب والغضب فنزل وإما ينزغنك ويجوز أن يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول أبي بكر رضي الله عنه إن لي شيطانا يعتريني طيف من الشيطان لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال
أنى ألم بك الخيال يطيف
أو هو تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف كلين أو من طاف يطوف كهين وقرئ طائف وهو يحتمل الأمرين أيضا وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وأن المتقين هذه عادتهم إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان وإلمام بوسوسته تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه فأبصروا السداد ودفعوا ما وسوس به إليهم ولم يتبعوه أنفسهم وأما إخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فإن الشياطين يمدونهم في الغي أي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم وقرئ يمدونهم من

فبأي حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها

إلى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الأجل وحلول العقاب ويجوز أن يراد باقتراب الأجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشأن فإن قلت ثم يتعلق قوله فبأي حديث بعده يؤمنون قلت بقوله عسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا ويذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله لا يهده أحد ويذرهم يسألونك قيل إن قوما من اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا فإنا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم أن الله قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا وتسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها أو لأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق أيان بمعنى متى قيل اشتقاقه من أي فعلان منه لأن معناه أي وقت وأي فعل من أويت إليه لأن البعض آو إلى الكل متساند إليه قاله ابن جني وأبى أن يكون من أين لأنه زمان وأين مكان وقرأ السلمي إيان بكسر الهمزة مرساها إرساؤها أي وقت إرسائها أي إثباتها وإقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة والمرسى الأنجر الذي ترسى به ولا أثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والأرض والمعنى متى يرسيها الله إنما علمها أي علم وقت إرسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل بكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعاصي كما أخفى الأجل الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها إلا هو أي لا تزال خفية لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها إلا هو وحده إذا جاء بها في وقتها بغتة لا تجليها بالخبر عنها قبل مجيئها أحد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره إلى وقت وقوعها ثقلت في السموات والأرض أي كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة ويتمنى أن يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه أو ثقلت فيها لأن أهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها وأهوالها أو لأن كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها لا تأتيكم إلا بغتة إلا فجأة على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه كأنك حفي عنها كأنك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ في السؤال عنها لأن من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه إحفاء الشارب واحتفاء البقل استئصاله وأحفى في المسألة إذا ألحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود كأنك حفي بها أي عالم بها بليغ

قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما

في العلم بها وقيل عنها متعلق بيسألونك أي يسألونك عنها كأنك حفي أي عالم بها وقيل إن قريشا قالوا إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتخصهم بتعليم وقتها لأجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو أخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله في إخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما أوحي إليك وقيل كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعني أنك تكره السؤال عنها لأنه من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته أحدا من خلقه فإن قلت لم كرر يسألونك وإنما علمها عند الله قلت للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كأنك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه العالم بها وأنه المختص بالعلم بها قل لا أملك هو إظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب أي أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك والعبيد إلا ما شاء ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني ولو كنت أعلم الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم أكن غالبا مرة ومغلوبا أخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير إن أنا إلا عبد أرسلت نذيرا وبشيرا وما من شأني أن أعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز أن يتعلق بالنذير والبشير جميعا لأن النذارة والبشارة إنما تنفعان فيهم أو يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا أي إلا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون من نفس واحدة وهي نفس آدم وجعل منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه أو من جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ليسكن إليها ليطمئن إليها ويميل ولا ينفر لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه آنس وإذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة أبلغ كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعد ما أنث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا إلى معنى النفس ليبين أن المراد بها آدم ولأن الذكر هو الذي يسكن إلى الأنثى ويتغشاها فكان التذكير أحسن طباقا للمعنى والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والإتيان حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والأذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان أخفه على كبدي حين حملته فمرت به فمضت به إلى وقت ميلاده من غير إخداج ولا إزلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فمارت به من المرية كقوله أفتمارونه وأفتمرونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما أثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك أقربت وقرئ أثقلت على البناء للمفعول أي أثقلها حملها دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء

واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون

الامداد ويمادونهم بمعنى يعينونهم ويمدونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها

في ان الخبر جار على غير ما هو له ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا فان قلت لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد قلت المراد به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه او جبى اليه فاجتباه اي اخذه كقولك جليت الى العروس فاجتلاها ومعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى الي ولست بمفتعل للآيات او لست بمقترح لها هذا بصائر هذا القرآن بصائر من ربكم اي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى او هو بمنزلة بصائر القلوب واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في صلاة وغير صلاة وقيل كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلاة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل معناه واذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه واذكر ربك في نفسك هو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والايصال من آصل اذا دخل في الاصيل كاقصر واعتم وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه ان الذين عند ربك هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة الله وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته وله يسجدون ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول

سورة الانفال مدنية وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال لسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعي رضي الله عنه في احد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسالوا رسول الله كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها اللمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وقرأ ابن محيصن يسئلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام وقرأ ابن مسعود يسئلونك الانفال اي يسالك الشبان ما شرطت لهم من الانفال فان قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الانفال لله والرسول قلت معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله وامر به رسوله

فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا

أن نواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فإنهم إن فعلوا لم يؤمن أن يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحابين متآخين في الله وأصلحوا ذات بينكم وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الإصلاح بينهم أن دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد أكلنا وأنفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض فإن قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم قلت أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا إنائك يريدون ما في الإناء من الشراب وقد جعل التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الإيمان وموجباته ليعلمهم أن كمال الإيمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله إن كنتم مؤمنين إن كنتم كاملي الإيمان واللام في قوله إنما المؤمنون إشارة إليهم أي إنما الكاملو الإيمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله أولئك هم المؤمنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن أم الدرداء الوجل في القلب كإحراق السعفة أما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فإن الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله لأن ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت زادتهم إيمانا ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لأن تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن أبي هريرة الإيمان سبع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان وعن عمر بن عبد العزيز إن للإيمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون أمورهم إلى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون إلا إياه جمع بين أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلوة والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف أي أولئك هم المؤمنون إيمانا حقا أو هو مصدر مؤكد للجملة التي هي أولئك هم المؤمنون

لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق

كقولك هو عبد الله حقا أي حق ذلك حقا وعن الحسن أن رجلا سأله أمؤمن أنت قال الإيمان إيمانان فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وإن كنت تسألني عن قوله إنما المؤمنون فوالله لا أدري أمنهم أنا أم لا وعن الثوري من زعم أنه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا إلزام منه يعني كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الإيمان وكان أبو حنيفة ممن لا يستثني فيه وحكي عنه أنه قال لقتادة لم تستثني في إيمانك قال اتباعا لإبراهيم في قوله والذي أطمع أن يغفر لي فقال له هلا اقتديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى درجات شرف وكرامة وعلو منزلة ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب كما أخرجك ربك فيه وجهان أحدهما أن يرتفع محل الكاف على أنه خبر مبتدإ محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك يعني أن حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني أن ينتصب على أنه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الأنفال لله والرسول أي الأنفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون من بيتك يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لأنها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق أي إخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه وإن فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال أي أخرجك في حال كراهتهم وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فأخبر جبرئيل رسول الله فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لأخيها إني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال أبو جهل ما يرضى رجالهم أن يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير في المثل السائر

لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة
فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف
ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم
الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبرئيل فقال يا محمد
ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه
اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب
اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله ثم ردد
عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك
بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما
فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين
ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك
الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك
فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت
عين منا تطرف فضحك رسول الله ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار
لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا
وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه
يتخوف ان لا يكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن
معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا
ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض
يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه
معك وما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق
عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله
ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى
الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله حين فرغ من بدر
عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه لم

وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعدما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون

قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله
وان فريقا من المؤمنين والحق الذي جادلوا فيه رسول الله تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي
العير بعدما تبين بعد اعلام رسول الله بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا
للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم في فرط
فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار
الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة
العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان فيهم الا فارسان اذ منصوب باضمار
اذكر وانها لكم بدل من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة
العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة
الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شاك السلاح
اي تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون
الطائفة الاخرى ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته باياته المنزلة في محاربة ذات
الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب
بدر والدابر الآخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة
عن الاستيصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور وان لا تلقوا
ما يرزؤكم في ابدانكم واحوالكم والله عز وعلا يريد معالي الامور وما يرجع الى عمارة
الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك
اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم و
اذلهم وحصل لكم ما لا تعارض ادناه العير وما فيها وقوى بكلمته على التوحيد فان قلت
بم تعلق قوله ليحق الحق قلت بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله
الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه فان قلت اليس هذا تكريرا
قلت لا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه
فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وانه ما نصرهم ولا خذل اولئك
الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف متأخرا حتى
يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع فان قلت بم تعلق اذ تستغيثون

إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين

قلت هو بدل من إذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون أي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر فألقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك أني ممدكم أصله بأني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن أبي عمرو أنه قرأ إني ممدكم بالكسر على إرادة القول أو على إجراء استجاب مجرى قال لأن الاستجابة من القول فإن قلت هل قاتلت الملائكة يوم بدر قلت اختلف فيه فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن أبي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الأحزاب ويوم حنين وعن أبي جهل أنه قال لابن مسعود من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال أبو جهل هم غلبونا لا أنتم وروي أن رجلا من المسلمين بينا هو يشتد في إثر رجل من المشركين إذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر إلى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الأنصاري رسول الله فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن أبي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لأضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين وإلا فملك واحد كاف في إهلاك أهل الدنيا كلهم فإن جبريل أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط وأهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه إذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذي تستعجلون بمعنى ردفكم وأردفته إياه إذا أتبعته ويقال أردفته كقولك أتبعته إذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من أن يكون بمعنى متبعين أو متبعين فإن كان بمعنى متبعين فلا يخلو من أن يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا أو متبعين بعضهم لبعض أو بمعنى متبعين إياهم المؤمنين يتقدمونهم فيتبعونهم أنفسهم أو متبعين لهم يشيعونهم ويتقدمونهم بين أيديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على أعينهم وحفظهم

وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم إذ يغشاكم النعاس أمنة منه

أو بمعنى متبعين أنفسهم ملائكة آخرين أو متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين أو متبعين وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال وأصله مرتدفين أي مترادفين أو متبعين من ارتدفه فأدغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الأصل أو على إتباع الدال وبالضم على إتباع الميم وعن السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران فإن قلت فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بإرداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم قلت بأن المراد بالألف من قاتل منهم أو الوجوه منهم الذين من سواهم أتباع لهم فإن قلت إلام يرجع الضمير في وما جعله قلت إلى قوله أني ممدكم لأن المعنى فاستجاب لكم بإمدادكم فإن قلت ففيمن قرأ بالكسر قلت إلى قوله إني ممدكم لأنه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز أن يرجع إلى الإمداد الذي يدل عليه ممدكم إلا بشرى إلا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني إسرائيل يعني أنكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر إلا من عند الله يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فإن الناصر هو الله لكم وللملائكة أو وما النصر بالملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله والمنصور من نصره الله إذ يغشاكم بدل ثان من إذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو بما في من عند الله من معنى الفعل أو بما جعله الله أو بإضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وأمنة مفعول له فإن قلت أما وجب أن يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب أمنة على أن النعاس والأمنة لهم والمعنى إذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا أي لأمنكم ومنه صفة لها أي أمنة حاصلة لكم من الله فإن قلت فعلى غير هذه القراءة قلت يجوز أن تكون الأمنة بمعنى الإيمان أي ينعسكم إيمانا منه أو على يغشيكم النعاس فتنعسون أمنا فإن قلت هل يجوز أن ينتصب على أن الأمنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم أي يغشاكم النعاس لأمنه على أن إسناد الأمن إلى النعاس إسناد مجازي وهو لأصحاب النعاس على الحقيقة أو على أنه أنامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف أن لا يقدم على غشيانكم وإنما غشيكم أمنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة

وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب

التمثيل والتخييل قلت لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد ألمّ به من قال
يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفّار شرود وقرئ امنة بسكون الميم ونظير
امن امنة حيي حيوة ونحو امن امنة رحم رحمة والمعنى ان ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم
من النوم فلما طامن الله قلوبهم وآمنهم رقدوا وعن ابن عباس النعاس في القتال امنة من
الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان وينزل قرئ بالتخفيف والتثقيل وقرأ الشعبي
ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جرّه فكأنه قال ما للطهور
ورجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من
تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى
الماء ونزل المؤمنون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم
فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة
وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش
فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا
حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا
وتوضأوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت
وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز ان يكون للربط لان القلب
اذا تمكن فيه الصبر والجراءة ثبت القدم في مواطن القتال اذ يوحي يجوز ان يكون
بدلا ثانيا من اذ يعدكم وان ينتصب بيثبت اني معكم مفعول يوحي وقرئ اني بالكسر
على ارادة القول او على اجراء يوحي مجرى يقول كقوله اني ممدكم والمعنى اني معكم على
التثبيت فثبتوهم وقوله سألقي فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا
ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم
واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان يخطروا
ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون
به انهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي
فيقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين

فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار

ويقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وقرئ الرعب
بالتثقيل فوق الاعناق اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل فكان
ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤوس وقيل اراد الرؤوس لانها فوق الاعناق
يعني ضرب الهام قال: واضرب هامة البطل المشيح :: غشيته وهو في جأواء باسلة
عضبا اصاب سواء الراس فانفلقا :: والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى
فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم بان يجمعوا
عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سألقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا
الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كأنه قال قولوا لهم قولي سألقي في قلوب
الذين كفروا الرعب او كأنهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سألقي فالضاربون
على هذا هم المؤمنون ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل
ومحله الرفع على الابتداء وبانهم خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة
مشتقة من الشق لان كلا المتعادين في شق خلاف شق صاحبه وسئلت في المنام
عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة و
المشاقة لان هذا في خصم اي في جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق
والكاف في ذلك لخطاب الرسول او لخطاب كل احد منهم وفي ذلكم للكفرة على طريقة
الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز ان
يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه وان للكافرين عطف على ذلكم
في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل
الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرأ الحسن وان للكافرين بالكسر زحفا
حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كأنه يزحف اي
يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع
زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان
تدانوهم في العدد او تساووهم او حال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين
هم وانتم او حال من المؤمنين كأنهم اشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا
مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ

لا يكون الزحف بمعنى الجيش الدهم بل على معناه الاصلي وهو المصدر لكن بتقدير المضاف اي ذوي زحف او على الصفة بالمصدر نحو رجل عدل

ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماويهم جهنم وبيس المصير فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المومنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم

وفي قوله ومن يولهم يومئذ امارة عليه الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا او منحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر رضي الله عنه خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير المومنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر انا فئتك وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر فان قلت بم انتصب الا متحرفا قلت على الحال والا لغو او على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا وقرا الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز ولما كسر واهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المومنون يقتلونهم وياسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع وما رميت انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وعلا فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول اصلا وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي المومنين وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى وللاحسان الى المومنين فعل ما فعل الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان

ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المومنين يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون

الله موهن معطوف على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المومنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافة وعلى الاصل الذي هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكنا للعاني ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا وروي انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان افجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمومنين وان تنتهوا للكافرين يعني وان تنتهوا عن عداوة رسول الله فهو خير لكم واسلم وان تعودوا للمحاربة نعد لنصرته عليكم وان الله قرئ بالفتح على ولان الله معين المومنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه اوجه وتعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المومنين وقرئ ولن يغني عنكم بالياء للفصل ولا تولوا قرئ بطرح احدى التاءين وادغامها والضمير في عنه لرسول الله لان المعنى واطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه او ولا تتولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي تصدقون لانكم مومنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقران والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يومن ثم قال ان شر الدواب اي ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله في هولاء الصم البكم خيرا اي انتفاعا باللطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه

ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون
يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة

ولا نجيبه فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن
أهل الكتاب إذا دعاكم وحد الضمير أيضا كما وحده فيما قبله لأن استجابة رسول الله كاستجابته
وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة
البعث والتحريض وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه مر على باب أبي بن كعب فناداه وهو
في الصلوة فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن إجابتي قال كنت أصلي قال ألم تخبر فيما أوحي
إلي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني إلا أجبتك وفيه قولان أحدهما أن
هذا مما اختص به رسول الله والثاني أن دعاءه كان لأمر لم يحتمل التأخير وإذا وقع مثله للمصلي
فله أن يقطع صلاته لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع لأن العلم حياة كما أن الجهل موت
ولبعضهم لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن وقيل مجاهدة الكفار لأنهم
لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حياة وقيل للشهادة لقوله تعالى
بل أحياء عند ربهم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه يعني أنه يميته فيفوته الفرصة
التي هو واجدها وهي التمكن من إخلاص القلب ومعالجة أدوائه وعلله ورده سليما
كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله واعلموا أنكم
إليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب وإخلاص الطاعة وقيل معناه أن الله
قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف أمنا
وبالأمن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله عز
وجل فأما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من أفعال القلوب فلا والمجبرة على أنه يحول بين
المرء والإيمان إذا كفر وبينه وبين الكفر إذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا
وقيل معناه أنه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكأنه بينه
وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه أنه قد حذف الهمزة وألقى حركتها على الراء
كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر فتنة ذنبا قيل هو إقرار المنكر بين أظهرهم
وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من أن يكون جوابا للأمر
أو نهيا بعد أمر أو صفة لفتنة فإذا كانت جوابا فالمعنى إن أصابتكم لا تصيب الظالمين
منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى أن علماء بني إسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا
فعمهم الله بالعذاب وإذا كانت نهيا بعد أمر فكأنه قيل واحذروا ذنبا أو عقابا

واعلموا أن الله شديد العقاب واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات
لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون

ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب أو أثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك
إذا جعلته صفة على إرادة القول كأنه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله
حتى إذا جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط أي بمذق مقول
فيه هذا القول لأنه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد المعنى الأخير قراءة
ابن مسعود لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير
وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما أرانا من أهلها فإذا نحن
المعنيون بها وعن السدي نزلت في أهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي أن الزبير كان
يساير النبي صلى الله عليه يوما إذ أقبل علي رضي الله عنه فضحك إليه الزبير فقال رسول
الله كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني أحبه كحبي لولدي أو أشد حبا
قال فكيف أنت إذا سرت إليه تقاتله فإن قلت كيف جاز أن تدخل النون المؤكدة في جواب
الأمر قلت لأن فيه معنى النهي إذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا يطرحنك
ولا تصيبن ولا يحطمنكم فإن قلت فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم قلت التبعيض
على الوجه الأول والتبيين على الثاني لأن المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لأن الظلم أقبح
منكم من سائر الناس إذ أنتم نصبه على أنه مفعول به مذكور لا ظرف أي اذكروا وقت
كونكم أقلة أذلة مستضعفين في الأرض أرض مكة قبل الهجرة يستضعفكم قريش تخافون
أن يتخطفكم الناس لأن الناس كانوا جميعا لهم أعداء منافين مضادين فآواكم إلى
المدينة وأيدكم بنصره بمظاهرة الأنصار وبإمداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من
الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون إرادة أن تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا
الحي من العرب أذل الناس وأشقاهم عيشا وأعراهم جلدا وأبينهم ضلالا يؤكلون
ولا يأكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا ومعنى
الخون النقص كما أن معنى الوفاء التمام ومنه تخونه إذا تنقصه ثم استعمل في ضد الأمانة
والوفاء لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان فيه وقد استعير
فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لأنه إذا انقطع به فكأنه لم يف له ومنه
قوله وتخونوا أماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه ورسوله بأن لا تستنوا
به وأماناتكم فيما بينكم بأن لا تحفظوها وأنتم تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل وأنتم تعلمون

واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم
واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين

انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن روي ان نبي الله صلى الله عليه حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلم يجزيك الثلث ان تتصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل اماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده وتخونوا جزم هو ام نصب [illegible] الجهل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وقرا مجاهد وتخونوا امانتكم على التوحيد جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او العذاب او محنة من الله يبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تنوطوا بطلبه وبما يؤدي اليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلها كقوله المال والبنون الاية وقيل هي من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان او بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم واثاركم في اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي طلع الفجر او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والاخرة لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما

واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين

اسلمت الانصار وبايعوه فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا على راي ابي جهل مجمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن الله في الهجرة فامر عليا رضي الله عنه فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ليثبتوك ليسجنوك او يوثقوك او يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرا النخعي ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس ليقيدوك ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر الله ويخفي الله ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة والله خير الماكرين اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا او لانه لا ينزل الا ما هو حق وعدل ولا يصيب الا بما هو مستوجب لو نشاء لقلنا مثل هذا نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فانهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين ان يشاؤوا وقد غلبهم من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه مع فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا في باب البيان خاصة وان يماتنهم واحد فيتعللوا بامتناع المشيئة ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على ان يقهروا رسول الله وتهالكهم على ان يعمروه وقيل قائله النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله احاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم

يقال قتل فلان صبرا وحلف صبرا اذا حبس على القتل حتى يقتل او على اليمين حتى يحلف

وقوله لو قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون وما لهم ان لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام

ان هذا اشد ذلك وانه من جملة تلك الاساطير وهو القايل ان كان هذا هو الحق وهذا اسلوب
من الجحود بليغ يعني ان كان القران هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل
او بعذاب آخر ومراده نفي كونه حقا واذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان
تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك ان كان الباطل
حقا فامطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا
هو الحق وقرا الاعمش هو الحق بالرفع على ان هو مبتدا غير فصل وهي في القراة الاولى
فصل ويقال امطرت السماء كقولك انجمت واسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد
كثر الامطار في معنى العذاب **فان قلت** ما فائدة قوله من السماء والامطار لا يكون الا منها
قلت كانه اريد ان يقال فامطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع الحجارة
من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا بعذاب اليم اي
بنوع آخر من جنس العذاب الاليم يعني ان امطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به او
بنوع آخر من انواعه وعن معاوية انه قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم
امراة قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق
فامطر علينا ولم يقولوا فاهدنا له اللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم في
الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته ان لا يعذب قوما عذاب استيصال ما دام نبيهم بين
اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا الاشعار
قوله وما لهم ان لا يعذبهم وانما يصح هذا بعد اثبات التعذيب كانه قال وما كان ليعذبهم
وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم ان لا يعذبهم وهم يستغفرون في موضع
الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم
كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون
ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين
اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله من المستضعفين وما لهم ان لا يعذبهم الله واي شيء لهم
في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون
وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية واخراجهم
رسول الله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء

وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ان الذين
كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل
الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون

وندخل من نشاء وما كانوا اولياءه وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة
امره وارباب ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلي امره
انما يستاهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الاصنام ولكن اكثرهم لا يعلمون
كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة
العدم المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كانه سمي بذلك
لكثرة مكائه واصله الصفة نحو الوضاء والفراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكاء والبكى
والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى او من صد يصد اذا قومك منه يصدون وقرا
الاعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه **فان قلت** ما وجه هذا الكلام
قلت هو من قوله وما كنت اخشى ان يكون عطاؤه اداهم سودا او محدرجة سمرا
والمعنى انه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع
الصلاة وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين
اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرا رسول الله في
صلاته يخلطون عليه فذوقوا عذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم وافعالكم التي
لا يقدم عليها الا الكفرة قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر
جزائر وقيل قالوا لكل من كانت له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك
منه ثارنا بما اصيب منا ببدر وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استاجر ليوم احد الفين
من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية
اثنان واربعون مثقالا ليصدوا عن سبيل الله اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن
اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة اي تكون عاقبة
انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر
وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقاء كتب الله لاغلبن
انا ورسلي والذين كفروا والكافرون منهم الى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن
اسلامه ليميز الله الخبيث الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين
فيجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا
كقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم اولئك اشارة الى الفريق الخبيث

قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا
فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله موليكم نعم المولى ونعم النصير واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه

وقيل ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله من المال الطيب الذي
انفقه المسلمون كابي بكر وعثمن في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله
فتكوى بها جباههم وجنوبهم الآية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة
وعلى الاول بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا وقرئ ليميز على التخفيف قل
للذين كفروا يعني ابا سفين واصحابه اي قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى
خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين
آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه ان ينتهوا عما هم
عليه من عداوة رسول الله وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من
العداوة وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم
يوم بدر او فقد مضت سنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا
مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم
ما سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه السلم
الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا اسلم لم تبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا
يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق الآدميين وبه احتج ابو حنيفة في ان المرتد
اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا
بالارتداد وقرئ يغفر لهم على ان الضمير لله عز وجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى
ان لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم
دين الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير فيثيبهم على
توبتهم واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله
والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير فيجازيكم عليه
احسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله موليكم اي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته
ونصرته انما غنمتم ما موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط فان
لله مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه وروى الجعفي عن
ابي عمرو فان لله بالكسر ويقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهورة آكد واثبت للايجاب
كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا

وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل

حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما اشبه
ذلك كان اقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون فان قلت كيف قسمة
الخمس قلت عند ابي حنيفة انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه على خمسة اسهم
سهم لرسول الله وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل
استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمن وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول
الله هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا
بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلم انهم لم يفارقونا
في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وثلثة اسهم
لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي
القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى
والمساكين وابن السبيل واما عند الشافعي رضي الله عنه فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله يصرف
الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم
لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلث
وعند مالك بن انس الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى
اعطاه بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم فان قلت ما معنى ذكر
الله وعطف الرسول وغيره عليه قلت يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول الله كقوله
والله ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه
القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص
من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكال فعلى الاحتمال
الاول مذهب الامامين وعلى الثاني ما قاله ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم الله تعالى
يصرف الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلى الله عليه يأخذ الخمس فيضرب بيده
فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل ان سهم
الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن انس وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان على ستة
لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلثة وكذلك روي عن
عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى

إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد

فقيركم وتزوج أيمكم وتخدم من لا خادم له منكم فأما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني
لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضي الله عنه كذلك قال ليس لنا أن نبني منه
قصورا ولا أن نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه أنه قيل
له إن الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال أيتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول
الله أنه لولي الأمر من بعده وعن الكلبي أن الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس
في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا
من الهجرة فإن قلت بم تعلق قوله إن كنتم آمنتم بالله قلت بمحذوف يدل عليه
واعلموا إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه أطماعكم
واقتنعوا بالأخماس الأربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة
لأمر الله لأن العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر وما أنزلنا معطوف على بالله أي
إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عُبُدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين
يوم الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من
الآيات والملائكة والفتح يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر على أن ينصر القليل على الكثير
والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم إذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي
بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لأن بينها وبين الكسرة حاجزا
غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى تأنيث الأدنى والأقصى فإن قلت كلتاهما فعلى
من بنات الواو فلم جاءت إحداهما بالياء والثانية بالواو قلت القياس هو قلب الواو
ياء كالعليا وأما القصوى فكالقود في مجيئه على الأصل وقد جاء القصيا إلا أن استعمال
القصوى أكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب وأغيلت مع أغالت والعدوة
الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب أسفل منكم يعني الركب الأربعين الذين
كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل وأسفل نصب على الظرف معناه مكانا أسفل
من مكانكم وهو مرفوع المحل لأنه خبر المبتدأ فإن قلت ما فائدة هذا التوقيت وذكر
مراكز الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم قلت الفائدة فيه الإخبار عن الحال
الدالة على قوة شأن العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد أسباب الغلبة له وضعف
شأن المسلمين والتياث أمرهم وأن غلبتهم في مثل هذه الحال ليست إلا صنعا من الله ودليلا

ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم

على أن ذلك أمر لم يتيسر إلا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك أن العدوة القصوى التي
أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار
تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو
مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها
نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظعنهم وأموالهم ليبعثهم الذب عن
الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وأن لا يتركوا وراءهم ما يحدثون
أنفسهم بالانحياز إليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على أن لا يبرحوا
مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير
ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر ليقضي أمرا كان مفعولا من إعزاز دينه وإعلاء
كلمته حين وعد المسلمين إحدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا
العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله
لأموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الأسباب حتى أناخ هؤلاء بالعدوة
الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب
على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون
فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما
في قلوبهم من تهيب رسول الله والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب
له ليقضي متعلق بمحذوف أي ليقضي أمرا كان واجبا أن يفعل وهو نصر أوليائه و
قهر أعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك والحياة للكفر
والإسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى
له على الله حجة ويصدر إسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بأنه دين الحق الذي
يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة
التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي بإظهار
التضعيف لسميع عليم يعلم كيف يدبر أموركم ويسوي مصالحكم أو لسميع عليم بكفر من كفر و
عقابه وبإيمان من آمن وثوابه إذ يريكهم الله نصب بإضمار اذكر أو هو بدل ثان
من يوم الفرقان أو متعلق بقوله لسميع عليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك في منامك

إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلّم إنه عليم بذات الصدور وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون

في رؤياك وذلك أن الله عز وجل أراهم إياه في رؤياه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لأنها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لأنه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم الإقدام ولتنازعتم في الرأي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلّم أي عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف إنه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع وإذ يريكموهم الضميران مفعولان يعني وإذ يبصّركم إياهم وقليلا نصب على الحال وإنما قللهم في أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدّوا ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قُللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين قال أراهم مائة فأسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال ألفا ويقللكم في أعينهم حتى قال قائل منهم إنما هم أكلة جزور فإن قلت الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في أعينهم قلت قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثّرهم فيها بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفلّ شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم رأي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم أولا وكثرتهم آخرا فإن قلت بأي طريق يبصرون الكثير قليلا قلت بأن يستر الله عنهم بعضه بساتر أو يحدث في عيونهم ما يستقلّون به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم إن الأحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا أرى هذين الديكين أربعة إذا لقيتم فئة إذا حاربتم جماعة من الكفار وترك أن يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تفرّوا واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر ما يكون همّا وأن تكون نفسه مجتمعة

وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب

لذلك وإن كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب أمير المؤمنين في أيام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على أنهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وإن تفاقم ولا تنازعوا قرئ بتشديد التاء فتفشلوا منصوب بإضمار أن أو مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل على النصب قراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره ومنه قوله

أتنظران قليلا ريث غفلتهم ... أم تعدوان فإن الريح للعادي

وقيل لم يكن قط نصر إلا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم بأحد لمخالفتهم رسول الله من فشلهم وذهاب ريحهم كالذين خرجوا من ديارهم هم أهل مكة حين نفروا لحماية العير فأتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس بإطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين مرائين بأعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين أعمالهم لله وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم أي بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت التي بينها وبين بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من أشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم اليوم وإني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحارث إلى أين أتخذلنا في هذه الحال فقال إني أرى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا

اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون
وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد

علموا انه الشيطان وفي الحديث ما رؤي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من
يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رؤي يوم بدر فان قلت هلا قيل لا غالبا
لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا قلت لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم
لكان الامر كما قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم اذ يقول المنافقون بالمدينة
والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف
ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام وعن الحسن هم المشركون غر هؤلاء دينهم يعنون
ان المسلمين اغتروا بدينهم وانهم يتقوون به وينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة
عشر الى زهاء الالف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز غالب يسلط
القليل الضعيف على الكثير القوي ولو ترى ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع
الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال واذ نصب على الظرف ويتوفى
بالياء والتاء والملائكة رفعها بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون في يتوفى
ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر وعن مجاهد ادبارهم
استاههم ولكن الله كريم يكني وانما خصوهما بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما
اشد وبلغني عن اهل الصين ان عقوبة الزاني عندهم ان يبصر ثم يعطى الرجل القوي
البطش شيئا عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضرب به على دبره
ضربة واحدة بقوته فيخرج في مكانه وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا
معطوف على يضربون على ارادة القول اي ويقولون ذوقوا عذاب الحريق اي مقدمة
عذاب النار او ذوقوا عذاب الاخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من
حديد كلما ضربوا التهبت النار او ويقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو
محذوف اي لرايت امرا فظيعا منكرا ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون من كلام الله
ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اي
ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب
الكفار من العدل كاثابة المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد او لان العذاب من
العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه الكاف في
محل الرفع اي داب هؤلاء مثل داب آل فرعون وداءبهم عادتهم وعملهم الذي داءبوا فيه

كداب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى
يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ان شر الدواب
عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون

اي داوموا عليه وواظبوا وكفروا تفسير لداب آل فرعون ذلك اشارة الى ما حل بهم
يعني ذلك العذاب او الانتقام بسبب ان الله لم ينبغ له ولم يصح في حكمته ان يغير نعمته
عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال فان قلت فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي
مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم يكن لهم حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة قلت
كما يتغير الحال المرضية الى المسخوطة تتغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واولئك كانوا
قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالايات البينات فكذبوه و
عادوه وتحزبوا عليه ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوأ مما كانت فغير
الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع لما يقول مكذبوا
الرسل عليم بما يفعلون كداب آل فرعون تكرير للتاكيد وفي قوله بايات ربهم زيادة
دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب وكل كانوا
ظالمين وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي الذين
كفروا فهم لا يؤمنون اي اصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو
قريظة عاهدهم رسول الله ان لا يمالئوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح
وقالوا نسينا واخطانا ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق
كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا اي
الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون
منهم وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا
يبالون ما فيه من العار والنار فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد
بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من
وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرا
ابن مسعود فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكانه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا
شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرا ابو حيوة من خلفهم ومعناه
فافعل التشريد من وراءهم لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء واوقعه
فيه لان الوراء جهة المشردين فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه
فلم يبق فرق بين القراءتين لعلهم يذكرون لعل المشردين من وراءهم يتعظون واما

وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به

تخافن من قوم معاهدين خيانة نكثا بأمارات تلوح لك فانبذ إليهم فاطرح إليهم العهد على سواء على طريق مستو قصد وذلك أن تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم إخبارا مكشوفا بينا أنك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك إن الله لا يحب الخائنين فلا يكن منك إخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كأنه قيل فانبذ إليهم ثابتا على طريق قصد سوي أو حاصلين على استواء في العلم أو العداوة على أنها حال من النابذ والمنبوذ إليهم معا سبقوا فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم إنهم لا يعجزون إنهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن إدراكهم وقرئ أنهم بالفتح بمعنى لأنهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل إلا أن المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجّزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزونِ بكسر النون وقرأ الأعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء وفتحها على حذف النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على أن الفعل للذين كفروا وقيل فيه أصله أن سبقوا فحذفت أن كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود أنهم سبقوا وقيل وقع الفعل على أنهم لا يعجزون على أن لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين أي مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الأقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهري أنها نزلت فيمن أفلت من فل المشركين من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز أن تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز أن يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل وعن ابن سيرين أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله في الحصون فقال تشترى به الخيل فترابط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له إنما أوصى في الحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر إن الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون قرئ بالتخفيف والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد تخزون به والضمير في به راجع إلى

عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين

ما استطعتم عدو الله وعدوكم هم أهل مكة وآخرين من دونهم هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي هم أهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث إن الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي أن صهيل الخيل يرهب الجن جنح له وإليه إذا مال والسلم تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب قال
السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من أنفاسها جرع
وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس أن الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح أن الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله من حرب أو سلم وليس بحتم أن يقاتلوا أبدا أو يجابوا إلى الهدنة أبدا وقرأ الأشهب العقيلي فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف من إبطانهم المكر في جنوحهم إلى السلم فإن الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة فإن حسبك الله فإن محسبك الله قال جرير
إني وجدت من المكارم حسبكم أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا
والتأليف بين قلوب من بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه من الآيات الباهرة لأن العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في أدنى شيء وإلقائه بين أعينهم إلى أن ينتقموا لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله واتحدوا وأنشأوا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من ألفتهم وجمع بين كلمتهم وأحدث بينهم من التحاب والتواد وأماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك إلا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما أراد وقيل هم الأوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك سادتهم ورؤساءهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم أمد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة أن تتجنب هذه ما آثرته أختها وتكرهه وتنفر عنه فأنسى الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا أنصارا وعادوا أعوانا وما ذاك إلا بلطيف صنعه وبليغ قدرته ومن اتبعك الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لأن عطف الظاهر المجرور على المكني ممتنع قال
فحسبك والضحاك سيف مهند
والمعنى كفاك وكفى تباعك المؤمنين الله ناصرا أو يكون في محل الرفع أي كفاك الله وكفاك

يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون
الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين

المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيدا في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس نزلت في اسلام عمر وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض و يتبالغ فيه حتى يشفي على الموت او ان تسميه حرضا وتقول له ما اراك الا حرضا في هذا الامر وممرضا فيه ليهيجه ويحرك منه وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص ويقال حركه وحرصه وحرشه وحربه بمعنى وهذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا وغلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله وتاييده ثم قال بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله بعث حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا بعد نزول التخفيف وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفا جمع ضعيف وقرئ الفعل المسند الى المائة بالتاء والياء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك فان قلت لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده قلت للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين قرئ للنبي على التعريف واسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروي ان رسول الله اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس

ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم

عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هولاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء امكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير وروي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب الي عرض الدنيا حطامها سمي لانه حدث قليل اللبث يريد الفداء والله يريد الآخرة يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل وقرئ يريدون بالياء وقرا بعضهم والله يريد الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعني ثوابها والله عزيز يغلب اولياؤه على اعدائه ويتمكنون منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يؤخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون لولا كتاب من الله سبق لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب احدا بالخطا وكان هذا خطا في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم واقل لشوكتهم وقيل كتابه انه سيحل لهم الفدية التي اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور لهم

ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا

وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك فكلوا
مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء
لانه من جملة الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه فان قلت ما معنى
الفاء قلت التسبيب والسبب محذوف معناه قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم حلالا
نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وقوله ان الله غفور رحيم
معناه انكم اذا اتقيتموه بعدما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان يؤذن لكم فيه غفر
لكم ورحمكم وتاب عليكم في ايديكم في ملككم كأن ايديكم قابضة عليهم وقرئ من الاسرى
في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم في
الدنيا اضعافه او يثيبكم في الآخرة وفي قراءة الاعمش يثبكم خيرا وعن العباس انه قال للنبي
كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه ان يكن ما تذكر حقا فالله
يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا وكان احد الذين ضمنوا اطعام اهل بدر وخرج
بالذهب لذلك وروي ان رسول الله قال للعباس افد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل
بن الحرث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب الذي دفعته
الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث
بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني
به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله
لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك
فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون
عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال
اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي وروي انه قدم على رسول الله مال البحرين ثمانون الفا
فتوضأ لصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان يأخذ منه فاخذ ما قدر
على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة مما اخذ
منكم على البناء للفاعل وان يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة
واستحباب دين آبائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل
من ميثاقه فامكن منهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم ان اعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة

وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير والذين آمنوا
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم

منع ما ضمنوا من الفداء ان الذين هاجروا اي فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ولرسوله هم المهاجرون
والذين آووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم هم الانصار بعضهم اولياء بعض اي يتولى
بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي
القرابات حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالفتح
والكسر اي من توليهم في الميراث ووجه الكسر ان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كانه
بتوليه صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين
الا على قوم منهم بينكم وبينهم عهد فانه لا يجوز لكم نصركم عليهم لانهم لا يبتدءون بالقتال اذ
الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين
اولئك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب
مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال الا
تفعلوه اي ان لا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث
تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا
قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة
على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير بالثاء اولئك هم المؤمنون حقا
لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ
من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد
الكريم والاولى للامر بالتواصل والذين آمنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة
كقوله والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا واولوا الارحام اولوا القرابات اولى بالتوارث
وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه وقسمته او في اللوح وقيل في
القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به اصحاب ابي حنيفة على توريث ذوي الارحام
عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة و
شاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان
العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته في الدنيا

سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون آية

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين

لها عدة اسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه **فان قلت** هلا صدرت بآية التسمية كسائر السور **قلت** سأل عن ذلك ابن عباس عثمان رضي الله عنهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه اذا نزلت عليه السورة او الآية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله ولم يبين لنا اين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن ابي بن كعب انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود وسئل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا قيل فان النبي صلى الله عليه قد كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله فاجاب ومن دعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة واهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس ولا باس هذا امان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقيل اختلف اصحاب رسول الله فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال انهما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال انهما سورة واحدة براءة خبر مبتدا محذوف اي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كقولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون براءة مبتدا لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة وقرا اهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم **فان قلت**

فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين

لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين **قلت** قد اذن الله في معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين روي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر آمنين اين شاؤوا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقراها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الى رسول الله فقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلثين او اربعين آية وعن مجاهد ثلث عشرة ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود فازيحت علتهم بتولية ذلك عليا رضي الله عنه **فان قلت** الاشهر الاربعة ما هي **قلت** عن الزهري ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لانهم او منوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها

وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله برى من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم

وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة فان قلت ما وجه اطباق اكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك قلت قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وابيح قتال المشركين فيها غير معجزي الله لا تفوتونه وانه مهلكم وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب واذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان بمعنى الايمان والاعطاء فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى والثانية قلت تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت فان قلت لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس قلت لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر وعن الحسن سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان في معنى القول ورسوله عطف على المنوي في برئ او على محل ان المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي برئ معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله بريئا من رسوله فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر بتعلم العربية فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي والاعراض عن

فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله

الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير سابقين الله ولا فائتين اخذه وعقابه فان قلت مم استثنى قوله الا الذين عاهدتم قلت وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوا فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين الفريقين فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله فانشده

لاهم اني ناشد محمدا ۵ حلف ابينا وابيك الاتلدا ۵

ان قريشا اخلفوك الموعدا ۵ ونقضوا ذمامك المؤكدا ۵

هم بيتونا بالحطيم هجدا ۵ وقتلونا ركعا وسجدا ۵

فقال عليه السلام لا نصرت ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم فادوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم انسلخ الشهر كقولهم اجرد الشهر وسنة جرداء الاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله

خل السبيل لمن يبني المنار به

وعن ابن عباس رضي الله عنه دعوهم واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر احد مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا يدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستامنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن ويتبين ما بعثت له فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع

ثم ابلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتأبى قلوبهم واكثرهم فاسقون

على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك داره التى يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت فى كل وقت وعن الحسن هى محكمة الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى على رضى الله عنه فقال ان اراد الرجل منا ان يأتى محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او يأتيه لحاجة قتل قال لا لان الله يقول وان احد من المشركين استجارك الاية وعن السدى والضحاك هى منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك اى ذلك الامر يعنى الامر بالاجارة فى قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف استفهام فى معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند رسول الله وهم اضداد وغرة صدورهم يعنى محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا فى ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا فى قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة وبنى ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعنى ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال وخبرتمانى انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب يريد فكيف مات اى كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا فى حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا الا لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان

لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام

وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرال من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتق الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال وهو الجؤار وله اليل اى انين يرفع به صوته ودعت الليها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم كلام مبتدأ فى وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وابآء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما تجرون على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروة

اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فى الدين ونفصل الايات لقوم يعلمون وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا تقاتلون قوما نكثوا

تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك فى بعض الكفرة من التفادى عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض وتجر احدوثة السوء اشتروا استبدلوا بايات الله بالقرآن والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفين واطعمهم هم المعتدون المجاوزون الغاية فى الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر ونقض العهد فاخوانكم فهم اخوانكم على حذف المبتدا كقوله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم ونفصل الايات ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تأمل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وطعنوا فى دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا فى حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم امنوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين فى الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون فى دين الله ويقولون ليس دين محمد بشئ فهم ائمة الكفر وذووا الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمى فى دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم اى لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه تمت كيف اثبت لهم الايمان فى قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم تمت اراد ايمانهم التى اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة على ان يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعى يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اى ليكن غرضكم فى مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم ان تكون المقاتلة سببا فى انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيئ بالرحمة كلما عاد تمت كيف لفظ ائمة تمت همزة بعدها همزة بين بين اى بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهودة وان لم تكن بمقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان يكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف الا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض

أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون

عليها على سبيل المبالغة نكثوا أيمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا بإخراج الرسول من مكة
حين تشاوروا في أمره بدار الندوة حتى أذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدءوكم
أول مرة أي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لأن رسول الله جاءهم أولا بالكتاب
المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها إلى القتال فهم البادئون بالقتال
والبادي أظلم فما يمنعكم من أن تقاتلوهم بمثله وأن تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك
مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر أن من كان في مثل صفاتهم
من نكث العهد وإخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بأن لا يترك مصادمته
وأن يوبخ من فرط فيها أتخشونهم تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها فالله أحق أن
تخشوه فتقاتلوا أعداءه إن كنتم مؤمنين يعني أن قضية الإيمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن إلا ربه
ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون أحدا إلا الله لما وبخهم الله على ترك القتال جرد
لهم الأمر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم أنه يعذبهم بأيديكم قتلا
ويخزهم أسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم ويشف صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة
قال ابن عباس هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فبعثوا
إلى رسول الله يشكون إليه فقال أبشروا فإن الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما
لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق
رسول الله وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام وإخبار بأن بعض أهل مكة
يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم ناس منهم وحسن إسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب
بإضمار أن على دخول التوبة في جملة ما أجيب به الأمر من طريق المعنى والله عليم بما
سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل إلا ما اقتضته الحكمة أم منقطعة ومعنى الهمزة
فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى أنكم لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين المخلص
منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة أي بطانة من
الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على أن تبين ذلك
وإيضاحه متوقع كائن وأن الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله
ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين
منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من

ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل فيّ يريد ما وجد ذلك
مني ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام أن يعمروا مسجد الله يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة
المسجد الحرام وأما القراءة بالجمع ففيها وجهان أحدهما أن يراد المسجد الحرام وإنما قيل
مساجد لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها فعامره كعامر جميع المساجد ولأن كل بقعة
منه مسجد والثاني أن يراد جنس المساجد وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك
أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لأن طريقه طريقة
الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك
شاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين
عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على أنفسهم بالكفر ظهور
كفرهم وأنهم نصبوا أصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف
عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك
لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقيل قد أقبل المهاجرون والأنصار على
أسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال
رسول الله وقطيعة الرحم وأغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون
محاسننا فقالوا أولكم محاسن قالوا نعم ونحن أفضل منكم أجرا إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب
الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت أولئك حبطت أعمالهم التي هي العمارة والحجابة و
السقاية وفك العناة وإذا هدم الكفر أو الكبيرة الأعمال الثابتة الصحيحة إذا تعقبها
فما ظنك بالمقارن وإلى ذلك أشار تعالى بقوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على
أنهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم في حال واحدة وذلك محال غير
مستقيم إنما يعمر مساجد الله وقرئ بالتوحيد أي إنما تستقيم عمارتها هؤلاء وتكون معتدا
بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها
واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو أجله وأعظمه وصيانتها
مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه
يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا
وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات

وأقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين

كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زواري
فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره
وعنه من ألف المسجد ألفه الله وقال صلى الله عليه إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد
فاشهدوا له بالإيمان وعن أنس رضي الله عنه من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة و
حملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه فإن قلت هلا ذكر الإيمان برسول
الله قلت لما علم وشهر أن الإيمان بالله قرينته الإيمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة و
الأذان والإقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شيء واحد غير
منفك أحدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الإيمان بالله الإيمان بالرسول وقيل دل عليه
بذكر إقامة الصلاة وإيتاء الزكوة فإن قلت كيف قيل ولم يخش إلا الله والمؤمن يخشى
المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها قلت هي الخشية والتقوى في أبواب الدين
وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف وإذا اعترض أمران أحدهما حق الله
والآخر حق نفسه أن يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الأصنام
ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين
عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم في الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها
وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية
والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون أنهم مهتدون ونائلون
عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض
الاغترار بالله السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد
من مضاف محذوف تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن
بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وأبي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة
المسجد الحرام والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة
وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي أن المشركين قالوا لليهود نحن
سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت لهم اليهود أنتم
أفضل وقيل إن عليا قال للعباس يا عم ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله فقال ألست في أفضل
من الهجرة أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما أراني إلا تارك سقايتنا

أي ممن أن يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه إذا اعترضه أمران أي كذا

كان أبو وجزة مشهورا بالشعر فلذلك قال كان من القراء

أي بين المشركين والمؤمنين

الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء ... وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم

وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم

فقال عليه السلام أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيرا هم أعظم درجة عند الله من أهل السقاية والعمارة عندكم وأولئك هم الفائزون لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم قرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم إيمانه إلا بأن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم أحدكم طعم الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله أبعد الناس ويبغض في الله أقرب الناس إليه وقرئ عشيراتكم وعشائركم وقرأ الحسن وعشائركم فتربصوا حتى يأتي الله بأمره وعيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة عاجلة أو آجلة وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف أورع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والإخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله أم يزوي الله عنه أحقر شيء منها لمصلحته فلا يدري أي طرفيه أطول ويغويه الشيطان عن أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال

وكم موطن لولاي طحت كما هوى ... بأجرامه من قلة النيق منهوي

وامتناعه من الصرف لأنه جمع وعلى صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة **فإن قلت** كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن **قلت** معناه وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على أن الواجب أن يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك أن قوله إذ أعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي أن يكون ناصبه فعلا خاصا به إلا إذا نصبت إذ بإضمار اذكر

فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم

وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا الذين حضروا
فتح مكة منضما إليهم ألفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فيمن ضامهم من
أمداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة
فساءت رسول الله وقيل قائلها رسول الله وقيل أبو بكر وذلك قوله إذ أعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا
قتالا شديدا وأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة
الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس
معه إلا عمه العباس آخذ بلجام دابته وأبو سفيان بن الحارث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة
شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جأشه وما هي إلا من آيات النبوة وقال يا رب ائتني
بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الأنصار فخذا فخذا ثم نادى
يا أصحاب الشجرة يا أصحاب البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة
عليهم البياض على خيول بلق فنظر رسول الله إلى قتال المؤمنين فقال هذا حين حمي الوطيس
ثم أخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكأني
أنظر إلى رسول الله يركض خلفهم على بغلته بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع أي مع رحبها
وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب
السفر أي ملتبسا بها لم أحلها يعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم
إليه ونجاتكم لفرط الرعب فكأنها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم سكينته
رحمته التي سكنوا بها وأمنوا وعلى المؤمنين الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول
الله حين وقع الهرب وأنزل جنودا يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة آلاف وقيل
ستة عشر ألفا وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر وسبي النساء والذراري ثم يتوب الله أي
يسلم بعد ذلك ناس منهم وروي أن ناسا منهم جاؤوا فبايعوا رسول الله على الإسلام وقالوا يا
رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قيل سبي
يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى فقال إن عندي ما ترون إن خير
القول أصدقه اختاروا إما ذراريكم ونساءكم وإما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالأحساب
شيئا فقام رسول الله فقال إن هؤلاء جاؤوا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا
بالأحساب شيئا فمن كان بيده شيء وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا

يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم

علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال إني لا أدري لعل فيكم من
لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا فرفعت إليه العرفاء أن قد رضوا النجس مصدر
يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس
ولأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم أو جعلوا كأنهم
النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير
وعن الحسن من صافح مشركا توضأ وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر
النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كأنه قيل إنما المشركون جنس نجس أو ضرب
نجس وأكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد فلا يقربوا المسجد الحرام
فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية بعد عامهم بعد حج عامهم هذا وهو
عام تسع من الهجرة حين أمر أبو بكر رضي الله عنه على الموسم وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه
ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون
من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي رضي الله عنه يمنعون
من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء أن
المراد بالمسجد الحرام الحرم وأن على المسلمين أن لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين أن يقربوه
راجع إلى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد أن يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام
بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وإن خفتم عيلة أي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان
لكم في قدومهم عليكم من الأرفاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه
أو من تفضله بوجه آخر فأرسل السماء عليهم مدرارا أغزر بها خيرهم وأكثر ميرهم وأسلم
أهل تبالة وجرش فحملوا إلى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك أعود عليهم مما خافوا
العيلة لفواته وعن ابن عباس ألقى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من أين تأكلون فأمرهم
الله بقتال أهل الكتاب وأغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم وقرئ عائلة بمعنى
المصدر كالعافية أو حالا عائلة ومعنى قوله إن شاء إن أوجبت الحكمة إغناءكم وكان مصلحة لكم
في دينكم إن الله عليم بأحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع إلا عن حكمة وصواب من الذين أوتوا الكتاب
بيان للذين مع ما في حيزه نفى عنهم الإيمان بالله لأن اليهود مثنية والنصارى مثلثة وإيمانهم
باليوم الآخر لأنهم فيه على خلاف ما يجب ويحرمون ما حرم الله ورسوله لأنهم لا يحرمون

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله

ما حرم في الكتاب والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما في التوراة والانجيل ولا يدينوا
دين الحق ولا يعتقدون دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال
فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده سميت جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة
ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من منّ عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد اما ان يراد
يد المعطي او الآخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد اي عن يد مواتية غير
ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده
اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن
عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد
المعطي الى يد الآخذ واما على ارادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية
او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة عظيمة وهم صاغرون
اي تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو ان يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو
قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان
يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام عند ابي حنيفة ولا يسقط به خراج الارض
واختلف فيمن تضرب عليه فعند ابي حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابي
وحربي الا على مشركي العرب وحدهم وروى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه صالح
عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها
دانت لكم بها العرب وادت اليكم الجزية العجم وعند الشافعي رضي الله عنه لا تؤخذ من
مشركي العجم والمأخوذ عند ابي حنيفة في اول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما
ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون ولا تؤخذ من
فقير لا كسب له وعند الشافعي رضي الله عنه يؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا
كان او غنيا كان له كسب او لم يكن عزير ابن الله مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله
وعزير اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نوّن
فقد جعله عربيا واما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ احد
الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو
قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه

وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون

سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله
فنحاص وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلم فرفع الله عنهم
التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل فقال
له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم
حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام الا انه ابنه والدليل على ان القول
كان فيهم ان الآية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب فان قلت
كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بافواههم قلت فيه وجهان احدهما ان
يراد انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ
المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول
بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول
المذهب كقولهم قول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم
بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك انهم اذا
اعترفوا انه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد يضاهون لا بد فيه من حذف
مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه
فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله من اليهود والنصارى يضاهي
قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قول المشركين
الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير
ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ يضاهئون بالهمز من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل وهي
التي ضاهأت الرجال في انها لا تحيض وهمزها مزيدة كما في غرقئ قاتلهم الله اي هم احقاء
بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعا قاتلهم الله ما اعجب
فعلهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اتخاذهم اربابا انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي
وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما يطاع الارباب في اوامرهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان
فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم
انتهيت الى رسول الله وفي عنقي صليب من ذهب فقال اليسوا يحرمون ما احل الله فيحرمونه
ويحلون ما حرمه فيحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في

اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون

فى معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص فى الانجيل والمسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة سبحانه تنزيه له عن الاشراك به واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير فى وما امروا للمتخذين اربابا اى وما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون مثلهم مثل حالهم فى طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ فى نور عظيم منبث فى الافاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين **فان قلت** كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا **قلت** قد اجرى ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا بقوله ويابى الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره معنى اكل الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال يؤكل بها فهى سبب للاكل ومنه قوله ان لنا اكلا كل ليلة اكافا يريد علفا يشترى بثمن الاكاف ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا ياخذون الرشى فى الاحكام والتخفيف والمسامحة فى الشرائع والذين يكنزون يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق فى سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان من ياخذ منهم السحت ومن لا يعطى منكم طيب ماله سواء فى استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكاة اية الكنز وقيل هى ثابتة وانما عنى بترك الانفاق فى سبيل الله منع الزكاة وعن النبى صلى الله عليه ما ادى زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضى الله عنه ان رجلا ساله عن ارض له باعها فقال احرز مالك الذى اخذت احفر له تحت فراش امراتك قال اليس بكنز قال ما ادى زكاته فليس بكنز وعن ابن عمر كل ما اديت زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم تؤد زكاته فهو الذى ذكره الله وان كان على ظهر الارض

فان قلت فما تصنع بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلثا فقالوا له اى مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وبقوله عليه السلام من ترك صفرا او بيضا كوى بها وتوفى رجل فوجد فى مئزره دينار فقال كية **قلت** كان هذا قبل ان تفرض الزكاة فاما بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويؤدى عنه ما اوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والادخل فى الورع والزهد فى الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شئ حد وما روى عن على رضى الله عنه اربعة الاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام فى الافضل **فان قلت** لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان **قلت** ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله فانى وقيار بها لغريب وقيار كذلك **فان قلت** لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال **قلت** لانهما قانون التمول واثمان الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر اجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما **فان قلت** ما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل تحمى من قولك حمى الميسم واحميته ولا تقول احميت على الحديد **قلت** معناه ان النار تحمى عليها اى توقد ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى **فان قلت** فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل **قلت** لانه مسند الى الجار والمجرور واصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير وعن ابن عامر انه قرا تحمى بالتاء وقرا ابو حيوة فيكوى بالياء **فان قلت** لم خصت هذه الاعضاء **قلت** لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها فى سبيل الله الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام ويحتشمون ومن اكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم

ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى أغنياء زماننا هذه أغراضهم
وطلباتهم من أموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه ذهب أهل الدثور
بالأجور وقيل لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا وإذا ضمهم وإياه مجلس ازوروا
عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون على الجهات الأربع مقاديمهم
ومآخيرهم وجنوبهم وجنوبهم هذا ما كنزتم على إرادة القول وقوله لأنفسكم أي كنزتموه
لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الأغراض التي حامت حولها وما علمتم أنكم كنزتموه
لتستضر به أنفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ تكنزون
بضم النون أي وبال المال الذي كنتم تكنزونه أو وبال كونكم كانزين في كتاب الله فيما أثبته
وأوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح أربعة حرم ثلاثة سرد ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه السلام في خطبته في حجة
الوداع ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر
شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر
الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي
الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت
حجة أبي بكر قبلها في ذي القعدة ذلك الدين القيم يعني أن تحريم الأشهر الأربعة هو الدين
المستقيم دين إبرهيم وإسمعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما فكانوا يعظمون
الأشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه وسموا
رجبا الأصم ومنصل الأسنة حتى أحدثت النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن في الحرم
أنفسكم أي لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا
في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراساني أحلت القتال في الحرم
براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم أشهر الحج
بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الآية وإن كان ذلك محرما في سائر الشهور
كافة حال من الفاعل أو المفعول مع المتقين ناصر لهم حثهم على التقوى بضمان النصرة لأهلها
النسيء تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فإذا جاء
الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى

رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من بين شهور العام أربعة أشهر وذلك
قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا العدة التي هي الأربعة ولا يخالفوها وقد
خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر أو
أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وعلا إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من
غير زيادة زادوها والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء أي إذا أحلوا شهرا من الأشهر الحرم عاما
رجعوا فحرموه في العام القابل روي أنه حدث ذلك في كنانة لأنهم كانوا فقراء محاويج إلى الغارة
وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول بأعلى صوته
إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في القابل فيقول إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم
فحرموه جعل النسيء زيادة في الكفر لأن الكافر كلما أحدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا
إلى رجسهم كما أن المؤمن إذا أحدث طاعة ازداد إيمانا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وقرئ
يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على أن الفعل لله عز وجل وقرأ الزهري
ليوطئوا بالتشديد والنسيء مصدر نسأه إذا أخره يقال نسأه نسأ ونساء ونسيئا كقولك
مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الهدي والنسي بوزن النهي
وهما تخفيف النسيء والنسء فإن قلت ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله قلت معناه فيحلوا بمواطأة العدة
وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص للأشهر بعينها زين
لهم سوء أعمالهم خذلهم الله فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي أي لا يلطف
بهم بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء أعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل اثاقلتم تثاقلتم
وبه قرأ الأعمش أي تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والإخلاد فعدي بإلى والمعنى ملتم
إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه أخلد إلى الأرض واتبع هواه
وقيل ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم وقرئ أثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الإنكار
والتوبيخ فإن قلت فما العامل في إذا وحرف الاستفهام مانع أن يعمل فيه ما قبله قلت
ما دل عليه اثاقلتم أو ما في ما لكم من معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون إذا قيل لكم كما تعمله في الحال
إذا قلت ما لك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا
في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول
الله في غزوة إلا ورى عنها بغيرها إلا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة من الآخرة

إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ
هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عز

بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة في الآخرة في جنب الآخرة إلا تنفروا سخط عظيم على
المتثاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل
بهم قوما آخرين خيرا منهم وأطوع وأنه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا
وقيل الضمير للرسول أي ولا تضروه لأن الله وعده أن يعصمه من الناس وأن ينصره ووعد
الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم أهل اليمن وقيل أبناء فارس والظاهر مستغن
عن التخصيص فإن قلت كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط قلت فيه وجهان
أحدهما إلا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد ولا أقل من الواحد فدل
بقوله فقد نصره الله على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني أنه أوجب له
النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده وأسند الإخراج إلى الكفار
كما أسنده إليهم في قوله من قريتك التي أخرجتك لأنهم حين هموا بإخراجه أذن الله له
في الخروج فكأنهم أخرجوه ثاني اثنين أحد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله صلى الله عليه
وأبو بكر الصديق رضي الله عنه يروى أن جبريل صلوات الله عليه لما أمره بالخروج قال من
يخرج معي قال أبو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون وإذ هما بدل من إذ
أخرجه والغار ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا
إذ يقول بدل ثان قيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر على رسول الله فقال إن تصب
اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار
بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله اللهم أعم أبصارهم
فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله بأبصارهم عنه وقالوا من أنكر
صحبة أبي بكر فقد كفر لإنكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة سكينته ما ألقى في
قلبه من الأمنة التي سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون إليه والجنود الملائكة يوم بدر
والأحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا دعوتهم إلى الكفر وكلمة الله دعوته إلى الإسلام
وقرئ وكلمة الله بالنصب والرفع أوجه وهي فصل أو مبتدأ وفيها تأكيد فضل كلمة الله
في العلو وأنها المختصة به دون سائر الكلم خفافا وثقالا خفافا في النفور لنشاطكم له
وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وأذيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من
السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبانا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا

انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم
الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين

وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله أعليّ أن أنفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الأعمى حرج وعن
ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص
فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد
أعذر الله إليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا ألا إنه من
يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه
فقيل إنك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فإن لم يمكني الحرب كثرت
السواد وحفظت المتاع وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم إيجاب للجهاد بهما إن أمكن أو
بأحدهما على حسب الحال والحاجة العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض
حاضر يأكل منه البر والفاجر أي لو كان ما دعوا إليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا
وسطا مقاربا الشقة المسافة الشاطة الشاقة وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة
بكسر العين والشين ومنه قوله يقولون لا تبعد وهم يدفنونه ولا بعد إلا ما توارى الصفائح
بالله متعلق بسيحلفون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين أي سيحلفون يعني
المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم
أو وسيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا و
الإخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات
ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الأبدان كأنهم تمارضوا وقرئ لو
استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون أنفسهم إما أن
يكون بدلا من سيحلفون أو حالا بمعنى مهلكين والمعنى أنهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما
يحلفون عليه من التخلف ويحتمل أن يكون حالا من قوله لخرجنا أي لخرجنا معكم وإن أهلكنا
أنفسنا وألقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب
لأنه مخبر عنهم ألا ترى أنه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال
حلف بالله ليفعلن ولأفعلن فالغيبة على حكم الإخبار والتكلم على الحكاية عفا الله عنك
كناية عن الجناية لأن العفو رادف لها ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت لم أذنت
لهم بيان لما كني عنه بالعفو ومعناه ما لك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك
واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالإذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه

وقيل شيئان فعلهما رسول الله ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى فعاتبه الله
لا يستأذنك ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين
والانصار يقولون لا نستأذن النبي صلى الله عليه ابدا ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا
ومعنى ان يجاهدوا في ان يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم
بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب انما يستأذنك يعني المنافقين وكانوا تسعة
وثلثين رجلا يترددون عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار
ديدن المستبصر قرئ عُدَّه بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال واخلفوك
عدا الامر الذي وعدوا من حذف تاء التانيث وتعويض المضاف اليه منها وقرئ عِدَّه
بكسر العين بغير اضافة وعدة باضافة فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك قلت
لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن
كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول
ما احسن الي زيد ولكن اساء الي فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث
وقيل اقعدوا جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان
بالوسوسة وقيل هو قولهم لانفسهم وقيل هو اذن رسول الله لهم في القعود فان قلت
كيف جاز ان يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن
الهام القبيح قلت خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا
فكان ايقاع كراهة الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة فان قلت فلم خطأ رسول الله
في الاذن لهم فيما هو مصلحة قلت لان اذن رسول الله لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا
علمها الا بعد القفول باعلام الله ولكن لانهم استأذنوه واعتذروا اليه فكان عليه ان يتفحص
عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون في ترك رسول الله
الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى فباذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك انه
اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله قامت عليهم الحجة
ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد
عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الاخر فان قلت ما معنى قوله مع القاعدين قلت
هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود والجثوم في

البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف
الا خبالا ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى
من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه غير مذكور فهذا
الكلام واذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء متصلا لان
الخبال بعض اعم العام كانه قيل ما زادوكم شيئا الا خبالا والخبال الفساد والشر
ولاوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير
وضعا اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم
لان الراكب اسرع من الماشي وقرأ ابن الزبير ولارقصوا من رقصت الناقة رقصا اذا اسرعت
وارقصتها قال والراقصات الى منى فالغبغب وقرئ ولا وفضوا فان قلت
كيف خط في المصحف ولا اوضعوا بزيادة الالف قلت كانت الفتحة تكتب الفا قبل
الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القران وقد بقي من ذلك الالف اثر
في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه اولا اذبحنه يبغونكم
الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم
وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين
ويطيعونهم لقد ابتغوا الفتنة اي العنت ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملك
وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج
وقفوا لرسول الله على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل من
قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الاراء في
ابطال امرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف حتى جاء الحق وهو تاييدك ونصرك وظهر امر الله
وغلب دينه وعلا شرعه ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم
بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت
معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا
تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني وقرئ ولا تفتني من
افتنه الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف
ابي سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى محيطة بالكافرين يعني انها تحيط بهم يوم القيامة

إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا
وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم
متربصون قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين

أو هي محيطة بهم الآن لأن أسباب الإحاطة معهم فكأنهم في وسطها إن تصبك في بعض
الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وإن تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو
ما جرى يوم أحد يفرحوا بحالهم في الانحراف عنك ويقولوا قد أخذنا أمرنا أي
أمرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل من قبل ما وقع ويتولوا
عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له إلى أهاليهم وهم فرحون مسرورون وقيل تولوا أعرضوا
عن رسول الله وقرأ ابن مسعود قل هل يصيبنا وقرأ طلحة هل يصيبنا بتشديد الياء ووجهه
أن يكون يفيعل لا يفعل لأنه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب
في جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب ألا ترى إلى قولهم صوب رأيه إلا أن يكون من لغة
من يقول صاب السهم يصيب ومنه قوله أسهمي الصائبات والصيب واللام في قوله
إلا ما كتب الله لنا مفيدة معنى الاختصاص كأنه قيل لن يصيبنا إلا ما اختصنا الله بإثباته
وإيجابه من النصرة عليكم أو الشهادة ألا ترى إلى قوله هو مولانا أي الذي يتولانا ونتولاه
ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق
المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم إلا إحدى الحسنيين إلا إحدى
العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم
إحدى السوأيين من العواقب إما أن يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت
على عاد وثمود أو بعذاب بأيدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا
إنا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد أن يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه أنفقوا يعني في
سبيل الله ووجوه البر طوعاً أو كرهاً نصب على الحال أي طائعين أو مكرهين فإن قلت
كيف أمرهم بالإنفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو أمر في معنى الخبر كقوله قل من كان
في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً ومعناه لن يتقبل منكم أنفقتم طوعاً أو كرهاً ونحوه قوله تعالى استغفر
لهم أو لا تستغفر لهم وقوله أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة أي لن يغفر الله لهم استغفرت
لهم أو لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت إلينا أو أحسنت فإن قلت متى يجوز نحو هذا قلت
إذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيداً وغفر له فإن قلت لم فعل ذلك
قلت لنكتة فيه وهي أن كثيراً كأنه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك
وعامليني بالإساءة والإحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت أو محسنة وفي معناه قول القائل

وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم
إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون

أخوك الذي إن قمت بالسيف عامداً لتضربه لم يستغشك في الود ۞ وكذلك المعنى أنفقوا أو
لا تنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم أو لا تستغفر وانظر هل ترى اختلافاً بين حال
الاستغفار وتركه فإن قلت ما الغرض في نفي التقبل أهو كون رسول الله لا يقبله منهم و
رده عليهم ما يبذلون منه أم هو كونه غير مقبول عند الله ذاهباً هباء لا ثواب له قلت
يحتمل الأمرين جميعاً وقوله طوعاً أو كرهاً معناه طائعين من غير إلزام من الله ورسوله أو
ملزمين وسمي الإلزام إكراهاً لأنهم منافقون فكان إلزامهم الإنفاق شاقاً عليهم كالإكراه
أو طائعين من غير إكراه من رؤسائكم لأن رؤساء أهل النفاق كانوا يحملون على الإنفاق لما يرون
من المصلحة فيه أو مكرهين من جهتهم وروي أنها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك
وقال لرسول الله هذا مالي أعينك به فاتركني أنكم تعليل لرد إنفاقهم والمراد بالفسق
التمرد والعتو أنهم فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولاه وقرئ أن يقبل بالتاء والياء على البناء
للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرأ السلمي أن يقبل منهم نفقاتهم على أن الفعل
لله عز وجل كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران وكسلهم
لأنهم لا يرجون بصلاتهم ثواباً ولا يخشون بتركها عقاباً فهي ثقيلة عليهم كقوله وإنها لكبيرة
إلا على الخاشعين وقرأت في بعض الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه كره للمؤمن أن يقول
كسلت كأنه ذهب إلى هذه الآية وأن الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي أن يسنده المؤمن
إلى نفسه فإن قلت الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طائعين في قوله طوعاً ثم
وصفهم بأنهم لا ينفقون إلا وهم كارهون قلت المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير إلزام
من رسول الله أو من رؤسائهم وما طوعهم ذاك إلا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار
الإعجاب بالشيء أن تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن
بما أوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك فإن الله إنما أعطاهم ما أعطاهم للعذاب
بأن عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الإنفاق منه في أبواب
الخير وهم كارهون له على رغم أنوفهم وأذاقهم أنواع الكلف والمحاشم في جمعه واكتسابه
وفي تربية أولادهم فإن قلت إن صح تعليق التعذيب بإرادة الله فما بال زهوق أنفسهم
وهم كافرون قلت المراد الاستدراج بالنعم كقوله إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً كأنه
قيل ويريد أن يديم عليهم نعمته إلى أن يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة

انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجا او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها
رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله
انا الى الله راغبون

لمنكم لمن جملة المسلمين يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية ملجا
مكانا يلجاون اليه متحصنين به من راس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات او غيرانا وقرئ بضم
الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشيء واغرته انا يعني امكنة
يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومغار او مدخلا
او نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا
من ادخل مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرا ابي بن كعب متدخلا لولوا اليه لالتجاوا اليه وهم يجمحون
يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام وقرا انس
يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات
ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول
الله صلى الله عليه يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن
يعدل وقيل هو ابو الجواظ من المنافقين قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في
رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود
راعيا فلما ذهب قال عليه السلم احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم
ويلمزك ويلامزك التشديد والبناء على المفاعلة مبالغة في اللمز ثم وصفهم بان رضاهم وسخطهم
لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لان رسول الله استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير
الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه واذا للمفاجاة اي وان لم يعطوا منها فاجاوا السخط جواب
لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول
من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما
قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيؤتينا رسول الله اكثر مما آتانا اليوم انا الى الله في ان يغنمنا
ويخولنا فضله لراغبون انما الصدقات للفقراء قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة
وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة
لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى
بعضها وعليه مذهب ابي حنيفة وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين
انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزاك وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من
المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي وعند الشافعي رضي الله عنه لا بد من صرفها
الى الاصناف وعن عكرمة انها تفرق

انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله
وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم
يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم

في الاصناف الثمانية وعن الزهري انه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الاصناف
الثمانية والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم اشراف من العرب كان
رسول الله يستالفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيئا منها حين كان في المسلمين قلة والرقاب
المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق والغارمين الذين
ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا
فيها وغرموا وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع
عن ماله فهو فقير من حيث انه غني من حيث ماله فريضة في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما
الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة فان قلت
لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة قلت للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق
عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا
مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي فك الغارمين
من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة
وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله
وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين فان قلت فكيف وقعت هذه
الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم قلت دل بكون هذه الاصناف مصارف
الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان
وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها الاذن
الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته
اذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو اذن واذن
خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز
ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويدل عليه
قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر
كونه اذن خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين
والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل
ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما راى

يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا ان الله مخرج ما كنتم تحذرون

الله من المصلحة في الابقاء عليكم فهو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسر بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وانه من اهل سلامة القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم ذموه وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فاذا جئنا اليه نعتذر اليه فيسمع عذرنا ايضا فيرضى فقيل هو اذن خير لكم وقرئ اذن خير لكم على ان اذن خبر مبتدا محذوف وخير كذلك اي هو اذن هو خير لكم يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم وقرا نافع بتخفيف الذال **فان قلت** لم عدي فعل الايمان بالباء الى الله والى المؤمنين باللام **قلت** لانه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدي بالباء وقصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي باللام الا ترى الى قوله وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما اباه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى الا ذرية من قومه انؤمن لك واتبعك الارذلون آمنتم له قبل ان آذن لكم **فان قلت** ما وجه قراءة ابن ابي عبلة ورحمة بالنصب **قلت** هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم ياذن لكم فحذف لان قوله اذن خير لكم يدل عليه ليرضوكم الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ويتخلفون عن الجهاد ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد واجماله نعشني وجبر مني او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق فان له على حذف الخبر اي فحق ان له نار جهنم وقيل معناه فله وان تكرير لان في قوله انه توكيدا ويجوز ان يكون فان له معطوفا على انه على ان جواب من محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم وقرئ الم تعلموا بالتاء كانوا يستهزئون بالاسلام واهله وكانوا يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا ارانا الا شر خلق الله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة وانه لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقود اليه ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كانها تقول لهم

ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون

في قلوبكم كيت وكيت يعني انها تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكانها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الامر بالحذر اي ليحذر المنافقون **فان قلت** الحذر واقع على انزال السورة في قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة فما معنى قوله مخرج ما تحذرون **قلت** معناه محصل مبرز انزال السورة او ان الله مظهر ما كنتم تحذرونه اي تحذرون اظهاره من نفاقكم بينا رسول الله صلى الله عليه يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لم يعبا باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كانهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزا به يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين مؤذين لرسول الله مستهزئين وقرا مجاهد ان تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التانيث والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة فانث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتانيث وقرئ ان يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل بعضهم من بعض اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعات ويقبضون ايديهم شحا بالمبار والصدقات والانفاق في سبيل الله نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم واذا

وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة
وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا
والآخرة وأولئك هم الخاسرون ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله
ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة و
يطيعون الله ورسوله

كره رسول الله للمسلم أن يقول كسلت لأن المنافقين وصفوا بالكسل في قوله كسالى فاطلك بالفسق
خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم دلالة على عظم عذابها وأنه لا شيء أبلغ منه وأنه بحيث
لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه ولعنهم الله وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين
ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم أهل الجنة وألحقهم بالملائكة المكرمين ولهم عذاب مقيم
ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز أن يريد ولهم
عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر
المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه أبدا من الفضيحة ونزول العذاب إن اطلع على
أسرارهم الكاف محلها رفع على أنتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من
قبلكم وهو أنكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر كاليوم مطلوبا و
لا طلبا بإضمار لم أر وقوله كانوا أشد منكم تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم و
الخلاق النصيب وهو ما خلق للإنسان أي قدر من خير كما قيل له قسم لأنه قسم ونصيب لأنه
نصب أي أثبت والخوض الدخول في الباطل واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا
أو كالخوض الذي خاضوه فإن قلت أي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما
استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما أغنى قوله كالذي خاضوا عن أن يقال وخاضوا
فخضتم كالذي خاضوا قلت فائدته أن يذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا
ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة
وأن يخسس أمر الاستمتاع ويهجن أمر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم
كما تريد أن تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم و
يعذب ويعسف وأنت تفعل مثل فعله وأما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله
مستند إليه مستغن بإسناده إليه عن تلك التقدمة حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة
نقيض قوله وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين وأصحاب مدين وأهل
مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات مدائن قوم لوط وقيل قريات قوم لوط وهود
وصالح وائتفاكهن انقلاب أحوالهن عن الخير إلى الشر فما كان الله ليظلمهم فما صح منه أن
يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وأن يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا أنفسهم حيث كفروا
فاستحقوا عقابه بعضهم أولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض سيرحمهم

أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر
ذلك هو الفوز العظيم يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا

الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سأنتقم منك
يوما تعني أنك لا تفوتني وإن تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك
سوف نؤتيهم أجورهم عزيز غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع
كلا موضعه على حسب الاستحقاق ومساكن طيبة عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الأحمر
والزبرجد وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ما روى أبو الدرداء
عن رسول الله صلى الله عليه عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير
ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في
الجنة وقيل نهر جناته على حافاته ورضوان من الله أكبر وشيء من رضوان الله أكبر من ذلك كله
لأن رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة
أكبر أصناف الثواب ولأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعم
وإنما تتهنأ له برضاه كما إذا علم بسخطته تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وإن عظمت وسمعت
بعض أولي الهمة البعيدة والنفس المرتاضة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي
إلى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع إلى رضاه عني وأن أحشر في زمرة المهديين
المرضيين عنده ذلك إشارة إلى ما وعد أو إلى الرضوان أي هو الفوز العظيم وحده دون ما
يعده الناس فوزا وروي أن الله عز وجل يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا
لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأي
شيء أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد
في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها عن ابن
مسعود إن لم يستطع بيده فبلسانه فإن لم يستطع فليكفهر في وجهه فإن لم يستطع فبقلبه
يريد الكراهة والبغضاء والتبرؤ منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على إقامة الحدود عليهم
إذا تعاطوا أسبابها أقام رسول الله في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين
المتخلفين فسمع من معه منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لإخواننا
الذين خلفناهم وهم سادتنا وأشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الأنصاري للجلاس أجل
والله إن محمدا لصادق وأنت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع

ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله
عذابا اليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله
بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون

عامر بذلك فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل يحلفون
بالله ما قالوا فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر
فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهارهم الاسلام و
هموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله وذلك عند مرجعه من تبوك تواثق خمسة عشر منهم على
ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته
يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة
السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون
بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله وما
نقموا وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله وذلك انهم كانوا محاويج قدم رسول الله المدينة في ضنك
من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول
الله بديته اثني عشر الفا فاستغنى فان يتوبوا الآية التي تاب عندها الجلاس في الدنيا والآخرة
بالقتل والنار روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام
يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني
مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة
فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد
فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم
ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله الذي فيه الفرائض فقال ما هذه
الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله
قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك
فجعل التراب على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله فجاء بها الى ابي بكر
فلم يقبلها وجاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان وقرئ لنصدقن ولنكونن
بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين قال ابن عباس يريد الحج فاعقبهم عن الحسن وقتادة ان الضمير للبخل
يعني فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر ان الضمير
لله عز وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا
بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد

الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم
سخر الله منهم ولهم عذاب اليم استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين

ثلث النفاق وقرئ يكذبون بالتشديد والم يعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه سرهم ونجواهم
ما اسروه من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن
في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها الذين يلمزون محله النصب او الرفع على الذم
ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين
المتبرعين روي ان رسول الله حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من
ذهب وقيل باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت اربعة
لعيالي فقال رسول الله بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت تماضر
امرأته عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل
الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت
بصاع فامره رسول الله ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد
الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر
بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح والضم سخر الله منهم
كقوله الله يستهزئ بهم في انه خبر غير دعاء الا ترى الى قوله ولهم عذاب اليم سأل عبد الله
بن عبد الله بن ابي رسول الله صلى الله عليه وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه
ففعل فنزلت فقال عليه السلام ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وقد ذكرنا ان هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر
الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر وان فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على
لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لاصبحن
العاص وابن العاص سبعين الفا عاقدي النواصي فان قلت كيف خفي على رسول الله وهو
افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام وتمثيلاته والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار
كيف وقد تلاه بقوله ذلك بانهم كفروا الآية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص
لي فسازيد على السبعين قلت لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال اظهار الغاية رحمته
ورأفته على من بعث اليه كقول ابراهيم ومن عصاني فانك غفور رحيم وفي اظهار النبي
الرحمة والرأفة لطف لامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض المخلفون الذين استاذنوا
رسول الله من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم

فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين ولا تصل على احد منهم

والشيطان بمقعدهم بقعودهم عن الغزو وخلاف رسول الله خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة ابي حيوة خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه على انه مفعول له او حال اي قعدوا لمخالفته او مخالفين له ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل اموالهم وارواحهم في سبيل الله وايثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان وداعي الايقان قل نار جهنم اشد حرا استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل ولبعضهم

مسرة احقاب تلقيت بعدها مساءة يوم اريها شبه الصاب فكيف بان تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساءة احقاب

معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره وروي ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وانما قال الى طائفة منهم لان منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف او اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة المنافقين منهم فاستاذنوك للخروج يعني الى غزوة بعد تبوك وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله انه لم يدعهم اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين مع الخالفين قد مر تفسيره وقرا مالك بن دينار رحمه الله مع الخلفين على قصر الخالفين فان قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات قلت اكثر اللغتين هند اكبر النساء وهي اكبرهن ثم ان قولك هي كبرى امراة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي اكبر امراة واول مرة واخر مرة وعن قتادة ذكر لنا انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل روي ان رسول الله كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض راس النفاق عبد الله بن ابي بعث اليه ليأتيه فلما دخل عليه قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وساله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب الى جنازته فساله عن اسمه فقال انت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلاة عليه قال له عمر اتصلي على عدو الله فنزلت وقيل اراد ان يصلي عليه فجذبه جبريل فان قلت كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم رسول الله لما اخذ اسيرا ببدر لم يجد واله قميصا وكان رجلا طوالا

مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون واذا انزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم

فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا ناذن لمحمد ولكنا ناذن لك فقال لا ان لي في رسول الله اسوة حسنة فشكر رسول الله له ذلك واجابه الى ما ساله اياه فقد كان عليه السلام لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعي المروة ويعمل بعادات الكرام واكراما لابنه الرجل الصالح فقد روي انه قال اسالك ان تكفنه في بعض قمصانك وان تقوم على قبره لا يشمت به الاعداء وعلما بان تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روي انه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيئا واني اؤمل من الله ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فروي انه اسلم الف من الخزرج لما راوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى التراحم والتعاطف لانهم اذا راوه يترحم على من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم الى ان يتعطف على من واطا قلبه لسانه وراه حتما عليه فان قلت فكيف جازت الصلاة عليه قلت لم يتقدم نهي عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس ما ادري ما هذه الصلاة الا اني اعلم ان رسول الله لا يخادع مات لاحد وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة انهم كفروا تعليل للنهي وقد اعيد قوله ولا تعجبك لان تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل له وتاكيده وارادة ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية لا سيما اذا تراخي ما بين النزولين فاشبه الشي الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثناء حديثه ويتخلص اليه وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه يجوز ان يراد السورة بتمامها وان يراد بعضها في قوله واذا انزلت سورة كما يقع القران والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد ان آمنوا هي ان المفسرة اولوا الطول ذووا الفضل والسعة من طال عليه طولا مع القاعدين مع الذين لهم علة وعذر في التخلف فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك لكن الرسول اي ان تخلف هؤلاء فقد نهد الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فان استكبروا فالذين عند ربك الخيرات تتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات

المعذر من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا

وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون

فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم يثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فأذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلم سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعّذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لان التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان وقرئ كذّبوا بالتشديد سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار الضعفاء الهرمى والزمنى والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه على المحسنين على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم قلت حال من الكاف في اتوك وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله او جاؤكم حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا ولقد حصر الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في ايديهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه وقيل البكاؤن وهم ستة نفر من الانصار تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك افديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز الا يجدوا لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا فان قلت رضوا ما موقعه قلت هو استيناف كأنه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم يعني ان السبب

يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وماويهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء

في استيذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله اياهم فان قلت فهل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استينافا مثله كأنه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت نعم ويحسن لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال به وقوله قد نبأنا الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم واحوالهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم اتتوبون ام تثبتون على كفركم ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم وماويهم جهنم يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم لترضوا عنهم اي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فان ترضوا عنهم فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بجهل حدود الدين وما انزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله عليه السلم ان الجفاء والقسوة في الفدادين والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء دعاء معترض دعي عليهم

والله سميع عليم ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق

نحو ما دعوا به كقوله عز وعلا وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم وقرئ السوء بالضم
وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل
صدق لأن من دارت عليه ذام لها والله سميع لما يقولون إذا توجهت عليهم الصدقة عليم
بما يضمرون وقيل هم أعراب أسد وغطفان وتميم قربات مفعول ثان ليتخذ والمعنى أن ما
ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول لأن الرسول كان يدعو للمتصدقين
بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل أبي أوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان
ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات ألا إنها شهادة من الله للمتصدق
بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف
مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين
من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وأن الصدقة منه بمكان
إذا خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه
السابقون الأولون من المهاجرين هم الذين صلوا إلى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن
الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن الأنصار أهل بيعة العقبة الأولى
وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة
مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرأ عمر رضي الله عنه والأنصار بالرفع عطفا على والسابقون
وعن عمر أنه كان يرى أن قوله والذين اتبعوهم بإحسان بغير واو صفة للأنصار حتى قال له زيد
إنه بالواو فقال ائتوني بأبي فقال تصديق ذلك في أول الجمعة وآخرين منهم وأوسط الحشر
والذين جاؤوا من بعدهم وآخر الأنفال والذين آمنوا من بعد وروي أنه سمع رجلا يقرؤه بالواو
فقال من أقرأك قال أبي فدعاه فقال أقرأنيه رسول الله وإنك لتبيع القرظ بالبقيع
قال صدقت وإن شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر
لقد كنت أرانا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره رضي الله عنهم
ومعناه رضي عنهم لأعمالهم ورضوا عنه لما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية وفي
مصاحف أهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من وممن
حولكم يعني حول بلدتكم وهي المدينة منافقون هم جهينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين
حولها ومن أهل المدينة عطف على خبر المبتدأ الذي هو ممن حولكم ويجوز أن يكون جملة معطوفة على

لا يعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم والله سميع عليم

المبتدأ والخبر إذا قدرت ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق على أن مردوا صفة موصوف
محذوف كقوله أنا ابن جلا وعلى الوجه الأول لا يخلو من أن يكون كلاما مبتدأ أو صفة
لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره مردوا على النفاق تمهروا فيه من مرن
فلان على عمله ومرد عليه إذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم
عليه ومهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم أي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك
لفرط تنوقهم في تحامي ما يشككك في أمرهم ثم قال نحن نعلمهم أي لا يعلمهم إلا الله ولا يطلع على
سرهم غيره لأنهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم إبطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين
من المؤمنين لا تشك معه في إيمانهم وذلك أنهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد
الطولى سنعذبهم مرتين قيل هما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر
وعن ابن عباس أنهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج
يا فلان فإنك منافق فأخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الأول والثاني عذاب القبر وعن
الحسن أخذ الزكاة من أموالهم ونهك أبدانهم إلى عذاب عظيم إلى عذاب النار اعترفوا بذنوبهم
أي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم بئسما
فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلاثة أبو لبابة مروان بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة
ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم أوثقوا أنفسهم بلغهم ما نزل في المتخلفين
فأيقنوا بالهلاك فأوثقوا أنفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه فدخل
المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له
أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال وأنا أقسم أن لا
أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي
خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت خذ من
أموالهم عملا صالحا خروجا إلى الجهاد وآخر سيئا تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة
والإثم **فإن قلت** قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به **قلت** كل واحد منهما
مخلوط ومخلوط به لأن المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت
كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لأنك جعلت الماء مخلوطا
واللبن مخلوطا به وإذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كأنك قلت خلطت

ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم

إلا اللبن واللبن بالماء ويجوز أن يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم فإن قلت كيف قيل أن يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم قلت إذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم تطهرهم صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للأمر ولم يقرأ وتزكيهم إلا بإثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب أو لغيبة المؤنث والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الإنماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة إذا أخذها وعن الشافعي رحمه الله أحب أن يقول الوالي عند أخذ الصدقة آجرك الله فيما أعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما أبقيت وقرئ إن صلاتك على التوحيد سكن لهم يسكنون إليه وتطمئن قلوبهم بأن الله قد تاب عليهم والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم قرئ ألم يعلموا بالياء والتاء وفيه وجهان أحدهما أن يراد المتوب عليهم يعني ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم أن الله هو يقبل التوبة إذا صحت ويقبل الصدقات إذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد وأن الله من شأنه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص في هو أن ذلك ليس إلى رسول الله إنما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها إليه وقيل لهؤلاء التائبين اعملوا فإن عملكم لا يخفى خيرا كان أو شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم والثاني أن يراد غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي أنهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت فإن قلت فما معنى قوله ويأخذ الصدقات قلت هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود أن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل والمعنى أنه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله فسيرى وعيد لهم وتحذير من عاقبة الإصرار والذهول عن التوبة قرئ مرجون ومرجأون من أرجيته وأرجأته إذا أخرته ومنه المرجئة يعني وآخرون من المتخلفين موقوف أمرهم إما يعذبهم إن بقوا على الإصرار ولم يتوبوا وإما يتوب عليهم إن تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر رسول الله أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل أبو لبابة وأصحابه من شد أنفسهم على السواري وإظهار الجزع والغم فلما علموا أن أحدا لا ينظر إليهم فوضوا أمرهم إلى الله وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والله عليم حكيم

والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا

وفي قراءة عبد الله غفور رحيم وإما للعباد أي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة في مصاحف أهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لأنها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي أحدثه المنافقون على سائر قصصهم روي أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا إلى رسول الله أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم إخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل إلى رسول الله يصلي فيه ويصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوتهم وهو الذي سماه رسول الله الفاسق وقال لرسول الله يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا وأصحابه من المدينة فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب أن تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال إني على جناح سفر وحال شغل وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعل وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام بقنسرين ضرارا مضارة لإخوانهم أصحاب مسجد قباء ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين لأنهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فيغتص بهم فأرادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وإرصادا وإعدادا لأجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب أعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله وقيل كل مسجد بني مباهاة أو رياء وسمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق أنه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا أحب أن أصلي فيه فإنه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار أو رياء وسمعة فإن أصله ينتهي إلى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطاء لما فتح الله الأمصار على عمر رضي الله عنه أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وأن لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار أحدهما صاحبه فإن قلت والذين اتخذوا ما محله من الإعراب قلت النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة

لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين

وقيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة

فإن قلت بم يتصل قوله من قبل قلت باتخذوا أي اتخذوا مسجدا من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف
إن أردنا ما أردنا ببناء هذا المسجد إلا الخصلة الحسنى أو الإرادة الحسنى وهي الصلاة وذكر
الله والتوسعة على المصلين لمسجد أسس على التقوى قيل هو مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهو يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة
وهو أولى لأن الموازنة بين مسجدي قباء أوقع وقيل هو مسجد رسول الله بالمدينة وعن أبي سعيد
الخدري سألت رسول الله عن المسجد الذي أسس على التقوى فأخذ حصباء فضرب بها الأرض
وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من أول يوم من أيام وجوده فيه رجال يحبون
أن يتطهروا وقيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه ومعه المهاجرون حتى وقف على باب
مسجد قباء فإذا الأنصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول
الله إنهم لمؤمنون وأنا معهم فقال عليه السلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء
قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال
يا معشر الأنصار إن الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط
فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه
رجال يحبون أن يتطهروا وقرئ أن يطهروا بالإدغام وقيل هو عام في التطهر من
النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء أثر البول وعن الحسن
هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون أن يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن
آخرهم فإن قلت ما معنى المحبتين قلت محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه
حرص المحب للشيء المشتهى له على إيثاره ومحبة الله إياهم أنه يرضى عنهم ويحسن إليهم كما يفعل
المحب بمحبوبه قرئ أسس بنيانه وأسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول وأسس بنيانه
جمع أساس على الإضافة وأساس بنيانه بالفتح والكسر جمع أس وآساس بنيانه على أفعال
جمع أس أيضا وأس بنيانه والمعنى أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي
هو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وأرخاها وأقلها
بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع
شفا الجرف في مقابلة التقوى لأنه جعل مجازا عما ينافي التقوى فإن قلت فما معنى قوله

أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين
لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم

فانهار به في نار جهنم قلت لما جعل الجرف الهار مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم
على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم إلا أنه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف و
ليصور أن المبطل كأنه أسس بنيانا على شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى
في قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر أصله بالماء وتجرفه
السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي أشفى على التهدم والسقوط
ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائت وألفه
ليست بألف فاعل إنما هي عينه وأصله هور وشوك وصوت ولا ترى أبلغ من هذا الكلام
ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه أمره وقرئ جرف بسكون الراء فإن قلت فما وجه ما
روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين قلت قد جعل الألف للإلحاق
لا للتأنيث كتترى فيمن نونها ألحقها بجعفر وفي مصحف أبي فانهارت به قواعده وقيل
حفرت بقعة من مسجد الضرار فرئي الدخان يخرج منه وروي أن مجمع بن جارية كان
إمامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب في خلافته
أن يأذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين أليس بإمام مسجد الضرار فقال يا
أمير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم أني لا أعلم ما أضمروا فيه ولو علمت
ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤون من القرآن شيئا فعذره
وصدقه وأمره بالصلاة بقومه ريبة شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين
وإنما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه
رسول الله ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا للإسلام
فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق
زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل أثره إلا أن تقطع قلوبهم قطعا
وتفرق أجزاء فحينئذ يسلون عنه وأما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية
فيها متمكنة فيجوز أن يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد
حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو في القبور أو في النار وقرئ يقطع بالياء
وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على أن الخطاب للرسول
أي إلا أن تقطع أنت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن إلى أن وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم

إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين

وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول أو كل مخاطب وقيل معناه إلا أن يتوبوا توبة تتقطع
بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم مثل الله إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في
سبيله بالشروى ودوى تاجرهم فأغلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين
جميعا وعن الحسن أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها وروي أن الأنصار حين بايعوه
على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال أشترط لربي
أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم قال
فإذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله
أعرابي وهو يقرؤها فقال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله
فخرج إلى الغزو واستشهد يقاتلون فيه معنى الأمر كقوله تجاهدون في سبيل الله بأموالكم
وأنفسكم وقرئ فيقتلون ويقتلون على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس
وعدا مصدر مؤكد وأخبر بأن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد
أثبته في التوراة والإنجيل كما أثبته في القرآن ثم قال ومن أوفى بعهده من الله لأن إخلاف
الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي
لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن منه وأبلغ التائبون رفع على المدح
أي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين وتدل عليه قراءة عبد الله وأبي رضي الله عنهما التائبين
بالياء إلى والحافظين نصبا على المدح ويجوز أن يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج أن
يكون مبتدأ خبره محذوف أي التائبون العابدون من أهل الجنة أيضا وإن لم يجاهدوا كقوله
وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز أن يكون مبتدأ
وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر أي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون
لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرءوا من النفاق والعابدون الذين
عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة وحرصوا عليها السائحون الصائمون شبهوا
بذوي السياحة في الأرض في امتناعهم من الشهوات وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الأرض
يطلبونه في مظانه قيل قال لعمه أبي طالب أنت أعظم الناس علي حقا وأحسنهم عندي يدا
فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي فأبى فقال لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه فنزلت وقيل
لما افتتح مكة سأل أي أبويه أحدث به عهدا فقيل أمك آمنة فزار قبرها بالأبواء ثم قام

ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابرهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن ابرهيم لأواه حليم وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير

مستعبرا فقال إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها
فلم يأذن لي ونزلت وهذا أصح لأن موت أبي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة
وقيل استغفر لأبيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا وذوي قراباتنا وقد
استغفر ابرهيم لأبيه وهذا محمد يستغفر لعمه ما كان للنبي ما صح له الاستغفار في حكم الله
وحكمته من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم لأنهم ماتوا على الشرك وقرأ طلحة وما استغفر
ابرهيم لأبيه وعنه وما يستغفر ابرهيم على حكاية الحال الماضية إلا عن موعدة وعدها
إياه أي وعدها ابرهيم أباه وهو قوله لأستغفرن لك وتدل عليه قراءة الحسن وحماد
الراوية وعدها أباه فإن قلت كيف خفي على ابرهيم أن الاستغفار للكافر غير جائز
حتى وعده قلت يجوز أن يظن أنه ما دام يرجى منه الإيمان جاز الاستغفار له على
أن امتناع جواز الاستغفار للكافر إنما علم بالوحي لأن العقل يجوز أن يغفر الله للكافر
ألا ترى إلى قوله عليه السلام لعمه لأستغفرن لك ما لم أنه وعن الحسن قيل لرسول الله إن فلانا
يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي رضي الله عنه رأيت رجلا
يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت له فقال أليس قد استغفر ابرهيم فإن قلت فما معنى قوله
فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قلت معناه فلما تبين له من جهة الوحي أنه لن يؤمن
وأنه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم
أنهم أصحاب الجحيم أواه فعال من أوه كلآل من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه ومعناه أنه
لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه
وقوله لأرجمنك يعني ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى
عنه وبين أنه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للإسلام ولا يسميهم ضلالا ولا
يخذلهم إلا إذا أقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بأنه واجب الاتقاء والاجتناب
وأما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين
قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي
عنه وفي هذه الآية شديدة ما ينبغي أن يغفل عنها وهي أن المهدي للإسلام إذا أقدم
على بعض محظورات الله داخل في حكم الإضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فأما
ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف تاب الله على

لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم
وعلى الثلثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم

النبي كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين
على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون
والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وان صفة التوابين الاوابين صفة
الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه
للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك في ساعة العسرة في وقتها والساعة مستعملة
في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم غداة طفت علماء بكر بن وائل
عشية قارعنا جذام وحميرا اذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى والعسرة حالهم في غزوة
تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا
التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان
وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا
فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة كاد
يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه
وفي كاد ضمير الشان وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة
عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة وامثاله ثم تاب
عليهم تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم الثلثة كعب بن مالك
ومرارة بن الربيع وهلال بن امية ومعنى خلفوا خلفوا عن الغزو وقيل عن ابي لبابة واصحابه
حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة
وخلوف الفم وقرا جعفر الصادق رضي الله عنه خالفوا وقرا الاعمش وعلى الثلثة المخلفين
بما رحبت برحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون
فيه قلقا وجزعا مما هم فيه وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها
حرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره ثم تاب
عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا
او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله تواب على من تاب ولو
عاد في اليوم مائة مرة روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله منهم من بدا له وكره مكانه
فلحق به عن الحسن بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين

ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا
اهلاه ما بطاني ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله لاكابدن المفاوز حتى الحق برسول
الله فركب ولحق به ولم يكن لآخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحياة
لك والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله فتابط زاده ولحق به قال الحسن كذلك
والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطا به فحمل
متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه ماشيا فقال رسول الله لما رأى سواده
كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث
وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت
له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد
وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه
ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن
ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلثة
قال كعب لما قفل رسول الله سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت شعري
ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله
ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد
من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت
خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني
ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست
ثوبي وانطلقت الى رسول الله فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة
بن عبيد الله يهرول الي حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال
رسول الله وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك
امك ثم تلا علينا الآية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق
على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه مع الصادقين
وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا او الذين صدقوا
في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة
في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين

وقيل هم الثلاثة اي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس الخطاب لمن آمن من
اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار ووافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا
مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح
الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجزه اقرؤوا ان شئتم وكونوا مع
الصادقين فهل فيها من رخصة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه امروا بان يصحبوه على البأساء
والضراء ويكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد
ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه واذا تعرضت مع كرامتها و
عزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث
لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم واهونه فضلا ان يربؤوا بانفسهم
عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح
لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله
ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب متابعته كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم
شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار
بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم
ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤونهم شيئا بقتل او اسر او غنيمة
او هزيمة او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى
عند الله وذلك مما يوجب المتابعة ويجوز ان يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء
بالاقدام والحوافر كقوله عليه السلام آخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد
واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا
مؤكدا وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم وينكيهم
ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود
ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر ولهذه الآية استشهد اصحاب ابي حنيفة رحمه الله ان
المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم
وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد
ابو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجرين ابا امية وزياد بن ابي لبيد بعكرمة بن ابي جهل

ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون

مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد ما فتحوا فاسهم لهم وعند الشافعي رضي الله عنه لا يشارك المدد الغائب
وقرا عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماءة وظمأ ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط
ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم
ومجيئهم والوادي كل منعرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من
ودى اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي
غيرك الا كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى
عمل صالح وقوله ليجزيهم متعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء اللام لتاكيد النفي ومعناه
ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد
الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة
فلولا نفر فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة طائفة اي من كل
جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه
ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم
في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض
الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد
والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم
وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لآخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه
على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوا في
الارض ولا فسادا لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر
وهو ان رسول الله صلى الله عليه كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما انزل في المتخلفين
من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي
والتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون
حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد بالسيف
وقوله ليتفقهوا الضمير للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر
الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى
الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه يلونكم يقربونكم والقتال واجب مع كافة الكفرة

يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم

قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره وانذر عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر انه سئل عن قتال الديلم فقال عليك بالروم وقرئ غلظة بالحركات الثلث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله مع المتقين ينصر من اتقاه فلم يترأف على عدوه فمنهم من يقول فمنهم من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم مرفوع بالابتداء وقرأ عبيد بن عمير ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته تقديره ايكم زادت زادته هذه ايمانا فزادتهم ايمانا لانها ازيد لليقين والثبات واثلج للصدر او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم وقرئ اولا ترون بالياء والتاء يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا يتوبون ولا ينتهون من نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول الله ويعاينون امره وما ينزل الله عليه من نصرته وتأييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد وقيل معناه واذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا من انفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة

حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب الحكيم اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم

والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدينه الحق الذي جاء به بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم وقرئ من انفسكم اي من ارفعكم وافضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة رضي الله عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله في قوله رؤوف رحيم فان تولوا فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس العرش لا يقدر احد قدره وعن ابي بن كعب آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل علي القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما نزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر تعديد للحروف على طريق التحدي وتلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها او وصف بصفة محدثه قال الاعشى وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه وان اوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وماء والاجود ان يكون كان تامة وان اوحينا بدلا من عجب فان قلت فما معنى اللام في قوله اكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك اكان عند الناس عجبا قلت معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير او اليتيم ليس بعجب ايضا لان الله انما يختار من استحق الاختيار لجمعه اسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الاسباب في شيء وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على

ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدؤ الخلق ثم يعيده

الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء
ان انذر الناس ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان تكون المخففة من الثقيلة واصله
انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس وان لهم الباء معه محذوف قدم صدق عند ربهم
اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة فان قلت لم سميت السابقة قدما قلت لما كان
السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى
باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى الصدق دلالة على
زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق ان هذا ان هذا الكتاب وما جاء به محمد
لسحر ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا
كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة ابي ما هذا الا سحر يدبر يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة
ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا
والامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات والارض والعرش فان قلت ما موقع هذه الجملة
قلت قد دل بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه بخلق السموات والارض مع بسطتها و
اتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة
وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل
على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو
الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك او انسان
فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع افلا تذكرون فان ادنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطا
فيما انتم عليه اليه مرجعكم جميعا اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه وعد
الله مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم وحقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله انه يبدؤ الخلق
ثم يعيده استيناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة
بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم وقرئ انه يبدؤ الخلق بمعنى لانه
او هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدا الخلق ثم اعادته
والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من ابدا ويجوز ان يكون
مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدا الخلق كقوله احقا عباد الله ان لست جائيا ولا ذاهبا

ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل
لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق نفصل الآيات لقوم يعلمون ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات
لقوم يتقون ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم

وقرئ حق انه يبدؤ الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي
والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين
آمنوا وعملوا صالحا لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام انفسهم
وهذا الوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون الياء في ضياء منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها
وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق عقا والضياء اقوى
من النور وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره منازل او قدره ذا منازل كقوله والقمر
قدرناه منازل والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي ذلك اشارة الى
المذكور اي ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا وقرئ نفصل
بالياء خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر لا يرجون
لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المتولية عليهم المذهلة باللذات
وحب العاجل عن التفطن للحقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون
سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة وآثروا القليل الفاني
على الكثير الباقي كقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة واطمانوا بها وسكنوا فيها سكون
من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم
للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار
بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز ان يريد يهديهم
في الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة
حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره
صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار فان قلت
فلقد دلت هذه الآية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم
القيامة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقترن
بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة
مجموعا فيها بين الايمان والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم اي
بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه دعواهم دعاؤهم

دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه

لان اللهم ندا لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت في دعا القنوت اللهم اياك
نعبد ولك نصلي ونسجد ويجوز ان يراد بالدعا العبادة واعتزلكم وما تدعون من دون
الله على معنى ان لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه
وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله وما كان صلاتهم عند
البيت الا مكاء وتصدية وآخر دعواهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد
لله رب العالمين ومعنى وتحيتهم فيها سلام ان بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الملائكة
اياهم اضافة للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله لهم وان هي المخففة من الثقيلة واصله
وانه الحمد لله على ان الضمير للشان كقوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله
بالتشديد ونصب الحمد اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم
بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان
استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السما يعني ولو
عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا
واهلكوا وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البنا للفاعل وهو الله عز وجل وينصرها قراءة عبد الله
لقضينا اليهم اجلهم فان قلت فكيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما
معناه قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي
اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم يعمهون اي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم
الزاما للحجة عليهم لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا او قاعدا
او قائما فان قلت فما فائدة ذكر هذه الاحوال قلت معناه ان المضرور لا يزال داعيا
لا يفتر عن الدعا حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان منبطحا عاجز النهض
متخاذل النسا او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب
الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز ان يراد ان من المضرورين
من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم
المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعا واستدفاع البلا لان الانسان للجنس مر
اي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف الابتهال والتضرع
لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان قال كان ثدياه حقان

كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا

كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته او الله عز وجل بخذلانه وتخليته
ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات لما ظرف لاهلكنا والواو في وجاءتهم
للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله
وما كانوا ليؤمنوا يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي يعني وما
كانوا يؤمنون حقا تاكيدا لنفي ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم يصرون على كفرهم وان الايمان
مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم
بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزا يعني الاهلاك نجزي كل مجرم وهو
وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله وقرئ يجزي بالياء ثم جعلناكم الخطاب للذين
بعث اليهم محمد صلى الله عليه اي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكناها لننظر اتعملون
خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى
الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم عليه عامله فان قلت كيف جاز النظر على الله وفيه معنى
المقابلة قلت هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر
وعيان المعاين في تحققه غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين
فقالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية
عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الالهة وذم عبادتها فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل
تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما انزل وان يسقط ذكر
الالهة واما الاتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للانسان ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل
كقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء
من غير ان يامرني بذلك ربي ان اتبع الا ما يوحى الي لا آتي ولا اذر شيئا من نحو ذلك الا
متبعا لوحي الله واوامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل
وليس الي تبديل ولا نسخ اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب
يوم عظيم فان قلت اما ظهر لهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت
بقرآن غير هذا قلت بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا
مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمون انه قادر عليه
وعلى مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز

او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادريكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح المجرمون

فان قلت لعلهم ارادوا ائت بقرآن غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقرآن من جهته وارادوا بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني ان ابدله قلت يرده قوله اني اخاف ان عصيت ربي فان قلت فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم في هذا الاقتراح قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشية الله واحداثه امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب الناس منه والصقهم به ولا ادريكم به ولا اعلمكم به على لساني وقرأ الحسن ولا ادراتكم به على لغة من يقول اعطاته وارضاته في معنى اعطيته وارضيته وتعضده قراءة ابن عباس ولا انذرتكم به ورواه الفراء ولا ادرأتكم به بالهمز وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وذلك لان الالف والهمزة من واد واحد الا ترى ان الالف اذا مستها الحركة انقلبت همزة والثاني ان يكون من درأته اذا دفعته وادرأته اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولادريكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه افلا تعقلون فتعلموا انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا

ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين

مما اضافوه اليه من الافتراء ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التي هي جماد لا يقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوه لم ينفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة العزى ومناة وهبل واسافا ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحرث اذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى أتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه فان قلت كيف انبأوا الله بذلك قلت هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بان الذي انبأوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ أتنبئون بالتخفيف وقوله في السموات ولا في الارض تأكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم تشركون قرئ بالياء والتاء وما موصولة او مصدرية اي عن الشركاء الذين يشركونهم به او عن اشراكهم وما كان الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تأخير الحكم بينهم الى يوم القيامة لقضي بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه ولميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتأخير لحكمة اوجبت ان تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما انزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على احد من الانبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكأنه لم تنزل عليه آية قط حتى قالوا لولا انزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل انما الغيب لله اي هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لاحد به يعني ان الصارف عن انزال الآيات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات سلط الله القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات

وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم إذا هم يبغون

الله ويعادون رسول الله ويكيدونه وإذا الأولى للشرط والآخرة جوابها وهي لفجاءة والمكر إخفاء الكيد وطيه من الجارية المكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم **فإن قلت** ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله أسرع مكرا **قلت** بلى دلت على ذلك كلمة المفاجأة كأنه قال وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجأوا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه قبل أن يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى أن الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل أن تدبروا كيف تعملون في إطفاء نور الإسلام إن رسلنا يكتبون إعلام بأن ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ يمكرون بالياء والتاء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن أبي هريرة إن الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فيصبح طائفة بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وقرأ زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا في الأرض ثم إذا أنتم بشر تنتشرون **فإن قلت** كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر إنما هو بالكون في الفلك **قلت** لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كأنه قيل يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن للهلاك والدعاء بالإنجاء **فإن قلت** ما جواب إذا **قلت** جاءتها **فإن قلت** فدعوا **قلت** بدل من ظنوا لأن دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به **فإن قلت** ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة **قلت** المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح **فإن قلت** ما وجه قراءة أم الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب **قلت** قيل هما زائدتان كما في الخارجي والأحمري ويجوز أن يراد به اللج والماء الغمر الذي لا تجري الفلك إلا فيه والضمير في جرين للفلك لأنه جمع فلك كالأسد في فعل أخي فعل وفي قراءة أم الدرداء للفلك أيضا لأن الفلكي يدل عليه جاءتها جاءت الريح الطيبة أي تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان من جميع أمكنة الموج أحيط بهم جعل إحاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك مخلصين له الدين من غير إشراك به لأنهم لا يدعون حينئذ غيره معه لئن أنجيتنا على إرادة القول أو لأن دعوا من جملة القول يبغون في الأرض يفسدون فيها ويعبثون مترقين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح إذا ترامى إلى الفساد

في الأرض بغير الحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون إنما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون

فإن قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق **قلت** بلى وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم وإحراق زروعهم وقلع أشجارهم كما فعل رسول الله ببني قريظة وقرئ متاع الحياة الدنيا بالنصب **فإن قلت** ما الفرق بين القراءتين **قلت** إذا رفعت كان المتاع خبرا للمبتدأ الذي هو بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه إنما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها وإذا نصبت فعلى أنفسكم خبر غير صلة معناه إنما بغيكم وبال على أنفسكم ومتاع الحياة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كأنه قيل تتمتعون متاع الحياة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه أنه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه السلام أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في أخيه

يا صاحب البغي إن البغي مصرعة … فاربع فخير فعال المرء أعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل … لاندك منه أعاليه وأسفله

وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا أخذت الأرض زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين وأصل ازينت تزينت فأدغم وبالأصل قرأ عبد الله وقرئ وأزينت على أفعلت من غير إعلال الفعل كأغيلت أي صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها أتاها أمرنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من الزرع في قطعه واستئصاله كأن لم تغن كأن لم يغن زرعها أي لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه وإلا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن كأن

والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم

كأن لم يغن بالياء على أن الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع وعن مروان أنه قرأ على المنبر
كأن لم تتغن بالأمس من قول الأعشى طويل الثواء طويل التغني والأمس مثل في الوقت القريب
كأنه قيل كأن لم تغن آنفا دار السلام الجنة أضافها إلى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة
لأن أهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم إلا قيلا سلاما
سلاما ويهدي ويوفق من يشاء وهم الذين علم أن اللطف يجدي عليهم لأن مشيئته تابعة لحكمته
ومعناه يدعو العباد كلهم إلى دار السلام ولا يدخلها إلا المهديون الحسنى المثوبة الحسنى
وزيادة وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن علي
رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الحسنة والزيادة
عشر أمثالها وعن الحسن عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة
من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون
أن أمطركم فلا يريدون شيئا إلا أمطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر
إلى وجه الله وجاءت بحديث مرفوع إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة
فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا هو أحب إليهم منه ولا يرهق
وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا أثر هوان وكسوف بال والمعنى ولا يرهقهم
ما يرهق أهل النار إذكارا بما ينقذهم منه برحمته الأبرار إلى قوله ترهقها قترة وترهقهم ذلة
فإن قلت ما وجه قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلاءم قلت
لا يخلو إما أن يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين أحسنوا كأنه قيل وللذين كسبوا
السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم أن تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد
عليها وهذا أوجه من الأول لأن في الأول عطفا على عاملين وإن كان الأخفش يجيزه وفي
هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل لأنه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثم
بإثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة بالياء من الله من عاصم أي لا يعصمهم
أحد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين
مظلما حال من الليل ومن قرأ قطعا بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له ويعضده
قراءة أبي بن كعب كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم فإن قلت إذا جعلت مظلما حالا
من الليل فما العامل فيه قلت لا يخلو إما أن يكون أغشيت من قبل أن من الليل صفة لقوله قطعا فكان

وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار

إفضاؤه إلى الموصوف كإضافته إلى الصفة وإما أن يكون معنى الفعل في من الليل مكانكم الزموا
مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وأنتم أكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله
الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم على أن الواو بمعنى مع والعامل فيه ما
في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا ففرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التي
كانت بينهم في الدنيا أو فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن
عبادتهم كقوله ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا
بينهم كقولك صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته ما كنتم إيانا تعبدون إنما كنتم تعبدون
الشياطين حيث أمروكم أن تتخذوا لله أندادا فأطعتموهم إن كنا هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون
الله من أولي العقل وقيل الأصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة
التي زعموها وعلقوا بها أطماعهم هنالك في ذلك المقام وفي ذلك الموقف أو في ذلك الوقت
على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق ما أسلفت من العمل فتعرف
كيف هو أقبيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول أم مردود كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه
ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل
أي نختبرها باختبار ما أسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها إن كان حسنا فهي
سعيدة وإن كان سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله ليبلوكم أيكم أحسن
عملا ويجوز أن يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر
وقرئ تتلو أي تتبع ما أسلفت لأن عمله هو الذي يهديه إلى طريق الجنة أو إلى طريق
النار أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير أو شر مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته
لأنهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة أو الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل
الذي لا يظلم أحدا وقرئ الحق بالفتح على تأكيد قوله ردوا إلى الله كقولك هذا عبد الله
الحق لا الباطل أو على المدح كقولك الحمد لله أهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع
عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء الله أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة
الآلهة من السماء والأرض أي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم
نعمته ويوسع رحمته من يملك السمع والأبصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي

ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال
فانى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون
قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون

سوّيا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال
وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء بكلاءته وحفظه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم
كله جاء بالعموم بعد الخصوص افلا تتقون افلا تقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما
انتم بصدده من الضلال ذلكم اشارة الى من هذه قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته
ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال لا
واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد
الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك اي كما حق وثبت
ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على
الذين فسقوا اي تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه انهم لا يؤمنون بدل
من الكلمة اي حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك او حق عليهم كلمة الله انهم من
اهل الخذلان وان ايمانهم غير كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون
تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون فان قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده
وهم غير معترفين بالاعادة قلت قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان
دفعه دافع كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على
انهم في انكارهم لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه قل الله يبدأ
الخلق ثم يعيده فامره بان ينوب عنهم في الجواب يعني انه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم
ان ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه
بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله امن لا يهدي وقرئ لا يهدي بفتح الهاء
وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء
الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقرئ الا ان يهدى من هداه وهداه للمبالغة
ومنه قولهم تهدى ومعناه ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول
واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر
ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم انداد الله احد من اشرفهم كالملائكة
والمسيح وعزير يهدي الى الحق مثل هداية الله ثم قال افمن يهدي الى الحق هذه الهداية احق
بالاتباع ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وقيل

وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه
وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما
لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين

معناه امن لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي
ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف
تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد لله وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا لانه قول
غير مستند الى برهان عندهم ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيئا وقيل
وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر
الجميع ان الله عليم وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ تفعلون بالتاء وما
كان هذا القرآن افتراء من دون الله ولكن كان تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من
الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد لصحتها كقوله هو الحق مصدقا لما بين
يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى
وما كان ان يفترى وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون مثله في علو امره واعجازه مفترى
وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم فان قلت
بم اتصل قوله لا ريب فيه من رب العالمين قلت هو داخل في حيز الاستدراك كانه قال
ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن
كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق
وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم ام يقولون افتراه بل
ايقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد
والمعنيان متقاربان قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله فانتم
مثلي في العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ
بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه
للاستعانة به على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده هو القادر على ان يأتي بمثله لا يقدر على
ذلك احد غيره فلا تستعينوا به وحده ثم استعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين انه افتراه
بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤوه في بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا
كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف
دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة لا
توافق ما نشأ عليه والفه وان كانت اضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة انكرها

ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون ومنهم من يستمعون اليك
افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون

في اول وهلة واتيان تأويله قبل ان يخبروا ادراكها حاسة سمعه من غير فكر في صحة او فساد لانه
لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب فان قلت ما معنى التوقع في
قوله ولما ياتهم تاويله قلت معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل
تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء
بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدي وراز قواهم في
المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك اي مثل ذلك التكذيب
كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الانبياء وقبل تدبرها من غير انصاف من انفسهم
ولكن قلدوا الآباء وعاندوا وقيل هو في الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز ان يكون معنى ولما ياتهم
تاويله ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب
ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب
فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره
بالمغيبات وصدقه وكذبه ومنهم من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند
بالتكذيب ومنهم من يشك فيه لا يصدق به او يكون للاستقبال اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم
من سيصر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان تموا على تكذيبك
ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت كقوله فان عصوك فقل اني بريء
وقيل هي منسوخة باية السيف ومنهم من يستمعون اليك معناه ومنهم ناس يستمعون اليك
اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك و
يعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال اتطمع انك تقدر على
اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل
اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الامر وا
تحسب انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذي
له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن واما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعني انهم في الياس
من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا ابصار وفي قوله افانت افانت
دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله عز وجل بالقسر والالجاء كما لا يقدر على
رد الاصم والاعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل الا هو وحده ان الله

ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك
فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك
لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل

لا يظلم الناس شيئا اي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب ولكنهم
يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم القيامة
من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف
ما كان سببا فيه الا ساعة من النهار يستقربون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول
ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم
من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فان قلت كأن لم يلبثوا ويتعارفون
كيف موقعهما قلت اما الاولى فحال منهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة واما
الثانية فاما ان تتعلق بالظرف واما ان تكون مبينة لقوله كأن لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف
لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قائلين
ذلك او هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان
بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين لها وهو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما اخسرهم
فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل واما نرينك بعض الذي
نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الآخرة فان قلت
الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها
ونتيجتها وهو العقاب كأنه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرأ ابن ابي عبلة ثم بالفتح
اي هنالك ويجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته على افعالهم يوم القيامة حين تنطق جلودهم
والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم ولكل امة رسول يبعث اليهم لينبههم على التوحيد
ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم اي بين
النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبون كقوله وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا او ولكل امة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به
فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي
بينهم متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له لا املك لنفسي ضرا
من مرض او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله
من ذلك كائن فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب لكل امة اجل يعني ان عذابكم له
اجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان اذا جاء ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة

إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قل أرأيتم إن أتيكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون أثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد
تجزون إلا بما كنتم تكسبون ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين

فلا يستعجلوا وقرأ ابن سيرين فإذا جاء آجالهم بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فإن قلت
هلا قيل ليلا أو نهارا قلت لأنه أريد إن أتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وأنتم ساهون
نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم
وكذلك قوله نهارا معناه في وقت أنتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم
نائمون ضحى وهم يلعبون الضمير في منه للعذاب والمعنى أن العذاب كله مكروه مر المذاق
موجب للنفار فأي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز أن يكون
معناه التعجب كأنه قيل أي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجب أن يكون من للبيان في
هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى فإن قلت بم تعلق الاستفهام وأين جواب الشرط
قلت تعلق بأرأيتم لأن المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف
وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه فإن قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه
قلت أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام لأن من حق المجرم أن
يخاف التعذيب على إجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وإن أبطأ فضلا أن يستعجله ويجوز أن
يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك إن أتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة
بأرأيتم وأن يكون أثم إذا ما وقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون
اعتراضا والمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان ودخول حرف
الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله أفأمن أهل القرى أوأمن أهل القرى
آلآن على إرادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وقد كنتم
به تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون لأن استعجالهم كان على جهة التكذيب والإنكار
وقرئ آلان بحذف الهمزة التي بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام ثم قيل للذين ظلموا عطف
على قيل المضمر قبل آلآن ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون أحق هو وهو استفهام
على جهة الإنكار والاستهزاء وقرأ الأعمش آلحق هو وهو أدخل في الاستهزاء لتضمنه معنى
التعريض بأنه باطل وذلك أن اللام للجنس فكأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو أهو الذي سميتموه
الحق والضمير للعذاب الموعود وإي بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام
خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق إيو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده
وما أنتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ظلمت صفة لنفس على ولو أن لكل نفس ظالمة

ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ألا إن لله ما في السموات والأرض
ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت وإليه ترجعون يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا

ما في الأرض أي ما في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به
لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه وأسروا الندامة لما رأوا
العذاب لأنهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الأمر وتفاقمه
ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار
الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب
حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل أسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين
أضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل أسروها أخلصوها إما لأن إخفاءها إخلاصها
وإما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم وبإخطائهم وقت إخلاص الندامة وقيل أسروا
الندامة أظهروها من قولهم أسر الشيء وأشره إذا أظهره وليس هنالك تجلد وقضي بينهم أي
بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم أتبع ذلك الإعلام بأن له الملك كله وأنه المثيب
المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الإحياء والإماتة لا يقدر
على [illegible]

قل الله أذن لكم أم على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون وما تكون في شأن
وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر ولا أكبر
إلا في كتاب مبين

فجعلتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه أنعام وحرث حجر ما في بطون هذه الأنعام
خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا آلله أذن لكم متعلق بأرأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى
أخبروني آلله أذن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه أم تكذبون على الله في
نسبة ذلك إليه ويجوز أن تكون الهمزة للإنكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرا
للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسأل عنه من الأحكام وباعثة على
وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان
ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت وإلا فهو مفتر على الله يوم القيمة منصوب بالظن وهو
ظن واقع فيه يعني أي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء
بالإحسان والإساءة وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره وقرأ عيسى بن عمر وما ظن على لفظ
الفعل ومعناه وأي ظن ظنوا يوم القيمة وجيء به على لفظ الماضي لأنه كائن فكأن قد
كان إن الله لذو فضل على الناس حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال و
الحرام ولكن أكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا إليه وما تكون في شأن
ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه والشأن الأمر وأصله الهمز بمعنى القصد
من شأنت شأنه إذا قصدت قصده والضمير في منه للشأن لأن تلاوة القرآن شأن من
شأن رسول الله بل هو معظم شأنه أو للتنزيل كأنه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن
لأن كل جزء منه قرآن والإضمار قبل الذكر تفخيم له أو لله عز وجل ولا تعملون أنتم جميعا
من عمل من أي عمل كان إلا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء نحصي عليكم إذ تفيضون فيه
أفاض في الأمر إذا اندفع فيه وما يعزب قرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض
العازب ولا أصغر من ذلك ولا أكبر القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس
والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة أو على لفظ
مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف إشكال لأن قولك لا يعزب عنه شيء إلا
في كتاب مشكل فإن قلت لم قدمت الأرض على السماء بخلاف قوله في سورة سبأ عالم الغيب
لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض قلت حق السماء أن تقدم على الأرض
ولكنه لما ذكر شهادته على شئون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم ووصل بذلك قوله لا
يعزب عنه لاءم ذلك أن قدم الأرض على السماء على أن العطف بالواو حكمه حكم التثنية ألا إن أولياء

ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم
ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض

الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله الذين آمنوا وكانوا
يتقون فهو توليهم إياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة فهو توليه إياهم وعن سعيد
بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه سئل من أولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم
يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنه الإخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في
الله وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه يقول إن من عباد الله عبادا ما هم
بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله
خبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا
أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف
الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ الآية الذين آمنوا نصب أو رفع على المدح أو على
وصف الأولياء أو على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين
المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو
ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر
الحسن وعن أبي ذر قلت لرسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل
بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل
عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة وأما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة
إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم وإعطاء الصحائف بأيمانهم
وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لأقواله ولا إخلاف
لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدي وذلك إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا
الجملتين اعتراض وقرئ ولا يحزنك من أحزنه قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في
تدبير هلاكك وإبطال أمرك وسائر ما يتكلمون به في شأنك إن العزة استئناف بمعنى التعليل
كأنه قيل ما لي لا أحزن فقيل إن العزة لله جميعا أي إن الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا
لا يملك أحد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لأغلبن أنا ورسلي
إنا لننصر رسلنا وقرأ أبو حيوة أن العزة بالفتح بمعنى لأن العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا
من قولهم ثم أنكره فالمنكر هو تخريجه لا ما أنكره من القراءة به هو السميع العليم يسمع ما يقولون
ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض يعني العقلاء المميزين

ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون الا ان لله ما في السموات والارض
الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا

ما في الارض اي ما في الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به
لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا
العذاب لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه
ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار
الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب
حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين
اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها اخلصوها اما لان اخفاءها اخلاصها
واما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم وباخطائهم وقت اخلاص الندامة وقيل اسروا
الندامة اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره وليس هناك تجلد وقضي بينهم اي
بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله وانه المثيب
المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر
عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم ان الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر
به المغترون قد جاءتكم موعظة اي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة و
تنبيه على التوحيد وهو شفاء اي دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء الى
الحق ورحمة لمن آمن به منكم اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا
… اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما
… لدلالة المذكور عليه والفاء ادخلة لمعنى الشرط كانه
… فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز ان يراد بفضل
… او يجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله
… فلتفرحوا بالتاء وهو الاصل والقياس وهي
… عنه لتاخذوا مصافكم قالها في بعض الغزوات
… وقرئ مما تجمعون بالياء والتاء وعن ابي بن كعب ان
… وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله
الاسلام ورحمته ما وعد عليه ارايتم اخبروني وما انزل الله ما في موضع النصب بانزل
وبارايتم في معنى اخبروني فجعلتم منه حراما وحلالا اي انزله الله رزقا حلالا كله

أفإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون أثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين

فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين فإذا جاء آجالهم بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فإن قلت هلا قيل ليلا أو نهارا قلت لأنه أريد إن أتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله نهارا معناه في وقت أنتم مشتغلون بطلب المعايش والكسب ونحو بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون الضمير في منه للعذاب والمعنى أن العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فأي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز أن يكون معناه التعجب كأنه قيل أي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجب أن يكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى فإن قلت بم تعلق الاستفهام وأين جواب الشرط قلت تعلق بأرأيتم لأن المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه فإن قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه قلت أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام لأن من حق المجرم أن

ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ألا إن لله ما في السموات والأرض ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت وإليه ترجعون يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا

ما في الأرض أي ما في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه وأسروا الندامة لما رأوا العذاب لأنهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الأمر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل أسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين أضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل أسروها أخلصوها إما لأن إخفاءها إخلاصها وإما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم وبإخطائهم وقت إخلاص الندامة وقيل أسروا الندامة أظهروها من قولهم أسر الشيء وأشره إذا أظهره وليس هناك تجلد وقضي بينهم أي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم أتبع ذلك الإعلام بأن له الملك كله وأنه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الإحياء والإماتة لا يقدر عليهما غيره وإلى حسابه وجزائه المرجع ليعلم أن الأمر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون قد جاءتكم موعظة أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وهو شفاء أي دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء إلى الحق ورحمة لمن آمن به منكم أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فإنه لا مفروح به أحق منهما ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز أن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الأصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه فيما روي عنه لتأخذوا مصافكم قالها في بعض الغزوات وفي قراءة أبي فافرحوا وهو راجع إلى ذلك وقرئ مما تجمعون بالياء والتاء وعن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والإسلام وقيل فضله الإسلام ورحمته ما وعد عليه أرأيتم أخبروني وما أنزل الله ما في موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم في معنى أخبروني فجعلتم منه حراما وحلالا أي أنزله الله رزقا حلالا كله

وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون
قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون

ومن الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفي مملكته فهم عبيد
كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما
وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا او شريكا وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او
انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر ومعنى
وما يتبع شركاء اي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله
في الربوبية محال ان يتبعون الا ظنهم انها شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون
ان تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز ان يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني واي شيء يتبعون
وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من
دون الله شركاء شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة
على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم وقرأ علي بن
ابي طالب رضي الله عنه تدعون بالتاء ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اي واي
شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما
لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف
الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع
الملائكة والنبيون من الحق ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق
بها ان توحدوه بالعبادة بانه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في
نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مبصرا يبصرون فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم
لقوم يسمعون سماع معتبر مدكر سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم
الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب في
كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات وما في
الارض فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم من سلطان بهذا ما
عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول
مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان
اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان
عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه متاع في الدنيا اي افتراؤهم

قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم
مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون فان توليتم فما سألتكم من اجر ان اجري الا على الله وامرت
ان اكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين

هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي
صلى الله عليه بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل
ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر مقامي مكاني يعني نفسه
كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه او
قيامي ومكثي بين اظهركم مددا طوالا الف سنة الا خمسين عاما او مقامي وتذكيري لانهم
كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا
كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود فاجمعوا امركم
وشركاءكم من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال هل اغدون يوما وامري مجمع
والواو بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على
الضمير المتصل وجاز من غير تأكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول
اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا امركم من جمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول او لان
الواو بمعنى مع وفي قراءة ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم فان قلت كيف جاز
اسناد الاجماع الى الشركاء قلت على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون
فان قلت ما معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي لا يكون عليهم غمة قلت
اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا
فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده
ربه من كلاءته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني ففيه وجهان احدهما
ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم
يعني ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اي غما وهما والغم والغمة
كالكرب والكربة والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه
اذا ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله اي لا تستر ولكن يجاهر بها يعني
ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا
الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه وتصحيحه كقوله وقضينا اليه ذلك
الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون
ولا تمهلوني وقرئ ثم افضوا الي بالفاء بمعنى ثم انتهوا الي بشركم وقيل هو من افضى الرجل

ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائه باياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين

اذا خرج الى الفضاء اى اصحر والمعنى ثم افضوا الي فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري ونصيحتي فما سألتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجري الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة اى ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مأمور به والمراد ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب ان يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله عن مثله وتسلية له من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم يعني هودا وصالحا وابرهيم ولوطا وشعيبا فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين ومع الطبع جار مجرى الكناية عن لجاجهم وعنادهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به من بعدهم من بعد الرسل باياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى وهرون قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا فان قلت هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم أتقولون أسحر هذا قلت فيه اوجه ان يكون معنى قوله أتقولون للحق أتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة

قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين

وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوؤه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال أسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وان يحذف مفعول أتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين كأنه قيل أتقولون ما تقولون يعني قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قيل أسحر هذا وان يكون جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كأنهم قالوا أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء اى الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله

ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت ولا كبرياء

ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اى مصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ يكون بالياء ما جئتم به السحر ما موصولة واقعة مبتدأ والسحر خبر اى الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية اى اى شيء جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ ابي ما اتيتم به سحر والمعنى لا ما اتيتم به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيئته فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري بني اسرائل كأنه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله وملائهم قلت الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب يأتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية اى على خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم

وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين
وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتًا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلوة وبشر المؤمنين وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالًا
في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم

ويدل عليه قوله أن يفتنهم يريد أن يعذبهم فرعون لعالٍ في الأرض لغالب فيها قاهر وإنه
لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية إن كنتم آمنتم بالله
صدّقتم به وبآياته فعليه توكلوا فإليه أسندوا أمركم في العصمة من فرعون ثم شرط
في التوكل الإسلام وهو أن يسلموا نفوسهم لله أي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان
فيها لأن التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام إن ضربك زيد فاضربه إن كانت
بك قوة فقالوا على الله توكلنا إنما قالوا ذلك لأن القوم كانوا مخلصين لا جرم أن الله
سبحانه قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء
في أرضه فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه والتفويض إليه فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص
لا تجعلنا فتنة موضع فتنة لهم أي عذاب يعذبوننا أو يفتنوننا عن ديننا أو فتنة لهم
يفتتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا تبوّءا اتخذا مباءة
كقولك توطّنه إذا اتخذه وطنًا والمعنى اجعلا بمصر بيوتًا من بيوته مباءة لقومكما
ومرجعًا يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه واجعلوا بيوتكم تلك قبلة أي مساجد
متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة وكانوا في
أول الأمر مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم
ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في أول الإسلام بمكة فإن قلت كيف
نوّع الخطاب فثنّى أولًا ثم جمع ثم وحّد آخرًا قلت خوطب موسى وهرون عليهما
السلام أن يتبوّءا لقومهما بيوتًا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوّض إلى الأنبياء
ثم سيق الخطاب عامًا لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لأن ذلك واجب
على الجمهور ثم خص موسى صلوات الله عليه بالبشارة التي هي الغرض تعظيمًا لها
وللمبشَّر بها الزينة ما يتزيّن به من لباس أو حلي أو فرش أو أثاث أو غير ذلك
وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن من
ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فإن قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك
قلت هو دعاء بلفظ الأمر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك أنه لما عرض عليهم آيات
الله وبيناته عرضًا مكررًا وردّد عليهم النصائح والمواعظ زمانًا طويلًا وحذّرهم
عذاب الله وانتقامه وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم

قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيًا وعدوًا حتى إذا أدركه الغرق
قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين

لا يزيدون على عرض الآيات إلا كفرًا وعلى الإنذار إلا استكبارًا وعلى النصيحة إلا نبوًّا
ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجيء منهم إلا الغي والضلال
وأن إيمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة أو علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم
وأفرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم أنه لا يكون غيره كما تقول لعن الله إبليس
وأخزى الله الكفرة مع علمك أنه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بأنه لم يبق له فيهم حيلة و
أنهم لا يستأهلون إلا أن يخذلوا ويخلّى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كأنه قال ليثبتوا
على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلّالًا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما عليّ منهم
هم أحق بذلك وأحق كما يقول الأب المشفق لولده الشاطر إذا لم يقبل منه حسرة على ما فاته

التثنية وبتخفيف النون من تبع وقرأ الحسن وجوّزنا من أجاز المكان وجاوزه وجوّزه وليس
من جوّز الذي في بيت الأعشى وإذا تجوّزها حبال قبيلة لأنه لو كان منه لكان حقه
أن يقال وجوّزنا بني إسرائيل في البحر كما قال كما جوّز السكّي في الباب فيتق فأتبعهم
فلحقهم يقال تبعته حتى أتبعته وقرأ الحسن وعدوًّا وقرئ أنه بالفتح على حذف الباء التي هي
صلة الإيمان وإنه بالكسر على الاستئناف بدلًا من آمنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات

وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين
واوحينا الى موسى واخيه ان تبوّءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا
في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم

ويدل عليه قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون وانه لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه
لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية ان كنتم آمنتم بالله
صدقتم به وباياته فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط
في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان
فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت
بك قوة فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله
سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء
في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص

وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من
ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فان قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك
قلت هو دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك انه لما عرض عليهم آيات
الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم
عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم

قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق
قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين

لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعن النصيحة الا نبوّا
ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال
وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم
وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس
واخزى الله الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة و
انهم لا يستاهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كانه قال ليثبتوا
على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم
هم احق بذلك واحق كما يقول الاب المشفق لولده الشاطر اذا لم يقبل منه حسرة على ما فاته
من قبول نصيحته وحردا عليه لا ان يريد خلاعته واتباعه هواه ومعنى الشد على
القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد
او دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا
في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم
دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرا الفضل الرقاشي آئنك آتيت على
الاستفهام واطمس بضم الميم وقرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمّن ويجوز
ان يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته
فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في
قومه الف عام الا قليلا ولا تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة
ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله في تعليقه
الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام اني اعظك
ان تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون
التثنية وبتخفيف التاء من تبع وقرا الحسن وجوّزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوّزه وليس
من جوّز الذي في بيت الاعشى واذا تجوّزها حبال قبيلة لانه لو كان منه لكان حقه
ان يقال وجوّزنا بني اسرائيل في البحر كما قال كما جوّز السكّي في الباب فيتق فاتبعهم
فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته وقرا الحسن وعدوّا وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التي هي
صلة الايمان وانه بالكسر على الاستئناف بدلا من آمنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلث مرات

فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون

في ثلث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف آلآن أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك قيل قال ذلك حين ألجمه الغرق يعني حين اوشك ان يغرق وقيل قاله بعد ان غرق في نفسه والذي يحكى انه حين قال آمنت اخذ جبريل من حال البحر فدسّه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم اليه من قولهم خشية ان تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان احداهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر من المفسدين من الضالين المضلين عن الايمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروي ان جبريل اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماه ان يغرق في البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه ننجيك بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض وقرئ ننحّيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كأنه ثور ببدنك في موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك قال عمرو بن معديكرب

اعاذل شكتي بدني وسيفي ... وكل مقلص سلس القياد

وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ ابو حنيفة رحمة الله عليه بابدانك وهو على وجهين اما ان يكون مثل قولهم هوى باجرامه يعني ببدنك كله وافيا باجزائه او بدروعك كأنه كان مظاهرا بينها لمن خلفك آية لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شأنا من ان يغرق وروي انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا وقيل اخبرهم موسى عليه السلم بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكأن مطرحه كان على ممر من بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن يأتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية ان تظهر للناس عبوديته ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان فيه من عظم

٣١٥

ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين

الشأن وكبرياء الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره او لتكون عبرة يعتبر بها الامم بعدك فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه اذا سمعوا بحالك وهوانك على الله وقرئ لمن خلقك بالقاف اي لتكون لخالقك آية كسائر آياته ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما قرءوا التوراة وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه هو ام ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان انه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فان قلت كيف قال لرسوله صلى الله عليه فان كنت في شك مما انزلنا اليك مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب قلت فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كأنه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فاسأل الذين يقرؤون الكتاب والمعنى ان الله عز وجل قدم ذكر بني اسرائيل وهم قراءة الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد عليه السلم ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فسل علماء اهل الكتاب يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك وعلمها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسألتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز ان

ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب الخزي ومتعناهم الى حين

يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا اشك ولا اسأل بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل احدا منهم وقيل خوطب رسول الله والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن وقيل ان للنفي اي فما كنت في شك فسل يعني لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابرهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى وقرئ فاسأل الذين يقرؤون الكتب حقت عليهم كلمة ربك ثبتت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك فلولا كانت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذه الغرق فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرا ابي وعبد الله فهلا كانت الا قوم يونس استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا او متصل والجملة في معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل روي عن الجرمي والكسائي روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى يا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم

ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين

وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لآمن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه انزى الى قوله افانت تكره الناس يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشاركه فيه لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس يعني من النفوس التي علم انها تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون مقابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمى الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاي وقرئ ونجعل بالنون ماذا في السموات والارض من الآيات والعبر وما تغني الآيات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني بالياء وما نافية او استفهامية ايام الذين خلوا من قبلهم وقائع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقائعها ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين آمنوا ومن آمن معهم كذلك ننجي المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحى الي في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني ومما انا عليه اثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولا اختار

وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل

الضلالة على الهدى كقوله قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون وأمرت أن أكون أصله بأن أكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل أن يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع أن وأنّ وأن يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله أمرتك الخير فاصدع بما تؤمر فإن قلت عطف قوله وأن أقم على أن أكون فيه إشكال لأن أن لا تخلو من أن تكون التي للعبارة أو التي تكون مع الفعل في تأويل المصدر فلا يصح أن تكون للعبارة وإن كان الأمر مما يتضمن معنى القول لأن عطفها على الموصولة يأبى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الأولى لا يساعد عليه لفظ الأمر وهو أقم لأن الصلة حقها أن تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ سيبويه أن توصل أن بالأمر والنهي وشبه ذلك بقولهم أنت الذي تفعل على الخطاب لأن الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر والأمر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الأفعال أقم وجهك استقم إليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وحنيفا حال من الدين أو من الوجه فإن فعلت معناه فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل إيجازا فإنك إذا من الظالمين إذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الأوثان وجعل من الظالمين لأنه لا ظلم أعظم من الشرك إن الشرك لظلم عظيم أتبع النهي عن عبادة الأوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر أن الله عز وجل هو الضار النافع الذي إن أصابك بضر لم يقدر على كشفه إلا هو وحده دون كل أحد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك إن أرادك بخير لم يرد أحد ما يريده بك من فضله وإحسانه فكيف بالأوثان فهو الحقيق إذن بأن توجه إليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته فإن قلت لم ذكر المس في أحدهما والإرادة في الثاني قلت كأنه أراد أن يذكر الأمرين جميعا الإرادة والإصابة في كل واحد من الضر والخير وأنه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الإصابة في أحدهما والإرادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على أنه قد ذكر الإصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره إلا نفسه ومن آثر الضلال فما ضر إلا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضرر وكل إليهم الأمر بعد إبانة الحق وإزاحة العلل وفيه حث على إيثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما أنا عليكم بوكيل

واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير

بحفيظ موكول إلى أمركم وحملكم على ما أريد إنما أنا بشير ونذير واصبر على دعوتهم واحتمال أذاهم وإعراضهم حتى يحكم الله بالنصرة عليهم والغلبة وروي أنها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه الأنصار فقال إنكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني أني أمرت في هذه الآية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا أنتم على ما يسومكم الأمراء الجورة قال أنس فلم نصبر وروي أن أبا قتادة رضي الله عنه تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الأنصار ثم دخل عليه فقال له ما لكم لم تتلقنا قال لم تكن عندنا دواب قال فأين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه يا معشر الأنصار إنكم ستلقون بعدي أثرة قال معاوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر إذن فقال عبد الرحمن بن حسان

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... أمير الظالمين نثا كلامي
بأنا صابرون فمنظروكم ... إلى يوم التغابن والخصام

عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة يونس أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم أحكمت آياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز أن يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف إذا صار حكيما أي جعلت حكيمة كقوله آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم أحكمت الدابة إذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم ... إني أخاف عليكم أن أغضبا

وعن قتادة أحكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والأحكام والمواعظ والقصص أو جعلت فصولا سورة سورة وآية آية أو فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة أو فصل فيها ما يحتاج إليه العباد أي بين ولخص وقرئ أحكمت آياته ثم فصلت أي أحكمتها أنا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت أي فرقت بين الحق والباطل فإن قلت ما معنى ثم قلت ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة أحسن الإحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل وفلان كريم الأصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدأ محذوف وأحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة

متن ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا
فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون

ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر وأن يكون صلة لأحكمت وفصلت أي من عنده إحكامها وتفصيلها
وفيه طباق حسن لأن المعنى أحكمها حكيم وفصلها أي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات
الأمور أن لا تعبدوا مفعول له على معنى لأن لا تعبدوا أو تكون أن مفسرة لأن في تفصيل
الآيات معنى القول كأنه قيل قال لا تعبدوا إلا الله أو أمركم أن لا تعبدوا إلا الله وأن استغفروا
أي أمركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان
النبي صلى الله عليه إغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه قوله إنني لكم منه نذير
وبشير كأنه قال ترك عبادة غير الله إنني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير
في منه لله عز وجل أي إنني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله أو هي صلة لنذير
أي أنذركم منه ومن عذابه إن كفرتم وأبشركم بثوابه إن آمنتم فإن قلت ما معنى
ثم في قوله ثم توبوا إليه قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة أو
استغفروا والاستغفار توبة ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا
يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة إلى
أجل مسمى إلى أن يتوفاكم كقوله فلنحيينه حياة طيبة ويؤت كل ذي فضل فضله ويعطي في
الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه أو فضله في الثواب
والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات وإن تولوا وإن تتولوا أخاف عليكم عذاب يوم
كبير هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وبين عذاب اليوم الكبير
بأن مرجعهم إلى من هو قادر على كل شيء فكان قادرا على أشد ما أراد من عذابهم لا يعجزه
وقرئ فإن تولوا من ولي يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لأن من
أقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه
كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم
ونظير إضمار يريدون لعود المعنى إلى إضماره الإضمار في قوله تعالى أن اضرب بعصاك البحر
فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى ألا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين
يستغشون ثيابهم أيضا كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم في
آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني أنه لا تفاوت في علمه
بين إسرارهم وإعلانهم فلا وجه لتوصلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم

إنه عليم بذات الصدور وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وهو الذي خلق السموات والأرض في
ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت إنكم مبعوثون

صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روي أنها نزلت في الأخنس بن شريق
وكان يظهر لرسول الله المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث فكان يعجب رسول الله مجالسته
ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرئ تثنوني صدورهم واثنونى
افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وقرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس لتثنوني
وقرئ تثنون وأصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلأ يريد مطاوعة
صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات أو أراد ضعف إيمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن
من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابيأضت وادهأمت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي فإن قلت
كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب وإنما هو تفضل قلت هو تفضل إلا أنه لما ضمن أن
يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد والمستقر مكانه من الأرض ومسكنه و
المستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة كل كل واحد
من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وكان
عرشه على الماء أي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والأرض وارتفاعه فوقها إلا الماء وفيه
دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والأرض وقيل وكان الماء على متن الريح والله
أعلم بذلك وكيف ما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الأجرام كانت أحوج
إليه وإلى إمساكه ليبلوكم متعلق بخلق أي خلقهن لحكمة بالغة وهي أن يجعلها مساكن لعباده
وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر وأطاع أثابه
ومن كفر وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل
المبتلي لأحوالكم كيف تعملون فإن قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت لما في الاختبار من
معنى العلم لأنه طريق إليه فهو ملابس له كما تقول انظر أيهم أحسن وجها واسمع أيهم أحسن صوتا
لأن النظر والاستماع من طرق العلم فإن قلت كيف قيل أيكم أحسن عملا وأعمال المؤمنين
هي التي تتفاوت إلى حسن وأحسن فأما أعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها إلى حسن وقبيح
قلت الذين هم أحسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا إلى تحصيل ما هو غرض الله من
عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك
لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وعن النبي صلى الله عليه ليبلوكم أيكم أحسن عقلا
وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله وقرئ ولئن قلت إنكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه

من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل

ان يكون من قولهم ائت السوق انك تشتري لحما وانك بمعنى علك اي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين يعني بتوا القول ببطلانه ويجوز ان تضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان السحر امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به واشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل العذاب عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين الى امة الى جماعة من الاوقات ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء ويوم يأتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا به يستهزءون العذاب الذي كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره الانسان للجنس رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة انه ليئوس شديد اليأس من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نساء له ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين آمنوا فان عادتهم ان اتتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحركه الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم ينزل عليه

كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله على كل شيء وكيل ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون

ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فان قلت لم عدل عن ضيق الى ضائق قلت ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله كان افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين في بعض القراءات وقول السمهري العكلي

بمنزلة اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها

والضمير في افتراه لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما قلتم فأتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام فان قلت كيف يكون ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل قلت معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في فان لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا

من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون
افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية

يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون نوف اليهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم اهل الريا يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جريء فقد قيل وعن انس بن مالك هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله فاسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء على ان الفعل لله عز وجل وتوف اليهم اعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله يقول لا غائب مالي وحبط ما صنعوا فيها وحبط في الآخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان تكون ما ابهامية وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا اي باطل كانوا يعملون وان يكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون افمن كان على بينة معناه امن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة اي ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التوراة اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم اولئك يعني من كان على بينة يؤمنون به يؤمنون بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله فالنار موعده فلا تك في مرية وقرئ مرية

٣١٠

انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يعلمون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين
الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما
كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون

بالضم ومما الشك منه من القرآن ومن الموعد يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم وتشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين فواخزياه وافضيحتاه والاشهاد جمع شاهد او شهيد كاصحاب او اشراف ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتاكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا يستطيعون السمع اراد انهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل ان يريد بقوله وما كان لهم من اولياء انهم جعلوا آلهتهم اولياء من دون الله وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم نفى كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد خسروا انفسهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها لا جرم في مكان آخر هم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرانا منهم واخبتوا الى ربهم واطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيت قال ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيت وقيل التاء فيه بدل من الثاء شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع على ان تكون الواو في والاصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها اي ارسلنا نوحا باني لكم نذير ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك

ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم

إن زيدا كالأسد وقرئ بالكسر على إرادة القول أن لا تعبدوا بدل من إني لكم نذير أي أرسلناه
بأن لا تعبدوا إلا الله أو تكون أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير ووصف اليوم بأليم من
الإسناد المجازي لوقوع الألم فيه فإن قلت فإذا وصف به العذاب قلت مجازي مثله
لأن الأليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده الملأ الأشراف
من قولهم فلان مليء بكذا إذا كان مطيقا له وقد ملؤوا بالأمر لأنهم مليئون بكفايات الأمور واضطلعوا
بها وبتدبيرها أو لأنهم يتمالؤون أي يتظاهرون ويتساندون أو لأنهم يملؤون القلوب هيبة
والمجالس أبهة أو لأنهم ملاء بالأحلام والآراء الصائبة ما نراك إلا بشرا مثلنا تعريض بأنهم أحق
منه بالنبوة وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب أنك واحد
من الملأ وموازيهم في المنزلة فما جعلك أحق منهم ألا ترى إلى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل
أو أرادوا أنه كان ينبغي أن يكون ملكا لا بشرا والأراذل جمع الأرذل كقوله أكابر مجرميها
أحاسنكم أخلاقا وقرئ بادي الرأي بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك أول الرأي أو ظاهر
الرأي وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث أول رأيهم أو وقت حدوث ظاهر رأيهم
فحذف ذلك وأقيم المضاف إليه مقامه أرادوا أن اتباعهم لك إنما هو شيء عن لهم بديهة
من غير روية ونظر وإنما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الأسباب الدنيوية
لأنهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الأشرف عندهم من له جاه
ومال كما ترى أكثر المتسمين بالإسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه إكرامهم وإهانتهم ولقد
زل عنهم أن التقدم في الدنيا لا يقرب أحدا من الله وإنما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا
أن يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتأهيل لها على أن الأنبياء بعثوا مرغبين في طلب الآخرة
ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشأنها وشأن من أخلد إليها فما أبعد حالهم من الاتصاف
بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله من فضل من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة
بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه أرأيتم أخبروني إن كنت على بينة على برهان من ربي وشاهد
منه يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده يعني بالبينة على أن البينة في نفسها هي الرحمة
ويجوز أن يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فإن قلت فقوله فعميت ظاهر على الوجه الأول
فما وجهه على الوجه الثاني وحقه أن يقال فعميتا قلت الوجه أن يقدر فعميت بعد البينة
وأن يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى أخفيت وفي

أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين

قراءة أبي فعماها عليكم فإن قلت فما حقيقته قلت حقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة
ومبصرة جعلت عمياء لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره ومعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم
كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد فإن قلت فما معنى قراءة أبي قلت المعنى
أنهم صمموا على الإعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه
قوله أنلزمكموها وأنتم لها كارهون يعني أنكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وأنتم تكرهونها
ولا تختارونها ولا إكراه في الدين وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز أن يكون الثاني
منفصلا كقولك أنلزمكم إياها ونحوه فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيك إياهم وحكي عن أبي عمرو
إسكان الميم ووجهه أن الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والإسكان الصريح
لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لأن الحركة الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا في
ضرورة الشعر والضمير في قوله لا أسألكم عليه راجع إلى قوله إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا
إلا الله وقرئ وما أنا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الأصل فإن قلت ما معنى قوله إنهم
ملاقو ربهم قلت معناه أنهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم أو يلاقونه فيجازيهم على ما في
قلوبهم من إيمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما أعرف غيره منهم أو على خلاف ذلك مما تعرفونهم
به من بناء إيمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي أن أشق عن قلوبهم وأتعرف سر ذلك
منهم حتى أطردهم إن كان الأمر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية أو هم مصدقون
بلقاء ربهم موقنون به عالمون أنهم ملاقوه لا محالة تجهلون تتسفهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل
من قوله ألا لا يجهلن أحد علينا أو تجهلون لقاء ربكم أو تجهلون أنهم خير منكم من ينصرني من الله
من يمنعني من انتقامه إن طردتهم وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا به أنفة من أن يكونوا
معهم على سواء أعلم الغيب معطوف على عندي خزائن الله أي لا أقول عندي خزائن الله ولا أقول
أنا أعلم الغيب ومعناه لا أقول لكم عندي خزائن الله فأدعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي
بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا أدعي علم الغيب حتى تنسبوني إلى الكذب والافتراء أو حتى
أطلع على ما في نفوس أتباعي وضمائر قلوبهم ولا أقول إني ملك حتى تقولوا لي ما أنت إلا بشر مثلنا
ولا أحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم أن الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا والآخرة لهوانهم
عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم إني إذا لمن الظالمين إن قلت شيئا من ذلك والازدراء
افتعال من زرى عليه إذا عابه وأزرى به قصر به يقال أزدرته عينه واقتحمته عينه جادلتنا

يهلكه الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال

جوابا وقال استينافا على تقدير سوال سائل او الجعل خبر ان وابدلا من من او صفة للملا وقال جوابا واهلك عطف على اثنين وكذلك ومن آمن يعني واحمل اهلك والمومنين من غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك اراد ابنه وامرأته الا قليل روى عن النبي صلى الله عليه انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء يجوز ان يكون كلاما واحدا فالكلام الواحد ان تتصل باسم الله باركبوا حالا من الواو يعني اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يراد مكان الاجراء والارساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلامان ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة من مبتدا وخبر مقتضبة اي بسم الله اجراؤها وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسا اما مصدرين او وقتين او مكانين وقرا مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجرورى المحل صفتين لله فان قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة قلت معناه ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل ان يكون غير مقتضبة بان تكون في موضع الحال كقوله وجاؤا اباهم عشاء يبكون فلا تكون كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذا الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما انجاكم فان قلت بم اتصل قوله وهي تجري بهم قلت بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها فان قلت

ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر

الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق وقيل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه ساوي الى جبل يعصمني من الماء قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرا علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامرأته وقرا محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سالته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن ياخذ دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى امه وجهان احدهما ان يكون ربيبا له كعمر بن ابي سلمة لرسول الله وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم السلم وقرا السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي اي قال يا ابناه والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المومنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله من المومنين وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقوله ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يومر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون

قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه

فأكثرت معناه أردت جدالنا وشرعت فيه فأكثرته كقولك جاد فلان فأكثر وأطاب فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل إنما يأتيكم به الله أي ليس الإتيان بالعذاب إلي إنما هو إلى من كفرتم به وعصيتموه إن شاء يعني إن اقتضت حكمته أن يعجله لكم وقرأ ابن عباس فأكثرت جدلنا فإن قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله إن كان الله يريد أن يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك إن أحسنت إلي أحسنت إليك إن أمكنني فإن قلت فما معنى قوله إن كان الله يريد أن يغويكم قلت إذا عرف الله من الكافر الإصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه سمي ذلك إغواء وإضلالا كما أنه إذا عرف منه أنه يتوب ويرعوي فلطف به سمي إرشادا وهداية وقيل أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل إذا بشم فهلك ومعناه أنكم إذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا تنفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر ألطافه كيف ينفعكم نصحي فعلي إجرامي وإجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم إسرارهم وأسرارهم ونحو جرم وأجرام قفل وأقفال وينصر الجمع أن فسره الأولون بآثامي والمعنى إن صح وثبت أني افتريته فعلي عقوبة إجرامي أي افترائي وكان حقي حينئذ أن تعرضوا عني وتتألبوا علي وأنا بريء يعني ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه ومعنى مما تجرمون من إجرامكم في إسناد الافتراء إلي فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم لن يؤمن إقناط من إيمانهم وأنه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع إلا من قد آمن إلا من وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه وقد للتوقع وقد أصابت محزها فلا تبتئس فلا تحزن حزن بائس مستكين قال

ما يقسم الله أقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال

والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم بأعيننا في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا بأعيننا كأن لله معه أعينا تكلؤه أن يزيغ في صنعته عن الصواب وأن لا يحول بينه وبين عمله أحد من أعدائه ووحينا وأنا نوحي إليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك إنهم مغرقون إنهم محكوم عليهم بالإغراق وقد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل إلى كفه كقوله يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية حال ماضية سخروا منه ومن عمله السفينة

ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين

وكان يعملها في برية بهماء في أبعد موضع من الماء في وقت عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا فإنا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة أي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل إن تستجهلونا فيما نصنع فإنا نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فأنتم أولى بالاستجهال منا وإن تستجهلونا فإنا نستجهلكم في استجهالكم لأنكم لا تستجهلون إلا عن جهل بحقيقة الأمر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي أن نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام وركب هو ومن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل إن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم بإذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى أهكذا هلكت قال لا مت وأنا شاب ولكنني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للإنس وطبقة للطير ثم قال له عد بإذن الله كما كنت فعاد ترابا من يأتيه في محل النصب بتعلمون أي فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني به إياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء فإن قلت وقعت غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك أي وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد فإن قلت فإذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت هو حال من يصنع كأنه قال يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فإن قلت فما جواب كلما قلت فيه أمران إما أن يجعل سخروا جوابا وقال استئنافا على تقدير سؤال سائل أو يجعل سخروا

واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح

الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم امر كان المامور به مفعولا لا حبس ولا ابطا والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض الماء من غاضه اذا انقصه وقضي الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه واستوت واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجي اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله فان قلت فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء قلت اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من

فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك

الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير لنداء نوح عليه السلام اي ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي وآذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح وقرئ فلا تسألن بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمسن مني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه فان قلت لم سمي نداؤه سؤالا ولا سؤال فيه قلت قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين فان قلت قد وعده ان ينجي اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبه واجب فلم زجر وسمي سؤاله جهلا قلت ان الله عز وعلا قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه اني اسألك من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بادبك واتعاظا بموعظتك والا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة علي اكن من الخاسرين اعمالا وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك مكرما وبركات عليك ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ بركة عليك على التوحيد وعلى امم ممن معك يحتمل ان يكون من للبيان فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم

وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة
للمتقين والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني
افلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم

وان تكون لابتداء الغاية اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه وقوله
وامم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف
لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشاون
ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام ابا الانبياء و
الخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام
كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد
هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم
الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء
والجمل بعدها اخبار اي تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك
من قبل هذا من قبل ايحائي اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من
قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك
ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه ان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين
وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن
ذلك شانهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل
بلده اخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا وهودا عطف بيان و
غيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ ان انتم الا مفترون
تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول
لان شانهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يمحضها الا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء
منها لم تنجع ولم تنفع افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله و
هو ثواب الآخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك قيل استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا اليه من
عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان والمدرار الكثير الدرور كالمغزار
وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا
اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء الى الماء
وكانوا مدلين بما اوتوا من شدة القوة والبطش والباس والنجدة مستحرزين بها من العدو
مهيبين في كل ناحية وقيل اراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر

ولا تتولوا مجرمين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني
اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون

ثلث سنين وعقمت ارحام نسائهم وعن الحسن بن علي انه وفد على معاوية فلما خرج تبعه
بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك
بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد
له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سالته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فساله
الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين
ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه مجرمين مصرين على اجرامكم
وآثامكم ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه لولا انزل
عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا كانه قيل
وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك
فيما يدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة اعتراك مفعول نقول والا لغو والمعنى ما نقول الا
قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء اي خبلك ومسك بجنون لسبك اياها وصدك عنها
وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي
بهذيان المبرسمين وليس بعجب من اولئك ان يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا
وهم عاد اعلام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب من قوم من المتظاهرين باسلام يسمعهم
يسمون التائب عن ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجدهم معه على عشر مما كانوا
عليه في ايام جاهليته من الموادة وما ذاك الا لعرق من الالحاد ابى الا ان ينبض وضب
من الزندقة اراد ان يطلع راسه وقد دلت اجوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا
جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد
وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر
وتنتقم ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب من اعظم الآيات ان يواجه بهذا
الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه
وانه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا
الي ولا تنظرون اكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم
الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على اني لا افعل كذا ويقول
لقومه كونوا شهداء علي اني لا افعله فان قلت هلا قيل اني اشهد الله واشهدكم قلت

من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ

لان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده
واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ
الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى
بينه وبينه اشهد على اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من
اشراككم آلهة من دونه او مما تشركونه من آلهة من دونه اي انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها
هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا انتم وآلهتكم اعجلوا ما تفعلون من غير انظار
فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد
فكيف تضرني آلهتكم وما هي الا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت
عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم
وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته
وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم
يريد انه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فان تولوا
فان تتولوا فان قلت الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط قلت معناه فان
تتولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم
الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف كلام مستانف يريد ويهلككم الله و
يجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه
لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون انفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم
كذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرني ويستخلف قوما
غيركم ولا تضروه الا انفسكم على كل شيء حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم
ولا يغفل عن مؤاخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه
من المضار لم يضر مثله مثلكم والذين آمنوا معه قيل كانوا اربعة آلاف فان قلت
ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم
من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله عز وعلا بعث
عليهم السموم فكانت تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل
اراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وقوله برحمة منا

وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا

يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليه بالتوفيق له وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال
سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم فقال جحدوا بآيات
ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين احد من
رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وحده كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى
تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة
لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله الا وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم
تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت بعدا
دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستاهلين
له الا ترى الى قوله اخوتي لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا . قوم هود عطف بيان
لعاد فان قلت ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه
ان يوسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل فيهم امرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان
عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم هو انشاكم
من الارض لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب
واستعمركم وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان
ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما
كان فيهم من عسف الرعايا فسال نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه
انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية بن ابي سفيان انه اخذ في احياء ارض
في آخر امره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا يكون له
في الارض آثار . وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه
وجهان احدهما ان يكون استعمر في معنى اعمر كقولك استهلكه في معنى اهلكه ومعناه اعمركم
فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم
فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره
قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وساله فينا فيما بيننا مرجوا كانت تلوح فيك
مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا
في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس

قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام

فاصلا حجرا انفذ منك على جميعنا وقيل كنا نرجوا ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه يعبد
آباؤنا حكاية حال ماضية مريب من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة
باليقين او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي قيل ان كنت على بينة من ربي
حرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدّروا اني على بينة
من ربي واني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب
الله فما تزيدونني اذن حينئذ غير تخسير يعني تخسّرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تقولون
لي وتحملونني عليه غير ان اخسّركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون آية نصب
على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل فان قلت فبم يتعلق لكم قلت
بآية حالا منها متقدمة لانها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصب على الحال عذاب
قريب عاجل لا يستأخر عن مسكم لها بشيء الا يسيرا وذلك ثلثة ايام ثم يقع عليكم تمتعوا
استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف
يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب
البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت غير مكذوب
غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم
مشهود من قوله ويوم شهدناه او على المجاز كانه قيل للوعد نفي بك فاذا وفي به فقد
صدق ولم يكذب او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة
بمعنى الصدق ومن خزي يومئذ قرئ مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله
على حين عاتبت المشيب فان قلت علام عطف قلت على نجينا لان تقديره ونجيناهم
من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته وفضيحته ولا خزي
اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيمة كما فسر
العذاب الغليظ بعذاب الآخرة وقرئ الا ان ثمود ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه
فالصرف للذهاب الى الحي او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة رسلنا
يريد الملئكة عن ابن عباس جاءه جبرئيل وملكان معه وقيل جبرئيل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا
تسعة وعن السدي احد عشر بالبشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر
الولد سلاما سلمنا عليك سلاما سلام امركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل

سلم وسلام كحرم وحرام وانشد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح
فما لبث ان جاء فما لبث في المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل
والحبش بلغة اهل السراة وكان مال ابرهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف في اخدود وقيل
حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليه الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل
سمين يقال نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكرتك ولكن منكر
ومستنكر وانكرك وقال الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا
قيل كان ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا
مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه
تخوّف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا
ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا واوجس واضمر
وانما قالوا لا تخف لانهم رأوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرّفوه بتعريف الله او علموا
ان علمه بانهم ملائكة موجب الخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامرأته قائمة قيل

سلم وسلام كحرم وحرام وانشد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح
فما لبث ان جاء فما لبث في المجيء به بل عجل فيه او فما لبثه مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل
والحسل بلغة اهل السراة وكان مال ابرهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف في اخدود وقيل
حنيذ يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا القيت عليه الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل
سمين يقال نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكرك ولكن منكر
ومنكر وانكرك وقال الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا
قيل كان ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا
مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه
تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا
ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا واوجس واضمر
وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا
ان علمه بانهم ملائكة موجب الخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامراته قائمة قيل
كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤوسهم تخدمهم وفي مصحف
عبد الله وامراته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث
او كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم لوطا
ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على
ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرا محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحاء يعقوب
رفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولودا او موجودا اي من بعده وقيل الوراء
ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له اهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب
بالنصب كانه قيل ووهبنا لها اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب
الالف في يا ويلتا مبدلة من ياء الاضافة وكذلك في يا لهفي ويا عجبا وقرا الحسن يا ويلتي بالياء
على الاصل وشيخا نصب بما دل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدا محذوف اي هذا
بعلي هو شيخ او بعلي بدل من المبتدا او شيخ خبر او يكونان معا خبرين قيل بنت ثمان
وتسعون سنة ولابرهيم مائة وعشرون سنة ان هذا لشيء عجيب ان يولد ولد من هرمين
وهو استبعاد من حيث العادة التي اجراها الله وانما انكرت عليها الملائكة تعجبها

قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط إن إبراهيم لحليم أواه منيب يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود

فقالوا أتعجبين من أمر الله لأنها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب وإلى ذلك أشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجب وأمر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستأنف علل به إنكار التعجب كأنه قيل إياك والتعجب فإن أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الأسباط من بني إسرائيل لأن الأنبياء منهم وكلهم من ولد إبراهيم حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كريم كثير الإحسان إليهم وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص لأن أهل البيت مدح لهم إذ المراد أهل بيت خليل الرحمن الروع ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه والمعنى أنه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة فإن قلت أين جواب لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وأجمعوا وقوله يجادلنا كلام مستأنف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا أو فطن لمجادلتنا أو قال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل يجادلنا هو جواب لما وإنما جيء به مضارعا لحكاية الحال وقيل إن لما ترد المضارع إلى معنى الماضي كما ترد إن الماضي إلى معنى الاستقبال وقيل معناه أخذ يجادلنا وأقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته إياهم أنهم قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية فقال أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله في قوم لوط في معناهم وعن ابن عباس قالوا إن كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها أربعة آلاف ألف إنسان إن إبراهيم لحليم غير عجول على كل من أساء إليه أواه كثير التأوه من الذنوب منيب تائب راجع إلى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين أن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والإنابة كما حمله على الاستغفار لأبيه يا إبراهيم على إرادة القول أي قالت له الملائكة أعرض عن هذا الجدال وإن كانت الرحمة

ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد

دیدنك فلا فائدة فيه إنه قد جاء أمر ربك وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر إلا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لأنه حسب أنهم إنس فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي أن الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم إلى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها يقال يوم عصيب وعصوصب إذا كان شديدا من قولك عصبه إذا شده يهرعون يسرعون كأنما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك هؤلاء بناتي أراد أن يقي أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وأراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه ابنتيه من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن وائل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه وقرأ ابن مروان هن أطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه وعن أبي عمرو بن العلاء من قرأ هن أطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك أن انتصابه على أن يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخا أو ينصب هؤلاء بفعل مضمر كأنه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لأن الفصل مختص بالوقوع بين جزأي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك أن يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدأ كقولك هذا أخي هو ويكون أطهر حالا فاتقوا الله بإيثارهن عليهم ولا تخزون ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي أو ولا تخجلون من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق ضيوفي فإنه إذا خزي ضيف الرجل أو جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم وأصالة المروءة أليس منكم رجل رشيد رجل واحد يهتدي إلى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقري ولا تخزون بطرح الياء ويجوز أن يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم وإظهارا لشدة امتعاضه مما

قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا
اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم

اوردوا عليه طمعاً في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا الضيف مع ظهور
الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين
بعلمه ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل لما اتخذوا
اتيان الذكران مذهباً ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من
الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي
نحن عليه ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة لتعلم ما نريد عنوا اتيان الذكور
وما لهم فيه من الشهوة جواب لو محذوف كقوله ولو ان قرآناً سيرت به الجبال يعني لو ان
لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لي به
يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي
استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته
ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه رحم الله
اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم
قوة او اوياً كقولها للبس عباءة وتقر عيني وقرئ الى ركن بضمتين وروي انه اغلق
بابه حين جاؤوا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة
ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب
ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في
الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق
الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله عز وعلا فطمسنا اعينهم
فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة لن
يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على
ضرره فاسر بالقطع والوصل الا امرأتك بالرفع والنصب وروي انه قال لهم متى موعد
هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا أليس الصبح بقريب وقرئ الصبح بضمتين
فان قلت ما وجه قراءة من قرأ الا امرأتك بالنصب قلت استثناها من قوله فاسر باهلك
والدليل عليه قراءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت
على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرأ بالرفع فابدلها عن احد وفي اخراجها

ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي
من الظالمين ببعيد والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير واني اخاف عليكم
عذاب يوم محيط ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط

مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب
التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها
اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل
جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم
واتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين
وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل
مما كتب الله ان يعذب به من السجل وسجل لفلان منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب
وقيل يرسل بعضه في اثر بعض متتابعا مسومة معلمة للعذاب وعن الحسن كانت معلمة ببياض
وحمرة وقيل عليها سيما تعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد
اسم من يرمى به وما هي من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه انه
سال جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى
ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم ببعيد بشيء بعيد
ويجوز ان يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها
فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه اني اراكم بخير بثروة وسعة تغنيكم
عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه
عنكم بما انتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا
من باس الله ان جاءنا يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو فان قلت
وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم بها قلت بل وصف اليوم لان اليوم زمان
يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط
بنعيمه فان قلت النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله اوفوا قلت نهوا اولا عن عين
القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا
له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث
عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان
امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي
عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلث فوائد البحث

ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين بقيت الله
خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك
أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد

الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير ∴ وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم ∴ وذي مكس
درهم وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئا كما يفعل السماسرة أو كانوا يمكسون الناس أو كانوا
ينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء فنهوا عن ذلك والعثي في الأرض نحو السرقة والغارة
وقطع السبيل ويجوز أن يجعل التطفيف والبخس عيثا منهم في الأرض بقيت الله ما أبقى لكم
من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم إن كنتم مؤمنين بشرط أن تؤمنوا فإن قلت
بقية الله خير للكفرة لأنهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الإيمان قلت
لظهور فائدتها مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده
لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للإيمان وتنبيه على جلالة شأنه
ويجوز أن يراد إن كنتم مصدقين لي فيما أقول لكم وأنصح به إياكم ويجوز أن يريد ما يبقى لكم عند
الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك وإضافة البقية إلى
الله من حيث إنها رزقه الذي يجوز أن يضاف إليه وأما الحرام فلا يضاف إلى الله ولا
يسمى رزقا وإذا أريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء وهو تقواه
ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح وما أنا عليكم بحفيظ وما بعثت لأحفظ عليكم أعمالكم
وأجازيكم عليها وإنما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد أعذرت حين أنذرت كان
شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه إذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا
بقولهم أصلاتك تأمرك السخرية والهزء والصلاة وإن جاز أن تكون آمرة على طريق المجاز
كما كانت ناهية في قوله إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأن يقال إن الصلاة تأمر بالجميل
والمعروف كما يقال تدعو إليه وتبعث عليه إلا أنهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا
الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته وأرادوا أن هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الأوثان
باطل لا وجه لصحته وأن مثله لا يدعوك إليه داعي عقل ولا يأمرك به آمر فطنة فلم يبق إلا
أن يأمرك به آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك
وعندهم أنها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الأقوال والأفعال
ومعنى تأمرك أن نترك تأمرك بتكليف أن نترك ما يعبد آباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف
لأن الإنسان لا يؤمر بفعل غيره وقرئ أصلاتك بالتوحيد وقرأ ابن أبي عبلة أو أن تفعل في
أموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يأمرهم به من ترك التطفيف والبخس والإقناع

قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما
استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي

بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها
وأرادوا بقولهم إنك لأنت الحليم الرشيد نسبته إلى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا
به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو أبصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه إنك
للمتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون أن ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به ورزقني
منه أي من لدنه رزقا حسنا وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا
من غير بخس ولا تطفيف فإن قلت أين جواب أرأيتم وما له لم يثبت كما أثبت في قصة
نوح ولوط قلت جوابه محذوف وإنما لم يثبت لأن إثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى
الكلام ينادي عليه والمعنى أخبروني إن كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على
الحقيقة أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي والأنبياء لا يبعثون إلا
لذلك يقال خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه إذا ولى عنه و
أنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني إلى الماء
يريد أنه قد ذهب إليه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم
إلى ما أنهاكم عنه يعني أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لأستبد بها دونكم إن
أريد إلا الإصلاح ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمري بالمعروف ونهيي عن
المنكر ما استطعت ظرف أي مدة استطاعتي للإصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه
جهدا أو بدل من الإصلاح أي المقدار الذي استطعته منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف
المضاف على قولك إلا الإصلاح إصلاح ما استطعت أو مفعول له كقوله ضعيف النكاية أعداءه
أي ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه من فاسدكم وما توفيقي إلا بالله وما كوني
موفقا لإصابة الحق فيما آتي وأذر ووقوعه موافقا لرضا الله إلا بمعونته وتأييده والمعنى
أنه استوفق ربه في إمضاء الأمر على سننه وطلب منه التأييد والإظهار على عدوه وفي ضمنه
تهديد للكفار وحسم لأطماعهم فيه جرم مثل كسب في تعديه إلى مفعول واحد وإلى مفعولين
تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته إياه قال جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا
ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم أي لا يكسبنكم شقاقي إصابة العذاب وقرأ ابن كثير
بضم الياء من أجرمته ذنبا إذا جعلته جارما له أي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي
إلى مفعول واحد كما نقل أكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا وأكسبته إياه

وان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود قالوا
يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنريك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله

فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت
بينهما الا ان المشهورة افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة
انه على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور واكثر استعمالا وقرأ ابو حيوة
ورويت عن نافع مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت
وما قوم لوط منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم
او لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك فان قلت ما للبعيد لم يرد
على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه او معناه قلت اما ان يراد وما اهلاكهم ببعيد
او وما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير
بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما رحيم
ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال
ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية
له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه
او قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري
ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفهم كثير منه وكيف لا ينفهم كلامه وهو
خطيب الانبياء وقيل كان ألثغ فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على
الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا اعمى وحمير تسمي
المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا يأباه الا ترى انه لو قيل انا لنريك فينا
اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا و
الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا رهطك احتراما لهم واعتدادا
بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وما انت
علينا بعزيز اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا
رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف
النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كأنه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم
الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا
الجواب فان قلت فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله

واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا
اني معكم رقيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا

ارهطي اعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه
دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله
واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به و
الظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس
امسي بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها على مكانتكم لا تخلو المكانة
من ان تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكانة
فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي او اعملوا متمكنين
من عداوتي مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني
من يأتيه يجوز ان تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون
اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا هو كاذب وان تكون موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف
تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فان قلت اي فرق بين ادخال
الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها
وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون
اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف
للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستئناف وهو باب
من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب
اي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم
او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع
فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم
فكان القياس ان يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب
يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت
ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم
فان قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء
قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد
غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت

وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود

وأما الأخريان فلم تقعا تلك المتابعة وإنما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما
قبلهما كما تعطف قصة على قصة الجاثم اللازم لمكانه لا يريم كاللابد يعني أن جبريل صاح بهم
صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا كأن لم يغنوا كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء
متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألا ترى إلى قوله كما
بعدت وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البنائين واحد وهو نقيض القرب إلا أنهم أرادوا
التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر
فقالوا وعد وأوعد وقراءة السلمي جاءت على الأصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص
كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود
منها بآياتنا وسلطان مبين فيه وجهان أن يريد أن هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على
صدق نبوته وأن يراد بالسلطان المبين العصا لأنها أبهرها وما أمر فرعون برشيد
تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على أمره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل
وذلك أنه ادعى الإلهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي إلا من
شيطان مارد ومثله بمعزل عن الإلهية ذاتا وأفعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا
على طاعته والأمر الرشيد الذي فيه رشد أي وما في أمره رشد إنما هو غي صريح وضلال
ظاهر مكشوف وإنما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه أنهم
عاينوا الآيات والسلطان المبين في أمر موسى عليه السلم وعلموا أن معه الرشد والحق ثم عدلوا
عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره رشد قط يقدم قومه أي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك
يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه ويجوز أن يريد بقوله وما أمر فرعون برشيد وما أمره بصالح
حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وإيضاحا أي كيف يرشد أمر من هذه عاقبته
والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى
تقدمه ومنه قادمة الرجل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش وأقدم بمعنى
تقدم ومنه مقدم العين **فإن قلت** هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي
قلت لأن الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة
والورد المورود الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء
وشبه أتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لأن الورد إنما يراد لتسكين

وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود

العطش وتبريد الأكباد والنار ضده وأتبعوا في هذه في هذه الدنيا لعنة أي يلعنون
في الدنيا ويلعنون في الآخرة بئس الرفد المرفود رفدهم أي بئس العون المعان وذلك أن
اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة وقيل بئس العطاء
المعطى ذلك مبتدأ من أنباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر أي ذلك النبأ بعض أنباء القرى
المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى أي بعضها باق وبعضها عافي الأثر كالزرع
القائم على ساقه والذي حصد **فإن قلت** ما محل هذه الجملة **قلت** هي مستأنفة لا محل
لها وما ظلمناهم بإهلاكنا إياهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما به أهلكوا فما أغنت عنهم
آلهتهم فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية ولما منصوب
بما أغنت أمر ربك عذابه ونقمته تتبيب تخسير يقال تب إذا خسر وتببه غيره أوقعه
في الخسران محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الأخذ أخذ ربك والنصب فيمن قرأ وكذلك
أخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ إذ أخذ القرى وهي ظالمة حال من القرى أليم شديد وجيع
صعب على المأخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل أهل قرية ظالمة من كفار مكة
وغيرها بل لكل من ظلم غيره أو نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من أذنب أن يحذر أخذ ربه
الأليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالإمهال ذلك إشارة إلى ما قص الله من قصص
الأمم الهالكة بذنوبهم لآية لمن خاف لعبرة له لأنه ينظر إلى ما أحل الله بالمجرمين في الدنيا
وما هو إلا أنموذج مما أعد لهم في الآخرة فإذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم
العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه
إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك إشارة إلى يوم القيامة لأن عذاب الآخرة دل عليه
والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله إذا قلت يجمع له الناس **فإن قلت**
لأي فائدة أوثر اسم المفعول على فعله **قلت** لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى
الجمع لليوم وأنه يوم لا بد من أن يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وأنه الموصوف بذلك
صفة لازمة وهو أثبت أيضا لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكون منه ونظيره قول
المتهدد إنك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل
وإن شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى
مجموع له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب يوم مشهود مشهود فيه فاتسع

وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأتي لا تكلم نفس الا باذنه

في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اي يشهد فيه
الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم
لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود فان قلت
ما منعك ان تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون ان تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن
شهد منكم الشهر فليصمه قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين
الايام فان جعلته مشهودا في نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا
فيه حتى يحصل التمييز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز
ان يكون مشهودا في نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك
قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير
في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان منكم مقيما حاضرا في وطنه
في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر
لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر الاجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها كما
فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون حل الاجل فاذا جاء اجلهم يراد آخر
مدة التأجيل والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل
معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء وقرئ يوم
يأت بغير ياء ونحوه قولهم لا ادر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها
بالكسرة كثير في لغة هذيل فان قلت فاعل يأتي ما هو قلت الله عز وجل كقوله هل ينظرون
الا ان يأتيهم الله او يأتي ربك وجاء ربك وتعضده قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله
باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله ان تأتيهم الساعة فان قلت بم انتصب
الظرف قلت اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء المحذوف في قوله
الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي فان قلت فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم
فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه قلت المراد اتيان هوله
وشدائده لا تكلم لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن فان قلت
كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون

فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ... عطاء غير مجذوذ

عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي
بعضها يختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم فمنهم الضمير لاهل الموقف ولم
يذكر لان ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع
له الناس والشقي الذي وجبت له النار لاسائته والسعيد الذي وجبت له الجنة لاحسانه
وقراة العامة بفتح الشين وعن الحسن شُقوا بالضم كما قرئ سُعدوا والزفير اخراج
النفس والشهيق رده قال الشماخ بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج
ما دامت السموات والارض فيه وجهان احدهما ان تراد سموات الآخرة وارضها وهي
دائمة مخلوقة للابد والدليل على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض غير
الارض والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولانه لا بد لاهل
الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء يخلقها الله او يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سماء
والثاني ان يكون عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما اقام
ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد فان قلت فما معنى الاستثناء في قوله
الا ما شاء ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار في الابد من غير استثناء قلت هو استثناء
من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون
في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وبما
هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وكذلك اهل
الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات
عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف
كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله
في مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل
الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمله فان القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك
عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان
الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله
لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق

فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما تعملون خبير فاستقم كما امرت

فيه ابواب لا يلبث فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وقد بلغني ان من الضلال من اغتر
بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان
المبين زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نعقل عنه ولئن صح هذا
عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق
ابوابها واقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن ابي طالب رضوان الله عليه
ما يشغله عن تسيير هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله
لهم اجر غير ممنون لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم من
عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء اي فلا تشك بعد ما انزل عليك من هذه القصص
في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم لها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله وعدة
بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم يريد ان حالهم في الشرك
مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزل بهم مثله وهو
استيناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز ان تكون مصدرية وموصولة اي
من عبادتهم وكعبادتهم اي وما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها وانا لموفوهم
نصيبهم اي حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم انصباءهم فان قلت كيف نصب غير منقوص
حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته
شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف
في القرآن ولولا كلمة يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهذا
من جملة التسلية ايضا وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين
فيه ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم
والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود وقرئ وان كلا بالتخفيف
على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل وقرأ ابي وان كل لما ليوفينهم
على ان نافية ولما بمعنى الا وقراءة عبد الله مفسرة لها وان كل الا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان
بن ارقم وان كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله اكلا لما والمعنى وان كلا ملمومين بمعنى مجموعين
كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون فاستقم كما امرت فاستقم استقامة
مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على المستتر

ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار

في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت
وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله انه بما تعملون بصير
عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله عنه ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه في جميع
القرآن آية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة و
اخواتها وروي ان اصحابه قالوا له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم
رأيت رسول الله في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي
شيبك منها اقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت قال افتقر الى الله
بصحة العزم قرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف
على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة الا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرأ
فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن ابي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا اماله
والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم
ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم
بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا
اي الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرأ هذه
الآية فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن
رحمه الله جعل الله الدين بين لائين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب
اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان
يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك
من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا
تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت
سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك
رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك
بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما
اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف
من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من

من لا يجهل وحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر
البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا
القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن
مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه من دعا لظالم
بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل
يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم من دونه من اولياء حال من قوله فتمسكم
اي فتمسكم النار وانتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه
لا يقدر على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء
عليكم فان قلت فما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع
استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات
من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلاة الغدوة
الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء
وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار
واتيته نصف النهار واوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه
ونحو واطراف النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف
جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو بسر في بسر والزلفى
بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل
وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلوة اي اقم الصلوة طرفي النهار
واقم زلفا من الليل على معنى واقم صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل ان
الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغاير بالطاعات وفي الحديث
ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكباير والثاني ان الحسنات يذهبن
السيئات بان يكن لطفا في تركها كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت
في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امرأة فاعجبته فقال لها ان
في البيت اجود من هذا فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها
وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلاة العصر

نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وروي انه اتى ابا بكر فاخبره فقال استر على
نفسك وتب الى الله فاتى عمر فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله فنزلت فقال عمر اهذا له
خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي ان رسول الله صلى الله عليه قال له توضأ
وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك اشارة الى قوله فاستقم
فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة
للتذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال
وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء
عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل
على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير
ذلك من الحسنات فلولا كان من القرون فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القرآن فمعناها
هلا الا التي في الصافات وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات لولا ان تداركه نعمة
من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اولوا
بقية اولوا فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده
وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم
وبه فسر بيت الحماسة ان تذنبوا ثم تاتيني بقيتكم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي
الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم
ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ اولوا بقية بوزن لقية
من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله والبقية المرة من مصدره
والمعنى فلولا كان منهم اولوا مراقبة وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه بهم
لاشفاقهم الا قليلا استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد
وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي
للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا
فان قلت هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه قلت ان جعلته متصلا على ما عليه
ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا للقليل
من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين

الناسون بعض الناجين فيكون الناجون بعضهم ناسون وبعضهم

وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لابيه يا ابت انى رايت احد عشر كوكبا

فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحو النبأ والخبر فى معنى المنبأ به والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا القرآن اى بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القرآن بنقص كانه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص فى كتب الاولين وفى كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه فى كتاب منها مقاربا لاقتصاصه فى القرآن وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التى ليست فى غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص فى بابه كما يقال فى الرجل هو اعلم الناس وافضلهم يراد فى فنه فان قلت مم اشتقاق القصص قلت من قص اثره اذا اتبعه لان الذى يقص الحديث يتبع ما حفظ منه اية بعد اية وان كنت ان مخففة من الثقيلة واللام هى التى تفرق بينها وبين النافية والضمير فى قبله راجع الى قوله ما اوحينا والمعنى وان الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين عنه اى من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه اذ قال يوسف بدل من احسن القصص وهو المقصوص فاذا اقتص قصته فقد قص او باضمار اذكر ويوسف اسم عبرانى وقيل عربى وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف فان قلت فما تقول فيمن قرا يوسف بكسر السين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال هو عربى لانه على وزن المضارع المبنى للفاعل او المفعول من آسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت لا لان القراءة المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية تارة واعجمية اخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربى لانه فى لغتين منها بوزن المضارع من آنس واونس وعن النبى صلى الله عليه اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت قرئ بالحركات الثلاث فان قلت ما هذه التاء قلت تاء تانيث وقعت عوضا من ياء الاضافة والدليل على انها تاء تانيث قلبها هاء فى الوقف فان قلت كيف جاز الحاق تاء التانيث بالمذكر قلت كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة فان قلت

فلم ساغ تعويض تاء التانيث من ياء الاضافة قلت لان التانيث والاضافة يتناسبان فى ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم فى آخره فان قلت فما هذه الكسرة قلت هى الكسرة التى كانت قبل الياء فى قولك يا ابى قد زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التانيث ان يكون ما قبلها مفتوحا فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التى اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة قلت امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها فى الاعراب وانما جاز تسكين الياء واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها فان قلت يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها فى حكم الياء اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتى فلا يجوز يا ابت قلت الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من احد الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا تجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء والياء لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد من ذلك فان قلت فقد دلت الكسرة فى يا غلام على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك فى يا ابت فالتاء المعوضة لغو وجودها كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا ابى فان قلت فما وجه من قرا بفتح التاء وضمها قلت اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء فى يا غلام ويجوز ان يقال حركها بحركة الياء المعوض منها فى قولك يا ابى واما من ضم فقد راى اسما فى آخره تاء تانيث فاجراه مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا ابة كما تقول يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الاضافة وقرئ انى رايت بتحريك الياء واحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالى المتحركات فيما هو فى حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر الا اثنا عشر لئلا يلتقى ساكنان ورايت من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف فى حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس فان قلت ما اسماء تلك الكواكب قلت روى جابر ان يهوديا جاء الى النبى صلى الله عليه فقال يا محمد اخبرنى عن النجوم التى رآهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال النبى صلى الله عليه لليهودى ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر

والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين

نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب ان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون فان قلت لم اخر الشمس والقمر قلت اخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر فان قلت ما معنى تكرار رايت قلت ليس بتكرار انما هو كلام مستانف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان يعقوب عليه السلام قال له عند قوله اني رايت احد عشر كوكبا كيف رايتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رايتهم لي ساجدين فان قلت فلم اجريت مجرى العقلاء في رايتهم ساجدين قلت لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها حكمهم كانها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم ان يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا على ان يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رؤياك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائي رياك وريّاك بالادغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام في قولهم اتزر من الازار واتجر من الاجر فيكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك فان قلت هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني قلت ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تاكيده بالمصدر عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء ولقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن ان يحملهم على مثله

وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحق ان ربك عليم حكيم لقد كان في يوسف واخوته ايات للسائلين

وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبر شان كذلك يجتبيك لامور عظام وقوله ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته والاحاديث الرؤى لان الرؤيا اما حديث نفس او ملك او شيطان وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث معاني كتب الله وسنن الانبياء وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله فباي حديث بعده يؤمنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم انبياء في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وقيل اتمها على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال هذا امر متشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل وآل يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك ولا آل الحجام ولكن اهلهما واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم الاب في الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين فلان عدة وابرهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم يعلم من يحق له الاجتباء حكيم لا يتم نعمته الا على من يستحقها في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم آيات علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سال عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة

إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم
وتكونوا من بعده قوما صالحين

كتاب وقرئ آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل إنما قص الله على النبي عليه السلم خبر يوسف
وبغي إخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به وقيل أساميهم يهوذا وروبيل
وشمعون ولاوي وربالون ويشجر ودينة ودان ونفتالي وجاد وآشر السبعة
الأولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والأربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة
فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف ليوسف اللام لام
الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة
فيه وأخوه هو بنيامين وإنما قالوا أخوه وهم جميعا إخوته لأن أمهما كانت واحدة وقيل
أحب في الاثنين لأن أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث إذا
كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف وإذا أضيف جاز الأمران والواو في ونحن
عصبة واو الحال يعني أنه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة
ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة
والمنفعة عليهما إن أبانا لفي ضلال مبين أي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة
والعصابة العشرة فصاعدا وقيل إلى الأربعين سموا بذلك لأنهم جماعة تعصب بهم الأمور
ويستكفون النوائب وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب
وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الأنباري هذا كما يقول العرب إنما العامري
عمته أي يتعهد عمته اقتلوا يوسف من جملة ما حكي بعد قوله إذ قالوا كأنهم أطبقوا على
ذلك إلا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا
راضين فجعلوا آمرين أرضا أرضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها و
إخلائها من الوصف ولإبهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه
أبيكم يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم
فيها وينازعهم إياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم لأن الرجل إذا أقبل
على الشيء أقبل بوجهه ويجوز أن يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم
يفرغ لكم من الشغل بيوسف من بعده من بعد يوسف أي من بعد كفايته بالقتل والتغريب
أو يرجع الضمير إلى مصدر اقتلوا أو اطرحوا قوما صالحين تائبين إلى الله مما جنيتم
عليه أو يصلح ما بينكم وبين أبيكم بعذر تمهدونه أو تصلح دنياكم وتنتظم أموركم بعده بخلو وجهه

قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم
فاعلين قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أرسله معنا غدا يرتع
ويلعب وإنا له لحافظون قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف
أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب
ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون

أبيكم وتكونوا إما مجزوم عطفا على يخل لكم وإما منصوب بإضمار أن والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا
الحق قائل منهم هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن أبرح الأرض
قال لهم القتل عظيم ألقوه في غيابة الجب وهي غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من
أسفله قال المنخل: إن أنا يوما غيبتني غيابتي ... فسيروا بسيري في العشيرة والأهل
أراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرأ الجحدري
غيبة والجب البئر لم تطو لأن الأرض تجب جبا لا غير يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض
الأقوام الذين يسيرون في الطريق وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لأن بعض السيارة سيارة كقوله
كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه ذهبت بعض أصابعه إن كنتم فاعلين إن كنتم على أن تفعلوا
ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأي ما لك لا تأمنا قرئ بإظهار النونين وبالإدغام بإشمام وبغير
إشمام وتيمنا بكسر التاء مع الإدغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق
عليه وما وجدت منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة وأرادوا بذلك لما عزموا على
كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على أنه أحس منهم بما أوجب
أن لا يأمنهم عليه نرتع نتسع في أكل الفواكه وغيرها وأصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ
نرتع من ارتعى يرتعي وقرئ نرتع ونلعب بالياء ويرتع من أرتع ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة
يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء فإن قلت كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلم اللعب
قلت كان لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا أنفسهم بما يحتاج إليه لقتال العدو لا للهو
بدليل قوله إنا ذهبنا نستبق وإنما سموه لعبا لأنه في صورته ليحزنني اللام لام الابتداء كقوله
إن ربك ليحكم بينهم ودخولها أحد ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة اعتذر إليهم بشيئين
أحدهما أن ذهابهم به ومفارقته إياه مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني
خوفه عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم أو قل به اهتمامهم ولم تصدق
بحفظه عنايتهم وقيل رأى في النوم أن الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره فمن ثم قال ذلك
فلقنهم العلة وفي أمثالهم البلاء موكل بالمنطق وقرئ الذئب بالهمزة على الأصل وبالتخفيف وقيل
اشتقاقه من تذاءبت الريح إذا أتت من كل جهة القسم محذوف تقديره والله لئن أكله الذئب
واللام موطئة للقسم وقوله إنا إذا لخاسرون جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط والواو في ونحن
عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذئب أخاهم من بينهم وحالهم أنهم عشرة

فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وجاءوا اباهم عشاء يبكون

رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انا اذا لخاسرون لهالكون ضعفا وخورا
وعجزا او مستحقون ان يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم او مستحقون لان
يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذئب بعضهم وهم حاضرون
وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها فان قلت قد اعتذر
اليهم بعذرين فلم اجابوا عن احدهما دون الآخر قلت هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الامرين
فعاودوه آذانا صما ولم يعبأوا به ان يجعلوه مفعول اجمعوا من قولك اجمع الامر وازمعه
فاجمعوا امركم وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل
بين مصر ومدين وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا
به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا
يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا
يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني
موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط
البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به وانما
نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر
كوكبا تؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه
ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا
ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام ويروى ان ابرهيم صلوات الله
عليه حين القي في النار جرد عن ثيابه اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه
ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبريل
فاخرجه والبسه اياه واوحينا اليه قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل
كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا انما اوحي اليه
ليؤنسه في الظلمة والوحشة ويبشره بما يؤول اليه امره ومعناه لتتخلصن مما انت فيه و
لتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك
وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات والاشكال وذلك انهم حين دخلوا
عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال

قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين
وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا

انه ليخبر في هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به و
القيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون
بقوله واوحينا على انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون
انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون
متعلق باوحينا لا غير وعن الحسن عشيا على تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا واصيلا
واصيلانا ورواه ابن جني عشا بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروي ان امراة حاكمت
الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي قال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة
ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية وروي انه لما سمع صوتهم فزع
وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا
نستبق اي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي
وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي وجاء في التفسير ننتضل بمؤمن لنا بمصدق لنا
ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت
سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس
الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به جود وانتم به بخل
وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاءوا به كاذبين ويجوز ان يكون مفعولا له وقرأت عائشة رضي الله عنها
كدب بالدال غير المعجمة اي كدر وقيل طري وقال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف
البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها
وزل عنهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه
والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من
هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلث آيات كان دليلا ليعقوب
على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر فان قلت
على قميصه ما محله قلت محله النصب على الظرف كانه قيل وجاءوا فوق قميصه بدم كما تقول
جاء على جماله باحمال فان قلت هل يجوز ان يكون حالا متقدمة قلت لا لان حال المجرور لا تتقدم
عليه سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه
من يوسف وهونته في اعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص

كاليوم وقوله هذا اشارة الى ما في الذهن من الذئب
الاكل توسعة على زعمهم وقوله اكل الى آخره بيان لقوله
ما رايت وقوله عليه حال من قميصه او ظرف اي
فوق يوسف

فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس دراهم معدودة

إذ أوحى إليه بأنهم قصدوه فصبر جميل خبر أو مبتدأ لكونه موصوفا أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل أمثل وفي قراءة أبي فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع أنه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه إلى الخلق ألا ترى إلى قوله إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وقيل لا أعايشكم على كآبة الوجه بل أكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الأحزان فأوحى الله تعالى إليه يا يعقوب أتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان أي أستعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه وجاءت سيارة رفقة تسير من قبل مدين إلى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف في الجب فأخطؤوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن إلا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين ألقي فيه يوسف فأرسلوا رجلا يقال له مالك بن دعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم يا بشراي نادى البشرى كأنه يقول تعالى فهذا من آونتك وقرئ يا بشراي على إضافتها إلى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشري بالياء مكان الألف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الإضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت أهل السرو يقولون في دعائهم يا سيدي وموليّ وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده إلا أن يقصد الوقف قيل لما أدلى دلوه أي أرسلها في الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به وأسروه الضمير للوارد وأصحابه أخفوه من الرفقة وقيل أخفوا أمره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس أن الضمير لإخوة يوسف وأنهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه وبضاعة نصب على الحال أي أخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة أي قطع والله عليم بما يعملون لم يخف عليه أسرارهم أو هو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم أو والله عليم بما يعمل إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء الصنيع وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا أو زيف ناقص العيار دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لأنهم كانوا لا يزنون إلا ما بلغ الأوقية وهي الأربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة لأن الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي

وكانوا فيه من الزاهدين وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا

اثنين وعشرين وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لأنهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بما باعه ولأنه يخاف أن يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من أول مساوم بأوكس الثمن ويجوز أن يكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من إخوته وكانوا فيه من الزاهدين لأنهم اعتقدوا أنه آبق فخافوا أن يخطروا بمالهم فيه ويروى أن إخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يأبق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لأن الصلة لا تتقدم على الموصول ألا تراك لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين وإنما هو بيان كأنه قيل في أي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه الذي اشتراه قيل هو قطفير أو إطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في أيامه فرعون موسى عاش أربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين أبيضين وقيل أدخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ أكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما أي حسنا مرضيا بدليل قوله إنه ربي أحسن مثواي والمراد تفقده بالإحسان وتعهده بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف أبو مثواك وأم مثواك لمن ينزل به من رجل أو امرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك به واللام في لامرأته متعلقة بقال لا باشتراه عسى أن ينفعنا لعله إذا تدرب وراض الأمور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وأمانته أو نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له فقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل أفرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا والمرأة التي أتت موسى وقالت لأبيها يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وروي أنه سأله عن نفسه فأخبره بنسبه فعرفه وكذلك إشارة إلى ما تقدم من إنجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الإنجاء والعطف

وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ اشده آتيناه
وعلما وكذلك نجزي المحسنين وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي
انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به

مكناه اى كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكناه في ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها
بامره ونهيه ولنعلمه من تاويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد
عاقبته من علم وعمل والله غالب على امره اى على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضى
او على امر يوسف يدبره ولا يكله الى غيره قد اراد اخوته به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراد الله
ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون
وثلثون واربعون وقيل اثنتان وستون حكما حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل
فيه وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا في
عنفوان امره وان الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن عبادة ربه في
شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى
خادعته عن نفسه اى فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذى لا يريد ان يخرجه من يده
يحتال ان يغلبه عليه وياخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الابواب قيل
كانت سبعة قرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت كجير وهيت
كحيث وهئت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ وهئت لك واللام من صلة الفعل
واما في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك معاذ الله اعوذ بالله
معاذا انه ان الشان والحديث ربي سيدى ومالكي يريد قطفير احسن مثواى حين قال لك
اكرمى مثواه فما جزاؤه ان اخلفه في اهله سوء الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح الظالمون
الذين يجازون الحسن بالسيء وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد الله تعالى لانه
مسبب الاسباب هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت
على عثمان تبكي حلائله ومنه قولك لا افعل ذلك ولا كيدا ولا هما اى ولا اكاد ان افعله
كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذى اذا هم بامر امضاه ولم ينكل
عنه وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان رأى
برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا ان رأى برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم
بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا اني خفت الله معناه لولا اني خفت الله لقتلته فان قلت
كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها قلت المراد ان نفسه مالت
الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد اليه وكما

وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين

وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في
برهان الله الماخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى
هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على الابتلاء على
حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه من عباده المخلصين
ويجوز ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله يريد
مشارفة القتل ومشافهته كانه شرع فيه فان قلت قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم
في قوله ولقد همت به ام هو خارج منه قلت الامران جائزان ومن حق القارى اذا قدر
خروجه من حكم القسم وجعله كلاما براسه ان يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ قوله
وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين فان قلت لم جعلت جواب
لولا محذوفا يدل عليه وهم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما قلت لان لولا لا يتقدم عليها
جوابها من قبل انه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة
واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض واما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز
فان قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت
به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون
الا من اثنين معا فكانه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما قلت نعم ما قلت ولكن
الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها فكان اغفاله
اغفالا فوجب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على ان المراد بالمخالطتين
توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها
لولا ان رأى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بان
تعلق بهم بها وحده وقد فسر هم يوسف بانه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبانه
حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع
صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه
حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل
كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص
من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له

وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين
فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا
يوما ترجعون فيه إلى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة
فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء وقيل رأى
تمثال العزيز وقيل قامت المرأة إلى صنم كان هناك فسترته وقالت أستحيي أن يرانا فقال يوسف استحييت
ممن لا يسمع ولا يبصر ولا أستحيي من السميع البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده
أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله وأنبيائه وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم
ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت
توبته واستغفاره كما نعيت على آدم صلوات الله عليه زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى أيوب
وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد أثني عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع
أنه ثبت في ذلك المقام الدحض وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم ناظرا في دليل
التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأولين ثم في القرآن الذي هو حجة
على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر إلا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له
لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده الخليل إبراهيم وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدهر
في العفة وطيب الإزار والتثبت في مواقف العثار فأخزى الله أولئك في إيرادهم ما يؤدي
إلى أن يكون إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدى بنبي
من أنبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي أن ينهاه ربه ثلاث
كرات ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد
الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير أنثاه وهو جاثم في مربضه
لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وبإجباره ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم
وأحدهم حدقة وأجلحهم وجها لقي بأدنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض
ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه كذلك الكاف منصوب
المحل أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو مرفوعه أي الأمر مثل ذلك لنصرف عنه السوء من
خيانة السيد والفحشاء من الزنى إنه من عبادنا المخلصين الذين أخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين
أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم ويجوز أن يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر

واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم
قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين

بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا أي هو مخلص من جملة المخلصين أو هو ناشئ منهم
لأنه من ذرية إبراهيم الذين قال فيهم إنا أخلصناهم بخالصة واستبقا الباب وتسابقا إلى الباب
على حذف الجار وإيصال الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها
يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج فإن قلت كيف وحد الباب
وقد جمعه في قوله وغلقت الأبواب قلت أراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص
فقد روى كعب أنه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب و
قدت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقد أي انشق حين هرب منها إلى الباب وتبعته تمنعه
وألفيا سيدها وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المرأة لبعلها سيدي وقيل إنما لم يقل سيدهما
لأن ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيده على الحقيقة قيل ألفياه مقبلا يريد أن يدخل وقيل جالسا
مع ابن عم للمرأة لما اطلع منهما زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف إذ لم يواتها
جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف
وتخويفه طمعا في أن يواتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما آيست من مواتاته طوعا ألا ترى
إلى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافية أي ليس جزاؤه إلا السجن ويجوز أن تكون استفهامية
بمعنى أي شيء جزاؤه إلا السجن كما تقول من في الدار إلا زيد فإن قلت كيف لم تصرح في قولها
بذكر يوسف وأنه أراد بها سوءا قلت قصدت العموم وأن كل من أراد بأهلك سوءا فحقه أن
يسجن أو يعذب لأن ذلك أبلغ فيما قصدته من تخويف يوسف وقيل العذاب الأليم الضرب بالسياط
ولما أغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال هي راودتني عن
نفسي ولولا ذلك لكتم عليها وشهد شاهد من أهلها قيل كان ابن عم لها وإنما ألقى الله الشهادة
على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وأنفى للتهمة عنه وقيل
هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع إليه الملك ويستشيره ويجوز
أن يكون بعض أهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فأغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام
بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه تكلم أربعة وهم صغار ابن
ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى فإن قلت لم سمي قوله شهادة
وما هو بلفظ الشهادة قلت لما أدى مؤدى الشهادة في أن ثبت به قول يوسف وبطل
قولها سمي شهادة فإن قلت الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة قلت

وان كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قدّ من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض
عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتيها عن نفسه قد شغفها حبا

في انها قول من القول او على ارادة القول كأنه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه **فان قلت**
ان دل قدّ قميصه من دبر على انها كاذبة وانها هي التي تبعته واجتبذت ثوبه اليها فقدته فمن
اين دل قدّه من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها **قلت** من وجهين احدهما انه اذا كان
تابعها وهي دافعته عن نفسها قدّت قميصه من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها
فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى
من قبل القميص ومن دبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر
وعن ابي اسحق انه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كأنه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية
والتأنيث وقرئ بسكون العين **فان قلت** كيف جاز الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين
كان **قلت** لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قدّ ونحوه قولك ان احسنت الي فقد احسنت
اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمتن علي امتن عليك فلما رأى يعني قطفير وعلم
براءة يوسف وصدقه وكذبها قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا
الامر وهو طمعها في يوسف من كيدكن الخطاب لها ولامتها وانما استعظم كيد النساء لانه
وان كان في الرجال الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك رفق وبذلك
يغلبن الرجال ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد والقصريات من بينهن معهن ما ليس مع
غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى
يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم يوسف حذف منه حرف
النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا
الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري انت لذنبك انك كنت من الخاطئين من جملة القوم
المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور
على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما وروي انه كان قليل الغيرة وقال نسوة وقال جماعة
من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب
السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة
ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امرأة العزيز
يريدن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب فتيها غلامها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي و
جاريتي شغفها خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل

انا لنريها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج
عليهن

جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة: وقد حال هم دون ذلك والج مكان الشغاف
تبتغيه الاصابع. وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران قال
كما شعف المهنوءة الرجل الطالي. وحبا نصب على التمييز في ضلال مبين في خطأ وبعد عن
طريق الصواب بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني
ومقتها وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت
استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن قيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس
المذكورات واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن
متكئات والسكاكين في ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن
فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد ان
تقصد الجمع بين المكر به وبهن فتضع الخناجر في ايديهن ليقطعن ايديهن فيبكتهن بالحجة
ولتهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن الخناجر توهمه انهن
يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة
المترفين ولذلك نهي ان يأكل الرجل متكئا وآتين السكاكين ليعالجن بها ما يأكلن وقيل متكأ
طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اعددت
له تكأة يتكئ عليها قال جميل: فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله. وعن مجاهد
متكأ طعاما يحز حزا كأن المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ
متكا بغير همز وعن الحسن متكاء بالمد كأنه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح
بمعنى بمنتزح ونحو ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد: فاهدت متكة
لبني ابيها تخب بها العثمثمة الوقاح. وكانت اهدت اترجة على ناقة وكأنها الاترجة
التي ذكرها ابو داود في سننه انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد
وعن وهب اترجا وموزا وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه
اذا قطعه وقرأ الاعرج متكأ مفعلا من تكئ يتكأ اذا اتكأ اكبرنه عظمنه وهبن ذلك
الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر
على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبريل
من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف

بعلها والله الكريم وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم

اذا شاءت ان تقدم مصر يرى تلالؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المراة اذا حاضت و حقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها حاشى كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيد قال حاشى ابي ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود على اضافة حاشى الى الله اضافة البراءة ومن قرا حاشى لله فنحو قولك سقيا لك كانه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرى وينزه والدليل على تنزيل حاشى منزلة المصدر قراءة ابي السمال حاشى لله بالتنوين وقراءة ابي عمرو وحاش لله بحذف الالف الآخرة وقراءة الاعمش حشا الله بحذف الالف الاولى وقرى حاش لله بسكون الشين على ان الفتحة اتبعت الالف في الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرى حاش الاله فان قلت فلم جاز في حاشى لله ان لا ينون بعد اجرائه مجرى براءة لله قلت مراعاة لاصله الذي هو الحرفية الا ترى الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على اصله وعلى في قوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله واما قوله حاشى لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما هذا بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور واثبتن له الملكية و بتتن بها الحكم وذلك لان الله عز وجل ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها الا لان الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع ان لا ادخل في الشر من الشيطان ولا اجمع للخير من الملك الا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب واعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله ما هن امهاتهم ومن قرا على سليقته من بني تميم

قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين

قرا بشر بالرفع وهي قراءة ابن مسعود وقرى ما هذا بشرى اي ما هو بعبد مملوك لئيم ان هذا الا ملك كريم تقول هذا بشرى اي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى ام بكرا والقراءة هي الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به وربا بحاله واستبعادا لمحله ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو مجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الراي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شيء انور منه على انه بري مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان فان قلت الضمير في آمره راجع الى الموصول ام الى يوسف قلت بل الى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما في قوله امرتك الخير ويجوز ان تجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف و معناه ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب امري ومقتضاه قرى وليكونن بالتشديد والتخفيف والتخفيف اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة وقرى السجن بالفتح على المصدر وقال يدعونني على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن والصغار فالتجا الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن احب الي من ركوب المعصية فان قلت نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب اليه من اللذة قلت كانت احب اليه وآثر عنده نظرا في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا في مشتهى النفس ومكروهها والا تصرف عني كيدهن فزع منه الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما عزموا عليه ووطنوا عليه انفسهم من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء اليه اصب اليهن اميل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرى اصب اليهن من الصبابة من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لان قوله والا

واستجاب له فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ليسجننه حتى حين ودخل معه السجن فتيان قال احدهما انى ارانى اعصر خمرا وقال الآخر انى ارانى احمل فوق راسى خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نريك من المحسنين

تضرع ففيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف السميع لدعوات الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم
بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اى ظهر لهم راى ليسجننه والضمير
فى لهم للعزيز واهله من بعد ما راوا الآيات وهى الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستنزال
المراة لزوجها وفتلها منه فى الذروة والغارب وكان مطواعا لها وجملا ذلولا زمامه فى يدها
حتى انساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برايها فى سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك
لما ايست من طاعته لها او لطمعها فى ان يذلله السجن ويسخره لها وفى قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على
الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان
كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفى قراءة ابن مسعود عتى حين وهى لغة هذيل
وعن عمر رضى الله عنه انه سمع رجلا يقرا عتى حين فقال من اقراك قال ابن مسعود فكتب اليه ان
الله انزل هذا القرآن فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم
بلغة هذيل والسلام مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب
ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رقى اليه انهما يسمانه
فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف انى ارانى يعنى فى المنام وهى حكاية حال
ماضية اعصر خمرا يعنى عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفى قراءة
ابن مسعود اعصر عنبا من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا اى يجيدونها راياه
يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك او من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس
ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمة بتاويل ما راينا
ان كانت لك يد فى تاويل الرؤيا روى انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا ضاق اوسع
له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان فى السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول
ابشروا واصبروا تؤجروا ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك واحسن
خلقك لقد بورك لنا فى جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفى الله يعقوب بن ذبيح الله
اسحق بن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكنى احسن جوارك
فكن فى اى بيوت السجن شئت وروى ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رايناك فقال انشدكما
بالله ان لا تحبانى فوالله ما احبنى احد قط الا دخل على من حبه بلاء لقد احبتنى عمتى فدخل على
من حبها بلاء ثم احبنى ابى فدخل على من حبه بلاء ثم احبتنى زوجة صاحبى فدخل على من حبها بلاء

قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمنى ربى انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائى ابرهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس

فلا تحبانى بارك الله فيكما وعن الشعبى انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابى ارانى فى بستان فاذا
باصل حبلة عليها ثلثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها فى كاس الملك وسقيته وقال
الخباز انى ارانى وفوق راسى ثلث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها
فان قلت الام يرجع الضمير فى قوله نبئنا بتاويله قلت الى ما قصا عليه والضمير يجرى مجرى
اسم الاشارة فى نحو كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص
ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل
اليهما من الطعام فى السجن قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته
كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان
ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذى علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة
اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه
الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته
فى العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به فى الدين لم يكن من باب
التزكية بتاويله ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه
ذلكما اشارة لهما الى التاويل اى ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات مما علمنى ربى واوحى به الى
ولم اقله عن تكهن وتنجم انى تركت يجوز ان يكون كلاما مبتدا وان يكون تعليلا لما قبله اى علمنى
ذلك واوحى الى لانى رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهى الملة الحنيفية
واراد باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة
على انهم خصوصا كافرون بالآخرة وان غيرهم كانوا قوما مؤمنين بها وهم الذين على ملة ابرهيم
ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التى لا يرتكبها الا من هو كافر
بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه تعريض بما منى به من جهتهم حين اودعوه السجن بعد ما راوا
الآيات الشاهدة على براءته وان ذلك ما لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر
آباءه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبى يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب
ليقوى رغبتهما فى الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك
بالله اى شئ كان من ملك او جنى او انسى فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك
التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس اى على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم

قوله واوحى من العطف الذى يكون للبيان يريد ان التعليم كان بطريق الايحاء

كفرهم بالجزاء معنى كفرهم بالآخرة

نصب على الاختصاص والمدح

ولكن اكثر الناس لا يشكرون يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك

اليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتبهون وقيل ان ذلك من
فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر
الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين
غير شاكرين يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكان
الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره
وهو يوسف عليه السلم ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد
انهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك ويجوز ان يريد يا ساكني
السجن كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة أأرباب متفرقون يريد التفرق في العدد والتكاثر
يقول أأن يكون لكما ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام يكون لكما رب
واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة
الله وحده ولعبادة الاصنام ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء يعني
انكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة لا مسميات
تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا ما انزل الله بها اي بتسميتها من
سلطان من حجة ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر ان لا تعبدوا
الا اياه ذلك الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين اما احدكما يريد الشرابي فيسقي
ربه سيده وقرا عكرمة فيسقى ربه اي يسقى ما يروى به على البناء للمفعول روي انه قال للاول
ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلثة فانها ثلثة ايام
تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلثة ايام ثم تخرج
فتقتل قضي الامر قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما فان قلت ما استفتيا في امر
واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا
من اجله وظنا ان ما راياه في معنى ما نزل بهما فكانهما كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما اعاقبته
نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما يجر اليه من العاقبة وهي هلاك
احدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما راينا شيا على ما روي انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كائن
صدقتما او كذبتما ظن انه ناج الظان هو يوسف عليه السلم ان كان تاويله بطريقة الاجتهاد وان
كان بطريقة الوحي فالظان هو الشرابي او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند

فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات

الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة فانساه الشيطان فانسى
الشرابي ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غيره بضع سنين
البضع ما بين الثلث الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين فان قلت كيف يقدر
الشيطان على الانساء قلت يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من اسباب النسيان حتى يذهب
عنه ويزل عن قلبه ذكره واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ من آية
او ننسها فان قلت ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هي باضافة المصدر
الى الفاعل ولا الى المفعول قلت قد لابسه في قولك فانساه الشيطان ذكره لربه او عند
ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة او على تقدير فانساه الشيطان
ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار فان قلت لم انكر على يوسف عليه السلم الاستعانة
بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى
عليه السلم من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم
من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة رضي الله عنها ان
رسول الله صلى الله عليه لم ياخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد
فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة وان
كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق
والحرق ونحو ذلك من المضار قلت كما اصطفى الله الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم
احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء
الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار
ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا
قراها ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس لما دنا فرج يوسف راى ملك مصر
الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته راى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات
عجاف فابتلعت العجاف السمان وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات
وقد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد
في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام فان قلت هل من
فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وان يقال سبع بقرات سمانا قلت

يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم تعبرون

اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن
ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت
المميز بالجنس بالسمن فان قلت هلا قيل سبع عجاف على الاضافة قلت التمييز موضوع لبيان
الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده فان قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة اصحاب
قلت الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسما فاخذت حكمها وجاز
فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول عندي ثلثة ضخام واربعة غلاظ فان قلت ذاك مما يشكل
وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل وبقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد
البقرات قلت ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغنا عما ليس باصل وقد وقع الاستغنا بقولك
سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع
عجاف جمعا لعجفا وافعل وفعلا لا يجمعان على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دابهم حمل
النظير على النظير والنقيض على النقيض فان قلت هل في الآية دليل على ان السنبلات اليابسة
كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان
والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات
على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل قلت يؤدي الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات
خضر يقتضي ان تدخل في حكمها فتكون معها مميزا للسبع المذكورة ولفظ الاخر يقتضي
ان يكون غير السبع بيانه انك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك
ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو
قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد يا ايها الملأ كانه اراد الاعيان
من العلما والحكما واللام في قوله للرؤيا اما ان تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين
واما ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تاخر
عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل
في القوة ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه
وتعبرون خبرا آخر او حالا وان يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون
لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا
قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت

قالوا اضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف ايها الصديق
افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دابا

الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورايتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر
وقد عثرت على بيت انشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الاعراب رايت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا
اضغاث احلام تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان واصل
الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى
من اي اضغاث من احلام والمعنى هي اضغاث احلام فان قلت ما هو الا حلم واحد فلم قالوا اضغاث
احلام فجمعوا قلت هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا
وما له الا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلا ايضا تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه
اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها وما نحن بتاويل
الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عندنا
تاويل فان التاويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم
ليسوا في تاويل الاحلام بنحارير قرئ وادكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذكر
بالذال اي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه بعد امة بعد مدة طويلة
وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملا تاويلها تذكر الناجي يوسف وتاويله
رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك وقرا الاشهب العقيلي بعد
امة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدي ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبور
اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امه بعد نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي ومن
قرا بسكون الميم فقد خطئ انا انبئكم بتاويله انا اخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن
انا آتيكم بتاويله فارسلون فابعثوني اليه لاساله ومروني باستعباره وعن ابن عباس
لم يكن السجن في المدينة المعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه وقال يوسف ايها الصديق
ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه في تاويل رؤياه
ورؤيا صاحبه حيث جا كما اول ولذلك كلمه كلام محترز فقال لعلي ارجع الى الناس لعلهم
يعلمون لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا ومعنى
لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك تزرعون
خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون وانما يخرج الامر في صورة
الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المامور به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه

فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ايتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف

في معنى الامر قوله فذروه في سنبله دأبا بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا دأب في العمل
قال من المأمورين اي دائبين اما على انه مصدر في معنى الحال واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوي دأب
فذروه في سنبله لئلا يتسوس وبأكلن من الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن
تحصنون تحرزون وتخبؤون يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا
مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا يعصرون بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون
والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو
مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل بمعنى ينجون كانه قيل يغاث الناس وفيه يغيثون
اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة وفيه وجهان
اما ان يضمن اعصرت عليهم فحذف الجار واوصل الفعل تأول البقرات السمان والسنبلات
الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل
الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وعن
قتادة زاده الله علم سنة فان قلت معلوم ان السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها
بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من جهة الوحي قلت ذلك معلوم
علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا
يعلم الا بالوحي انما تأنى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف
به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته
لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن
ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف
في مواقفها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال
رسول الله للمارين به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة وعن النبي صلى الله عليه
لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان
ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول
فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب
ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن شأن النسوة ولم يقل سله ان
يفتش عن شأنهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فاراد ان يورد

عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم

عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا
يتميز فيه الحق من الباطل وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته
مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان
ربي ان الله بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد
بعلم الله على انهن كدنه وانه بريء مما قرف به او اراد الوعيد لهن او هو عليم بكيدهن فمجازيهن
عليه ما خطبكن ما شأنكن اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن قلن حاش لله
تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها قالت امرأة العزيز الآن
حصحص الحق اي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير اذا
القى ثفناته للاناخة قال يصف بعيرا فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوأة ثم صمما
ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء
مما قرفنه به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل
لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا ان نقذف في فروة
من ثبتت نزاهته ذلك ليعلم من كلام يوسف اي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم
العزيز اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل او المفعول على معنى
وانا غائب عنه خفي عن عينه او وهو غائب عني خفي عن عيني ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان
الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي
كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها امانة زوجها وبه
في خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز ان يكون تأكيدا لامانته
وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه
لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله انا سيد ولد
آدم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه و
عصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا يخلو
اما ان يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية
لا عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء اراد
الجنس اي ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي الا

يقال قد اعجب فلان بنفسه فهو معجب برأيه وبنفسه والاسم العجب بالضم

البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان اي الا وقت رحمة
ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت العصمة ويجوز ان يكون استثناء منقطعا
اي ولكن رحمة ربي وقيل معناه ذلك ليعلم الله اني لم اخنه لان المعصية خيانة وقيل هو من كلام امرأة
العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت
بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قرفته
وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان
منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ان
ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت فان قلت كيف صح ان يجعل من
كلام يوسف ولا دليل على ذلك قلت كفى بالمعنى دليلا قائدا الى ان يجعل من كلامه ونحوه قوله
قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ثم قال فماذا
تامرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن
وتاخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولقد
لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا ان يوسف حين قال اني لم اخنه بالغيب قال له
جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امرأة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك
لتهالكهم على بهت الله ورسله يقال استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا
به فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال ايها الصديق انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة
ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من السجن
ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار
في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة
الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني
اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية
فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها
فتعجب منه وقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رأيت بقرات فوصف
لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها
الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء فيأتيك الخلق من

الخلق من النواحي ويمتارون منك وتجمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك اجعلني على خزائن
الارض ولني خزائن ارضك اني حفيظ عليم امين احفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف
وصف نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل
الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله بعث الانبياء الى العباد
ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك
والدنيا وعن النبي صلى الله عليه رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض
لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر
ويكون تبعا له وتحت امره وطاعته قلت روى مجاهد انه قد اسلم وعن قتادة هو دليل
على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء
من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم
الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا
يعترض عليه في كل ما رأى فكان في حكم التابع له والمطيع وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا
ليوسف في ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين يتبوأ منها حيث يشاء قرئ بالنون
والياء اي كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها
تحت ملكته وسلطانه روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له
سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي انه قال له اما السرير فاشد به ملكك و
اما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته
اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره
وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما
طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال
والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير
والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم
بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا اجل
ولا اعظم منه فقال للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الرأي رأيك قال
فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان

ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون

لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك ولا نضيع اجر المحسنين ان ناجرهم في الدنيا ولاجر الآخرة خير لهم قال سفين بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق وتلا هذه الآية لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم من سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل راوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى راسه تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل ما راوه الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال وراى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتامل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا اليه ولما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما جاؤا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول هذه المسالة روي انه لما راهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شانكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد قال فكم انتم هاهنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم ولا تقربون فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزا

قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا

مجزوم عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهي سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا به او وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى لفتيته وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كاخوة واخوان في اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اي لغلمانه الكيالين لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها منع منا الكيل يريدون قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال فالله خير حافظا فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وحافظا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز ان يكون حالا وقرئ حفظا وقرا الاعمش فالله خير حافظ وقرا ابو هريرة خير الحافظين وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين ردت الينا وقرئ ردت الينا بالكسر على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء كما قيل قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها ما نبغي ما للنفي اي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته او ما نبغي شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان او على الاستفهام بمعنى اي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير

ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله
لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة

وانا نذل على اوسا رابا عرنا فاى شى نبغى وراء هذه المباغى التى نستصلح بها احوالنا ونوسع ذات
ايدينا وانما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط فان قلت
هذا اذا قرنت البغى بالطلب فاما اذا قرنته بالكذب والتزيد فى القول كانت الجملة الاولى وهى قوله
هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قيلهم فانصح باجمل البواقى قلت
اعطفها على قوله ما نبغى على معنى لا نبغى فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاما
مبتدأ كقولك وينبغى ان نمير اهلنا كما تقول سعيت فى حاجة فلان واجتهدت فى تحصيل غرضه
ويجب ان اسعى وينبغى لى ان لا اقصر ويجوز ان يراد ما نبغى وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به
عليك من تجهيزنا مع اخينا فقالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع
بيانا لانهم لا يبغون فى رأيهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير اى
ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم او يكون
ذلك اشارة الى كيل بعير اى ذلك الكيل شىء قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او
سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام يعقوب وان حمل بعير واحد شىء يسير
لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم لن ارسله معكم مبيا فى الحالى وقد رأيت منكم ما رأيت
ارساله معكم حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطونى ما اتوثق به من عند الله اراد ان يحلفوا
له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد
اذن الله فى ذلك فهو اذن منه لتأتننى به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأتننى به الا ان
يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به او الا ان تهلكوا فان قلت اخبرنى عن حقيقة
هذا الاستثنا ففيه اشكال قلت ان يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذى هو قوله
لتأتننى به فى تأويل النفى معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم اى لا تمتنعون منه لعلة
من العلل الا لعلة واحدة وهى ان يحاط بكم فهو استثنا من اعم العام فى المفعول له والاستثنا
من اعم العام لا يكون الا فى النفى وحده فلا بد من تأويله بالنفى ونظيره من الاثبات المتأول
بمعنى النفى قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما اطلب منك الا الفعل على ما نقول
من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع وانما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا
ذوى بهاء وشارة حسنة وقد اشتهرهم اهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التى
لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء

وما اغنى عنكم من الله من شىء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغنى عنهم من الله
من شىء الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال انى
انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون

اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك
وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم
وجلالة امرهم فى الصدور فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق فى الكرة الاولى
لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس فان قلت وهل للاصابة بالعين وجه تصح عليه قلت يجوز
ان يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشىء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه و
يكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز المحققون من اهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله
ويقول الحشوى هو اثر العين كما قال وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية وعن النبى صلى
الله عليه انه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل
شيطان وهامة وما اغنى عنكم من الله من شىء يعنى ان اراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما
اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله ثم قال ولما دخلوا من حيث امرهم
ابوهم اى متفرقين ما كان يغنى عنهم راى يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث اصابهم
ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع
فى رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم الا حاجة استثنا منقطع على معنى ولكن حاجة فى نفس
يعقوب قضاها وهى شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به وانه لذو علم يعنى قوله
وما اغنى عنكم وعلمه بان القدر لا يغنى عنه الحذر آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين وروى انهم
قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندى فانزلهم
واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخى
يوسف حيا لاجلسنى معه فقال يوسف بقى اخوكم وحيدا فاجلسه على مائدته وجعل
يواكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثانى له فيكون معى فبات يوسف يضمه
اليه ويشم رائحته حتى اصبح وساله عن ولده فقال لى عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم
اخ لى هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك
يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له انى انا اخوك يوسف فلا تبتئس
فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما
اعلمتك وعن ابن عباس تعرف اليه وعن وهب انما قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتئس
بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروى انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت

فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع
الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه
من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين

اغتمام والدي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل
قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ
لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها
الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت اناء مستطيلا
تشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يشرب به الاعاجم وقيل كانت من
فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم اذن مؤذن
ثم نادى مناد يقال آذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روي
انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير
الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل
قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد
اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي وقرأ ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه قيل
فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن وقرأ
ابو عبد الرحمن السلمي تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وقرئ صواع وصاع وصوع
وصوغ بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة وانا به زعيم يقوله المؤذن يريد وانا
بحمل البعير كفيل اؤديه الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله تالله قسم
فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم
من دلائل دينهم وامانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم
مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التي
وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي منافية لحالنا فما
جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه
قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق
في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم
اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك
حقه اي فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة
الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله

فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات
من نشاء وفوق كل ذي علم عليم

فهو هو موضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو
يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل ان
يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف اي المسؤول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو
جزاؤه كما يقول من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء
مثل ما قتل من النعم فبدأ باوعيتهم قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم
الى يوسف فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا
اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه
منه وقرأ الحسن وعاء اخيه بضم الواو وهي لغة وقرأ سعيد بن جبير إعاء اخيه بقلب الواو
همزة **فان قلت** لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم انثه **قلت** قالوا رجع بالتأنيث على السقاية
او انث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد
وقع فيما يتصل بهم منه صواعا كذلك كدنا مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني
علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لانه كان
في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد الا ان
يشاء الله اي ما كان يأخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه نرفع درجات من نشاء في العلم كما رفعنا درجة
يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه
في علمه او وفوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وعلا **فان قلت** ما اذن الله فيه
يجب ان يكون حسنا فمن اي وجه حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق و
تكذيب لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين **قلت** هو في صورة
البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من
فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض
لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرحوا لهم
بالتكذيب لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب
هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله
لايوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابرهيم هي اختي
لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد

قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرّها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شرّ مكانًا والله اعلم بما تصفون قالوا يا ايها العزيز
ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نريك من المحسنين

وقد علم الله تعالى فى هذه الحيلة التى لقّنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلّمًا وذريعة اليها
فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا اخ له اراد وا يوسف روى
انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا
له ما الذى صنعت فضحتنا وسوّدت وجوهنا يا بنى راحيل الذين لا يزال منكم علينا
البلاء ذهبتم باخى فاهلكتموه ووضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم
واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان اخذ فى صباه صنما لجدّه ابى امّه فكسره
والقاه بين الجيف فى الطريق وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه
فدفنه وقيل كانت فى المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل وقيل كانت لابرهيم عليه السلم
منطقة يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت
يوسف وهى عمّته بعد وفاة امّه وكانت لا تصبر عنه فلما شبّ اراد يعقوب ان ينتزعه
منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا
من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لى سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب
عندها حتى ماتت فاسرّها اضمار على شريطة التفسير تفسيره انتم شرّ مكانا وانما انث لان قوله
انتم شرّ مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسرّ الجملة او الكلمة التى
هى قوله انتم شرّ مكانا بدل من اسرّها وفى قراءة ابن مسعود فاسرّه على التذكير بمعنى القول
او الكلام ومعنى انتم شرّ مكانا انتم شرّ منزلة فى السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم
من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح لى ولا لاخى سرقة وليس الامر كما تصفون استعطفوه
بان ذكروا له ان اباه حقّ ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين احبّ اليه
منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستانس باخيه فخذ
احدنا مكانه فخذه بدله على وجه الاسترهان او الاستعباد انا نريك من المحسنين الينا فاتمم
احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيّرها معاذ الله هو كلام موجّه
ظاهره انه وجب على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع فى رحله واستعباده فلو اخذنا
غيره كان ذلك ظلما فى مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرنى واوحى
الى باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمّة علمها فى ذلك فلو اخذت غير من امرنى
باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحى ومعنى معاذ الله ان نأخذ نعوذ بالله معاذا

قال نعوذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم
موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف فلن ابرح الارض حتى يأذن لى ابى او يحكم الله لى وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا
ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسئل القرية التى كنا فيها

من ان نأخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من واذن جواب لهم وجزاء لان المعنى
ان اخذنا بدله ظلمنا استيأسوا يئسوا وزيادة السين والتاء فى المبالغة نحو ما مرّ فى استعصم
والنجىّ على معنيين يكون بمعنى المناجى كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى
وقرّبناه نجيا وبمعنى المصدر الذى هو التناجى كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجىّ كما قيل
واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجىّ كما قيل هم صديق لانه
بزنة المصادر وجمع انجية قال انى اذا ما القوم كانوا انجية ومعنى خلصوا
اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوى نجوى اى فوجا
نجيا اى مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحّضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك
وافاضتهم فيه بجدّ واهتمام كانهم فى انفسهم صورة التناجى وحقيقته وكان تناجيهم فى
تدبير امرهم على اى صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم فى شأن اخيهم كقوم تعايوا
بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور كبيرهم فى السن وهو روبيل وقيل
رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم فى العقل والرأى وهو يهوذا ما فرطتم فى يوسف
فيه وجوه ان تكون ما صلة اى ومن قبل هذا قصّرتم فى شأن يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم
وان تكون مصدرية على ان محلّ المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل
ومعناه ووقع من قبل تفريطكم فى يوسف او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان
اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل فى يوسف وان تكون موصولة
بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اى قدّمتموه فى حق يوسف من الجناية العظيمة ومحلّه
الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لى ابى فى
الانصراف اليه او يحكم الله لى بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخى او بخلاصه من يده
بسبب من الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق وقرئ سرّق اى
نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقنّاه لان الصواع استخرج
من وعائه ولا شئ ابين من هذا وما كنا للغيب حافظين وما علمناه انه سيسرق حين اعطيناك
الموثق او ما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرأ سرّق فمعناه وما شهدنا الا
بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفى حافظين اسرق بالصحة ام دسّ الصاع
فى رحله ولم يشعر القرية التى كنا فيها هى مصر اى ارسل الى اهلها فسلهم عن كنه القصة والعير

والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم وتولى عنهم وقال يا أسفى
على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم

التي أقبلنا فيها وأصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من أهل صنعاء معناه
فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له ما قال لهم أخوهم فقال بل سولت لكم أنفسكم أمرا أردتموه و
إلا فما أدرى ذلك الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم بهم جميعا بيوسف
وأخيه وروبيل أو غيره إنه هو العليم بحالي في الحزن والأسف الحكيم الذي لم يبتليني
بذلك إلا لحكمة ومصلحة وتولى عنهم وأعرض عنهم كراهة لما جاؤوا به يا أسفى أضاف الأسف
وهو أشد الحزن والحسرة إلى نفسه والألف بدل من ياء الإضافة والتجانس بين لفظتي الأسف
ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم وهم ينهون
عنه وينأون عنه يحسبون أنهم يحسنون من سبأ بنبأ وعن النبي صلى الله عليه لم تعط
أمة من الأمم إنا لله وإنا إليه راجعون عند المصيبة إلا أمة محمد ألا ترى إلى يعقوب حين
أصابه ما أصابه لم يسترجع وإنما قال يا أسفى فإن قلت كيف تأسف على يوسف دون أخيه
ودون الثالث والرزء الأحدث أشد على النفس وأظهر أثرا قلت هو دليل على تمادى
أسفه على يوسف وأنه لم يقع فائت عنده موقعه وأن الرزء فيه مع تقادم عهده كان
غضا عنده طريا ولم تنسني أوفى المصيبات بعده ولأن الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته
التي ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الأسف عليه أسفا على من لحق به وابيضت عيناه إذا
كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته إلى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان
يدرك إدراكا ضعيفا قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكاء الذي حدث
منه البياض فكأنه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين
لقائه ثمانين عاما وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه
أنه سأل جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من
الأجر قال أجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط فإن قلت كيف جاز لنبي الله أن
يبلغ به الجزع ذلك المبلغ قلت الإنسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن
ولذلك حمد صبره وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج إلى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه
على ولده إبراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وإنا عليك يا إبراهيم
لمحزونون وإنما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور
والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه أنه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل

قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا
من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون

يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وإنما نهيتكم عن صوتين أحمقين
صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن رحمه الله أنه بكى على ولد أو غيره فقيل له
في ذلك فقال ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب فهو كظيم فهو مملوء من الغيظ على أولاده
ولا يظهر ما يسوؤهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء إذا شده على
ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال أخذ بأكظامه تفتؤ أراد لا تفتؤ فحذف حرف
النفي لأنه لا يلتبس بالإثبات لأنه لو كان إثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله
أبرح قاعدا ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كأنه جعل الفتوء والفتور
أخوين يقال ما فتئ يفعل قال أوس فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع
حرضا مشفيا على الهلاك مرضا وأحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر و
المؤنث لأنه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة بهما
جميعا وقرأ الحسن حرضا بضمتين ونحوه في الصفات رجل جنب وغرب البث أصعب الهم
الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس أي ينشره ومنه باثه أمره وأبثه إياه ومعنى
إنما أشكو إني لا أشكو إلى أحد منكم ومن غيركم إنما أشكو إلى ربي داعيا له وملتجئا إليه
فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم أي فتولى عنهم إلى الله والشكاية إليه وقيل دخل
على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ أبوك فقال
هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فأوحى الله إليه يا يعقوب أتشكوني إلى
خلقي قال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي فغفر له فكان بعد ذلك إذا سئل قال إنما أشكو
بثي وحزني إلى الله وروي أنه أوحي إلى يعقوب إنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة فقام
ببابكم مسكين فلم تطعموه وإن أحب خلقي إلي الأنبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه
المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت وأعلم من الله ما لا
تعلمون أي أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به أنه يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب و
روي أنه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي
فاطلبه وقرأ الحسن وحزني بفتحتين وحزني بضمتين فتحسسوا من يوسف وأخيه فتعرفوا
منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الإحساس وهو المعرفة
فلما أحس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب ومنه قالوا لمشاعر الإنسان الحواس والجواس

فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين

من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بالضم اي من رحمته التي يحيا
بها العباد الضر الهزال من الشدة والجوع مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا
لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا
وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة
فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة
البضاعة او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لان الصدقات
محظورة على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال الم
تسمع وتصدق علينا اراد انها كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان
يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه وقوله ان الله يجزي
المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التي تبتغى بها المثوبة من الله
ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله لا يتصدق انما يتصدق الذي
يبتغي الثواب قل اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني قال هل علمتم اتاهم من جهة الدين وكان
حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب ان يراعيه التائب فقال هل
علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني هل
علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة
فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على حق نفسه
في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق و
يدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبياء ما اوطاها واسجحها ولله حصى عقولهم ما ارزنها
وارجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم
عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم صبيان في حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا
اوان الحلم والرزانة روي انهم لما قالوا مسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه
ثم قال هذا القول وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن
ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت
يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي
فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب

قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين

اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من
بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا
انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا
دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل
صبره فقال لهم ذلك وروي انه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر
كما ظفروا فان قلت ما فعلهم باخيه قلت تعريضهم اياه للغم والثكل بافراده عن اخيه
لابيه وامه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم
له بانواع الاذى قرئ ائنك على الاستفهام وانك على الايجاب وفي قراءة ابي ائنك او انت
يوسف على معنى ائنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام
متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات فان قلت كيف عرفوه قلت رأوا في
روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به انه هو مع علمهم بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله
الا عن حنيف مسلم من سنخ ابرهيم لا عن بعض اعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه
وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا الى علامة بقرنه
كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء فان قلت قد سألوه عن نفسه فلم
اجابهم عنها وعن اخيه قلت لانه كان في ذكر اخيه بيان
لما سألوه عنه من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات فان الله
لا يضيع اجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين لقد آثرك الله
علينا اي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وان شأننا وحالنا انا كنا خاطئين
متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لا جرم ان الله اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك لا
تثريب عليكم لا تأنيب عليكم ولا عتب واصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية
الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب
كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض
ويذهب بماء الوجوه فان قلت بم تعلق اليوم قلت بالتثريب او بالمقدر في عليكم من معنى
الاستقرار او بيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم
بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر

لانه اذا ذهب الى آخره. وقوله فضرب عطف على الجملة الشرطية وهو قوله اذا ذهب الى آخره.
وقوله مثلا يعني شبه التانيب والعتب الذي يمزق الاعراض بالتثريب الذي يلزم منه غاية الهزال
[illegible] التعيير والتالم

اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا واتوني باهلكم اجمعين ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون

الله لكم على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم
يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروي
ان رسول الله صلى الله عليه اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترون اني
فاعل بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف
لا تثريب عليكم اليوم وروي ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيت الرسول فاتل
عليه قال لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله غفر الله لك ولمن علمك وروي ان اخوته لما
عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك
فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من
بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم
اخوتي واني من حفدة ابرهيم اذهبوا بقميصي قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ
يوسف وكان من الجنة امره جبريل ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم
الا عوفي يأت بصيرا يصر بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا او يأت
الي وهو بصير وينصره قوله واتوني باهلكم اي بنيك وبناتي له جميعا وقيل يهوذا هو
الحامل قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف
حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا فصلت العير خرجت من عريش مصر
يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس فلما انفصل العير
قال لولد ولده ومن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح القميص حين اقبل
من مسيرة ثمان والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند
ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها والمعنى لولا تفنيدكم
اياي لصدقتموني لفي ضلالك القديم اي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف
ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات القاه طرح البشير القميص على وجه
يعقوب او القاه يعقوب فارتد فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا ارجعه الم اقل
لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله اني اعلم كلام مبتدأ
لم يقع عليه القول ولك ان توقعه عليه وتريد قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما
لا تعلمون وروي انه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما اصنع بالملك على اي دين

قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا

تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة سوف استغفر لكم قيل اخر الاستغفار الى وقت
السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعهد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم في صدق التوبة واخلاصها
وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين
سنة وقيل قام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف
وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحي اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين
وروي انهم قالوا له وقد غلبتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح
اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه
يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل
جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف
في استنبائهم فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز
اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا
يعقوب وهو يمشي متوكئا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا اهذا فرعون مصر
قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف قال له
لما التقيا يا ابه بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان
تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين
رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا
سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف آوى اليه ابويه ضمهما اليه
واعتنقهما قال ابن اسحق كانت امه تحيا وقيل هما ابوه وخالته ماتت امه فتزوجها وجعلها
احد الابوين لان الرابة تدعى اما لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب ومنه
قوله واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق فان قلت ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر
قلت كأنه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او بيت ثم فدخلوا عليه وضم اليه ابويه ثم قال لهم
ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ولما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم
ابويه فرفعهما على السرير وخروا له يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا ويجوز ان يكون قد خرج
في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة فآواهما اليه
بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر فان قلت بم تعلقت المشية قلت بالدخول

وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم

مكتفيا بالأمن لأن القصد إلى اتصافهم بالأمن في دخولهم فكأنه قيل اسلموا وآمنوا في دخولكم إن شاء الله
ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما إن شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا
بالسلامة والغنيمة مكتفيا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف
الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير أن
قوله إن شاء الله من باب التقديم والتأخير وأن موضعها ما بعد قوله سوف أستغفر لكم ربي في كلام
يعقوب وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره **فإن قلت** كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله **قلت**
كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها
مما جرت عليه عادة الناس من أفعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت إلا انحناء دون تعفير
الجباه وخرورهم سجدا يأباه وقيل معناه وخروا لأجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا أيضا
فيه نبوة يقال أحسن إليه وبه وكذلك أساء إليه وبه قال أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة
من البدو من البادية لأنهم كانوا أهل عمد وأصحاب مواش يتنقلون في المياه والمناجع نزغ
أفسد بيننا وأغرى وأصله من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري يقال نزغه ونسغه إذا نخسه
لطيف لما يشاء لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب وروي أن يوسف
أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي
وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزانة القراطيس قال يا بني ما أعقك
عندك هذه القراطيس وما كتبت إلي على ثمان مراحل قال أمرني جبريل قال أوما تسأله
قال أنت أبسط إليه مني فسله قال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب
قال فهلا خفتني وروي أن يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه
بالشام إلى جنب أبيه إسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين
سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه إليه
فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر وتشاحوا
في دفنه كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي أن عملوا له صندوقا من
مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا
واحدا وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد
توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف

رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين
ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين
وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون

وآباؤه إلى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم **رب** من في من الملك ومن تأويل الأحاديث للتبعيض لأنه لم
يؤت إلا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر وبعض التأويل أنت وليي أنت الذي تتولاني بالنعمة
في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي توفني مسلما طلب للوفاة على حال الإسلام وأن
يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ويجوز أن يكون
تمنيا للموت على ما قيل وألحقني بالصالحين من آبائي أو على العموم وعن عمر بن عبد العزيز أن ميمون
بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا
أحييت سننا وأمت بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال أفلا أكون كالعبد الصالح
لما أقر الله عينه وجمع له أمره قال توفني مسلما وألحقني بالصالحين **فإن قلت** علام انتصب
فاطر السموات **قلت** على أنه وصف لقوله رب كقولك أخا زيد حسن الوجه أو على النداء
ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله ومحله الابتداء وقوله من أنباء
الغيب نوحيه إليك خبران ويجوز أن يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن أنباء الغيب صلته
ونوحيه الخبر والمعنى أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي لأنك لم تحضر بني يعقوب
حين أجمعوا أمرهم وهو إلقاؤهم أخاهم في البئر كقوله وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب و
هذا تهكم بقريش وبمن كذبه لأنه لم يخف على أحد من المكذبين أنه لم يكن من حملة هذا الحديث
وأشباهه ولا لقي فيها أحدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فإذا أخبر به وقصه هذا القصص
العجيب الذي أعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في أنه ليس منه وأنه من جهة الوحي فإذا أنكروه
تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرة أنه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما
كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وهم يمكرون بيوسف ويبغون له الغوائل
وما أكثر الناس يريد العموم كقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس أراد أهل مكة
أي وما هم بمؤمنين ولو حرصت وتهالكت على إيمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم وما
تسألهم على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطي حملة الأحاديث
والأخبار إن هو إلا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول
من رسله من آية من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده يمرون عليها ويشاهدونها
وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها وقرئ والأرض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها
خبره وقرأ السدي والأرض بالنصب على ويطؤون الأرض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله

وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون أفأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله او تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي ادعوا الى الله
على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا

والارض يمشون عليها ويرون الارض والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر وما
يؤمن اكثرهم في اقراره بالله وبانه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادة الوثن
وعن الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك وايمان وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه غاشية
نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق هذه سبيلي هذه السبيل التي هي
الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله
ادعوا الى الله على بصيرة اي ادعوا الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء انا تأكيد للمستتر في
ادعوا ومن اتبعني عطف عليه يريد ادعوا اليها انا ويدعوا اليها من اتبعني ويجوز ان يكون انا مبتدأ
وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على انا اخبارا ابتداء بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان
لا على هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة الرفع في انا ومن اتبعني وسبحان الله
وانزهه من الشركاء الا رجالا لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة وعن
ابن عباس يريد ليست فيهم امرأة وقيل نبي من الجن والمتنبئة ولم يزل انبياء الله ذكرانا وقرئ
نوحي اليهم بالنون من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة
ولدار الآخرة ولدار الساعة او الحال الآخرة خير للذين اتقوا للذين خافوا الله فلم يشركوا
به ولم يعصوه وقرئ افلا يعقلون بالياء والتاء حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استيأسوا عن النصر وظنوا انهم قد
كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم رجاؤهم لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب
والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتأميله قد تطاولت
عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا جاءهم نصرنا فجأة
من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من
النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى
نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة
وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجيح احد الجائزين على الآخر فغير جائز
على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد
منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اي اخلفوا او وظن المرسل اليهم
انهم كذبوا من جهة الرسل اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ

جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل
كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ۝ بسم الله الرحمن الرحيم المر تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون الله
الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون

كذبوا بالتشديد اي وظن الرسل انهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم
وقرأ مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل اي وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم
من النصر اما على تأويل ابن عباس واما على ان قومهم اذا لم يروا لموعدهم اثرا قالوا لهم انكم
قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم او وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا ولو قرئ
بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل ان قومهم كذبوهم في موعدهم فنجي من نشاء قرئ فننجي بالتخفيف
والتشديد من انجاه ونجاه وفنجي على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرأ ابن محيصن فنجا والمراد
بمن نشاء المؤمنون لانهم الذين يستاهلون ان ينجيهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد بأسنا عن
القوم المجرمين الضمير في قصصهم للرسل وينصره قراءة من قرأ في قصصهم وقيل هو راجع الى
يوسف واخوته فان قلت فلم لم يرجع الضمير في ما كان حديثا يفترى فيمن قرأ بالكسر
قلت الى القرآن اي ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه اي
قبله من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي يستند اليه
السنة والاجماع والقياس بعد ادلة العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان
وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم
سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت
واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مختلف فيها وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم المر تلك اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب
السورة اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال والذي انزل اليك من
ربك القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي اسلوب هذا الكلام
قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها تريد الكملة الله مبتدأ والذي خبره
بدليل قوله وهو الذي مد الارض ويجوز ان يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبرا
بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات رفع السموات بغير عمد ترونها كلام مستأنف
استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد ويعضده قراءة ابي ترونه وقرئ عمد كأهب
يدبر الامر يدبر امر ملكوته وربوبيته يفصل الآيات في كتبه المنزلة لعلكم توقنون بالجزاء
وبان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه وقرأ الحسن ندبر بالنون جعل فيها زوجين
اثنين خلق فيها من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت

وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وان تعجب فعجب قولهم ءاذا كنا ترابا ءانا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب

وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعدما كان ابيض منيرا وقرئ يغشّي بالتشديد قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين او بالجر على كل الثمرات وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان واصلهما واحد وقرئ بالضم فالكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقيس تسقى بالتاء والياء ونفضل بالنون وبالياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا في الاكل بضم الكاف وسكونها وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسره فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب ءاذا كنا الى آخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله ءانا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم واولئك الاغلال في اعناقهم وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ونحوه لهم عن الرشد اغلال وانقاد او هو من جملة الوعيد بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سألوا رسول الله ان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بضمتين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين لانفسهم وفيه اوجه ان يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر

ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار

بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال وروي انها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد لولا انزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه عنادا فاقترحوا نحو آيات عيسى وموسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله انما انت منذر رجل ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باية آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية وباية خص بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا في آيات مخصوصة ووجه آخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى ولقد دل بما اردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الاشياء على قضايا حكمته ان اعطاء كل منذر آيات خلاف آيات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى المقترح خيرا ومصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه الثاني فقد دل به على ان من هذا قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم باي طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستأنفا وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه الاخير ثم ابتدئ فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما في ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداده اي تأخذه زائدا تقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد وما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي رضي الله عنه والى خمس عند مالك

يعنى ان غاض جاء لازما و متعديا وهذا من المتعدى وان يزداد جاء متعديا بعض زاد

هو شريك بن عبد الله

عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله

وقيل إن الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن أمه أربع سنين ولذلك سمي هرما
ومنه الدم فإنه يقل ويكثر وإن كانت مصدرية فالمعنى أنه يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض
الأرحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن أوقاته وأحواله ويجوز أن يراد غيوضة
ما في الأرحام وزيادته فأسند الفعل إلى الأرحام وهو لما فيها على أن الفعلين غير متعديين
ويعضده قول الحسن الغيضوضة أن تضع لثمانية أشهر أو أقل من ذلك والازدياد أن تزيد
على تسعة أشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام بمقدار
بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله إنا كل شيء خلقناه بقدر الكبير العظيم الشأن
الذي كل شيء دونه المتعالي المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى
عنها سارب ذاهب في سربه بالفتح أي في طريقه ووجهه يقال سرب في الأرض سروبا والمعنى
سواء عنده من استخفى أي طلب الخفاء مختفيا بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا
بالنهار يبصره كل أحد فإن قلت كان حق العبارة أن يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب
بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب وإلا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب
قلت فيه وجهان أحدهما أن قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني
أنه عطف على مستخف إلا أن من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كأنه قيل
سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير في له مردود على من كأنه قيل لمن أسر
ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته
والأصل معتقبات فأدغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز
معقبات بكسر العين ولم يقرأ به أو هو مفعلات من عقبه إذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لأن
بعضهم يعقب بعضا أو لأنهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه يحفظونه من أمر الله هما صفتان
جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له معقبات من أمر الله أي يحفظونه من أجل أمر
الله أي من أجل أن الله أمرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر
بن محمد وعكرمة يحفظونه بأمر الله أو يحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب بدعائهم له
ومسألتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن
وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من أمر الله أي
من قضاياه ونوازله أو على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب أو معقبة والياء عوض

إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال

من حذف أحد القافين في التكسير إن الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما
بأنفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي من وال ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم خوفا وطمعا لا يصح
أن يكونا مفعولا لهما لأنهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل إلا على تقدير حذف المضاف أي
إرادة خوف وطمع أو على معنى إخافة وإطماعا ويجوز أن يكونا منتصبين على الحال من البرق كأنه
في نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع أو من المخاطبين أي خائفين وطامعين ومعنى الخوف
والطمع أن وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال أبو الطيب
فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق وقيل يخاف المطر
من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما
لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيا به السحاب اسم الجنس والواحدة
سحابة والثقال جمع ثقيلة لأنك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء
كرام وهي الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر
حامدين له أي يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه أنه كان يقول سبحان من يسبح
الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له وإذا اشتد الرعد قال رسول الله
اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس أن اليهود سألت
النبي صلى الله عليه عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار
يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات
الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من
هيبته وإجلاله ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته
الباهرة ووحدانيته ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وأنكروا آياته يجادلون
في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث وإعادة الخلائق بقولهم
من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والأنداد ويجعلونه بعض الأجسام
المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا
به الحق وقيل الواو للحال أي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك أن أربد أخا لبيد بن
ربيعة العامري قال لرسول الله حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا
بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وأرسل على أربد صاعقة فقتلته أخبرني عن ربنا

له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين
إلا في ضلال ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال قل من رب السماوات والأرض قل الله

أي يخاصمون من شديد المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحّل لكذا إذا
تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان ولا تجعله علينا
ماحلا مصدقا وقال الأعشى فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال والمعنى
أنه شديد المكر والكيد لأعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ الأعرج بفتح الميم على
أنه مفعل من حال يحول محالا إذا احتال ومنه أحول من ذئب أي أشد حيلة ويجوز أن يكون المعنى
شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله أشد وموساه أحد لأن الحيوان
إذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره ألا ترى إلى قولهم فقرته
الفواقر وذلك أن الفقار عمود الظهر وقوامه دعوة الحق فيها وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة
إلى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة إليه في قولك كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة
ملابسة للحق مختصة به وأنها بمعزل من الباطل والمعنى أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي
الداعي سؤاله إن كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بأن يوجه إليه الدعاء
لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني أن يضاف إلى الحق
الذي هو الله عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن رحمه الله الحق
هو الله وكل دعاء إليه دعوة الحق **فإن قلت** ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله
قلت أما على قصة أربد فظاهر لأن إصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم
يشعر وقد دعا رسول الله عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فأجيب فيهما فكانت
الدعوة دعوة حق وأما على الأول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله وإجابة
دعوة رسول الله إن دعا عليهم فيهم والذين يدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون
الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم إلا كباسط كفيه إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه إليه
يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ولا يقدر
أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا
يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه
فبسطهما ناشرا أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه وقرئ تدعون بالتاء
كباسط كفيه بالتنوين إلا في ضلال إلا في ضياع لا منفعة فيه لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم وإن
دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم ولله يسجد ينقادون لإحداث ما أراده فيهم من أفعاله شاؤوا

قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء
خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا

٣٥٠

أو أبوا ولا يقدرون أن يمتنعوا عليه وتنقاد له ظلالهم أيضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد
والتقلص والفيء والزوال وقرئ بالغدو والإيصال من آصلوا إذا دخلوا في الأصيل قل الله حكاية
لاعترافهم وتأكيد له عليهم لأنه إذا قال لهم من رب السماوات والأرض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله
كقوله قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه
أهذا قولك فإذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي إقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول
له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز أن يكون تلقينا أي إن كعوا عن الجواب فلقنهم فإنهم
يتلقنونه ولا يقدرون أن ينكروه أفاتخذتم من دونه أولياء فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبب
التوحيد من علمكم وإقراركم سبب الإشراك لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون
لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على
الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالكم أم جعلوا بل أجعلوا ومعنى الهمزة الإنكار
وخلقوا صفة لشركاء يعني أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم
خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم
له شركاء ونعبدهم كما يعبد إذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين
لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق
كل شيء لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة
وهو الواحد المتوحد بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب مقهور هذا مثل ضربه
الله للحق وأهله والباطل وحزبه كما ضرب الأعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما
فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم أنواع
المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الأواني والآلات المختلفة
ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به وأن ذلك ماكث في الأرض باق بقاء
ظاهرا يثبت الماء في منافعه وتبقى آثاره في العيون والبئار والحبوب والثمار التي تنبت
به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله
ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو
فوقه إذا أذيب **فإن قلت** لم نكرت الأودية **قلت** لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة
بين البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض **فإن قلت** فما معنى قوله بقدرها **قلت**

وما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق

بمقدارها الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار الا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس
لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض
الامطار والسيول الجواحف فان قلت فما فائدة قوله ابتغاء حلية او متاع قلت
الفائدة فيه كالفائدة في قوله بقدرها لانه جمع الماء والفلز في النفع في قوله واما ما ينفع
الناس لان المعنى واما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب
وهو الحلية والمتاع وقوله ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع عبارة جامعة
لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك نحو ما جاء
في ذكر الآجر اوقد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء الغاية اي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء
او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل جفاء يجفأه السيل اي يرمي به
وجفأت القدر بزبدها واجفأ السيل واجفل وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن ابي
حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لانه كان يأكل الفار وقرئ يوقدون بالياء اي يوقد الناس للذين
استجابوا اللام متعلقة بيضرب اي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا و
للكافرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا
الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدأ في ذكر ما اعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام
عند قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين
استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في
حيزه وسوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه
شيء دخلت همزة الانكار على الفاء في قوله افمن يعلم لانكار ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل
في ان حال من علم انما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر
فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين
عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا والذين يوفون بعهد الله مبتدأ واولئك لهم
عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة ويجوز ان يكون صفة لاولي
الالباب والاول اوجه وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته واشهدهم على
انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه
من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص ما امر الله به ان

والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك
لهم اللعنة ولهم سوء الدار

يوصل من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب
الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم
والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود
جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب
حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم
قالوا من اهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لو احسن الاحسان
كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم اي يخشون وعيده كله
ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا صبروا مطلق فيما يصبر
عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكاليف ابتغاء وجه الله لا ليقال ما اصبره
واحمله للنوازل واوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعداء كقوله
وتجلدي للشامتين ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله: ما ان جزعت
ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا: وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن ان ينوي منها ما به
كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان فعله كلا فعل مما رزقناهم من الحلال لان
الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل
والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها عن ابن عباس
يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا
ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا رأوا منكرا
امروا بتغييره عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي اراد الله ان تكون عاقبة
الدنيا ومرجع اهلها وجنات عدن بدل من عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل
نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين اليها ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها
على البناء للمفعول وقرأ ابن ابي عبلة صلح بضم اللام والفتح افصح اعلم ان الانساب لا تنفع اذا
تجردت من الاعمال الصالحة وآباؤهم جمع ابوي كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وامهاتهم
سلام عليكم في موضع الحال لان المعنى قائلين سلام عليكم او مسلمين فان قلت بم تعلق قوله
بما صبرتم قلت بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم
من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله

الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه
قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات
طوبى لهم وحسن مآب كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك

بما قد ادى فيها او انسدّ منا وعن النبي صلى الله عليه انه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول
فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز ان يتعلق بسلام اي يسلم عليكم ويكرمكم بصبركم
من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول سوء الدار يحتمل ان يراد سوء عاقبة
الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبسوءها عذابها الله يبسط الرزق
اي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره وهو الذي بسط رزق اهل مكة ووسعه عليهم
وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه
بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس الا شيئا نزرا
يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات او شربة سويق او نحو ذلك فان قلت
كيف طابق قولهم لولا انزل عليه آية من ربه قوله قل ان الله يضل من يشاء قلت هو كلام يجري
مجرى التعجب من قولهم وذلك ان الآيات الباهرة المتكاثرة التي اوتيها رسول الله لم يؤتها نبي
قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كأن آية
لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم
على كفركم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل الى
اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم اناب اقبل الى الحق وحقيقته
دخل في نوبة الخير والذين آمنوا بدل ممن اناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته
بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئن بذكر
دلائله الدالة على وحدانيته او تطمئن بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين
فيها الذين آمنوا مبتدأ وطوبى لهم خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف
اي تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك
اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك
والقراءة في قوله وحسن مآب بالنصب والرفع تدلك على محليها واللام في لك للبيان
مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة
الاعرابي طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال
ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا له شان وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال
في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمتها امم كثيرة فهي آخر الامم وانت خاتم الانبياء

وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به
الموتى بل لله الامر جميعا افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا

لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون وحال
هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا
بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم قل هو ربي
الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب فيثيبني على مصابرتكم و
مجاهدتكم ولو ان قرآنا جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو اني قمت اليك وتترك الجواب
والمعنى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها او قطعت به
الارض حتى تتصدع وتتزايل قطعا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه
غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما قال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا
متصدعا من خشية الله وهذا يعضد ما فسرت به قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك
من ارادة تعظيم ما اوحي الى رسول الله من القرآن وقيل معناه ولو ان قرآنا وقع به تسيير
الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه سير بقرآنك
الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود ان كنت نبيا
كما تزعم فلست باهون على الله من داود وسخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام ثم نرجع
في يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان او ابعث لنا رجلين او ثلاثة ممن
مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير ومجاوزتها
وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرآنا سيرت به الجبال وما
بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الارض شققت فجعلت انهارا وعيونا
بل لله الامر جميعا على معنيين احدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي
اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله ان يلجئهم الى الايمان
وهو قادر على الالجاء لولا انه بنى امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله افلم ييأس الذين
آمنوا ان لو يشاء الله يعني مشيئة الالجاء والقسر لهدى الناس جميعا ومعنى افلم ييأس افلم يعلم
قيل هي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن
الشيء عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي
اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم ويدل عليه ان عليا وابن عباس

ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من
قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم

وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو
ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي
اولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا
عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء هذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز
ان يتعلق ان لو يشاء بآمنوا على اولم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بان لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا ولهداهم تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل
الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم واولادهم واموالهم او تحل القارعة
قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها وتتعدى اليهم شرورها حتى يأتي
وعد الله وهو موتهم او القيامة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من
العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف
منهم وتصيب من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى
يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك الاملاء الامهال وان يترك ملاوة
من الزمان في خفض وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات
على رسول الله استهزاء به وتسلية له افمن هو قائم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني افالله
الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه
كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله افمن
هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده شركاء قل سموهم
اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم ثم قال ام تنبئونه على ام المنقطعة
كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض
وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي
ان يكون له شركاء ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول
بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم
ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها
مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله

في الارض ام بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة
اشق وما لهم من الله من واق مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين
آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب وكذلك انزلناه حكما عربيا

احسن الخالقين وقرئ اتنبئونه بالتخفيف مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا قرئ بالحركات
الثلث وقرأ ابن ابي اسحق وصد بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدي فما له من
هاد فما له من احد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا وهو ما ينالهم من القتل والاسر
وسائر المحن ولا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله من واق وما لهم
من حافظ من عذابه او وما لهم من جهته واق من رحمته مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل
وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال
غيره الخبر تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة
جنة تجري من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرأ علي رضي
الله عنه امثال الجنة على الجمع اي صفاتها اكلها دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها
دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن
سلام وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان
وثلثون بارض الحبشة وثمانية من اليمن هؤلاء يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم وهم
كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب
اسقفي نجران واشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام
والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول
الله وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع فان قلت كيف اتصل قوله قل انما امرت ان
اعبد الله بما قبله قلت هو جواب للمنكرين معناه قل انما امرت فيما انزل الي بان اعبد
الله ولا اشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم
وجوب عبادة الله وان لا يشرك به قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد
الا الله ولا نشرك به شيئا وقرأ نافع في رواية ابي خليد ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف
كانه قال وانا لا اشرك به ~~بالرفع على الاستيناف كانه قال وانا لا اشرك به~~ ويجوز ان يكون
في موضع الحال على معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك به اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى
غيره واليه لا الى غيره مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم وكذلك انزلناه
ومثل ذلك الانزال انزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه
والانذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون

ولئن اتبعت اهوائهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان يأتي بآية
الا باذن الله لكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وإما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب
اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب

رسول الله الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن تابعتهم على دين ما هو الا اهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر واهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله من شدة الشكيمة بمكان كانوا يعيبونه بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الاناسي وسائر الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه وقرئ ويثبت واما نرينك وكيفما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب

انما يفيد الحصر المذكور اذا فيكون المعنى عليك تبليغ الرسالة لا غير التبليغ واما قوله تعالى وعلينا الحساب فهو عطف على قوله انما عليك البلاغ لا على قوله عليك البلاغ فلذلك افاد الحصر علينا فتأمل

وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد

قال لبيد: طلب المعقب حقه المظلوم. والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا فان قلت ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من اعلمه اي سيخبر كفى بالله شهيدا لما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم ويعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ وبمن عنده علم الكتاب فان قلت بم ارتفع علم الكتاب قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

سورة ابراهيم مكية وهي اثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ ليخرج الناس والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل للحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستئناف

حمل المظلوم على محل المعقب لانه فاعل اضيف اليه المصدر وقوله طلب نصب على المصدر من تجرد او نحو

قوله لما اظهر تعليل لقوله كفى الى آخره من حيث المعنى فكانه قيل شهد الله على نبوتي لما اظهر اي لاظهاره وما مصدرية

قوله والمعنى الى آخره اشار الى فائدة ذكره تعالى ذاته بكلمتين اعني قوله بالله وقوله ومن عنده

الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله
ويبغونها عوجا اولئك فى ضلال بعيد وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء وهو العزيز الحكيم

كأنه قيل الى اى نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه
جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذى يحق له العبادة كما غلب النجم فى الثريا
وقرئ بالرفع على هو الله الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه
فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل
له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين
بالويل فان قلت ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى انهم يولولون
من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون
مبتدأ خبره اولئك فى ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم
او مرفوعا على اعنى الذين يستحبون او هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار
وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشئ على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها و
افضل عندها من الآخر وقرأ الحسن ويصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا
واصده قال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدودا
لتنقله من غير التعدى الى التعدى واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة
كاوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا
ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير
مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل فى ضلال بعيد اى ضلوا عن طريق
الحق ووقعوا دونه بمراحل فان قلت فما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من
الاسناد المجازى والبعد فى الحقيقة للضال لانه هو الذى يتباعد عن الطريق فوصف به
فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد فى ضلال ذى بعد اى فيه بعد لان الضال قد يضل
عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا الا بلسان قومه ليبين لهم اى ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه
فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا
لولا فصلت آياته فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه الى العرب وحدهم وانما
بعث الى الناس جميعا قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة
مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن
للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله

ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور

بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفى التطويل فبقى ان ينزل بلسان واحد فكان اولى
الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر
قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم فى كل امة من امم
العجم مع ما فى ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال
المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم فى تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك
من جلائل الفوائد وما يتكاثر فى اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية
الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو
نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز فى كل واحد منها
وكلم الرسول العربى كل امة بلسانها كما كلم امته التى هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا
قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالريش
والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان
كعماد وعمد وعمد على التخفيف وقيل الضمير فى قومه لمحمد صلى الله عليه ورووه عن الضحاك
وان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبى بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم
ضمير القوم وهم العرب فيؤدى الى ان الله انزل التورية من السماء بالعربية ليبين للعرب و
هذا معنى فاسد فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا
يضل الا من يعلم انه لن يؤمن ولا يهدى الا من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع
الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب
على مشيته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف ان اخرج بمعنى اى
اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان يكون ان
الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما يكون معه فى تأويل المصدر
وهو الفعل والامر وغيره سواء فى الفعلية والدليل على جواز ان تكون ان الناصبة للفعل
قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم
بايام الله وانذرهم بوقائعه التى وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب
لحروبها وملاحمها كيوم ذى قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس
نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر

وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم
وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض
جميعا فإن الله لغني حميد

وأما بلاؤه فإهلاك القرون. لكل صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فإذا سمع بما أنزل
الله من البلاء على الأمم أو أفاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر
وقيل أراد لكل مؤمن لأن الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها عليهم إذ أنجاكم ظرف للنعمة بمعنى
الإنعام أي إنعامه عليكم ذلك الوقت فإن قلت هل يجوز أن ينتصب بعليكم قلت لا يخلو من
أن يكون صلة للنعمة بمعنى الإنعام أو غير صلة إذا أردت بالنعمة العطية فإذا كان صلة لم
يعمل فيه وإذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق
بين الوجهين أنك إذا قلت نعمة الله عليكم فإن جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة أو نحوها
وإلا كان كلاما ويجوز أن يكون إذ بدلا من نعمة الله أي اذكروا وقت إنجائكم وهو من بدل
الاشتمال فإن قلت في سورة البقرة يذبحون وفي الأعراف يقتلون وههنا ويذبحون
مع الواو فما الفرق قلت الفرق أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب
وبيانا له وحيث أثبت جعل التذبيح لأنه أوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة
كأنه جنس آخر فإن قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وإمهالهم حتى
فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو أن ذلك إشارة إلى الإنجاء وهو بلاء عظيم
والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير
فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو. وإذ تأذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه
للعطف على قوله نعمة الله عليكم كأنه قيل وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم و
اذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن ربكم آذن ربكم ونظير تأذن وآذن توعد وأوعد
وتفضل وأفضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل وإذ آذن ربكم إيذانا
بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى وإذ تأذن ربكم فقال لئن شكرتم أو أجرى
تأذن مجرى قال لأنه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود وإذ قال ربك لئن شكرتم أي لئن شكرتم
يا بني إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها من النعم بالإيمان الخالص والعمل الصالح لأزيدنكم
نعمة إلى نعمة ولأضاعفن لكم ما آتيتكم ولئن كفرتم وغمطتم ما أنعمت به عليكم إن عذابي لشديد
لمن كفر نعمتي وقال موسى إن تكفروا أنتم يا بني إسرائيل والناس كلهم فإنما ضررتم أنفسكم وحرمتموها
الخير الذي لا بد لكم منه وأنتم إليه محاويج والله غني عن شكركم حميد مستوجب للحمد بكثرة
أنعمه وأياديه وإن لم يحمده الحامدون. والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جملة من مبتدأ وخبر

ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا
إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم
ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين

وقعت اعتراضا أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم إلا الله اعتراض والمعنى
أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله وعن ابن عباس بين عدنان وإسمعيل ثلثون أبا لا
يعرفون وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني أنهم يدعون علم الأنساب
وقد نفى الله علمها عن العباد فردوا أيديهم في أفواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل
كقوله عضوا عليكم الأنامل من الغيظ أو ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على
فيه أو أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم إنا كفرنا بما أرسلتم به أي هذا
جوابنا لكم ليس عندنا غيره إقناطا لهم من التصديق ألا ترى إلى قوله فردوا أيديهم في أفواههم
وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وهذا قول قوي أو وضعوها على أفواههم يقولون للأنبياء أطبقوا
أفواهكم واسكتوا أو ردوها في أفواه الأنبياء يشيرون لهم إلى السكوت أو وضعوها على أفواههم
يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الأيدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الأيادي أي ردوا نعم
الأنبياء التي هي أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحي إليهم من الشرائع والآيات في
أفواههم لأنهم إذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها في أفواههم ورجعوها إلى حيث جاءت
منه على طريق المثل مما تدعوننا إليه من الإيمان وقرئ تدعونا بإدغام النون مريب موقع في
الريبة أو ذي ريبة من أرابه وأراب الرجل وهي قلق النفس وأن لا تطمئن إلى الأمر أفي الله
شك أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام ليس في الشك إنما هو في المشكوك فيه
وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وشهادتها عليه يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم أي يدعوكم
إلى الإيمان ليغفر لكم أو يدعوكم لأجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته ليأكل معي
وقال دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور فإن قلت ما معنى التبعيض
في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا إلا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه و
أطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال
في خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة تنجيكم إلى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك
عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولأن لا يسوي بين الفريقين في الميعاد
وقيل أريد أنه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها و
يؤخركم إلى أجل مسمى إلى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه إن آمنتم وإلا عاجلكم بالهلاك
قبل ذلك الوقت إن أنتم ما أنتم إلا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون

قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
وما لنا ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا
او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد

بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة بسلطان
مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما ارادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها
تعنتا ولجاجا ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم وانهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها
فاما ما وراء ذلك فما كانوا امثالهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم
ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لانه قد علم انهم لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل
لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على ابناء جنسهم الا باذن الله اراد وان
الاتيان بالآية التي اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو امر يتعلق بمشيئة الله وعلى
الله فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا و
امروها به كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري
علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا ان لا نتوكل على الله ومعناه واي عذر لنا في ان لا نتوكل
عليه وقد هدانا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله
الذي يجب عليه سلوكه في الدين **فان قلت** كيف كرر الامر بالتوكل **قلت** الاول لاستحداث
التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم و
قصدهم الى انفسهم على ما تقدم لنخرجنكم او لتعودن ليكونن احد الامرين لا محالة اما
اخراجكم واما عودكم حالفين على ذلك **فان قلت** كانهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها
قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية
لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت اراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال
او خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد لنهلكن الظالمين
حكاية تقتضي اضمار القول او اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرا ابو حيوة ليهلكن
وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى وان لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن
ولاخرجن والمراد بالارض ارض الظالمين وديارهم ونحوه واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون مشارق الارض ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم
القرية التي انا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما
الى ابناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويامرون وينهون

واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما هو
بميت ومن ورائه عذاب غليظ

فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله ذلك اشارة الى ما قضى
به الله من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي موقفي وهو
موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة او على اقحام المقام
وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين
واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا الله
وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو
معطوف على اوحى اليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن اي اوحى اليهم ربهم
وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار عنيد معناه فنصروا وظفروا و
افلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار ظنا منهم بانهم على الحق
والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه من ورائه من بين يديه
قال عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب وهذا وصف حاله وهو
في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله في الآخرة حين
يبعث ويوقف **فان قلت** علام عطف ويسقى **قلت** على محذوف تقديره من ورائه جهنم
يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كانه اشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله وياتيه الموت
من كل مكان وما هو بميت **فان قلت** ما وجه قوله من ماء صديد **قلت** صديد عطف بيان
لماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار
يتجرعه يتكلف جرعه لا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف
تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها وياتيه الموت من
كل مكان كأن اسباب الموت واصنافه كلها قد تالبت عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا
لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة
ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد و
يحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت
عليهم بدعوة رسول الله فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى
في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستانف
منقطع عن حديث الرسل واممهم وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليكم

مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء ذلك هو الضلال البعيد الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص

مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التى فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستانفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم او هذه الجملة خبر للمبتدا اى صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول او يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر وقرئ الرياح فى يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح او الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكور لريحها وقرئ فى يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة المكارم التى كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها فى حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شىء اى لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير فى الريح على شىء ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم اى هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما منه باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشىء وجنس ضده وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعى الى شىء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريكك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآية بيان لابعادهم فى الضلال وعظيم خطائهم فى الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه فى دار الجزاء وبرزوا لله ويبرزون يوم القيمة وانما جىء به بلفظ الماضى لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شىء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه فان قلت لم كتب الضعفؤا بواو قبل الهمزة قلت كتب على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علمؤا بنى اسرائيل والضعفاء الاتباع والعوام والذين استكبروا سادتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم تبعا تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب او ذوى تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا فان قلت اى فرق بين من فى من عذاب الله وبينه فى من شىء قلت الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض الشىء الذى هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شىء هو بعض عذاب الله اى بعض بعض عذاب الله فان قلت فما معنى قوله لو هدانا الله لهديناكم قلت الذى قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل انتم مغنون عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فاجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بان الله لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب فى ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء يقولون ذلك فى الآخرة كما كانوا يقولونه فى الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شىء ويجوز ان يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم اى لاغنيناكم عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستو علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية ونحوه اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم وروى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمس مائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا فان قلت كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله قلت اتصاله به من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم فى عقاب الضلالة التى كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة فى الجزع كما لا فائدة فى الصبر والامر من ذلك اطم واولما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم واجتنبناكم ابتغوا الاقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص اى منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كانه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله ذلك ليعلم انى لم اخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت

قوله كتحريكك هذا التشبيه بعيد عن الصواب وكانه اشار به الى مذهبه وهو ان العبد قادر وان الافعال مخلوقة للعباد

وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم

ويقال جاض عنه وحاص بمعنى واحد لما قضي الامر لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر
الفريقين ودخول احدهما الجنة ودخول الآخر النار وروي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا
في الاشقياء من الجن والانس فيقول ذلك ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال
فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر
فاقسركم على الكفر والمعاصي والجئكم اليها الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي
وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب فلا تلوموني ولوموا
انفسكم حيث اغتررتم بي واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على
ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة او السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين
ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى
عليكم الكفر واجبركم عليه فان قلت قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به قلت
لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر انكاره على انه لا طائل له في النطق بالباطل
في ذلك المقام الا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه بالحق
والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان الا من اتبعك من الغاوين ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا
لها ببيت مجهول قال لها هل لك يا تا في قالت له ما انت بالمرضي وكأنه قدر ياء الاضافة
ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه اصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة
لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف في نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء فان قلت جرت الياء الاولى
مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر
على الاصل قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر
تتضاءل اليه القياسات ما في بما اشركتمون مصدرية ومن قبل متعلق باشركتموني يعني كفرت اليوم
باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره
باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا
بكم وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي اشركتمونيه
وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا نقلته بالهمزة قلت اشركتنيه فلانا اي جعلني له شريكا
ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان

وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام الم تر كيف ضرب الله
مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء

يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا آخر قول ابليس وقوله ان الظالمين قول الله عز وعلا
ويحتمل ان يكون من جملة قول ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا
للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا في انفسهم
ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم وقرئ
فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقرأ الحسن
وعمرو بن عبيد رحمة الله ورضوانه عليهما وادخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وادخل
انا وهذا دليل على انه من قول الله لا من قول ابليس باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة
الجنة باذن الله وامره فان قلت فبم يتعلق في القراءة الاخرى وقولك وادخلهم انا باذن
ربهم كلام غير ملتئم قلت الوجه في هذه القراءة ان يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده اي تحييهم
فيها سلام باذن ربهم يعني ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم وقرئ الم تر ساكنة الراء كما قرئ من يتق
وفيه ضعف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة
كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على
فرس ويجوز ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب اي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة
على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة اصلها ثابت يعني في الارض ضارب بعروقه
فيها وفرعها واعلاها وراسها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرأ
انس بن مالك كشجرة طيبة ثابت اصلها فان قلت اي فرق بين القراءتين قلت قراءة الجماعة
اقوى معنى لان في قراءة انس اجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل ابوه قائم فهو اقوى
معنى من مررت برجل قائم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد
وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس
شهادة ان لا اله الا الله واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين
والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه قال
ذات يوم ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا
فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله ان اقولها وانا اصغر القوم وروي فمنعني مكان
عمر واستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت احب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله
صلى الله عليه الا انها النخلة وعن ابن عباس شجرة في الجنة وقوله في السماء معناه في جهة العلو

تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء

والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه تؤتي اكلها
كل حين تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم
يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني كشجرة خبيثة
كمثل شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة و
الكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب
ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله اجتثت من فوق الارض في مقابلة
قوله اصلها ثابت ومعنى اجتثت استوصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما
لها من قرار اي استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي
لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم
الباطل لجلج وعن قتادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض
مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيمة القول
الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمانت اليه
نفسه وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب
الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس
وشمسون وغيرهما وتثبيتهم في الآخرة انهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم
ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال
القبر وعن البراء بن عازب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه ذكر قبض روح
المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له
من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي
مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل
الله الظالمين الذين لم يتمسكوا بالحجة في دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم
كما قلد المشركون آباءهم فقالوا انا وجدنا آباءنا على امة واضلالهم في الدنيا انهم لا يثبتون
في مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شيء وهم في الآخرة اضل وازل ويفعل الله ما يشاء اي ما
توجبه الحكمة لان مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتاييدهم وعصمتهم عند
ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شانهم عند زللهم بدلوا

الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار
قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال

نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا
الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم حيث وضعتم
التكذيب موضعه ووجه آخر انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا
مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه و
جعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم او
اصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين
فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقي
الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر رضي الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية
فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب
جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك وعطف
جهنم على دار البوار عطف بيان وقرئ ليضلوا بفتح الياء وضمها **فان قلت** الضلال والاضلال
لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد فما معنى اللام **قلت** لما كان الضلال والاضلال نتيجة
اتخاذ الانداد كما كان الاكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام وان لم يكن
غرضا على طريق التشبيه والتقريب تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون
غيره ولا يريدونه مامورون به قد امرهم آمر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون
لانفسهم امرا دونه وهو آمر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة
فان مصيركم الى النار ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من
اصحاب النار المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا
الصلاة وانفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا وجوزوا ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا و
لينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه
ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز **فان قلت** علام انتصب سرا وعلانية
قلت على الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اي وقتي سر وعلانية او على
المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب
والخلال المخالة **فان قلت** كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال
قلت من قبل ان الناس يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله

اللهُ الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماءً فاخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبنيّ ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس

وفي المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهداياهم امثالها او خيراً منها واما الانفاق لوجه الله خالصاً كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيعَ فيه ولا خلالَ بالفتح الله مبتدأ والذي خلق خبره ومن الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقاً هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقاً حالاً من المفعول او نصباً على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق وامره بقوله كن دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم وآتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض اي آتاكم بعض جميع ما سألتموه نظراً في مصالحكم وقرئ من كلٍّ بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال اي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز ان تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم سألتموه او طلبتموه بلسان الحال لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه هذا البلد يعني البلد الحرام زاده الله امنا وكفاه كل باغ ظالم واجاب فيه دعوة خليله ابرهيم آمنا ذا امن فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا البلد امنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا قلت قد سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن اهلها ولا يخافون وفي الثاني ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني وقرئ واجنبني وفيه ثلث لغات جنبه الشر وجنّبه واجنبه فاهل الحجاز يقولون جنّبني شره بالتشديد واهل نجد جنبني شره واجنبني والمعنى ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها وبنيّ اراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنماً واحتج بقوله واجنبني وبنيّ ان نعبد الاصنام انما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجراً فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت انهن اضللن كثيراً من الناس فاعوذ بك

فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون

ان تعصمني وبنيّ من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اي افتتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفاً مسلماً مثلي فانه مني اي بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا فليس منا اي ليس بعض المؤمنين على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم ومن عصاني فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصياني اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل معناه ومن عصاني فيما دون الشرك من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرآناً عربياً غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير وقيل للبيت المحرم لان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرماً لمكانه او لانه لم يزل ممتنعاً عزيزاً يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب او لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقاً لانه اعتق منه فلم يستول عليه ليقيموا الصلوة اللام متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك افئدة من الناس افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليها حتى الروم والترك والهند ويجوز ان يكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكانه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها في الآية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقولهم آدر في ادؤر والثاني ان يكون اسم فاعلة من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة او جماعات يرحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ افدة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف باخراجها بين بين وان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقاً ونزاعاً من قوله يهوي مخارمها هوي الاجدل وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوي يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدي تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكناهم وادياً ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد لعلهم يشكرون النعمة في ان رزقوا

الفجاج الطرق بين الجبال جمع فج

ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شي في الارض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء

انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله عز وجل اجاب دعوته
فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شي رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه على
كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة
التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية
والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه
ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابرهيم ورزقنا طرفا من سلامة
ذلك القلب السليم الندا المكرر دليل التضرع واللجا الى الله انك تعلم ما نخفي وما نعلن
تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم
باحوالنا وما يصلحنا ويفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا فلا حاجة الى الدعاء
والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى
ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة
في اصابة معروف مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطأ
عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين
ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة
وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر
حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت
اذن لا نخشى تركتنا الى كاف وما يخفى على الله من شي من كلام الله عز وجل تصديقا لابرهيم
عليه السلم كقوله وكذلك يفعلون او من كلام ابرهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من
شي في كل مكان ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى عليه شي ما على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله
اني على ما ترين من كبري اعلم من حيث يؤكل الكتف وهو في موضع الحال معناه وهب لي وانا
كبير وفي حال الكبر روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي
عشرة سنة وقد روي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد
لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من
حيث انها حال وقوع الياس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم واحلاها
في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابرهيم ان ربي لسميع الدعاء كان قد دعا

رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ولا تحسبن الله غافلا
عما يعمل الظالمون

ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر لله ما اكرمه به من اجابته فان قلت الله تعالى
يسمع كل دعاء اجابه او لم يجبه قلت هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه
سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما اذن الله لشي كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن فان قلت ما هذه
الاضافة اضافة السميع الى الدعاء قلت اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء وقد
ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب اخاه
ومنحار ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله
سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في
اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي
الظالمين وتقبل دعاء اي عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله في قراءة ابي ولابوي
وقرا سعيد بن جبير ولوالدي على الافراد يعني اباه وقرا الحسن بن علي ولولدي يعني اسمعيل واسحق
وقرى لولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كاسد واسد وفي
بعض المصاحف ولذريتي فان قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه وكانا كافرين قلت
هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه آدم وحوا وقيل
بشرط الاسلام ويأباه قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان
استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابرهيم يوم
يقوم الحساب اي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب
على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوؤها كانها قامت على رجل ويجوز ان
يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل واسئل القرية وعن مجاهد قد استجاب
الله له فيما سأل فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق اهله و
جعله اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلاة واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس انه قال
كانت الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابرهيم ربنا اني اسكنت الآية رفعها الله فوضعها حيث
وضعها رزقا للحرم فان قلت يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله وهو
اعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا قلت ان كان خطابا لرسول الله ففيه وجهان
احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع
الله الها آخر كما جاء في الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه

إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا
ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم

غافلا الإيذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل
الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز أن يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة
الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وإن كان خطابا لغير من
يجوز أن يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم
فقيل له من قال هذا فغضب وقال إنما قاله من علمه وقرئ نؤخرهم بالنون والياء تشخص فيه الأبصار
أي أبصارهم لا تقر في أماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين إلى الداعي وقيل الإهطاع أن
تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر إليه لا تطرف مقنعي رؤوسهم رافعيها لا يرتد إليهم طرفهم
لا يرجع إليهم أن يطرفوا بعيونهم أي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك
للأجفان ولا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم الهواء الخلاء الذي لم تشغله الأجرام فوصف
به فقيل قلب فلان هواء إذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة ويقال للأحمق أيضا قلبه هواء قال زهير
من الظلمان جؤجؤه هواء لأن النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان فأنت مجوف نخب هواء
وعن ابن جريج أفئدتهم هواء صفر من الخير خاوية منه وقال أبو عبيدة جوف لا عقول لهم يوم يأتيهم
العذاب مفعول ثان لأنذر وهو يوم القيامة ومعنى أخرنا إلى أجل قريب ردنا إلى الدنيا وأمهلنا
إلى أمد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من إجابة دعوتك واتباع رسلك أو أريد
باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى
وأنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم إلى أجل قريب كقوله لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق أولم
تكونوا أقسمتم على إرادة القول وفيه وجهان أن يقولوا ذلك بطرا وأشرا ولما استولى عليهم من عادة
الجهل والسفه وأن يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا وما لكم جواب القسم وإنما جاء بلفظ
الخطاب لقوله أقسمتم ولو حكي لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا
تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون إلى دار أخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم
لا يبعث الله من يموت يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم لأن
السكنى من السكون الذي هو اللبث والأصل تعديه بفي كقولك قر في الدار وغني فيها وأقام فيها ولكنه
لما نقل إلى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها وأوطنها ويجوز أن يكون سكنتم من السكون
أي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الأولون
من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالأخبار والمشاهدة كيف أهلكناهم

فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله
إن الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الأرض غير الأرض وبرزوا لله الواحد القهار
والسموات

وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الأمثال أي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالأمثال
المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم أي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم
لا يخلو إما أن يكون مضافا إلى الفاعل كالأول على أن المعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه
بمكر هو أعظم منه أو يكون مضافا إلى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي
يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال وإن عظم مكرهم
وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته أي وإن كان مكرهم مسوى لإزالة الجبال
معدا لذلك وقد جعلت إن نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليضيع إيمانكم والمعنى ومحال أن
تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا
وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وإن كان مكرهم من الشدة بحيث
تزول منه الجبال وتنقلع عن أماكنها وقرأ علي وعمر رضي الله عنهما وإن كاد مكرهم مخلف وعده رسله
يعني قوله إنا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي فإن قلت هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم
المفعول الثاني على الأول قلت قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا كقوله إن الله لا يخلف
الميعاد ثم قال رسله ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحدا وليس من شأنه إخلاف المواعيد كيف
يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه
في الضعف كمن قرأ قتل أولادهم شركائهم عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لأوليائه من أعدائه يوم
تبدل الأرض انتصابه على البدل من يوم يأتيهم أو على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه
الأرض التي تعرفونها أرضا أخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون
في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين
وفي الأوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما إذا أذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل إلى شكل
ومنه قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الأرض والسموات فقيل
تبدل أوصافهما فتسير عن الأرض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا أمت
وعن ابن عباس هي تلك الأرض وإنما تغير وأنشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار
التي كنت تعلم وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا
وقيل يخلق بدلها أرض وسموات أخر وعن ابن مسعود وأنس يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها
خطيئة أحد وعن علي رضي الله عنه تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك أرضا من

وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب

من فضة بيضاء كالصحائف وقوى تبدل الارض بالنون فان قلت كيف قال الواحد القهار قلت هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة والشدة مقرنين قرن بعضهم مع بعض ومع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين وقوله في الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين اي يقرنون في الاصفاد واما ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وانشد لسلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد ويهشم ساق القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله او اوعد به في الاخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكانه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرى من قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره وتغشى وجوههم النار كقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرى وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى اي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين باجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم هذا بلاغ للناس كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب ولينذروا معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا به بهذا البلاغ وقرى ولينذروا بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد ه

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان قرى ربما وربتما بالتشديد وربما وربتما بالضم والفتح مع التخفيف فان قلت لم دخلت على المضارع وقد ابوا دخولها الا على الماضي قلت لان المترقب في اخبار الله عز وجل بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود فان قلت متى يكون ودادتهم قلت عند الموت او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا راوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا باب من الودادة فان قلت فما معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعلت ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة ولو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما جي بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا فسوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يجي منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله بان يخليهم وشانهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يامرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل وهذه هجيرى اكثر الناس ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا

ان يسارعوا ويكون الباء زائدة نحو بحسبك درهم والتقدير فالحري اي فالخليق المسارعة اليه وان جعلته مصدرا على ما قيل ان صح يكون الباء غير زائدة وان يسارعوا مبتدأ وبالحري خبره اي المسارعة ثابتة بالحري اي بالمستحق

وما يهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون
لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون

ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا تتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب معلوم وهو
اجلها الذى كتب في اللوح وبين الا ترى الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وانث
الامة اولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال وما يستأخرون بحذف عنه لانه معلوم
قرأ الاعمش يا ايها الذى القى عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون
ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون
والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم
بعذاب انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين
حين تدعى ان الله نزل عليك الذكر لو ما ركب مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشىء لوجود غيره
ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل لو ما الحياء
ولو ما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون
بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او هلا تأتينا
بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تأتي الامم المكذبة برسلها وقرئ تنزل
بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة الا
بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تأتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون
لكم بصدق النبي صلى الله عليه لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله عز وجل
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب واذن جواب
وجزاء لانه جواب لهم وجزاء لشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين
وما اخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذى نزل
عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات وانه هو الذى نزل
بعث به جبريل الى محمد وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين
وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة
فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان
التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه فان قلت فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا

ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين
ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين
وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شىء موزون
وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين

لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون قلت قد جعل ذلك دليلا
على انه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان
كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه كقوله والله يعصمك
في شيع الاولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى
ارسلناه فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما يأتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا يدخل
على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال يقال سلكت الخيط في
الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر اى مثل ذلك السلك
ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزءا به غير مقبول
كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام تعني مثل هذا الانزال انزلها
بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على الحال اى غير مؤمن به او هو
بيان لقوله كذلك نسلكه سنة الاولين طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم
وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم وقرئ يعرجون بالضم والكسر وسكرت
حيرت او حبست من الابصار من السكر او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف اى حبست كما يحبس
النهر من الجرى وقرئ سكرت من السكر اى حارت كما يحار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين
بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها
ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شىء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك
وقيل الضمير للملائكة اى لو اريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر
الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون
القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار من استرق في محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس
انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد منعوا
من السموات كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار
تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل
ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها معايش بياء صريحة بخلاف الشمائل
والخبائث ونحوها فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة او اخراج الياء بين بين وقد قرئ
معائش بالهمز على التشبيه ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم

وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون

فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين أو وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون أنهم يرزقونهم ويخطئون فإن الله هو الرازق يرزقهم وإياهم ويدخل فيه الأنعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق إلى ظنهم أنهم الرازقون ولا يجوز أن يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لأنه لا يعطف على الضمير المجرور وذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به وما نعطيه إلا بمقدار معلوم نعلم أنه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور لواقح فيه قولان أحدهما أن الريح لاقح إذا جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تأتي بخير ريح عقيم والثاني أن اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وأرسلنا الريح على تأويل الجنس فأسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما أنتم له بخازنين نفى عنهم ما أثبته لنفسه في قوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه كأنه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وإنزاله منها وما أنتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته وإظهارا لعجزهم ونحن الوارثون أي الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لأنه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه في دعائه واجعله الوارث منا ولقد علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر من الأولين والآخرين أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الإسلام وسبق إلى الطاعة ومن تأخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستأخرين وروي أن امرأة حسناء كانت في المصليات خلف رسول الله فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر إليها وبعض يستأخر ليبصرها فنزلت هو يحشرهم أي هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع إفراط كثرتهم وتباعد أطراف عددهم إنه حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد أحاط علما بكل شيء الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ وإذا طبخ فهو فخار قالوا إذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وإن توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل إذا أنتن والحمأ الطين الأسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ أي أفرغ صورة إنسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في أمثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر إذا حككته به فالذي

والجان خلقناه من قبل من نار السموم وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين

يسيل بينهما يكون منتنا ولا يكون إلا منتنا من حمإ صفة لصلصال أي خلقه من صلصال كائن من حمإ وحق مسنون بمعنى مصور أن يكون صفة لصلصال كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال إنسان أجوف فيبس حتى إذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك إلى جوهر آخر والجان للجن كآدم للناس وقيل هو إبليس وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله والجأن بالهمز من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان وإذ قال ربك واذكر وقت قوله سويته عدلت خلقته وأكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ومعنى ونفخت فيه من روحي وأحييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ وإنما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه واستثنى إبليس من الملائكة لأنه كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثني بعد التغليب كقولك رأيتهم إلا هندا وأبى استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل أبى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن إبليس أبى حرف الجر مع أن محذوف تقديره ما لك في أن لا تكون مع الساجدين بمعنى أي غرض لك في إبائك السجود وأي داع لك إليه اللام في لأسجد لتأكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل أن أسجد لبشر رجيم شيطان من الذين يرجمون بالشهب أو مطرود من رحمة الله لأن من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لأن اللعن هو الطرد من الرحمة والإبعاد منها والضمير في منها راجع إلى الجنة أو السماء أو إلى جملة الملائكة وضرب يوم الدين حدا للعنة إما لأنه أبعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات والأرض في التأبيد وإما أن يراد أنك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والأرض إلى يوم الدين من غير أن تعذب فإذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل إنما سأل الإنظار إلى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لأنه لا يموت يوم البعث أحد فلم يجب إلى ذلك وأنظر إلى آخر أيام التكليف بما أغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لأزينن والمعنى أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم ومعنى إغوائه إياه تسبيبه لغيه بأن أمره بالسجود لآدم عليه السلم فأفضى ذلك إلى غيه وما الأمر بالسجود إلا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لأمر الله ولكن إبليس اختار الإباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن إرادته والرضى به ونحو قوله بما أغويتني لأزينن قوله فبعزتك لأغوينهم في أنه إقسام إلا أن أحدهما إقسام بصفته والثاني إقسام

عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم اجمعين لها
سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على
سرر متقابلين

بفعله وقد فسر في الفقهاء بينهما ويجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى
بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بان ازين
لهم المعاصي واوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور
كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال لآدم والتزيين
له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر او اراد لاجعلن
مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها اي لازيننها في اعينهم ولاحدثنهم
بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه
يجرح في عراقيبها نصلي استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه
اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار
اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من علو الشرف والفضل لموعدهم الضمير للغاوين
وقيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث
للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن
ابن عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام
وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جزء
بالتخفيف والتثقيل وقرا الزهري جزّ بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها على
الزاي كقولك خب في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجلّ ثم اجرى الوصل مجرى
الوقف المتقين على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه
اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها على ارادة
القول وقرا الحسن أُدخلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة الغل الحقد
الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا غل على آخر نزع
الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال له
علي رضي الله عنه مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله
تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله اعدل من ان يجمعك وطلحة
في مكان واحد فقال فلمن هذه الآية لا ام لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا

قال يصف الهلال
اصاب خصاصة فبدا كليلا
كلا وانغل سائره انغلالا
اي اصاب القمر فرجة من الغيم
فظهر ظهورا كليلا كلا ظهور
ودخل سائره في الغيم

لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه
فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من
القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون

على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التواد والتحاب واخوانا نصب
على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون
في جميع احوالهم متقابلين لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي تقريرا لما ذكر
وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم على
نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه
من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم سلاما اي نسلم عليك سلاما او
سلمت سلاما وجلون خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير
اذن وبغير وقت وقرا الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل
ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك استئناف
في معنى التعليل للنهي عن الوجل اراد انك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل يعني ابشرتموني مع مس
الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشرون هي
ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فباي اعجوبة تبشرونني او اراد انكم
تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فباي شيء تبشرون يعني لا تبشرونني في الحقيقة
بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا يكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن
الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة
وقوله بشرناك بالحق يحتمل ان يكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او
بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير
ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع
والاصل تبشرونني وتبشرونّ بادغام نون الجمع في نون العماد وقرئ من القنطين من قنط
يقنط وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلاث في النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا
المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله فان قلت
قوله تعالى الا آل لوط استثناء متصل ام منقطع قلت لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم
فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء
من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال

قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امراته قدرنا انها لمن الغابرين فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون واتيناك بالحق وانا لصادقون

فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين **فان قلت** فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثنائين **قلت** نعم وذلك ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمى في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول **فان قلت** فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين **قلت** اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستانفا كان ابرهيم صلوات الله عليه قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم **فان قلت** فقوله الا امراته مم استثنى وهل هو استثناء من استثناء **قلت** استثنى من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امراته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان على عشرة دراهم الا ثلثة الا درهما فاما في الاية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امراته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء وقرى لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل **فان قلت** لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب **قلت** لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم **فان قلت** لم اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله **قلت** لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والامر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقرى قدرنا بالتخفيف منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر منكم فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل قوله بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم

فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين

وقرى فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى وروى صاحب الاقليد فسر من السير والقطع في آخر الليل قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل **فان قلت** ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات **قلت** قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحالة المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما قال تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يتلفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدى وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون وعدى قضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحيناه اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرا الاعمش ان بالكسر على الاستئناف كان قائلا قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني يستاصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد اهل المدينة اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة فلا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من اسيء الى ضيفه او جاره فقد اسيء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرم ولا تخزون ولا تذلوني باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروا بي من الخزاية وهي الحياء عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف

... بناتي ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فاخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لايات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لاية للمؤمنين وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين

احدا قط هؤلاء بناتي اشارة الى النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم لعمرك على ارادة القول اى قالت الملئكة للوط عليه السلم لعمرك انهم في سكرتهم اى في غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطاء الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وانه اقسم بحيوته وما اقسم بحياة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا الفعل في قولك بالله وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم الصيحة صيحة جبرئيل مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس من سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك اى معلمة بكتاب للمتوسمين للمتفرسين المتاملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا اى عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها سافلها للقرى قوم لوط وانها وان هذه القرى يعني اثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الاثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين اصحاب الايكة قوم شعيب وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا عليه السلم كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به اصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه وعن جابر قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله راحلته فاسرع حتى خلفها آمنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تتهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص

وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لاتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم

ومن الاعداء او حوادث الدهر او آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة لاتية وان الله ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ باية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف ابي وعثمان ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب سبعا سبع ايات وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما باية التسمية وقيل سورة يونس وقيل هي آل حم او سبع صحائف وهي الاسباع والمثاني من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة او مثنية صفة للاية واما السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كانها تثني على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان او التبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطوال وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان يكون كتب الله كلها مثاني لانها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القران بعضها فان قلت كيف صح عطف القران العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع الفاتحة او الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القران لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القران يعني سورة يوسف واذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد اتيناك ما يقال له السبع المثاني والقران العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو الثناء او التثنية والعظم اى لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فان قلت كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله قد اوتيت النعمة العظمى التي

ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل إني أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين

كل نعمة وإن عظمت فهي إليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك أن تستغني به ولا
تمدن عينيك إلى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث أبي بكر رضي الله عنه
من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا
وقيل وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز
والطيب والجوهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها و
لأنفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وعلا لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل
السبع ولا تحزن عليهم يعني لا تتمن أموالهم ولا تحزن عليهم أنهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الإسلام
وينتعش بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن إيمان
الأغنياء والأقوياء وقل لهم إني أنا النذير المبين أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل
بكم فإن قلت بم تعلق قوله كما أنزلنا قلت فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بقوله ولقد
آتيناك أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن
عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه
باطل مخالف لهما فاقتسموه إلى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم
سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي ويجوز أن يراد بالقرآن ما يقرؤونه من
كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبأن اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى
أقرت ببعض الإنجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم
وقولهم سحر وشعر وأساطير بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني
أن يتعلق بقوله وقل إني أنا النذير وأنذر قريشا مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين
يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الإعجاز
لأنه إخبار بما سيكون وقد كان ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير
أي أنذر المعضين الذين يجزئون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على
المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا في كل مدخل
متفرقين لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فإنه ساحر
ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فأهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وغيرهم أو مثل ما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على

فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

أن يبيتوا صالحا عليه السلم والاقتسام بمعنى التقاسم فإن قلت إذا علقت قوله كما أنزلنا
بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن إلى آخره بينهما قلت لما كان ذلك تسلية لرسول
الله عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات إلى دنياهم
والتأسف على كفرهم ومن الأمر بأن يقبل بمجامعه على المؤمنين عضين أجزاء جمع عضة وأصلها
عضوة فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء قال رؤبة وليس دين الله بالمعضى وقيل
هي فعلة من عضهته إذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش يقولون للساحرة
عاضهة ولعن رسول الله العاضهة والمستعضهة نقصانها على الأول واو وعلى الثاني هاء
لنسألنهم عبارة عن الوعيد وقيل يسألهم سؤال تقريع وعن أبي العالية يسأل العباد
عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين فاصدع بما تؤمر فاجهر به وأظهره
يقال صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع
في الزجاجة الإبانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من
الشرائع فحذف الجار كقوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ويجوز أن تكون ما مصدرية
أي بأمرك مصدر من المبني للمفعول عن عروة بن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر
ذوو أسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد يغوث
والأسود بن المطلب والحرث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل
عليه السلم لرسول الله أمرت أن أكفيكهم فأومى إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم
فلم ينعطف تعظما لأخذه فأصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات وأومى إلى أخمص العاص
بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى
ومات وأشار إلى عيني الأسود بن المطلب فعمي وأشار إلى أنف الحرث بن قيس فامتخط
قيحا فمات وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة
ويضرب وجهه بالشوك حتى مات بما يقولون من أقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن
فسبح فافزع فيما نابك إلى الله والفزع إلى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك
ويكشف عنك الغم ودم على عبادة ربك حتى يأتيك اليقين أي الموت أي ما دمت حيا
فلا تخل بالعبادة وعن النبي صلى الله عليه أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلوة عن رسول
الله صلى الله عليه من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار
والمستهزئين بمحمد

بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا
أنه لا إله إلا أنا فاتقون خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين

سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها وتسمى سورة النعم وهي مائة وثماني عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او
نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم أتى أمر الله اي هو بمنزلة الآتي
الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه روي انه لما نزلت اقتربت الساعة قال
الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو
كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها
فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت أتى أمر الله فوثب رسول الله
ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ تستعجلوه بالتاء والياء سبحانه وتعالى
عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك وان تكون آلهتهم له شركاء او عن اشراكهم على ان ما
موصولة او مصدرية **فان قلت** كيف اتصل هذا باستعجالهم **قلت** لان استعجالهم
استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ تشركون بالياء والتاء ينزل قرئ بالتخفيف والتشديد و
قرئ تنزل الملائكة اي تتنزل بالروح من امره بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او
بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد ان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا
وتقديره بانه انذروا اي بان الشان اقول لكم انذروا او تكون ان مفسرة لان تنزيل الملائكة
بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا إله الا انا اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا
اذا علمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي لا إله الا انا فاتقون ثم دل على وحدانيته و
انه لا إله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان
وما يصلحه ولا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر حاجاته وخلق
ما لا يعلمون من اصناف خلائقه ومثله متعال عن ان يشرك به غيره وقرئ تشركون بالياء والتاء
فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم
مبين للحجة بعد ما كان نطفة من مني جمادا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني
فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفا للانسان بالافراط
في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم
الرميم الى رسول الله صلى الله عليه فقال يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم الانعام
الازواج الثمانية واكثر ما تقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه

قوله من خلق البهائم بيان ما يصلحه ولا بد له والصواب ان يقول هو بيان خلق ما يصلحه
لا بيان ما يصلحه لان ما مفعول الخلق المضاف الى الانسان فلو كان خلق البهائم بيان ما لصار التقدير
خلق خلق البهائم وهو غير صحيح ويجوز ان يكون من خلق البهائم بدلا من قوله ما يصلحه بتكرير العامل
لان التقدير هنالك من خلق ما يصلحه ه قوله وخلق ما لا يعلمون عطف على قوله خلق
الانسان لا على قوله خلق البهائم لانه بيان ما يصلحه ولا بد له منه وخلق ما لا يعلمون لا يلزم ان يكون
كذلك او نقول هو عطف على خلق البهائم لما سبق انه يجوز ان يكون المراد بما لا يعلمون ما يصلحه ه
قوله واكثر ما يقع على الابل ما مصدرية اي اكثر وقوعها على الابل فيجوز ان يكون على الابل
في محل الخبر اي اكثر وقوعها حاصل على الابل ويجوز ان يكون متعلقا بيقع ويكون الخبر محذوفا ه

والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم والخيل والبغال والحمير

ويجوز أن يعطف على الانسان اى خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اى ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان والدفء اسم ما يدفأ به كما ان الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء ومنافع هي نسلها ودرها وغير ذلك **فان قلت** تقديم الظرف في قوله ومنها تأكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها **قلت** الاكل منها هو الاصل الذى يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجارى مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التى تأكلونها منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشى بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشى وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء آنست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يوارى سوآتكم وريشا **فان قلت** لم قدمت الاراحة على التسريح **قلت** لان الجمال في الاراحة اظهر اذا اقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزى وقرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذى هو الصدع واما الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد **فان قلت** ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كانهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم **قلت** معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة **فان قلت** كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه **قلت** طباقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام

لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب
ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل
والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون

وخلقها للركوب والزينة وقد احتج على حرمة اكل لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر
الاكل بعدما ذكره في الانعام **فان قلت** لم انتصب وزينة **قلت** لانه مفعول له وهو
معطوف على محل لتركبوها **فان قلت** فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد
قلت لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها
زينة بغير واو اي وخلقها زينة لتركبوها او تجعل زينة حالا من ها اي وخلقها لتركبوها وهي
زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله
ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له من
الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له
في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه المراد
بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل
وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك
لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق
واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى **فان قلت** لم غير اسلوب الكلام في قوله ومنها
جائر **قلت** ليعلم بما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم
المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر وقرا عبد الله
ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله بريء منه ولو شاء
لهداكم اجمعين قسرا والجاء لكم متعلق بانزل او بشراب خبرا له والشراب ما يشرب شجر
يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت
يعني الكلا تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها وهو من
السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض وقرئ ينبت بالياء والنون
فان قلت لم قيل ومن كل الثمرات **قلت** لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة وانما
انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى
قدرته وحكمته والاية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرا ابي
بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع قرئت كلها بالنصب
على وجعل النجوم مسخرات او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون

وما ذرأ لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون

بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون
بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها
انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها
لكم تسخيرات بامره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر
وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال ان في ذلك لايات لقوم يعقلون فجمع الاية
وذكر العقل لان الاثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة
وما ذرأ لكم معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيهما من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف
الهيات والمناظر لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله
خيفة الفساد عليه **فان قلت** ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث
والله تعالى سماه لحما كما ترى **قلت** مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكروا اللحم على الاطلاق
ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا
بالانكار ومثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا
فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث حلية هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم
لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم المخر شق الماء
بحيزومها وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح وابتغاء الفضل التجارة ان تميد بكم كراهة
ان تميل بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور
فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم
خلقت وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض
مهادا والجبال اوتادا وعلامات هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل
وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا و
الفرقدان وبنات نعش والجدي وقرا الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم
كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا **فان قلت** قوله و
بالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا
هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم **قلت** كانه اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم
في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا

قوله حذف الواو من النجوم تخفيفا اي النجم اصله النجوم فحذف الواو كالكنف من الكنوف

المعز في السنة الاولى وجمعه جداء وهي العاشر من البروج ويقال للكوكب القبلة جدي الفرقد وهذا قول ابن المبارك في تحقيق القبلة اهل الكوفة يجعلون الجدي خلف القفا والبجون يسمونه الجدي على لفظ التصغير فرقا بينه وبين البرج والفرقدان كوكبان قريبان من القطب

أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات غير احياء

فان قلت من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جيء بمن الذي هو لاولي العلم قلت فيه اوجه احدها انهم سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله على اثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله ألهم ارجل يمشون بها يعني ان الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل وايد وآذان وقلوب لان هؤلاء احياء وهم اموات فكيف تصح لهم العبادة لا انها لو صحت لهم هذه الاعضاء لصح ان يعبدوا

فان قلت هو الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم أفمن لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان ما وراءها لا ينحصر ولا ينعد ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من اعمالكم وهو وعيد والذين تدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء للمفعول نفى عنهم خصائص الالهية بنفي كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات وانهم جاهلون بالغيب ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا احياء غير اموات اي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين اي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف ووجه آخر وهو ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات لا حياة فيها غير احياء يعني ان من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات لا يعقب موتها حياة وذلك اعرق في موتها وما يشعرون ايان يبعثون اي وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الاحياء تهكما

وما يشعرون ايان يبعثون الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون

بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو ان يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وانهم اموات اي لا بد لهم من الموت غير احياء غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ ايان بكسر الهمزة الهكم اله واحد يعني انه قد ثبت بما تقدم من ابطال ان تكون الالهية لغيره وانها له وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وان قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الاقرار بها لا جرم حقا ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد انه لا يحب المستكبرين يجوز ان يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز ان يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شيء انزل ربكم او مرفوع بالابتداء بمعنى اي شيء انزله ربكم فاذا نصبت فمعنى اساطير الاولين ما يدعون نزوله اساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع

فان قلت هو كلام متناقض لانه لا يكون منزل ربهم واساطير قلت هو على السخرية كقوله ان رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض او قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله اذا سالهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله قالوا احاديث الاولين واباطيلهم ليحملوا اوزارهم اي قالوا ذلك اضلالا للناس وصدا عن رسول الله فحملوا اوزار ضلالهم كاملة وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا بضلاله وهذا باضلاله على ضلاله فيحملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير ان يكون غرضا نحو قولك خرجت من البلد مخافة الشر بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل القواعد اساطين البناء التي تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتي البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى اتيان الله اتيان امره من القواعد من جهة القواعد من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ فاتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين

ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول اين شركاي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة
ظالمي انفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا
ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري
من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم

يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب
في الآخرة شركاي على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم
تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون
بمعنى تشاقونني لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله قال الذين اوتوا العلم هم الانبياء والعلماء
من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم
يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة
قرئ تتوفاهم بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم بادغام التاء في التاء فالقوا السلم فسالموا واخبتوا
وجاؤوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا
ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم اولو العلم ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو
يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم خيرا انزل خيرا فان قلت
لم نصب هذا ورفع الاول قلت فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هؤلاء لما سئلوا
لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي انزل
خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شيء وروي
ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه فاذا جاء الوافد كفه
المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت
الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب رسول الله فيخبرونه بصدقه وانه
نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول
الذين اتقوا اي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدا عدة
للقائلين ويجعل قولهم من جملة احسانهم ويحمدوا عليه حسنة مكافاة في الدنيا باحسانهم ولهم
في الآخرة ما هو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ولنعم دار المتقين
دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره وجنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان
يكون المخصوص بالمدح طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم
يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المؤمن جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله
يقرا عليك السلام ويبشره بالجنة تاتيهم الملائكة قرئ بالتاء والياء يعني ان تاتيهم لقبض الارواح
او امر ربك العذاب المستاصل او القيامة كذلك اي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل

الاول قوله اساطير الاولين في قوله ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين

وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه
من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان
اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان
تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون

الذين من قبلهم فما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير
سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم او هو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عدد
من اصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث
واستعجاله استهزاء به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعني انهم اشركوا
بالله وحرموا ما احل من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم نفعل
وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اي اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا
على قبح فعلهم وركوه على ربهم فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشاء الشرك والمعاصي
بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها
بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن
قبيحها وموعدهم عليه ولقد امد ابطال قدر السوء ومشيئة الشر بانه ما من امة الا وقد
بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة
الطاغوت فمنهم من هدى الله اي لطف به لانه عرفه من اهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة
اي ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا ياتي منه خير فسيروا
فانظروا وانما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في اني لا اقدر الشر ولا اشاؤه حيث
افعل ما افعل بالاشرار ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من
حقت عليهم الضلالة وانه لا يهدي من يضل اي لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله متعال
عن العبث لانه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه وقرئ لا يهدى اي لا يقدر انت ولا احد على
هدايته وقد خذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذي هو
نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى وفي قراءة ابي فان الله
لا هادي لمن يضل ولمن اضل وهي معاضدة لمن قرا لا يهدى على البناء للمفعول وفي قراءة عبد الله
يهدي بادغام تاء يهتدي وهي معاضدة للاولى وقرئ يضل بالفتح وقرا النخعي ان تحرص بفتح الراء
وهي لغية واقسموا بالله معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان
موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا توريك ذنوبهم على مشيئة الله وانكارهم البعث مقسمين
عليه وبلى اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم ووعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان
يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة ولكن اكثر الناس لا يعلمون

يبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون

انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله لانهم يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا عقوبة من
مواجب الحكمة ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى اى يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام
للمؤمنين والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم لو شاء
الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله
ولقد بعثنا في كل امة رسولا اى بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله
مفترين على الله الكذب قولنا مبتدأ وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى
الحدوث والوجود اى اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب
ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف
كوجود المأمور به عند امر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى
ان ايجاد كل مقدور على الله عز وعلا بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق
المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول والذين هاجروا هم رسول الله واصحابه ظلمهم اهل
مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم
من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله وكلما خرجوا
تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير
ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر قال له
ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو
لم يخلق الله نارا لأطاعه فكيف في الله في حقه ولو حبه حسنة صفة للمصدر اى لنبوئنهم تبوئة
حسنة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنثوينهم ومعناه اثواء حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا
منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب
وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك الله لك فيه هذا
ما وعدك في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة اكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث
آواهم اهلها ونصروهم لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اى لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين
في ايديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اى لو كانوا
يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا هم الذين صبروا او اعني الذين
صبروا وكلاهما مدح اى صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب

وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل
اليهم ولعلهم يتفكرون افأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون او يأخذهم في تقلبهم
فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون

في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رأسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله
قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم
على السنة الملائكة فسئلوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة
الا بشرا فان قلت بم تعلق قوله بالبينات قلت له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما
ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت
الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اى رجالا ملتبسين بالبينات
واما بارسلنا مضمرا كانما قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام
واحد واما بيوحى اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على ان الشرط في معنى التبكيت والالزام كقول
الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله فسئلوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة
واهل الذكر اهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين ما نزل اليهم يعني
ما نزل الله اليهم في الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا ولعلهم يتفكرون
وارادة ان يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا مكروا السيئات اى المكرات السيئات
وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم واسباب
دنياهم على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون
متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته اذا
تنقصته قال زهير تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن
اى يأخذهم على ان يتنقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضي الله عنه
انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص
قال فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس
عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم فان
ربكم لرؤف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم وقرئ اولم تروا ويتفيؤ بالتاء والياء
وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيؤ ظلاله واليمين بمعنى الايمان وسجدا حال
من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له
ظل وجمع بالواو لان الدخور من اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى اولم يروا
الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اى عن جانبي كل واحد منها وشقيه

ان عمر نفع اول من دون الدواوين
اى رتب الجرائد للولاة والقضاة ويقال
فلان من الديوان اى ممن اثبت اسمه
في الجريدة

ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون

استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم **فان قلت** سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد **قلت** المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد **فان قلت** فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم **قلت** لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتاكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم غالبا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء **فان قلت** انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالى الهين اثنين **قلت** الاسم الحامل لمعنى الافراد او التثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعني به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياي فارهبون نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم

وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون

وجاز لان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله واياي فارهبوني ومن ان يجيء ما قبله على لفظ المتكلم الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب وما بكم من نعمة واي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى

يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا

وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة **فان قلت** فما معنى قوله اذا فريق منكم بربهم يشركون **قلت** يجوز ان يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة من الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فيمتعوا من الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر لما لا يعلمون اي لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذا جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة اي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم لتسألن وعيد عما كنتم تفترون من الافك في زعمكم انها آلهة وانها اهل للتقرب اليها كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور ظل بمعنى صار كما يستعمل بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز ان يجيء ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملوء حنقا على المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسك ما بشر به على هون

ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم
ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم
الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب
اليم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون

على هوان وذل ام يدسه في التراب ام يخفيه وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها على التانيث وقرئ
على هوان الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو
على عكس هذا الوصف مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث
ووأدهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن
العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك
عليها على الارض من دابة قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول
ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن
مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وعن ابن عباس
من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ويجعلون لله ما يكرهون
لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون
له ارذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن
رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيامة
اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وانواع الاموال
الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الي فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له اما تستحيي
من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية وعن مجاهد ان لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وان
لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة مفرطون قرئ مفتوح
الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت
فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا
خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات
وما يلزمهم فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها او فهو
وليهم في الدنيا وجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين او يجعل فهو
وليهم اليوم حكاية للحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار اي فهو ناصرهم اليوم
لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش
وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف
اي فهو ولي امثالهم اليوم وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا مفعولا لهما
على انهما

قوله الكذب مفعول تصف وان لهم الحسنى بدل من الكذب فلذلك لم يذكر المفسر منه اشارة الى ان المقصود تفسيره بترك ذكره

والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث
ودم لبنا خالصا سايغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لاية لقوم يعقلون

لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على التبيين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب
مفعولا له ما كان فعلا لفاعل الفعل المعلل والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به
ومنهم عبد المطلب واشياء من التحريم والتحليل والانكار والاقرار لقوم يسمعون سماع انصاف
وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لا يسمع ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء
المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما في
بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون
تكسير نعم كالاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر
نعم في قوله في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه واذا انث ففيه وجهان انه تكسير
نعم وانه في معنى الجمع وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استيناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم
من بين فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما
برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل
اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه
دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في
الضروع وتبقى الفرث في الكرش فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر
وتامل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم
سايغا سهل المر في الحلق ويقال لم يغص احد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا
بالتخفيف كهين ولين **فان قلت** اي فرق بين من الاولى والثانية **قلت** الاولى للتبعيض
لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك اخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لان
بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذي منه يبتدئ فهو صلة لنسقيكم كقوله سقيته من
الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كائنا من بين فرث
ودم الا ترى انه لو تاخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة
فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك
البول بهذه الاية وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين
فرث ودم طاهرا **فان قلت** بم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب **قلت**
بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم

وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب
مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون

قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقاء او تعلق تتخذون منه
من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد فى الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف
محذوف كقوله بكفى كان من ادمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه
سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر فان قلت فالام يرجع
الضمير فى منه اذا جعلته ظرفا مكررا قلت الى المضاف المحذوف الذى هو العصير
كما رجع فى قوله تعالى او هم قائلون الى الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر
سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال وجاءونا بهم سكر علينا فاجلى اليوم والسكران
صاحى وفيه وجهان احدهما ان يكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبى والنخعى والثانى
ان يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى
يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابى حنيفة الى حد السكر ويحتج بهذه الآية
وبقوله عليه السلم الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة ولقد صنف شيخنا
ابو على الجبائى قدس الله روحه غير كتاب فى تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت منه السن
العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت فى تحليله فقال تناولته
الدعارة فسخ فى المروءة وقيل السكر الطعم وانشد جعلت اعراض الكرام سكرا اى
تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا ابترك فى اعراض الناس فكانه تخمر بها والرزق
الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل
تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن الايحاء الى النحل الهامها والقذف فى قلوبها وتعليمها
على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا فتنبهها على صنعتها ولطفها فى تدبير
امرها واصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على ان الله اودعها علما بذلك وفطنها كما اولى
اولى العقول عقولهم وقرأ يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتانيثه على المعنى
ان اتخذى هى ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول وقرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء ويعرشون
بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل فى الجبال والشجر والبيوت
من الاماكن التى تتعسل فيها والضمير فى يعرشون للناس فان قلت ما معنى من فى قوله ان
اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل فى الجبال وفى الشجر قلت
اريد معنى البعضية وان لا تبنى بيوتها فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا فى كل مكان منها

والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكى لا يعلم بعد علم شيئا ان الله عليم قدير والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق

من كل الثمرات احاطة بالثمرات التى تجرسها النحل وتعتاد اكلها اى ابنى البيوت ثم كلى
كل ثمرة تشتهينها فاذا اكلتها فاسلكى سبل ربك اى الطرق التى الهمك وافهمك فى عمل
العسل او فاسلكى ما اكلت فى سبل ربك اى فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المر
عسلا من اجوافك ومنافذ ماكلك او اذا اكلت الثمار فى المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكى
الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغنى انها ربما اجدب عليها
ما حولها فتسافر الى البلد البعيد فى طلب النجعة او اراد بقوله ثم كلى ثم اقصدى اكل الثمرات
فاسلكى فى طلبها فى مظانها سبل ربك ذللا جمع ذلول وهى حال من السبل لان الله ذللها ووطاها
وسهلها كقوله هو الذى جعل لكم الارض ذلولا او من الضمير فى فاسلكى اى وانت ذلل منقادة
لما امرت به غير ممتنعة شراب يريد العسل لانه مما يشرب مختلف الوانه منه ابيض واصفر
واحمر واسود فيه شفاء للناس لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل
معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل
دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذى فيه او لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن
النبى صلى الله عليه ان رجلا جاء اليه فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال اسقه العسل
فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب
بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كانما انشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود
العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل
ومن بدع تاويلات الرافضة ان المراد بالنحل على وقومه وعن بعضهم انه قال عند المهدى
انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك
مما يخرج من بطونهم فضحك المهدى وحدث به المنصور فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهم
الى ارذل العمر الى اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة عن على رضى الله عنه وخمس
وتسعون سنة عن قتادة لانه لا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم لكيلا يعلم بعد علم شيئا
ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولة فى النسيان وان يعلم شيئا ثم يسرع فى نسيانه فلا
يعلمه ان سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيئا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه
اى جعلكم متفاوتين فى الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم
فكان ينبغى ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا فى الملبس والمطعم كما يحكى عن

فما الذين فضلوا برادّي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون

ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون
واطعموهم مما تطعمون فما رؤي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير
تفاوت افبنعمة الله يجحدون حيث يجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه للذين جعلوا
له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا
ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى ان الموالي والمماليك
انا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا يحسبن الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا
من الرزق فانما ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم وقرئ تجحدون بالتاء من انفسكم من جنسكم
وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة و
الخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد وقال حفد الولائد بينهن واسلمت
باكفهن ازمة الاجمال واختلف فيهم فقيل هم الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد
وقيل اولاد المراة من الزوج الاول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة اي خدما يحفدون في مصالحكم
ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم كقوله سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل
لكم منهن اولادا هم بنون وهم حافدون اي جامعون بين الامرين من الطيبات يريد بعضها لان
كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا الا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون
من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة
فليس لهم ايمان الا به كانه شيء معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة
فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون لها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا تتصوره العقول
وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما
احل لهم الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت به شيئا
كقوله او اطعام يتيما على لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه
بمعنى قليلا ويجوز ان يكون تاكيدا للا يملك اي لا يملك شيئا من الملك ومن السموات والارض
صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا او صفة ان
كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لانه في معنى الالهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ
ويجوز ان يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولوا الباب من ذلك
شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فان قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك

فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا
وجهرا هل يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يات بخير هل يستوي هو
ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم ولله غيب السموات والارض

قلت ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون [illegible] الاثني واحد

[illegible] عبد لا يقدر على شيء فيجعل غير مكاتب ولا مأذون له لانه لا يقدر الا على التصرف
واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح له فان قلت من
في قوله ومن رزقناه ما هي قلت الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق
عبدا ولا يمتنع ان يكون موصولة فان قلت لم قيل يستوون على الجمع قلت معناه
هل يستوي الاحرار والعبيد الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على
مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يرسله ويصرفه
في مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم يات بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس
نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يامر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على
صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على
عباده ويشملهم من آثار رحمته والطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي
اموات لا تضر ولا تنفع وقرئ اينما يوجه بمعنى اينما يتوجه من قولهم اينما اوجه الق
سعدا وقرا ابن مسعود اينما يوجه على البناء للمفعول ولله غيب السموات والارض اي يختص
به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه او اراد بغيب السموات والارض يوم القيامة

فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا

وجهرا هل يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو

ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ولله غيب السموات والارض

وبل بما الاثني واحد **قلت** ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم اصلا لانهم موات الا ان يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتأتى ذلك فيهم ولا يستقيم فلا تضربوا لله الامثال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة ان الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لان العقاب على مقدار الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذاك هو الذي جركم اليه وجرأكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء

فان قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف

قلت اما ذكر المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله واما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح له **فان قلت** من في قوله ومن رزقناه ما هي **قلت** الظاهر انها موصوفة كأنه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة **فان قلت** لم قيل يستوون على الجمع **قلت** معناه هل يستوي الاحرار والعبيد الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته والطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع وقرئ اينما يوجه بمعنى اينما يتوجه من قولهم اينما اوجه الق سعدا وقرأ ابن مسعود اينما يوجه على البناء للمفعول ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه او اراد بغيب السموات والارض يوم القيمة

وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شيء قدير والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
لعلكم تشكرون الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم
من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها
واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من
الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون

على ان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم الا كلمح البصر او هو اقرب اي هو
عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر او هو اقرب اذا بالغتم في
استقرابه ونحو قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون اي هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحياء
واحياء الاموات من الاولين والآخرين يكون في اقرب وقت واوحاه ان الله على كل شيء قدير فهو
يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال
امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في امات كما زيدت في اراق فقيل اهراق وشذت
زيادتها في الواحدة قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موضع الحال معناه
غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق
الى السعة وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي
ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى
ما يسعدكم والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع
الكثرة والقلة اذا لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى
وقرئ الم يروا بالتاء والياء مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية
لذلك والجو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو والسكاك ابعد منه واللوح مثله ما يمسكهن
في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية
وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف بيوتا هي القباب
والابنية من الادم والانطاع تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم
ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم
يثقل عليكم ضربها او هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت
ومتاعا وشيئا ينتفع به الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى او الى ان تموتوا
وقرئ يوم ظعنكم بالسكون مما خلق من الشجر وسائر المستظلات اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به
من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان
والقطن وغيرها تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم وقل ما يهمهم البرد
لكونه يسيرا محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم بأسكم

فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم
يستعتبون واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من
دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون

يريد الدرع والجواشن والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون اي تنظرون في
نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون
من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فلم يقبلوا
منك فقد تمهد عذرك بعد ما اديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ
ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله التي عددنا حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها
بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها
من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد
انها من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها واكثرهم الكافرون اي الجاحدون
غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا
واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على ان انكارهم
امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر شهيدا نبيها يشهد
لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار
والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن رحمه الله ولا
هم يستعتبون ولا هم يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل
فان قلت فما معنى ثم هذه قلت معناه انهم يمنون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو
اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام ولا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة وانتصاب اليوم
بمحذوف وتقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك واذا رأوا
... بغتة فتبهتهم كلا انه
... وا الشياطين فلانهم
... فالقوا انكم لكاذبون
... عبادتهم لم تكن
... وا راضين بعبادتهم
... من الشرك وان اريد
... الى كفرت بما اشركتمون
... الاباء والاستكبار في

فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون واذا راى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون

يريد الدرع والجواشن والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون اى تنظرون فى نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة اى تشكرون فتسلمون من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما اديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله التى عددنا ها حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هى من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا فى نيلها واكثرهم الكافرون اى الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا فى الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن رحمه الله ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اى لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل فان قلت فما معنى ثم هذه قلت معناه انهم يمنون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم فى القاء معذرة ولا ادلاء بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف وتقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك واذا راوا العذاب بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تاتيهم بغتة فتبهتهم الآية ان ارادوا بالشركاء آلهتهم فمعنى شركاؤنا آلهتنا التى دعوناها شركاء وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم فى الكفر وقرناؤهم فى الغى وندعوا بمعنى نعبد فان قلت لم قالوا انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا او كذبوهم فى تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله من الشريك وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين فى قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان انى كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا يعنى الذين ظلموا والقوا السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار فى

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي
يعظكم لعلكم تذكرون واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون

الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين
كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما
ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن
اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون
من شدة برده الى النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله شهيدا
عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم وجئناك يا محمد على هؤلاء على
امتك تبيانا بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن
فان قلت كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء قلت المعنى انه بين كل شيء من امور الدين حيث
كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله وطاعته وقيل وما ينطق
عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله لامته اتباع
اصحابه والاقتداء باثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا
وقاسوا ووطئوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة
الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء العدل هو الواجب لان الله عز وجل عدل فيه على عباده
فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض
لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه لمن علمه الفرائض
فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط
وقال عليه السلام استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل والفواحش
ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب التطاول بالظلم وحين اسقطت
من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين رضوان الله عليه اقيمت هذه الآية مقامها ولعمري
انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه
وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون عهد الله هي البيعة لرسول الله على الاسلام
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة بعد توكيدها اي بعد توثيقها
باسم الله واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل كفيلا شاهدا ورقيبا لان
الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا في نقض الايمان كالمراة التي انحت على غزلها
بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم

الخريف احد فصول السنة سمي
بذلك لانه يخرف فيه الثمار اي
يجتنى ثم اريد به السنة كلها
قال في المغرب اريد به السنة
كلها في قوله من صام يوما في سبيل الله
باعده الله تعالى من النار اربعين
خريفا او سبعين خريفا اي مسافة
بهذه المدة وبهذا سواء التاويل
في حديث ابن مسعود ان الصخر يدفع
العاصي في مهواه سبعين خريفا
اي في مهوى عميقة مقدار عمقها
مسيرة هذا المقدار ولا يراد
حقيقة الاربعين وانما يراد
المبالغة على عادة العرب

ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه
تختلفون ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها
وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق
ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن

وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت
تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال ودخلا احد
مفعولي اتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا ان تكون امة
بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى من امة هي ازيد عددا واوفر مالا من امة من
جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم
بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفا بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان
البيعة لرسول الله ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم
وليبينن لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة حنيفة
مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء
وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشاء وهو ان يلطف بمن علم
انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب
والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسئلن عما
كنتم تعملون ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسئلون عنه ثم كرر
النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يركب منه فتزل قدم بعد
ثبوتها عليها وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين او بصدكم
غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم
عذاب عظيم في الآخرة كان قوم ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش
واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا
ما بايعوا عليه رسول الله فثبتهم الله ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله
ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا ان ما
عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة خير لكم ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد
وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وقرئ لنجزين بالنون والياء الذين صبروا على اذى
المشركين ومشاق الاسلام فان قلت لم وحدت القدم ونكرت قلت لاستعظام
ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة فان قلت من
متناول في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين

فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم احسن ما كانوا يعملون فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون

الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا حيوة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه وعن ابن عباس الحيوة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وكقوله اذا اكلت فسم الله فان قلت لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل قلت لان الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود قرات على رسول الله صلى الله عليه فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ ليس له سلطان اي تسلط وولاية على اولياء الله يعني انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته انما سلطانه على من يتولاه ويطيعه به مشركون الضمير يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان على معنى بسببه تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله عز وجل عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فياتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة فان قلت هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على ان القرآن انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس قلت فيه ان قرآنا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة المتواترة

قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم

مثل القرآن في ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها في بتنزيل وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة وروح القدس جبريل صلوات الله عليه اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة القلوب على ان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ارادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عايش او يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل فكان رسول الله اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي واللسان اللغة ويقال الحد القبر ولحده وألحده وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان فان قلت الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت لا محل لها لانها مستانفة جواب لقولهم ومثله قوله الله اعلم حيث يجعل رسالته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من اهل اللطف والثواب انما يفتري الكذب

انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون

رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه واولئك
اشارة الى قريش هم الكاذبون اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او الى الذين لا يؤمنون
اي اولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب ايات الله اعظم الكذب
او اولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يحجبهم عنه مروة ولا دين او اولئك
هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بايات الله على ان الجمل واولئك
هم الكاذبون اعتراض بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه
واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به
نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ويجوز ان يكون بدلا من المبتدا الذي هو اولئك على ومن كفر
بالله بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر الذي هو الكاذبون على واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه
ويجوز ان ينتصب على الذم وقد جوزوا ان يكون من كفر بالله شرطا مبتدا ويحذف جوابه لان جواب
من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا
فعليهم غضب روي ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من
اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب و
بلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا انك
اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فقد اعطاهم ما
ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى
قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه
وقال مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم
مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا فان قلت اي الامرين افضل افعل عمار ام فعل ابويه
قلت بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام وقد روي ان مسيلمة
اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه
وقال للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد
جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني
فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم
الدنيا على الاخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة الذين

لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون

لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ثم ان ربك
دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم
بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا
غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل
اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة
والجهاد والصبر يوم تأتي منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس
المضافة الى النفس قلت يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة
كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل
عن ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم
هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله مثلا قرية اي جعل القرية التي هذه حالها
مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز
ان يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها
فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع
الامن والانزعاج والقلق مع الخوف رغدا واسعا والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد
بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه
بالموسم بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان
فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها
عليه قلت ... عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا و
... ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه
... من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به
... يتلبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة
... عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما
... طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستكاك لا
... الى المستعار له كالنظر اليه ههنا ونحوه قول كثير
... غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال استعار الرداء للمعروف لانه يصون

لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تاتي كل نفس تجادل
عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها
الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون

لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ثم ان ربك
دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم
بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا
غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر وقرى فتنوا على البناء للفاعل
اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة
والجهاد والصبر يوم تاتي منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس
المضافة الى النفس قلت يقال لعين الشي وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة
كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم ياتي كل انسان يجادل
عن ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم
هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله مثلا قرية اي جعل القرية التي هذه حالها
مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز
ان يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها
فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع
الامن والانزعاج والقلق مع الخوف رغدا واسعا والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد
بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه
بالموسم بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان
فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها
عليه قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا و
الشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البوس والضر واذاقه العذاب شبه
ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به
لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة
على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما
غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا
يقع الا لمن فقدهما احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه هاهنا ونحوه قول كثير
غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال استعار الرداء للمعروف لانه يصون

ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا
حلال وهذا حرام

عرض صاحبه صوت الرد الذي يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا
صفة الرد انظر الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله ينازعني ردائي
عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر
اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر
اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا
وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله من
مفاجاة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا على اللباس او على تقدير حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه اصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع لما وعظهم بما
ذكر من حال القرية وما اوتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك بالفاء في قوله فكلوا صدهم
عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله من
الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم اياه تعبدون يعني تطيعون او ان صح زعمكم
انكم تقصدون الله بعبادة الالهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم
عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه وانتصاب
الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في
قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف
الى وحي من الله او الى قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام
وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي ولا
تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام ولك ان تنصب الكذب بتصف
وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا
حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول في
افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة فان قلت ما معنى
وصف السنتهم الكذب قلت هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كانه عين الكذب
ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم
وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كانه
قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل

لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك
من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم
ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن
الصالحين ثم اوحينا اليك

والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم
الكواذب او هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا من
التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه
من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم ما قصصنا عليك يعني في سورة الانعام
بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين
للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم من بعدها من بعد التوبة كان امة فيه وجهان احدهما انه
كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله وليس لله بمستنكر ان يجمع
العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امة
بمعنى ماموم اي يؤمه الناس لياخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما
اشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال اني جاعلك للناس اماما وروى
الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت
غلطت انما هو ابراهيم صلى الله عليه فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله
وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة
حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة لله قانت لله
ليس بينه وبين الله يوم القيمة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله
لم يعصه وهو ذلك المعنى اي كان اماما في الدين لان الائمة معلموا الخير والقانت القائم
بما امره الله والحنيف المائل الى ملة الاسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا
لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابراهيم شاكرا لانعمه روي انه كان لا يتغدى الا
مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر
فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على انه
عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة
الاسلام حسنة عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه
وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على آل ابراهيم لمن الصالحين من
اهل الجنة ثم اوحينا اليك في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه واجلال

ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به

محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله ابرهيم عليه السلم من الكرامة واجل ما اولي من النعمة
اتباع رسول الله ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي
اثنى الله عليه بها السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت
وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة
وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد
فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ما
ذكر وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لاوامره والخالعين ربقة طاعته فان قلت
فما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين او محرمين قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف
فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى ووجه اخر وهو ان موسى عليه السلم امرهم ان
يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم
الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة
فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله لهم
في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون
واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيمة فيجازي
كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد
فيه وقرئ انما جعل السبت على البناء للفاعل وقرا عبد الله انا انزلنا السبت الى سبيل
ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة
والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز
ان يريد القران اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي
احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف
ان ربك اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه
عجزت عنه الحيل وكانك تضرب منه في حديد بارد سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة
والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ وان
عقبتم فعقبوا اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روي ان المشركين مثلوا
بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن

ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام

الراهب فوقف رسول الله على حمزة وقد مثل به وروي فراه مبقور البطن فقال اما والذي
احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده
ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور اما ان يرجع
الضمير في لهو الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اي ولئن صبرتم
لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد
او وصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر
وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله
عز وعلا فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسوله عليه السلم
واصبر انت فعزم عليه بالصبر وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على
قلبه ولا تحزن عليهم اي على الكافرين كقوله فلا تاس على القوم الكافرين او على المؤمنين وما
فعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق وقرئ ولا تكن في ضيق اي ولا يضيقن صدرك من مكرهم
والضيق تخفيف الضيق اي في امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل
والقول ان الله مع الذين اتقوا اي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم
محسنون في اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من
المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة النحل
لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة وعشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه
بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد
مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداء الله واسرى وسرى
لغتان وليلا نصب على الظرف فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت
اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام
مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله
وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلف
في المكان الذي اسري منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه

الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا
ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين

بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرئيل بالبراق وقيل اسرى به
من دار ام هاني بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس
الحرم كله مسجد وروي انه كان نائما في بيت ام هاني بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص
القصة على ام هاني وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هاني
بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه
ابو جهل فاخبره رسول الله بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلم فحدثهم
فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى
ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك
فسمي الصديق وفيهم من سافر الى ثمة فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر
اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها
واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم
نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال آخر وهذه والله العير قد اقبلت
يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك
الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما رأى في السماء من العجائب وانه لقي الانبياء
وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة
وعن انس والحسن انه كان قبل البعث واختلف في انه كان في اليقظة ام في المنام فعن عائشة
رضي الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله ولكن عرج بروحه وعن معاوية انما
عرج بروحه وعن الحسن كان في المنام رؤيا رآها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك والمسجد الاقصى
بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد
الانبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة
وقرأ الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه
على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة انه هو السميع
لاقوال محمد البصير بافعاله العليم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك ان
لا تتخذوا قرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وكيلا
ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرأ الا تتخذوا

ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا

بالتاء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا
ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا
وقرأ زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروي عنه انه فسرها بولد الولد ذكرهم الله النعمة
في انجاء آبائهم من الغرق انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وقيل كان اذا اكل قال الحمد لله
الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظماني واذا اكتسى
قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني
واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو شاء حبسه وروي انه كان
اذا اراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجد محتاجا آثره به فان قلت
قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملاءمته لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دوني
وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وانتم ذرية من آمن به وحمل معه
فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بانهم
اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستاهلوا لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند
ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا
مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون في الكتاب في التوراة
ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن
جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح
التاء من فسد مرتين اولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس ارميا حين انذرهم سخط الله والآخرة
قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا واكثر ما يقال
عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل بخت نصر وعن ابن عباس جالوت
قتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا فان قلت
كيف جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين
ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله عز وعلا اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله وكذلك
نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمهم واسند الجوس
وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التوراة من جملة الجوس المسند اليهم

ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم
وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ان هذا القرآن يهدي للتي
هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما ويدعو الانسان بالشر
دعاءه بالخير

وقرا طلحة فحاسوا بالحاء وقرى فتجوسوا وخلل الديار فان قلت ما معنى وعد اولاهما قلت
معناه وعد عقاب اولاهما وكان وعدا مفعولا يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل
ثم رددنا لكم الكرة اى الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد
والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل
هي قتل داود جالوت اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر
كالعبيد والمعيز اى الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى
غيركم وعن علي رضي الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسات اليه وتلاها فاذا جاء وعد المرة
الآخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت
وجوه الذين كفروا وقرى ليسوء والضمير لله عز وجل او للوعد او للبعث ولنسوء بالنون وفي
قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن ولنسوءن وقرى لنسوءن بالنون الخفيفة واللام في ليدخلوا على
هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب اذا جاء ما علوا مفعول ليتبروا
اى ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة
الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم
وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن
عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة
ثم كان آخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيامة
حصيرا محبسا يقال للسجن حصير ومحصر وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول للتي هي
اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات واسدها او للملة او للطريقة واينما قدرت لم تجد
مع الاثبات ذوق البلاغة التي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد
مع ايضاحه وقرى ويبشر بالتخفيف فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر
الفسقة قلت كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة
بين المنزلتين بعد ذلك فان قلت علام عطف وان الذين لا يؤمنون قلت على ان
لهم اجرا كبيرا على معنى انه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز
ان يراد ويخبر بان الذين لا يؤمنون معذبون اى ويدعو الله عند غضبه بالشر على
نفسه واهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير

وكان الانسان عجولا وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد
السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا

وكان الانسان عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتانى فيه تانى المتبصر
وعن النبي صلى الله عليه انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك
تئن فشكا الم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي صلى الله
عليه دعا به فاعلم بشانه فقال عليه السلام اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة
وان يقطع الله يديها فقال النبي صلى الله عليه اني سالت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من
لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز ان يريد
بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته
الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس
هو النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضربت عنقه صبرا
فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار آيتان في انفسهما فيكون الاضافة في آية الليل
وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اى فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية
التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر
فمحونا آية الليل اى جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان
ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اى تبصر فيه الاشياء وتستبان او فمحونا آية الليل
التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا
الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار
الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين
وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت
الامور وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه بيناه بيانا غير ملتبس
فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا طائره عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن
ابن عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله والمعنى ان
عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا يفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق
الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذه ربقة في رقبته وعن الحسن رحمه الله يا ابن آدم
بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك وقرى في عنقه بسكون النون وقرى
ويخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج

اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا

والضمير للطائر اي نخرج الطائر كتابا وانتصابه كتابا على الحال وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه منشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه اقرأ على ارادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وبنفسك فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان يتأول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة انفس وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن آدم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك اي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين وما صح منا صحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة فان قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان قلت بعثة الرسول من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعث الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة العقل واذا اردنا واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مأمورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم فان قلت هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المأمور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المأمور به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم امرته فعصاني

وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا

او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مأمورا به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مأمورا به وكأنه يقول كان مني امر فلم تكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد الى مفعول فان قلت هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالقسط والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا قلت لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكأنك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظير امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشيئة انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فأمر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه اني ارى امرك هذا حقيرا فقال عليه السلام انه سيأمر اي سيكثر وسيكبر وقرئ آمرنا من امر وآمره غيره وامرنا بمعنى امرنا او من امر امارة وامره الله اي جعلناهم امراء وسلطناهم ثم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها فمعاقب عليها من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الامر تقييدين احدهما تقييد المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة واما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة فما يبالي اوتي حظا من الدنيا او لم يؤت فان اوتي فبها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده وقوله لمن نريد بدل من له وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وقرئ ما يشاء وقيل الضمير لله عز وجل فلا فرق اذا بين القراءتين في المعنى ويجوز ان يكون للعبد على ان للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي

السواد الاعظم

ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد مذموما مخذولا وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما

والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال عليه السلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه مذحورا مطرودا من رحمة الله سعيها حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة اشترط ثلث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الاخرة بان يعقد بها همة ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الاية وشكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف اليه نمد هم نزيدهم من عطائنا ونجعل الانف منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل وما كان عطاء ربك وفضله محظورا اي ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه انظر بعين الاعتبار كيف جعلناهم متفاوتين في التفضل وفي الاخرة التفاوت اكثر لانها ثواب واعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروي ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطانا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الاخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر وقرى واكثر تفضيلا وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الاخرة وهي اكبر وافضل فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من الهك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا وان مفسرة ولا تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا وبالوالدين احسانا واحسنوا بالوالدين احسانا او بان تحسنوا بالوالدين احسانا وقرى واوصى وعن ابن عباس ووصى وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا يتقدم عليه صلته اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه واحدهما فاعل يبلغن وهو فيمن قرا يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا وبدلا فان قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه بدل قلت لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم

فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا

في حكمه فوجب ان يكون مثله فان قلت ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول اف صوت يدل على تضجر وقرى اف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على اصل البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ فان قلت ما معنى عندك قلت هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك اشق عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة فهو مامور بان يستعمل معهما وطاءة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنهما اف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا كما يقتضيه حسن الادب والنزول على المروة وقيل هو ان يقول يا ابتاه يا اماه كما قال ابرهيم عليه السلم لابيه يا ابت مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب وعادة الدعار قالوا ولا باس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني ابو بكر كذا وقرى جناح الذل والذل بالضم والكسر فان قلت ما معنى قوله جناح الذل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل او الذل كما اضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل او الذلول والثاني ان تجعل لذله او لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك فان قلت الاسترحام لهما انما يصح اذا كانا مسلمين قلت واذا كانا كافرين فله ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو كان

ولو كان شيء افضل منه لامركم به في الابوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين
وعن النبي صلى الله عليه رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروى يفعل البار ما يشاء
ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب
ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه ان ابوي بلغا من الكبر اني الي
منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت
تفعل ذلك وانت تريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا
شيخ يتوكأ على عصا فساله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه
شيئا من مالي واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى عليه السلم
وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك انت ومالك لابيك
وشكا اليه آخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة
الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك
ليلها واظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولو
طلقة وعن ابن عمر انه رأى رجلا في الطواف يحمل امه ويقول

اني لها مطية لا تذعر … اذا الركاب نفرت لا تنفر … ما حملت وارضعتني اكثر … الله ربي ذو الجلال الاكبر

تظنني جزيتها يا ابن عمر … قال لا ولو زفرة واحدة وعنه عليه السلم اياكم وعقوق الوالدين
فان الجنة توجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان
ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا
بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر وياخذ الاناء منه اذا شربها وعن ابي يوسف اذا
امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير اوقد وعن حذيفة انه استاذن رسول الله
في قتل ابيه وهو في صف المشركين فقال دعه يله غيرك وسئل الفضيل بن عياض عن بر
الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع صوتك عليهما ولا
تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما
اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه ان من ابر البر ان يصل الرجل
اهل ود ابيه بما في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من
التوقير ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر

وما لا يخلو منه البشر او لحمية الاسلام هنة تؤدي الى اذاهما ثم انبتم الى الله واستغفرتم منها
فان الله غفور للاوابين للتوابين وعن سعيد بن جبير هي البادرة تكون من الرجل الى ابيه
لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب الاواب الرجل كلما اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان
يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على ابويه التائب
من جنايته لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد
التوصية بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد وفقراء عاجزين عن
الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما لا يرى النفقة الا على
الولد والوالدين فحسب وان كانوا مياسير او لم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة
والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك والمسكين
وابن السبيل يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا دليل على ان المراد بما يؤتى ذوي القرابة من
الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذي القربى اقرباء رسول الله صلى الله عليه التبذير تفريق المال
فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر
اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها فامر الله بالنفقة في وجوهها مما يقرب
منه ويزلف وعن عبد الله هو انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق مدا في باطل
كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف
في الخير وعن عبد الله بن عمر مر رسول الله صلى الله عليه بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف
يا سعد قال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة
وهي غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم
به من الاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغي
ان يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرا الحسن اخوان الشيطان وان اعرضت عن
ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا سألوك
وكان النبي صلى الله عليه اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء وقوله ابتغاء رحمة
من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا
رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم واما ان
يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو ان يفتح لك فسمى الرزق رحمة فرددتهم

هذا اشارة الى الحاصل المعنى بعد حل اللفظ وذكر التعلق

ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا

رزقا اجلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء
مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم
ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان
من ابى ان يعطي اعرض بوجهه يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل
معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسره عليهم فقريهم كان معناه قولا ذا
ميسور وهو اليسر اي دعاء فيه يسر هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف وامر بالاقتصاد الذي
هو بين الاسراف والتقتير فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده
وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة
وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من حسره
السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسألة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه اتاه صبي فقال
ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت له
قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا
واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلوة وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن
حصن فجاء عباس بن مرداس وانشا يقول

اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدي في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت ثم سلى رسول الله صلى الله عليه عما كان
يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيته في بسط
الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز ان يريد ان البسط والقبض انما هما من امر الله
الذي الخزائن في يده فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا ويحتمل انه عز وعلا بسط لعباده
او قبض فانه يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى
مكروهه فاستنوا بسنته قتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة
وهي الاملاق فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم وقرئ خشية بكسر الخاء وقرئ خطأ وهو الاثم
يقال خطئ خطأ كاثم اثما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من اخطأ وقيل هو والخطء كالحذر
والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالفتح والمد وخطا بالفتح والسكون وعن الحسن خطاء بالفتح
وحذف الهمزة كالخب وعن ابي رجاء بكسر الخاء غير مهموز فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح وساء سبيلا

ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تاويلا ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا

وبئس طريقا طريقه وهو ان يغصب على غيره امرأته او اخته او بنته من غير سبب والسبب
ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله الا بالحق الا باحدى ثلث الا بان يكفر او يقتل مؤمنا
عمدا او يزني بعد احصان مظلوما غير راكب واحدة منهن لوليه للذي بينه وبينه
قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه سلطانا تسلطا على القاتل
في الاقتصاص منه او حجة يثبت بها عليه فلا يسرف الضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل
ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال
مهلهل حين قتل بجير بن الحرث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وقال كل قتيل في كليب غرة
حتى ينال القتل آل مرة وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء وقيل الاسراف المثلة
وقرا ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليست في
الامر وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي او قاتل المظلوم
وفي قراءة ابي فلا تسرفوا ردة على ولا تقتلوا انه كان منصورا الضمير اما للولي يعني حسبه
ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبان الله نصره بمعونة السلطان
وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره حيث
اوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف
في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف بالتي هي احسن بالخصلة او الطريقة التي هي
احسن وهي حفظه عليه وتثميره ان العهد كان مسؤلا اي مطلوبا يطلب من العاهد ان لا
يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث
كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤلا وقرئ بالقسطاس
بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر او كبر من موازين الدراهم وغيرها
واحسن تاويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه ولا تقف
ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا اثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك
به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد النهي عن ان
يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع
لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك
فتقول هذا يفعل كذا ورايته يفعل وسمعته ولم تر ولم تسمع وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث

العضيهة الافك والبهتان

ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة
ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا

من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وأنشد ومثل الدمى
شم العرانين ساكن بهن الحياء لا يشعن التقافيا أي التقاذف وقال الكميت ولا أرمي البريء
بغير ذنب ولا أقفو الحواصن إن قفينا وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لأن ذلك
نوع من العلم فقد أقام الشرع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به أولئك إشارة إلى السمع والبصر
والفؤاد كقوله والعيش بعد أولئك الأيام وعنه في موضع الرفع بالفاعلية أي كل واحد
منها كان مسؤولا عنه فمسؤول مسند إلى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم
يقال للإنسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت إلى ما لم يحل لك النظر إليه ولم عزمت على ما
لم يحل لك العزم عليه وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفواد
ثم استصحب القلب مع الفتح مرحا حال أي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الأخفش المصدر
على اسم الفاعل لما فيه من التأكيد لن تخرق الأرض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك
وقرئ لن تخرق بضم الراء ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال قرئ سيئة وسيئه
على إضافة سيء إلى ضمير كل وسيئا في بعض المصاحف وسيئات وفي قراءة أبي بكر الصديق رضي
الله عنه كان شانه فإن قلت كيف قيل سيئة مع قوله مكروها قلت السيئة
في حكم الأسماء بمنزلة الذنب والإثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه ولا فرق بين
من قرأ سيئة ومن قرأ سيئا ألا تراك تقول الزنى سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين
إسنادها إلى المذكر والمؤنث فإن قلت فما ذكر من الخصال بعضها سيء وبعضها حسن
ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالإضافة فما وجه من قرأ سيئة قلت كل ذلك إحاطة بما نهي عنه
خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك إشارة إلى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله إلها آخر
إلى هذه الغاية وسماه حكمة لأنه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس رضي الله عنه
هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها لا تجعل مع الله إلها آخر قال الله تعالى
وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التوراة ولقد جعل الله عز وعلا
فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لأن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه
حكمه وعلومه وإن بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم
عن دين الله أضل من النعم أفأصفاكم خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للإنكار يعني
أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه

إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا
سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا
وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا

واتخذ أدونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فإن العبيد لا يؤثرون
بأجود الأشياء وأصفاها من الشوب ويكون أردؤها وأدونها للسادات إنكم لتقولون قولا
عظيما بإضافتكم إليه الأولاد وهي خاصة بالأجسام ثم بأنكم تفضلون عليه أنفسكم حيث تجعلون
له ما تكرهون ثم بأن تجعلوا الملائكة وهم أعلى خلق الله وأشرفهم أدون خلق الله وهم الإناث ولقد
صرفنا في هذا القرآن يجوز أن يريد بهذا القرآن إبطال إضافتهم إلى الله البنات لأنه مما صرفه وكرر
ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى وأوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير
ويجوز أن يشير بهذا القرآن إلى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل
فترك الضمير لأنه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا قرئ مشددا ومخففا أي
كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم وما يزيدهم إلا نفورا عن الحق
وقلة طمأنينة إليه وعن سفيان كان إذا قرأها قال زادني لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا
قرئ كما تقولون بالتاء والياء وإذا دالة على أن ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين
وجزاء للو ومعنى لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا لطلبوا إلى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة
كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقيل لتقربوا إليه
كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة
من ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه
به المراد أنها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكأنها تنطق
بذلك وكأنها تنزه الله تعالى مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها فإن قلت فما تصنع بقوله ولكن
لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفقوه معلوم قلت الخطاب للمشركين وهم وإن كانوا
إذا سئلوا عن خالق السموات والأرض قالوا الله إلا أنهم لما جعلوا معه آلهة مع إقرارهم فكأنهم
لم ينظروا ولم يقروا لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فإذن
لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق فإن قلت من فيهن يسبحون
على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والأرض فما وجهه قلت
التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه وإلا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة
محمولة على الحقيقة والمجاز إنه كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء
نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو إفعام وقيل

وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك
وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا
أإنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم
ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده

ذو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز أن يراد أنه حجاب من دونه حجاب أو حجب فهو مستور
بغيره أو حجاب يستر أن يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا
قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كأنه قال وإذا قرأت القرآن
جعلنا على زعمهم أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه أو لأن قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة فيه معنى
المنع من الفقه فكأنه قيل ومنعناهم أن يفقهوه يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا
وعدة ووحده من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في أنه مصدر ساد مسد
الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده والنفور مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد
وقعود أي يحبون أن تذكر معه آلهتهم لأنهم مشركون فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا بما يستمعون
به من الهزء بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه إذا قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان
منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار وبه في موضع الحال كما تقول
يستمعون بالهزء أي هازئين وإذ يستمعون نصب بأعلم أي أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون
وإذ هم نجوى إذ يقول بدل من إذ هم مسحورا سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة أي هو بشر
مثلكم ضربوا لك الأمثال مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب
في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في أمره لا يدري ما يصنع لما قالوا أإذا
كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة أو حديدا فرد قوله كونوا على قولهم كنا كأنه قيل كونوا
حجارة أو حديدا ولا تكونوا عظاما فإنه يقدر على إحيائكم والمعنى أنكم تستبعدون أن
يجدد الله خلقكم ويرده إلى حال الحياة وإلى رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما
يابسة مع أن العظام بعض أجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع
أن يردها الله بقدرته إلى حالتها الأولى ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة ومن رطوبة الحي
من جنس ما لا يكون منه الحي وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديدا مع أن طباعها الجساوة
والصلابة لكان قادرا على أن يردكم إلى حال الحياة أو خلقا مما يكبر في صدوركم يعني أو خلقا
مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق إحياؤه فإنه يحييه وقيل ما يكبر
في صدورهم الموت وقيل السموات والأرض فسينغضون فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء
والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا
تمتنعون وقوله بحمده حال منهم أي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره

وتظنون إن لبثتم إلا قليلا وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا ربكم أعلم بكم إن يشأ
يرحمكم وإن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا وربك أعلم بمن في السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا

بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وأنت حامد شاكر يعني أنك تحمل عليه وتقسر
قسرا حتى أنك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب
عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون وترون الهول فعنده تستقصرون
مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما أو بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في أنفسهم حين
عاينوا الآخرة وقل لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي أحسن وألين ولا
يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتي هي أحسن وفسر التي هي أحسن بقوله ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم
أو إن يشأ يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم إنكم من أهل النار وإنكم
معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله إن الشيطان ينزغ بينهم اعتراض
يعني يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشارة والمشاقة وما أرسلناك عليهم
وكيلا أي ربا موكولا إليك أمرهم تقسرهم على الإسلام وتجبرهم عليه وإنما أرسلناك بشيرا ونذيرا
فدارهم ومر أصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول آية السيف
وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فأمره الله بالعفو وقيل أفرط إيذاء المشركين للمسلمين
فشكوا إلى رسول الله فنزلت وقيل الكلمة التي هي أحسن أن يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله
وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون وهو رد على أهل مكة في إنكارهم
واستبعادهم أن يكون يتيم أبي طالب نبيا وأن يكون العراة الجوع أصحابه كصهيب وبلال
وخباب وغيرهم دون أن يكون ذلك في بعض أكابرهم وصناديدهم يعني وربك أعلم بمن
في السموات والأرض وبأحوالهم وبمقاديرهم وبما يستأهل كل واحد منهم وقوله ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض إشارة إلى تفضيل رسول الله وقوله وآتينا داود زبورا
دلالة على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الأنبياء وأن أمته خير الأمم لأن ذلك مكتوب في
زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي
الصالحون وهم محمد وأمته فإن قلت هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد
كتبنا في الزبور قلت يجوز أن يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وأن
يريد وآتينا داود بعض الزبر وهي الكتب وأن يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه من
الزبور فسمى ذلك زبورا لأنه بعض الزبور كما سمى بعض القرآن قرآنا هم الملائكة وقيل عيسى
ومريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا والذين ادعوهم

كاشفه بالعداوة باداه

قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك
في الكتاب مسطورا وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا
واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس

فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد
الى آخر او يبدلوه واولئك مبتدا والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني ان آلهتهم
اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله عز وجل وايهم بدل من واو يبتغون واي
موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن
يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة
وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة
ان عذاب ربك كان حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم
نحن مهلكوها بالموت والاستيصال ومعذبوها بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك
للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها
اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك و
الجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا في
الكتاب في اللوح المحفوظ استعير المنع لترك ارسال الآيات من اجل صارف الحكمة وان
الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين
والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك
وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستيصال
فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من
المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا
سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا العذاب المستاصل وقد عزمنا ان نؤخر امر
من بعثت اليهم الى يوم القيمة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما
ارسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من
حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة بينة وقرى مبصرة بفتح الميم فظلموا بها
فكفروا بها وما نرسل بالآيات ان اراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا
من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى
وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة واذ قلنا
لك ان ربك احاط بالناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر

وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا

وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون
وغير ذلك فجعله كأن قد كان ووجد فقال احاط بالناس على عادته في اخباره وحين تزاحف
الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه في العريش مع ابي بكر رضي الله عنه كان يدعو
ويقول اللهم اني اسالك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم
الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر
والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا
مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله من امر بدر وما اري في منامه من مصارعهم
فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام
الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجر
وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله الشجرة من جنس لا تاكله النار
فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في
النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع
الحديد الحمر كالجمر باحماء النار فلا تضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق في كل شجرة نارا فلا غرو فما
انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات انما نرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء
قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما اريناك منه في منامك بعد الوحي
اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم
ثم قال ونخوفهم اي نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا
فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي الاسراء وبه تعلق
من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها
رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رايتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم
كما سمى اشياء باساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى آلهتهم اين شركائي ذق انك انت العزيز الكريم
وقيل هي رؤياه انه سيدخل مكة وقيل راى في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول
الصبيان الكرة فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم في القرآن قلت لعنت حيث لعن طاعموها
من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز
وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة وقيل

واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتني الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك

تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس هي الكشوث الذي يلتوي بالشجر يجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على انها مبتدأ محذوف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك طينا حال اما من الموصول والعامل فيه أسجد على أأسجد له وهو طين اي اصله طين او من الراجع اليه من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا أرأيتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي اي فضلته لم كرمته علي وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن اخرتني واللام موطئة للقسم المحذوف لاحتنكن ذريته لاستاصلنهم باغوائهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم احنك الشاتين اي آكلهما **فان قلت** من اين علم ان ذلك يتسهل له وهو من الغيب **قلت** اما ان سمعه من الملائكة صلوات الله عليهم وقد اخبرهم الله به او خرجه من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم في مخايله انه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما عملت وسوسته في آدم والظاهر انه قال ذلك قبل اكل آدم من الشجرة اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء وانما معناه امض لشانك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره في قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم كما قال موسى صلى الله عليه للسامري فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس **فان قلت** اما كان من حق الضمير في الجزاء ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك **قلت** بلى ولكن التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز ان يكون للتابعين على طريقة الالتفات وانتصب جزاء موفورا بما في فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او باضمار تجازون او على الحال لان الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة استفزه استخفه والفز الخفيف واجلب من الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة ومنه قول رسول الله يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب وقرئ ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس واخوات لهما يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك **فان قلت** ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله **قلت** هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم

وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا افامنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا

٣٩٥

واجلب عليهم بجنده من خياله ورجاله حتى استاصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من اهل العيث وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال واما المشاركة في الاموال والاولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكوة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد ان يصيروا حمما وايثار العاجل على الآجل ان عبادي يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان اي لا تقدر ان تغويهم وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحوه قوله الا عبادك منهم المخلصين **فان قلت** كيف جاز ان يامر الله تعالى ابليس بان يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير **قلت** هو من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم يزجي يجري ويسير والضر خوف الغرق ضل من تدعون الا اياه ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعقدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم او لم يهتد لانقاذكم احد غيره من سائر المدعوين ويجوز ان يراد ضل من تدعون من الآلهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض **فان قلت** بم انتصب جانب البر **قلت** بيخسف مفعولا به كالارض في قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى ان يخسف جانب البر اي يقلبه وانتم عليه **فان قلت** فما معنى ذكر الجانب **قلت** معناه ان الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء يعني او ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها

ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا

عليكم فيها الحصبا يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق فى البحر وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عنكم ام امنتم ان يقوى دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ان ترجعوا فتركبوا البحر الذى نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا وهى الريح التى لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اى تتكسر وقيل التى لا تمر بشئ الا قصفته فيغرقكم وقرى بالتا اى الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم فنرسل فنغرقكم وقرئت بالياء والنون التبيع المطالب من قوله فاتباع بالمعروف اى مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع يقال فلان على فلان تبيع بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة بهذا اعراضهم حين نجاهم قيل فى تكرمة ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما فى الارض وتسخيره لهم وقيل كل شئ ياكل بفيه الا ابن آدم وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جا فى تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم جعلنا لهم اصابع ياكلون بها فاحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة صلوات الله عليهم وحسب بنى آدم تفضيلا ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا فى كل شئ وكابروا حتى جرتهم عادة المكابرة على العظيمة التى هى تفضيل الانسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله امرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم وانى قربهم وكيف نزلهم من انبيائه منزلة انبيائه من اممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بنى آدم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه فى الآخرة فقال وعزتى وجلالى لا اجعل ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان ورووا عن ابى هريرة انه قال المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم انهم فسروا كثيرا بمعنى جميع فى هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على ان معنى قولهم على جميع ممن خلقنا اشجى لحلوقهم واقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتاويلات البعيدة فى عداوة الملا الاعلى كان جبريل غاظهم حين اهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم

قرى يدعوا بالياء والنون ويدعى كل اناس على البناء للمفعول وقرا الحسن يدعوا كل اناس على قلب

يوم ندعو كل اناس بامامهم فمن اوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا

الالف واوا فى لغة من يقول افعو والظرف نصب باضمار اذكر ويجوز ان يقال ان الواو علامة الجمع كما فى واسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما فى يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا علامة بامامهم بمن ائتموا به من نبى او مقدم فى الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا وكتاب كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وفى قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيمة بامهاتهم وان الحكمة فى الدعاء بالامهات دون الآباء رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنى وليت شعرى ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته فمن اوتى من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم قيل اولئك لان من اوتى فى معنى الجمع مانع لم يخص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كان اصحاب الشمال لا يقرؤن كتابهم تلك بلى ولكن اذا اطلعوا على ما فى كتابهم اخذهم ما ياخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه امام التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكان قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك لا جرم انهم يقرؤن كتابهم احسن قراءة وابينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرؤا كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شئ كقوله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما معناه ومن كان فى الدنيا اعمى فهو فى الآخرة اعمى كذلك واضل سبيلا من الاعمى والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدى الى طريق النجاة اما فى الدنيا فلفقد النظر واما فى الآخرة فانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثانى بمعنى التفضيل ومن ثم قرا ابو عمرو الاول ممالا والثانى مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم الواقعة فى وسط الكلام كقولك اعمالكم واما الاول فلم يتعلق به شئ فكانت الفه واقعة فى الطرف معرضة للامالة روى ان ثقيفا قالت للنبى صلى الله عليه لا ندخل فى امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلوتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند راس الحول وان تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سالتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرنى به وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون

وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا

فسكت رسول الله ثم قالوا للكاتب اكتب ولا تكتبوا والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلم اياك انما نكلم محمدا فنزلت وروى ان قريشا قالوا له اجعل اية رحمة اية عذاب واية عذاب اية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفترى علينا لتتقول علينا ما لم نقل يعني ما ارادوه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من ان يضيف الى الله ما لم ينزل عليه واذا لاتخذوك اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين اذا لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي لاذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين فان قلت كيف حقيقة هذا الكلام قلت اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الآخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله فآتهم عذابا ضعفا من النار بمعنى مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات كما قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات ويجوز ان يراد بضعف الحيوة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على ان ادنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه الاية ان يجثو عندها ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر وبان يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه انها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي

وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذن لا يلبثون خلفك الا قليلا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا

طرفة عين وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض من ارض مكة واذن لا يلبثون لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل من ارض المدينة وذلك ان رسول الله لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابرهيم فلو خرجت الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله على اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع وقرئ ولا يلبثون وفي قراءة ابي لا يلبثوا على اعمال اذن فان قلت ما وجه القراءتين قلت اما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي ففيها الجملة برأسها التي هي اذن لا يلبثوا عطف على جملة قوله ان كادوا ليستفزونك وقرئ خلافك قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا اي بعدهم سنة من قد ارسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة دلكت الشمس غربت وقيل زالت وروى عن النبي صلى الله عليه اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلوة العشاء وقرآن الفجر صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست بركن مشهودا يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلوة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات قراءة ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلوة ونحوه

ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعلني من لدنك سلطانا نصيرا

النائم التحرج ويقال ايضا في النوم تهجد نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم مقاما محمودا نصب على الظرف اى عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذى يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهى نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسال فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه هو المقام الذى اشفع فيه لامتى وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا تتكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قرى مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق اى ادخلنى القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان سلطانا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه انه استعمل عتاب بن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه انى رايت فيما يرى النائم كان عتاب بن اسيد

الصدق بمعنى الصلاح والجودة ونقيضه السوء بمعنى الرداءة والفساد

وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا

اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضى الله عنه كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله فقال اى رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولى دونك فاوحى الله الى البيت انى ساحدث لك توبة جديدة فاملاك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتى صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا على ارم به فحمله رسول الله حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما راينا رجلا اسحر من محمد وشكاية البيت والوحى اليه تمثيل وتخييل وزهق الباطل ذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك كان زهوقا كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت وننزل قرى بالتخفيف والتشديد من القرآن من للتبيين كقوله من الاوثان او للتبعيض اى كل شئ نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبى صلى الله عليه من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزداد به الكافرون الا خسارا اى نقصانا لتكذيبهم وكفرهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه مستبد بنفسه ونأى بجانبه تاكيدا للاعراض لان الاعراض عن الشئ ان يوليه عرض وجهه والنأى بالجانب ان يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل كان يؤسا شديد اليأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرى وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء في رأى ويجوز ان يكون من ناء بمعنى نهض قل كل احد يعمل على شاكلته اى على مذهبه وطريقته التى تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهى الطرق التى تتشعب منه والدليل عليه قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اى اسد مذهبا وطريقة الاكثر على انه الروح الذى في الحيوان سالوه عن حقيقته فاخبر انه

ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا
الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا

من امر الله اى مما استأثر بعلمه عن ابن بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وما يعلم الروح وقيل
هو خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبرئيل وقيل القران ومن امر ربي اى من وحيه
وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش ان سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذى
القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعضهم وسكت عن
بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم
وما اوتيتم الخطاب عام وروى ان رسول الله لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا
الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك
ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في
الارض من شجرة اقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف
الشيء بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد خير
كثير في نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهي قليل وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم
قالوا للنبي صلى الله عليه قد اوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله لنذهبن جواب قسم محذوف
مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا
بالقران ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدرى
ما الكتاب ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا
الا رحمة من ربك الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او يكون على
الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى
ببقاء القران محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن
هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهي منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره وفي منته
عليه في بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة
وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القران تصبحون يوما وما
فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه
ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فتصبح الناس منه فقرا ترفع المصاحف
وينزع ما في القلوب لا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله

قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل
فابى اكثر الناس الا كفورا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط
السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان
ربي هل كنت الا بشرا رسولا

يقول لا غائب مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اى لو تظاهروا على ان يأتوا بمثل القران
في بلاغته وحسن نظمه وتاليفه وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله
والعجب من النوابت ومن زعمهم ان القران قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث
تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه واما المحال الذي
لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز
ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان يكابروا فيقولوا
هو قادر على المحال فان راس مالهم المكابرة وقلب الحقائق ولقد صرفنا رددنا وكررنا من كل
مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه والكفور الجحود فان قلت كيف جاز
فابى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا قلت لان ابى متاول بالنفي كانه
قيل فلم يرضوا الا كفورا لما تبين اعجاز القران وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات
ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتعثر
في اذيال الحيرة فقالوا لن نؤمن لك حتى وحتى تفجر تفتح وقرئ تفجر بالتخفيف من الارض
يعنون ارض مكة ينبوعا عينا غزيرة من شأنها ان تنبع بالماء لا تقطع يفعول من نبع الماء
كيعبوب من عب الماء كما زعمت يعنون قول الله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم
كسفا من السماء وقرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحه قبيلا كفيلا بما تقول
شاهدا بصحته والمعنى او تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدي بريا واني
وقيار بها لغريب او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا
او جماعة حالا من الملائكة من زخرف من ذهب في السماء في معارج السماء فحذف المضاف يقال
رقى في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك عن ابن
عباس قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى
تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا
يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وعلا
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا
الآية الباقية التي هي القران وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الى
تبصرهم سبيل قل سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي اى قال الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه

وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما ماواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا

هل كنت الا رسولا كساير الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الايات فليس امر الايات الي انما هو الى الله فما لكم تتخيرونها علي. ان الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له والهدى الوحي اي وما منعهم الايمان بالقران وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه لو كان في الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في الارض قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى المختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم فان قلت هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت وجه حسن والمعنى له اجوب شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز او حال ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتد لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم اولياء انصارا على وجوههم كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الاخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ويجوز ان يحشروا مؤفي الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع آخر انهم يقرؤون ويتكلمون كلما خبت كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها ثم تفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله ائنا لمبعوثون خلقا جديدا فان قلت علام عطف قوله وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا لان المعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض

قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر واني لاظنك

فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال ءانتم اشد خلقا ام السماء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت او القيامة فابوا مع وضوح الدلائل الا جحودا. لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها في لو انتم تملكون وتقديره لو تملكون تملكون فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدا والخبر ورحمة الله رزقه وساير نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها قتورا ضيقا بخيلا فان قلت هل يقدر لامسكتم مفعول قلت لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك عن ابن عباس هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سال محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور نصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال رسول الله عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فسئل بني اسرائيل فقلنا له سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك ويدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الآيات ليزدادوا يقينا وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي فان قلت

فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا
وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به اولا تؤمنوا
ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا

بم تعلق اذ جاءهم قلت اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين جاءهم او
بسال في القراءة الثانية واما على الاخير فبآتينا او باضمار اذكر او يخبروك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء
آباءهم مسحورا سحرت فخولط عقلك لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الآيات الا الله عز وجل بصائر
بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقرئ
علمتُ بالضم على معنى اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب
السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظني
اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها
واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء
مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقرا
ابي بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون ان
يستخف موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستيصال
فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم
منها فاذا جاء وعد الآخرة يعني قيام الساعة جئنا بكم لفيفا جميعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم
بينكم ونميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق
نزل وما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله
على الهداية الى كل خير وما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على
الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وما ارسلناك الا لتبشر بالجنة وتنذر من النار ليس
اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك وقرآنا منصوب بفعل يفسره فرقناه وقرا ابي
فرّقناه بالتشديد اي جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قرأه مشددا وقال لم ينزل
في يومين او ثلاثة بل كان بين اوله وآخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب
على مكث بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به
اولا تؤمنوا امر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشانهم وان لا يكترث بهم وبايمانهم و
امتناعهم عنه وانهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية وشرك فان
خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه
وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره

ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا
فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا

ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وانزال القرآن عليه وهو المراد
بالوعد في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا ويزيدهم خشوعا اي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين
فان قلت ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت يجوز ان يكون تعليلا لقوله آمنوا
به اولا تؤمنوا وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله وتطييب نفسه كانه قيل تسل
عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم فان قلت
ما معنى الخرور للاذقان قلت السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد
اول ما يلقى به الارض من وجهه الذقن فان قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر
على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعا لليدين وللفم قلت
معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص فان قلت لم كرر
يخرون للاذقان قلت لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في
حال كونهم باكين عن ابن عباس رضي الله عنه سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا
ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر
الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين
تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما
الاسم لا المسمى واو للتخيير يعني ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا
اما هذا واما هذا والتنوين في ايا عوض من المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما في اي
اي اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله الاسماء الحسنى والضمير في فله ليس براجع الى احد
الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز وعلا لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى
اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن
هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم
بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان
تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة افعال واذكار وكان رسول الله يرفع صوته بقراءته
فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين
ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروي ان ابا بكر رضي
الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر يرفع صوته

وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان
لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا

وتقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل
معناه ولا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلوة الليل وتخافت
بصلاة النهار وقيل بصلوتك بدعائك وذهب قوم الى ان الآية منسوخة بقوله ادعوا
ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط فى القراءة ولى من الذل
ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته
فان قلت كيف لاق وصفه بنفى الولد والشريك والذل بكلمة التحميد قلت لان من
هذا وصفه هو الذى يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذى يستحق جنس الحمد وكان النبى صلى الله عليه
اذا افصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة بنى
اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية ه

سورة الكهف مكية وهى مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم ∴ لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه
ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهى نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه
من الكتاب الذى هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له عوجا ولم يجعل له شيئا من العوج قط
والعوج فى المعانى كالعوج فى الاعيان والمراد نفى الاختلاف والتناقض عن معانيه
وخروج شىء منه من الحكمة والاصابة فيه فان قلت بم انتصب قيما قلت
الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل
فهو داخل فى حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذى الحال ببعض الصلة
وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة
فان قلت ما فائدة الجمع بين نفى العوج واثبات الاستقامة وفى احدهما غنى عن
الآخر قلت فائدته التاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من
ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها
وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيما انذر متعد الى
مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا
باسا شديدا والباس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل باسا وباسة
من لدنه صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف والتثقيل

قوله بعض الصلة فيلزم ايراد صلة قبل تمام صلة قبله فيكون كايراد كلمة
قبل تمام كلمة قبله ه

ويُنذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا

فإن قلت لم اقتصر على احد مفعولي انذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره والاجر الحسن الجنة ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد اشتملته آباؤهم من الشيطان وتسويله فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به قرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون عليه تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة فان قلت الام يرجع الضمير في كبرت قلت الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ ان لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرأ ان لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا بهذا الحديث بالقرآن اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة

إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى

الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال أمية بن أبي الصلت وليس بها إلا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل إن الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر أو على ذات عجب من لدنك رحمة أي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء وهيئ لنا من أمرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك أسدا فضربنا على آذانهم أي ضربنا عليها حجابا من أن تسمع يعني أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا ذوات عدد فيحتمل أن يريد الكثرة وأن يريد القلة لأن الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا إلا ساعة من نهار وقال الزجاج إذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج أن يعد وإذا كثر احتاج إلى أن يعد أي تضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه وقرئ ليعلم وهو معلق عنه أيضا لأن ارتفاعه بالابتداء لا بإسناد يعلم إليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما أنه مفعول نعلم أي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم وأحصى فعل ماض أي أيهم ضبط أمدا لأوقات لبثهم

فإن قلت فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد وذلك أن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو أعدى من الجرب وأفلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ولأن أمدا لا يخلو إما أن ينتصب بأفعل فأفعل لا يعمل وإما أن ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فإن زعمت أني أنصبه بإضمار فعل يدل عليه أحصى كما أضمر في قوله وأضرب منا بالسيوف القوانسا على نضرب القوانس فقد أبعدت المتناول وهو قريب حيث أبيت أن يكون أحصى فعلا ثم رجعت مضطرا إلى تقديره وإضماره

فإن قلت كيف جعل الله تعالى العلم بإحصائهم المدة غرضا في الضرب على آذانهم قلت الله عز وعلا لم يزل عالما بذلك وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيمانا

وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا

واعتبارا ويكون لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الأوطان والنعيم والفرار بالدين إلى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام إذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السماوات والأرض شططا قولا ذا شطط وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه من شط إذا بعد ومنه أشط في السوم وفي غيره هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان واتخذوا خبر وهو إخبار في معنى إنكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بين وهو تبكيت لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وأنه لا بد في الدين من حجة حتى يصح ويثبت افترى على الله كذبا بنسبة الشريك إليه وإذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون نصب عطف على الضمير يعني وإذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبودهم إلا الله يجوز أن يكون استثناء متصلا على ما روي أنهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما أهل مكة وأن يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض إخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به أي ينتفع إما أن يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم وإما أن أخبرهم به نبي في عصرهم وإما أن يكون بعضهم نبيا تزاور أصله تتزاور فخفف بإدغام التاء في الزاي أو حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره إذا مال إليه والزور الميل عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة إلى ظعن يقرضن أقواز مشرف شمالا وعن أيمانهن الفوارس وهم في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض لإصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم وقيل في متفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من آيات الله أي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني أن ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة أبدا ومعنى ذلك من آيات الله أن شأنهم وحديثهم من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم فلطف بهم

وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت
منهم رعبا وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة

واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة وان كل من سلك
طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض للخذلان
فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل احد والايقاظ
جمع يقظ كانكاد في نكد قيل عيونهم منفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل
لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم
بالياء والضمير لله عز وجل وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه
وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم وقرا جعفر الصادق وكالبهم اي وصاحب
كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته
اذا اضيف حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية والوصيد الفناء
وقيل العتبة وقيل الباب وانشد بارض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر
وقرئ ولملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء ورعبا بالتخفيف
والتثقيل وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي يملأه وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل
لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم
فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك قد منع
الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معوية لا انتهي حتى اعلم علمهم
فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاخرجتهم
وقرئ لو اطلعت بضم الواو وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا
لقدرته على الاماتة والبعث جميعا ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا
ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم وكرموا به قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول
بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطأ قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من
بعضهم وان الله اعلم بمدة لبثهم كأن هؤلاء قد علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة
وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله وروي انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال
فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك ما ن وقلت
كيف وصلوا فوقهم فابعثوا ابتدا كحديث المدة قلت كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم

فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا
وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على
لنتخذن عليهم مسجدا

الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه الحديث
ان عرفجة اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فانتن فامره رسول الله ان يتخذ انفا من ذهب
وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة او مكسورة وقرا ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام
القاف في الكاف وعن ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين
لا على حده وقيل المدينة طرسوس فالواو تزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على
ان حمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في
اوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه
اوثق عليك نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين الى ان يرزق
حج بيت الله وتعوّل منه ذلك فكانت مياسير اهل بلده كلما عزم منهم فوج على الحج اتوه فبذلوا
له ان يحجوا به والحّوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده
ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن ايها اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله
واسأل القرية ازكى طعاما احل واطيب واكثر وارخص وليتلطف وليتكلف اللطف والنيقة
فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا يعني ولا
يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه والضمير
في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها ان يظهروا عليكم يطلعوا عليكم او يظفروا بكم يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم
او يعيدوكم او يدخلوكم في ملتهم بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة
اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل ولن تفلحوا اذا ابدا ان
دخلتم في دينهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلم
الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث لان حالهم في نومهم وانتباههم بعدها
كحال من يموت ثم يبعث واذ يتنازعون متعلق باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون
بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد
وبعضهم تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة
فيها ارواح كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا
اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله
صلى الله عليه بالحظيرة قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم

لنتخذن على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل إذ يتنازعون بينهم
أمرهم أي يتذاكر الناس بينهم أمر أصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما أظهر الله من الآية فيهم
أو يتنازعون بينهم تدبير أمرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق إليهم فقالوا
ابنوا على باب كهفهم بنيانا وروي أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا
الأصنام وأكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فأراد فتية من أشراف قومه
على الشرك وتوعدهم بالقتل فأبوا إلا الثبات على الإيمان والتصلب فيه ثم هربوا إلى الكهف
ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فأنطقه الله فقال ما تريدون مني أنا أحب أحباء الله فناموا
وأنا أحرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله
فيه ثم ضرب الله على آذانهم وقبل أن يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف
أهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحا وجلس
على رماد وسأل ربه أن يبين لهم الحق فألقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به
فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام وأخرج
الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزا فذهبوا به إلى الملك فقص عليه
القصة فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث
ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والإنس ثم رجعوا إلى مضاجعهم
وتوفى الله أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في
المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا ربهم أعلم بهم من كلام
المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلما لم
يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين
في حديثهم من أولئك المتنازعين أو من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله من أهل الكتاب
سيقولون الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه من أهل الكتاب والمؤمنين
سألوا رسول الله عنهم فأخر الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم فنزلت إخبارا بما سيجري بينهم من
اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس رضي الله عنه
أنا من أولئك القليل وروي أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه
فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا

خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وإنما عرفوا
ذلك بإخبار رسول الله عن لسان جبريل وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا
ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش
وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس
واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير **فإن قلت** لم جاء بسين الاستقبال في الأول
دون الآخرين **قلت** فيه وجهان أن يدخل الآخرين في حكم السين كما تقول قد أكرم وأنعم
تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وأن تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له رجما
بالغيب رميا بالخبر الخفي وإتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب أي يأتون به أو وضع الرجم موضع
الظن فكأنه قيل ظنا بالغيب لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم
فرق بين العبارتين ألا ترى إلى قول زهير وما هو عنها بالحديث المرجم أي المظنون وقرئ
ثلاث رابعهم بإدغام الثاء في تاء التأنيث وثلاثة خبر مبتدإ محذوف أي هم ثلاثة وكذلك خمسة
وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدإ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم
كلبهم **فإن قلت** فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الأوليين
قلت هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن
المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وعلا
وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة
على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم
كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه أن الله سبحانه
أتبع القولين الأولين قوله رجما بالغيب وأتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم إلا قليل وقال ابن عباس
رضي الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة أي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت إليها
وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات وقيل إلا قليل من أهل الكتاب والضمير
في سيقولون على هذا لأهل الكتاب خاصة أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك
إلا في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب
الكهف إلا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب
ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي أحسن ولا تستفت

ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا

ولا تسأل أحدًا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئًا فترده عليه وتزيف ما عنده لأن ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لأن الله قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم ولا تقولن لشيء ولا تقولن لأجل شيء تعزم عليه إني فاعل ذلك الشيء غدا أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة إلا أن يشاء الله متعلق بالنهي لا بقوله إني فاعل لأنه لو قال إني فاعل كذا إلا أن يشاء الله كان معناه إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين أحدهما ولا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه والثاني ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله أي إلا بمشيئته وهو في موضع الحال يعني إلا ملتبسا بمشيئة الله قائلا إن شاء الله وفيه وجه ثالث وهو أن يكون إن شاء الله في معنى كلمة تأبيد كأنه قيل ولا تقولنه أبدا ونحوه قوله وما كان لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله لأن عودهم في ملتهم مما لن يشاءه الله وهذا نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش واذكر ربك أي مشيئة ربك وقل إن شاء الله إذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء أنه لا أثر له في الأحكام ما لم يكن موصولا ويحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له أبو حنيفة هذا يرجع عليك إنك تأخذ البيعة بالأيمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك إذا تركت بعض ما أمرك به وقيل واذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على أداء الصلوة المنسية عند ذكرها وهذا إشارة إلى نبإ أصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على أني نبي صادق ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشدا من نبإ أصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الأنبياء والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك وأدل والظاهر أن يكون المعنى إذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه أن تقول عسى ربي أن يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي

ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم

أقرب منه رشدا وأدنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله أو ننسها نأت بخير منها ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين يريد لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك به وعن قتادة أنه حكاية لكلام أهل الكتاب وقل الله أعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلاث مائة وقرئ بثلاث مائة سنين بالإضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالأخسرين أعمالا وفي قراءة أبي ثلاث مائة سنة تسعا تسع سنين لأن ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والأرض وخفي فيها من أحوال أهلها ومن غيرها وأنه هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من إدراكه المسموعات والمبصرات للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عن حد ما عليه إدراك السامعين والمبصرين لأنه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها كما يدرك أكبرها حجما وأكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر ما لهم الضمير لأهل السموات والأرض من ولي من متول لأمورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه أحدا منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له واتل ما أوحي إليك من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك أي لا يقدر أحد على تبديلها وتغييرها إنما يقدر على ذلك هو وحده وإذا بدلنا آية مكان آية ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل إليه إن هممت بذلك قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله نح هؤلاء الموالي الذين كأن ريحهم ريح الضأن وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح أنؤمن لك واتبعك الأرذلون فنزلت واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها قال أبو ذؤيب فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو إذا نفس الجبان تطلع بالغداة والعشي دائبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلوة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة أجود لأن غدوة علم في أكثر الاستعمال وإدخال اللام على تأويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل في كلامهم يقال عداه إذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاءني القوم عدا زيدا وإنما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه إذا اقتحمته ولم تعلق به فإن قلت أي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك أو ولا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ ألا ترى

... ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب

كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزين الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها اليها اكلين لها وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له لان معناه فعد همك عما ترى نهي رسول الله ان يزدري بفقراء المؤمنين وان تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته وابخلته اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعله من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد ابطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل قل الحق من ربكم الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء فكانه مخير مامور بان يتخير ما شاء من النجدين شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم يغاثوا بماء كالمهل كقوله فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله حسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء الا ان يكون من قوله اني ارقت فبت الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح اولئك خبر ان وانا لا نضيع اعتراض ولك ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين معا او تجعل اولئك كلاما مستانفا بيانا للاجر المبهم

فان قلت اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين الضمير الراجع منه الى المبتدأ **قلت** من احسن عملا والذين امنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من احسن مقام الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم من الاولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج و[illegible]

ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا

الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وخص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم واضرب لهم مثلا رجلين اي ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والاخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة الصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله وكافر وهو الاسود بن عبد الاسد جنتين من اعناب بستانين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا اطافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله هو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقوله غشيته وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها والاكل الثمر وقرئ بضم الكاف ولم تظلم ولم تنقص واتت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل اتتا على المعنى لجاز وقرئ وفجرنا على التخفيف وقرا عبد الله كل الجنتين اتى اكله برد الضمير على كل وكان له ثمر اي انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة اي كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء واعز نفرا يعني انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسالته فما احار كلمة يعني قطروس اخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره

وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب
ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل
منك مالا وولدا

بما ملكه من المال ونحوه فان قلت لم افرد الجنة بعد التثنية قلت معناه ودخل
ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا
هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتي مفتخر به كافر
لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم اخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته
لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب
امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة احوالهم ناطقة
به منادية عليه ولئن رددت الى ربي اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض
والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله
وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله وان معه
هذا الاستحقاق اين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا وقرئ خيرا منهما ردا
على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك خير من منقلب هذه
لانها فانية وتلك باقية خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه فكان
خلقه خلقا له سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا
لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا لكنا هو الله ربي اصله لكن انا فحذفت
الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل
وترمينني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن اياك لا اقلي اي لكن انا لا اقليك وهو ضمير
الشان والشان الله ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وقرأ ابن عامر باثبات
الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره
لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو انه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون
وطرح انا وقرأ ابي بن كعب لكن انا على الاصل وفي قراءة عبد الله لكن انا لا اله الا هو ربي فان قلت
هو استدراك لماذا قلت لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما
تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر ما شاء الله يجوز ان يكون ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر
مبتدأ محذوف تقديره الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اي
شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال والمعنى
هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها

فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا واحيط
بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله
وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا

انما حصل بمشيئة الله وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها وقلت لا قوة الا
بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه
ولا في ملك يده الا بالله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء
وكان اذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج من قرأ اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن
رفع جعله مبتدأ واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر
بالاولاد في قوله واعز نفرا والمعنى ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب ما
بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب
بساتينك والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب اي مقدارا قدره الله وحسبه
وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل
حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها
زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر واحيط به عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو
لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا ان يحاط
بكم ومثله قوله اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا لهم وتقليب الكفين
كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط
في اليد ولانه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي انفق
في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت
فوقها الكروم قيل ارسل الله عليها نارا فاكلتها يا ليتني تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من
جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز ان يكون توبة من
الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان وقرئ ولم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على
المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة فان قلت
ما معنى قوله ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله اي هو
وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو استيجابه
ان يخذل وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله الولاية بالفتح النصرة والتولي
وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله
وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله

واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا

او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمنع منه او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجي اليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة اي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية والله وقرا عمرو بن عبيد رحمة الله عليه بالنصب على التاكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس وانصحهم وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه فاصبح هشيما مهشوما مكسورا والهشيم والحطم الواحدة هشيمة وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا الباقيات الصالحات اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان ويبقى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله خير ثوابا اي ما يتعلق بها من الثواب وخير املا لان صاحبها ينال بها في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة ويوم نسير الجبال قرئ نسير من سيرت ونسير من سيرنا وتسير من سارت اي تسير في الجو او يذهب بها بان تجعل هباء منبثا وترى الارض بارزة وقرئ وترى الارض على البناء للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف وقرئ فلم نغادر بالنون والياء يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان صفا مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا اي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما انشأناكم اول مرة وقيل جئتمونا عراة لا شيء معكم

وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا

كما خلقناكم اول مرة كقوله ولقد جئتمونا فرادى فان قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى قلت للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال العظائم كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور ووضع الكتاب للجنس وهو صحف الاعمال يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات لا يغادر صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعني لا يترك شيئا من المعاصي الا احصاه اي احصاها كلها كما تقول ما اعطاني قليلا ولا كثيرا لان الاشياء اما صغار واما كبار ويجوز ان يريد وما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنى وعن الفضيل كان اذا قرأها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر الا احصاها الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم كما زعم من ظلم الله في تعذيب اطفال المشركين بذنوب آبائهم كان من الجن كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كأن قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه والفاء للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن امر الله لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله عز وعلا لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده فزعم انه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن امر ربه خرج عما امره ربه به من السجود قال فواسقا عن قصدها جوائرا او صار فاسقا كافرا بسبب امر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجيب كأنه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم بي بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين

يعني ان فاعل بئس ضمير مستتر فيه وذا كل الضمير مبهم وبدلا تمييز ولذلك قال بئس

المصنف في قوله تعالى فاذا لما السلطان

ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين او يأتيهم العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا

بمعنى وما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم وقرأ علي رضي الله عنه متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقرأ الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها الى العين وقرئ عضدا بالفتح وسكون الضاد وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه واعانه تقول بالياء والنون واضافة الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة ويجوز ان يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا تهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان فظنوا فايقنوا مواقعوها مخالطوها واقعون فيها مصرفا معدلا قال ازهير هل عن شيبة من مصرف اكثر شيء جدلا اكثر الاشياء التي يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان يأتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك او انتظار ان يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن موطئها وما انذروا يجوز ان يكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا اي وما انذروه من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم وقرئ هزءا بالسكون اي اتخذوها موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملئكة وما اشبه ذلك بآيات ربه بالقرآن ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل

وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا

اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة كانه محال منهم لشدة تصميمهم ابدا مدة التكليف كلها واذن جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول عن تقدير قوله ما لي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتدأ والقرى صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة اي لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقت او مصدر لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وقيل هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم فان قلت لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه آخر وهو ان يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليه السلام وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهو في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل

فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا قال لفتيه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت إذ أوينا

أو أمضي حقبا أو أسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة روي أنه لما ظهر موسى على مصر مع بني
إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط أمره الله أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا
فذكر نعمة الله وقال إن الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فأي الناس أعلم قال أنا فعتب
الله عليه حين لم يرد العلم إلى الله فأوحى إليه بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر
وكان الخضر في أيام أفريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام
موسى وقيل إن موسى سأل ربه أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي
عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس
إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال إن كان في عبادك من هو أعلم مني
فادللني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال
تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه إذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان
فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه
في البحر فأتيا الصخرة فإذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وأنى بأرضنا السلام فعرفه نفسه
فقال يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا فلما ركبا السفينة
جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما
أخذ هذا العصفور من البحر نسيا حوتهما أي نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل أمارة على
الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع أن يقدمه ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة
وقيل إن يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى
فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وروي أنهما أكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك العين
فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء سربا أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل
الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى أو للخضر فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة
لنسيان موسى تفقد أمر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع أن يذكر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه
في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد إلى الظهر وألقي على موسى النصب والجوع
حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا
إشارة إلى مسير ما وراء الصخرة فإن قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه أمارة
لهما على الطلبة التي تناهضا من أجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها

إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا
فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع
معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا

وقيل ما كانت إلا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف
استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة إلى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت قلت
قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم إلى ذلك
أنه ضري بمشاهدة أمثاله عند موسى من العجائب واستأنس بإخوانه فأعان الإلف على قلة الاهتمام
أرأيت بمعنى أخبرني فإن قلت ما وجه التئام هذا الكلام فإن كل واحد من أرأيت وإذ أوينا
وفإني نسيت الحوت لا متعلق له قلت لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه
من نسيانه إلى تلك الغاية فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ما دهاني إذ
أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت وأن أذكره
بدل من الهاء في أنسانيه أي وما أنساني ذكره إلا الشيطان وفي قراءة عبد الله أن أذكركه عجبا
ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب أو قال عجبا
في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين وقوله وما أنسانيه
إلا الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل إن عجبا حكاية لتعجب
موسى وليس بذاك ذلك إشارة إلى اتخاذه سبيلا أي ذلك الذي كنا نطلب لأنه أمارة الظفر
بالطلبة من لقاء الخضر قرئ نبغ بغير ياء في الوصل وإثباتها أحسن وهي قراءة أبي عمرو وأما الوقف
فالأكثر فيه طرح الياء إتباعا لخط المصحف فارتدا فرجعا في أدراجهما قصصا يقصان قصصا
أي يتبعان آثارهما اتباعا أو فارتدا مقتصين رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة من لدنا مما
يختص بنا من العلم وهو الإخبار عن الغيوب رشدا قرئ بفتحتين وبضمة وسكون أي علما ذا
رشد أرشد به في ديني فإن قلت أما دلت حاجته إلى التعلم من آخر في عهده أنه كما قيل
موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لأن النبي يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وإمامهم المرجوع إليه
في أبواب الدين قلت لا غضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله وإنما يغض منه أن يأخذ
ممن دونه وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس إن نوفا ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس
بصاحب موسى وأن موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله نفى استطاعة الصبر معه
على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بأنه يتولى أمورا هي في ظاهرها مناكير
والرجل الصالح فكيف إذا كان نبيا لا يتمالك أن يشمئز ويمتعض ويجزع إذا رأى ذلك ويأخذ
في الإنكار وخبرا تمييز أي لم يحط به خبرك أو لأن لم تحط بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر

قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله

ولا اعصي في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او لا في محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلم لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عليه السلم عن حقيقة الامر فوعده الصبر معلقا بمشية الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تاخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم الذي امره الله بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس العلم منه بريء من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم قرئ فلا تسألني بالنون الثقيلة يعني من شرط اتباعك لي انك اذا رايت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحميت وانكرت في نفسك ان لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد وليغرق اهلها من غرق واهلها مرفوع جئت شيئا امرا اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال داهية دهياء اداء امرا بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته او بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابرهيم عليه السلم هذه اختي واني سقيم او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فقتله قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين فان قلت لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء قلت جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال اقتلت فان قلت فلم خولف بينهما قلت لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام وقرئ زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث

قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا

بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل نكرا وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا انكر من الاول لان ذاك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه فان قلت ما معنى زيادة لك قلت زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية بعدها بعد هذه الكرة او المسالة فلا تصاحبني فلا تقاربني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرئ فلا تصحبني اي فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك من لدني عذرا قد اعذرت وقرئ لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه رحم الله اخي موسى استحيا فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب اهل قرية انطاكية وقيل الايلة وهي ابعد ارض الله من السماء ان يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد ان ينقض استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي

في مهمه قلقت به هاماتها ... قلق الفؤوس اذا اردن نصولا

وقال

يريد الرمح صدر ابي براء ... ويعدل عن دماء بني عقيل

وقال حسان

ان دهرا يلف شملي بجمل ... لزمان يهم بالاحسان

وسمعت من يقول عزم السراج ان يطفأ وطلب ان يطفأ واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والاباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة قال

اذ قالت الانساع للبطن الحق

تقول سني للنواة طني

لا ينطق اللهو حتى ينطق العود

وشكا الي بعبرة وتحمحم

ان يك صادقا وهو صادقي

ولما سكت عن موسى الغضب

تمرد مارد وعز الابلق

وبعضهم يابى على اجفانه اغفاءه هم اذا انقاد الهموم تمردا

ابت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا

قالتا اتينا طائعين ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده

قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا

انه ما كان ابعد من المجاز كان ادخل في الاعجاز وانقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعلّ من النقض كاحمرّ من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة فاقامه قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لجأتهما الحاجة الى اخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو اتخذت عليه اجرا وطلبت على عملك جعلا حتى ننتعش به وندفع به الضرورة وقرئ لتخذت والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شيء فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدأ واخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى السؤال الثالث اي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرأ به ابن ابي عبلة فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به لمساكين قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم امامهم كقوله ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندى فان قلت قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتأخر عن السبب فلم قدم عليه قلت النية به التأخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وقيل في قراءة ابي وعبد الله كل سفينة صالحة وقرأ الجحدري فكان ابواه مؤمنان على ان كان فيه ضمير الشأن فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله عز وجل اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وامره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها وفي قراءة ابي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره

فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا

ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله لاهب لك وقرئ يبدلهما بالتشديد والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف وروي انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما قيل اسما الغلامين اصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه انه مال وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا اراد قوله تعالى والذين يكنزون الآية وكان ابوهما صالحا اعتداد بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه فقال قد انبأنا الله انكم قوم خصمون رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رأيت عن امري عن اجتهادي ورأيي وانما فعلته بامر الله ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمروذ وبخت نصر وكان بعد نمروذ واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال احب الله فاحبه وسأله ابن الكواء ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان

انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا ثم اتبع سببا

اختلفوا في ذي القرنين هل كان نبيا ام لا منهم من قال انه كان نبيا واحتجوا عليه بوجوه الاول قوله تعالى انا مكنا له في الارض والتمكين الكامل في الدين هو النبوة والثاني قوله تعالى وآتيناه من كل شيء سببا ومن جملة الاشياء النبوة والثالث قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب الآية والذي يتكلم الله معه لا بد وان يكون نبيا ومنهم من قال انه كان عبدا صالحا وما كان نبيا كبير

وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لانه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كان صفحتا راسه من نحاس وقيل كان على راسه ما يشبه القرنين ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود سالوه على جهة الامتحان وقيل ساله ابو جهل واشياعه والخطاب في عليكم لاحد الفريقين من كل شيء اي من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع سببا وقرئ فاتبع قرئ حمئة من حمئت البئر اذا صارت فيها الحماة وحامية بمعنى حارة وعن ابي ذر رضي الله عنه كنت رديف رسول الله صلى الله عليه على جمل فراى الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر وابن عمرو والحسن وقرا ابن عباس حمئة وكان ابن عباس عند معوية فقرا معوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرا قال كما يقرا امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة وروي في ثاط فوافق قول ابن عباس وكان ثمة رجل فانشد قول تبع

فراى مغيب الشمس عند مآبها ... في عين ذي خلب وثاط حرمد

اي في عين ماء ذي طين وحما اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز ان تكون العين جامعة للوصفين جميعا كانوا كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال اما من دعوته فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذاك هو المعذب في الدارين واما من آمن وعمل ما يقتضيه الايمان فله جزاء الحسنى وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله ان تجازى المثوبة الحسنى او فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى اي فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه من امرنا يسرا اي لا نامره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كان مجرى الرامسات ذيولها

حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا

يريد كان آثار مجر الرامسات على قوم قيل هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات واسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم بين السدين بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على انه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل اسماء وظروفا وهذا المكان في منقطع ارض الترك مما يلي المشرق من دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة ياجوج وماجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرا رؤبة آجوج وماجوج وهما من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم مفسدون في الارض قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن رسول الله صلى الله عليه في صفتهم لا يموت

قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا
قال آتوني افرغ عليه قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا
وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا

احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطوا
الطول وقصار مفرطوا القصر قرئ خرجا وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول و
النوال وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من كثرة
المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه كما قال سليمن صلوات الله عليه
فما آتاني الله خير مما آتاكم قرئ بالادغام وبفكه فاعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء
والعمل وبالآلات ردما حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردم
رقاع فوق رقاع قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب و
البنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ
حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض
وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وقرئ سوى وسووي وعن رسول الله
صلى الله عليه ان رجلا اخبره به فقال كيف رايته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء
قال قد رايته والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان وقرئ الصدفين
بضمتين والصدف بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لانه
يقطر وقطرا منصوب بافرغ وتقديره آتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول
لدلالة الثاني عليه وقرئ قال ائتوني اي جيئوني فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لان التاء
قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا واما من قرأ بادغام التاء في
الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد ان يظهروه ان يعلوه اي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه
وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته هذا اشارة الى السد اي هذا السد نعمة من الله و
رحمة على عباده او هذا الاقدار والتمكين من تسويته فاذا جاء وعد ربي يعني فاذا دنا مجيء
يوم القيمة وشارف ان ياتي جعل السد دكا اي مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط
بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد اي ارضا
مستوية وكان وعد ربي حقا آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا وجعلنا بعضهم بعض
الخلق يموج في بعض اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير
لياجوج وماجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي
يأتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم

وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا افحسب الذين كفروا ان يتخذوا
عبادي من دوني اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا
بمثله مددا

من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في اقفائهم
فيدخل في آذانهم فيموتون وعرضنا جهنم وبرزناها لهم فراوها وشاهدوها عن ذكري عن
آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القرآن وتامل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم
عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع السمع
اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصميت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع عبادي من دوني اولياء هم
الملئكة يعني انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكى عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقرأ ابن مسعود
افظن الذين كفروا وقرأ علي رضي الله عنه افحسب الذين كفروا اي افكافيهم ومحسبهم
ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على
الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند
الله كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب
اليم ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن علي رضي الله عنه ان ابن الكوا سأله عنهم فقال
منهم اهل حروراء وعن ابي سعيد الخدري ياتي ناس باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال
تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا
وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من
الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء فان قلت الذين ضل سعيهم في اي محل هو قلت الاوجه
ان يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال ويجوز ان يكون نصبا على الذم
او جرا على البدل جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك
عاد في حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم وامانيهم وهذه
غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد
نفي التحول وتاكيد الخلود المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط
ويقال السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد
بالبحر الجنس لنفد قبل ان تنفد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مدادا لنفد ايضا والكلمات غير
نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس بمثله
مدادا وقرأ الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد
بالياء وقيل قال حيي بن اخطب في كلامكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما

النغف دودة تكون في انوف الغنم

قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا

او بينهم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضا وقبول وقد فسرنا اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه السلام من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ